جهاد الشيعة

في العصر العباسي الأول

تأليف

الدكتوره سميرة مختار الليثي

ليسانس آداب وتربية وماجستير

ودكتوره في التاريخ الاسلامي في جامعة عين شمس

دار الجيل

للنشر والتوزيع والطباعة

بيروت - لبنان

جهاد الشيعة
في العصر العباسي الأول

الفهرست

الباب الاول

موقف الشيعة من قيام الدولة العباسية

الباب الثاني

جهاد الشيعة الزيدية والإمامية
في عصر الخليفة العباسي المنصور

الباب الثالث

جهاد الشيعة
في عصري الخليفتين المهدي والهادي

الباب الرابع

جهاد الشيعة في عهد هارون الرشيد

الباب الخامس

ثورات الشيعة في عهدي المأمون والمعتصم

المصادر والمراجع :

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

●

تصدير

بقلم الدكتور أحمد الشرباصي

الأستاذ بجامعة الأزهر
الرائد العام لجمعيات الشبان المسلمين

التاريخ الإسلامي كالمحيط الواسع ، أو كالبحر الزخّار ، الذي تتلاطم فيه الأمواج ، وتتعدد فيه اللُّجج ، وتتنوع فيه الاتجاهات .

وليس ذلك بغريب ، فإن هذا التاريخ العظيم الجليل ، الخطير الضخم ، قد اتسعت رقعته ، وانقسمت آفاقه ، وتكاثرت اتجاهاته ، وتمازجت طوائفه وشعوبه ، وليس عمره بالقصير .

وحينما شغلت نفسي –مثلاً– بتتبع «بطولات الفداء والوفاء» في عباب هذا التاريخ الإسلامي – على امتداد عرضه وطوله – وجدت في بطون الأسفار والمصادر ، مئات من الأبطال وعظماء الرجال ، الذين دفعهم دينهم وإيمانهم إلى الجهر بكلمة الحق ، ودعوة الصدق ؛ وإلى اقتحام ميادين الجهاد هنا وهناك ، لينالوا شرف الانتصار لعقيدتهم ويقينهم ، أو ليفوزوا بنعمة الشهادة المؤدية إلى ما يوقنون به من نعيم مقيم عند رحمن الدنيا والآخرة .

ولقد تعرفت إلى مئات ومئات من هؤلاء الأبطال المجاهدين حينما شرعت في «موسوعة الفداء والوفاء» ، التي تدور – في أجزائها المتوالية حول بطولات

رائعة مطوية ، وأبطال عظماء مجهولين ، وإذا كان قد صدر من هذه الموسوعة خمسة كتب(١) ، فكيف لي امتدت السبيل أمام هذه المسيرة التاريخية أكثر وأكثر مني ؟ وكيف إذا تعددت المسيرات من غيري على هذا الدرب الطويل الفسيح الوسيع ؟!

* * *

وطائفة الشيعة من الطوائف الإسلامية ذات الأثر الكبير في المجتمع الإسلامي.

وإذا كان التشيع قد بدأ بحبّ آل البيت النبوي الطهور : بيت سيدنا ورائدنا وقائدنا : رسول الله ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام ، فقد اتخذ بعد ذلك مسيرة متميزة خلال عصور التاريخ . وقد جعلت هذه المسيرة المتميزة تنفسح وتتسع ، حتى صار للتشيع أعلامه وأبطاله ورجاله ، ومفكروه وزعماؤه والداعون إليه ، والمدافعون عنه : بالكلمة تارة ، وبحد الحسام تارة أخرى .

ومرّ الشيعة خلال مسيرتهم التاريخية بمراحل صراع وجهاد ، تعرضوا فيها لألوان من الأذى والعدوان ، وقد أصيبوا وأصابوا ، والحرب سجال كما يقال ، ولكنهم احتملوا أكثر من غيرهم .

وكان للشيعة خلال تاريخهم مواقف مشهودة ، وبطولات مرصودة ، تشعبت وتفرقت ، وانتشرت يميناً وشمالاً ، في مصادر التاريخ المختلفة .

ولا يستطيع القارىء أن يجمع — بيسر أو سهولة — شتات هذه المواقف وتلك الأحداث ، وأن ينظمها في عقد واحد ، يتمكن من التطلع إليه بمجموعه ، أو الإحاطة به جملةً واحدة ، وإنما يصبر على ذلك أهل الاختصاص والتخصص ، وأهل الصبر والجلد على متاعب البحث ومشاق التنقيب ، وأهل

---

(١) هذه الكتب هي : «الفداء في الإسلام» ، و«فدائيون في تاريخ الإسلام» ، و«أبطال عقيدة وإسلام» ، و«بين الوفاء والفداء» ، و«رجال صدقوا» .

الاقتدار على المقارنة والنقد والتمحيص ، حتى يتحقق ذلك التمييز المنصف المحايد ، الذي يقول ما للموقف وما عليه .

ونحن هنا نتذكر كلمة الإمام مالك — رضي الله عنه — التي يقول فيها : « ما منّا من أحد إلا يُؤخذ منه ، ويُرَد عليه ، ما عدا صاحب هــذه الروضة » ! . وأشار الإمام إلى روضة المصطفى سيدنا رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلّم .

* * *

والدكتورة سميرة مختار الليثي حين تقدم بحثها عن « جهاد الشيعة » تريد — فيما أتصور — أن تخوض عباب هذا الخضم المتلاطم ، وأن تصبر على متاعب أمواجه ، ومصاعب لُجّاته ، لتلتقط من سبحها الطويل ما تسعه من لآلئه وفرائده : لتقدم في النهاية صورةً واسعة — قدر طاقتها — عن جهاد الشيعة الذين كافحوا ونافحوا عن عقيدتهم وفكرتهم ، وأفكارهم وآرائهم .

وأنت قد تتفق والشيعة في هذا الرأي أو ذاك ، وقد تختلف معهم في هذا الرأي أو ذاك ، وليس ذلك بضائر ، وإنما المهم أن نكون منصفين : نعرف عن علم ، وندرك بفهم ، ونقتنع بدليل ، ونوافق ببرهان ؛ ورحم الله شاعر العربية الأكبر : « أحمد شوقي » حين قال :

« اختلاف الرأي لا يفسد للوَد قضية » !

نحن أمة ربانية إسلامية ، علّمها ربّها لطف الحوار ، وحسن الإدراك ، وتلمُّس افضل الوسائل إلى معرفة الحق ، فهو القائل : « ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين » .

نحن أمة علمتها آدابُها هذه الحكمة : رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي معارضي خطأ يحتمل الصواب ، فليكن كل منا صاحب حق في عرض ما لديه من رأي ، مع حسن الإصغاء إلى الرأي الآخر .

وعندي أنه كلما صبرنا على الدرس والمطالعة و« تقصي الحقائق » كان ذلك معواناً على الالتقاء أمام نور الحق الذي لا يتعدد ، وعلى الاقتراب من معصم تلك الوحدة التي يريدها لنا خالقنا : « وإن هذه أمتكمْ أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون » .

وعلى الله قصد السبيل .

أحمد الشرباصي

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ينتشر في العالم الإسلامي المعاصر ملايين من الشيعة ، ويقومون بدورهم البارز الملموس نحو إعزاز الإسلام ، والنهضة بحضارته ، وهم يساهمون إيجابياً ، بجامعاتهم ومعاهدهم ومؤلفاتهم ، في التقدم الفكري الإسلامي . والشيعة دائماً تعتبر (الجهاد) ركناً من أركان الإسلام ، والجهاد لا يكون بالسيف وحده ، فقد يكون بتهذيب النفوس وصقل العقول ، وبتكوين المؤمن القوي الذي يكون خير مواطن صالح في عالمنا الإسلامي .

ويسعدني أن أقدم إلى قراء اللغة العربية في عالمنا الإسلامي ، كتابي (جهاد الشيعة) ، وهو يدرس جهاد هذه الجماعة الإسلامية الكبيرة ، منذ عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ، حتى نهاية العصر العباسي الأول سنة ٢٣٢ هـ . والقارىء اللبيب يدرك أنه من العسير على أي مؤلف أن يجمع جوانب جهاد الشيعة في كتاب واحد ، فهو جهاد طويل ، متشعب الأطراف ، متعدد الألوان. ولكن الصور التاريخية المجيدة ، التي نقدمها في هذا الكتاب ، لجهاد الشيعة ، تعبر تعبيراً صادقاً عن روح الشيعة التي بدت في أطوار جهادها المستمر ، الثوري ، والديني ، والفكري ، والاجتماعي . وهكذا اقتطفنا من بستان الشيعة ، الواسع الزاهر ، زهوراً كثيرة ، عطرة نضرة ، تجذب الأنظار ، وتشرح الصدور ، ويظل عبيقها الجميل ، أبد الدهر ، وعلى مر العصور .

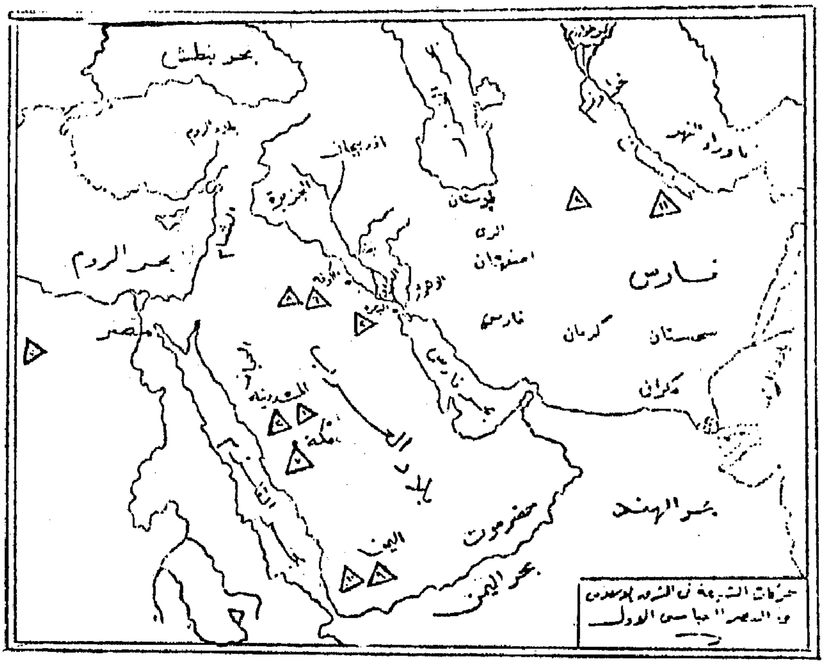
شاركت جماعات الشيعة في جميع الأحداث السياسية في التاريخ الإسلامي، وكان لها شأنها وتأثيرها في المجالات الحضارية ، وخاصة الدينية والفكرية . وظلت الشيعة طوال العصور تتصدر سائر الفرق والجماعات الإسلامية . وكان من نتاج التشيع دولة إسلامية عظمى هي الدولة الفاطمية التي يفخر كل مسلم بحضارتها وبدورهـــا العالمي ، ولا زالت القاهرة الخالدة ، وجامعة الأزهر العريقة ، تشهدان على أمجاد الفاطميين .

وكتابنا هذا بحث علمي ، يتبع المنهج العلمي في البحث التاريخي ، ومن أبرز أركان هذا المنهج إلتزام الحياد التام ، وهو حياد إيجابي ، يوصلنا إلى النتائج العلمية التي تفيد مكتبتنا العربية الإسلامية . وقد اهتممنا بفلسفة التاريخ إلى جانب الحرص على ذكر تفاصيل الأحداث التاريخية ، كما ربطنا بين جهاد الشيعة وبين جوانب الحياة السياسية والدينية والفكرية في العالم الإسلامي .

واتخذ جهاد الشيعة أحياناً شكل الثورة من أجل وضع المبادىء والتعاليم ، موضع التنفيذ العملي الإيجابي . وقد اعتاد المسلمون دائماً أن يحيوا حياة ديموقراطية وتمسكوا أبداً بحرية الرأي والتعبير ، مما كفلته تعاليم الإسلام الرشيدة . وهذا الجهاد وإن أدى أحياناً إلى صراع بين فريقين من المسلمين ، فهو في الحقيقة تعبير عن حيوية الأمة الإسلامية ، وعن رغبتها في التطور وحرصها على التجديد، وعن تمسكها بارائها وتعاليمها من أجل حياة رغدة، وحضارة راقية. وإن حدث خلاف، فهو يمس المسائل الثانوية ، دون المساس بعقيدتنا الإسلامية السامية، وهي اختلافات في الآراء والوسائل، وقد يكون في الاختلاف في الرأي فضيلة.

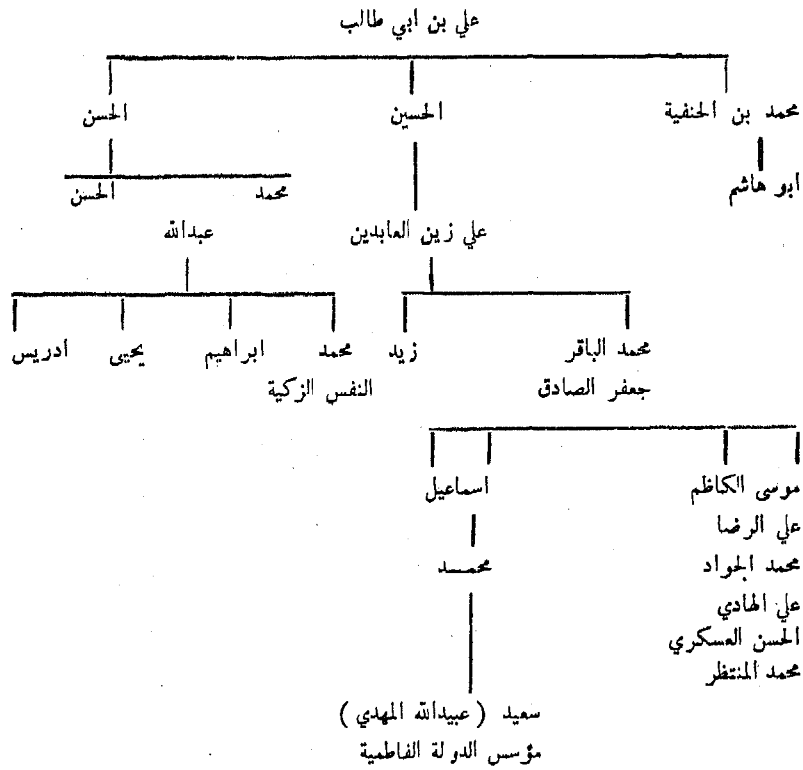
ونحن المسلمين ، على اختلاف مذاهبنا ، أمة إسلامية واحدة ، تظللنا الأخوة الإسلامية الوثيقة ، نؤمن بالخالق العظيم ، وبرسوله الأمين ، ونتشبع بحب آل البيت النبوي الطاهر ، ودستورنا القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . ونحن المسلمين جميعاً على طريق واحد ، رسمه الإسلام لنا ، طريق الإخاء من أجل تحقيق السلام والرخاء . والله عز وجل ولي التوفيق والنصر .

دكتورة سميرة مختار الليثي



(١) حركة محمد النفس الزكية في المدينة سنة ١٤٥ هـ في عهد الخليفة المنصور (٢) حركة ابراهيم أخي النفس الزكية في البصرة سنة ١٤٥ هـ في عهد المنصور (٣) حركة الحسين بن علي في المدينة سنة ١٦٩ هـ في عهد الخليفة الهادي (٤) حركة يحيى بن عبدالله في بلاد الديلم سنة ١٧٥ هـ في عهد هارون الرشيد (٥) حركة ادريس بن عبد الله في بلاد المغرب سنة ١٧٢ هـ في عهد الرشيد (٦) حركة محمد ابن ابراهيم وأبي السرايا في الكوفة سنة ١٩٩ هـ في عهد المأمون (٧) حركة محمد بن جعفر الصادق في مكة سنة ٢٠٠ هـ في عهد المأمون (٨) حركة ابي عبد الله (اخي ابي السرايا) في الكوفة سنة ٢٠٢هـ في عهد المأمون (٩) حركة ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن ابي طالب في اليمن سنة ٢٠٠ هـ في عهد المأمون (١٠) حركة عبد الرحمن بن احمد بن عبد الله بن محمد بن عمر ابن علي بن ابي طالب في اليمن سنة ٢٠٧ هـ في عهد المأمون (١١) حركة محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب في خراسان سنة ٢١٩ هـ في عهد المعتصم .

البيت العلــوي

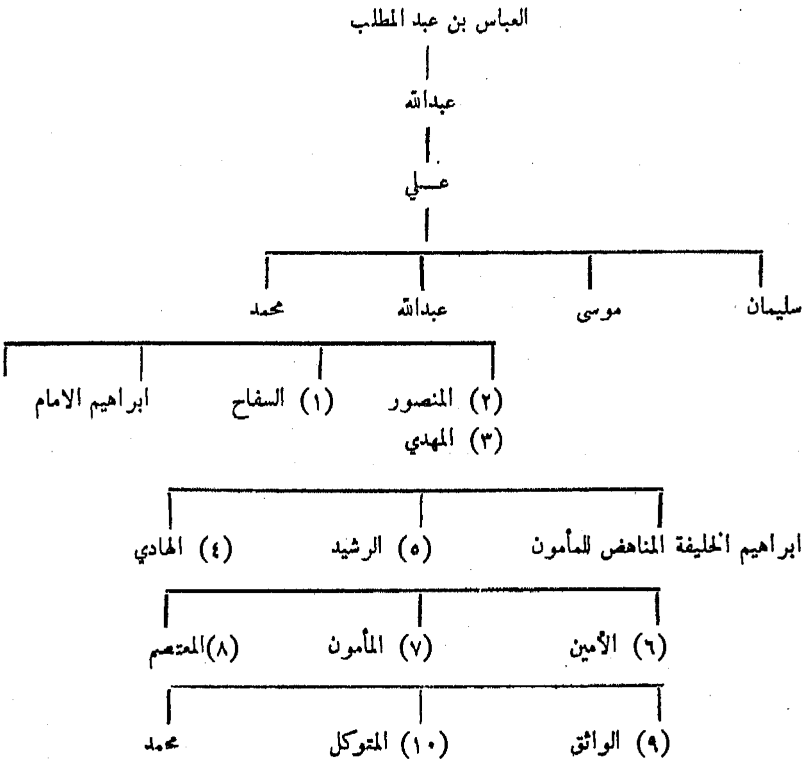


خلفاء العصر العباسي الأول
وسنوات توليتهم الخلافة

١) أبو العباس السفاح	:	١٣٢ هـ — ٧٥٠ م
٢) ابو جعفر المنصور	:	١٣٦ هـ — ٧٥٤ م
٣) محمد المهدي	:	١٥٨ هـ — ٧٧٥ م
٤) موسى الهادي	:	١٦٩ هـ — ٧٨٥ م
٥) هارون الرشيد	:	١٧٠ هـ — ٧٨٦ م
٦) محمد الامين	:	١٩٣ هـ — ٨٠٩ م
٧) عبد الله المأمون	:	١٩٨ هـ — ٨١٣ م
٨) محمد المعتصم	:	٢١٨ هـ — ٨٣٣ م
٩) هارون الواثق	:	٢٢٧ هـ — ٨٤٢ م

* * *

شجرة نسب خلفاء العصر العباسي الأول



الباب الأول

موقف الشيعة من قيام الدولة العباسية

١ ــ ظهور جماعة الشيعة وجهادها في القرن الأول الهجري .

٢ ــ أثر جهاد الشيعة في سقوط الدولة الأموية .

٣ ــ تطور العلاقات بين البيتين العلوي والعباسي .

٤ ــ فرق الشيعة وموقفها من قيام الدولة العباسية .

٥ ــ محاولات أبي سلمة الخلال لتحويل الخلافة إلى العلويين .

١ ـ ظهور جماعة الشيعة
وجهادها في القرن الأَول الهجري

الشيعة في اللغة :

الشيعة في اللغة هم الاتباع والانصار ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد، وهو من المشاع والمتابعة،وهذا المعنى اللغوي مطابق لما اختص به هذا اللفظ من تشيع لعلي بن ابي طالب وأولاده وأقــر بامامتهم وأصبح هذا المعنى هو المتبادر للذهن من اسم الشيعة عند اطلاقه(١) .

فسر ابن خلدون (٢) لفظ (الشيعة) لغوياً وفقهياً فقال :

«اعلم ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم» .

ويحدد الشهرستاني(٣) مفهوم لفظ الشيعة فيقول : « الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص ، وقالوا بامامته وخلافته نصاً ووصية ، اما جلياً، واما خفياً واعتقدوا ان الامامة لا تخرج من اولاده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره ، او بتقية من عنده» .

---

(١) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ٩ .
(٢) مقدمة ابن خلدون : ص ١٣٨ .
(٣) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ ص ١٤٦ .

مفاهيم التشيع :

وتاريخ الشيعة تاريخ طويل ، فهو يبدأ منذ تاريخ صدر الاسلام ، ولا يزال الشيعة يمثلون ملايينا من سكان العالم الاسلامي. وفي الحقيقة — كما يقول الدكتور النشار — لم يكن هناك تشيعاً واحداً خلال التاريخ ، وما أشد الخلاف بين حب جماعة من الصحابة لعلي بن ابي طالب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد الخليفتين ابي بكر وعمر ، وبين حب أنصار علي بن ابي طالب الملتفين حوله في الكوفة والبصرة وبين جرأة الترابيين من أصحاب حجر بن عدي ، وفداء التوابيين من أصحاب سليمان بن صرد. ويختلف كل هؤلاء الشيعة عن الشيعة في عهد جعفر الصادق ، حين نشأ المذهب الكلامي للشيعة ، وعن الشيعة الذين يؤمنون بعقيدة الاثني عشرية ، وعن الشيعة الزيدية الذين يقتربون من أهل السنة ، وعن الاسماعيلية الذين يبتعدون عن أهل السنة وعن الاثني عشرية . وهذه الاختلافات كلها تجعل التشيع « ظاهرة مركبة معقدة »(١) .

تاريخ بدء التشيع :

اختلف الفقهاء والمؤرخون والكتاب حول تاريخ بدء التشيع لعلي بن ابي طالب فيرى البعض ان هذا التشيع قد بدأ في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام(٢)

---

(١) علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١ — ٢ .

(٢) يرى الكاتب الشيعي محمد الحسين كاشف الغطاء (اصل الشيعة وأصولها) ص ٨٧ أن بذور التشيع وضعت مع بذور الاسلام . ويرى الكاتب الشيعي محمد الحسين المظفري (تاريخ الشيعة ص ٨ — ٩) أن الدعوة الى التشيع بدأت منذ دعا الرسول الى أنه « لا اله إلا الله » ويعتمد على قول الرسول لبني هاشم عن علي بن أبي طالب : « هذا أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا » . ويرى الكاتب الشيعي محمد حسين الزين العاملي (الشيعة في التاريخ ص ٢٥) انه كان من بين صحابة الرسول أربعة من الشيعة علي وهم أبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر . وذكر ان عدد من بايع علياً في يوم غدير خم كان أربعون ألفاً وهم شيعته . ويرى محمد كرد علي ، وهو ليس شيعياً (خطط الشام ج ٥ صفحة ٢٥١) انه كان من بين صحابة الرسول من هم شيعة علي ، وهم : سلمان الفارسي ، وعمار بن ياسر ، وأبو ذر الغفاري ، وحذيفة بن اليمان ، وخذيمة بن ثابت ، وأبو أيوب الانصاري ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وقيس بن سعد بن عبادة .

ويرى فريق آخر انه ظهر بعد وفاة الرسول(١) . ويذهب فريق ثالث الى ان التشيع قد ظهر في خلافة عثمان بن عفان نتيجة انتشار آراء عبدالله بن سبأ(٢) ، ويرجع فريق رابع التشيع الى ما بعد التحكيم ثم مقتل علي بن ابي طالب(٣) بينما يربط فريق خامس بين التشيع ومقتل الحسين بن علي في كربلاء(٤) .

ولا نجد هذا الاختلاف الواضح في تاريخ الفرق الأخرى ، لأن عقائد الفرق ظهرت وثيقة الاتصال بالاحداث التاريخية ، فقد ارتبطت عقيدة الخوارج — مثلا — بحادثة التحكيم ، أما بالنسبة للتشيع ، فقد كانت هناك عدة احداث تاريخية لها أثرها في المذهب الشيعي ، فاختلف الباحثون في مدى أهمية كل منها وعدها نقطة البداية في نشأة المذهب ، ومن هذه الأحداث وفاة النبي وتخلف علي عن اجتماع السقيفة وفتنة عثمان ، والتحكيم ومقتل علي ، ومصرع الحسين(٥) .

---

(١) ذكر اليعقوبي في تاريخه (ص ١٣١) انه امتنع بعض كبار المهاجرين عن البيعة لأبي بكر ورأوا ان علياً كان أحق بالخلافة من الصديق . ويرى الدكتور احمد أمين (ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٢٠٩) ان موقف هؤلاء الصحابة (ومنهم سلمان وأبو ذر والمقداد) كان بداية التشيع ويذكر المستشرق جولد تسيهر (العقيدة والشريعة في الاسلام ص ١٧٤) انه ظهر حزب من كبار الصحابة لم يوافق على اختيار ابي بكر وعمر وعثمان للخلافة وفضل اختيار علي بن أبي طالب .

(٢) يربط الملطي (التنبيه والرد ص ٢٥) بين تعاليم ابن سبأ وبداية التشيع .

(٣) أدى مقتل علي بن أبي طالب الى تبلور تعاليم الشيعة البابلية وانتشارها ، فزعم ابن سبأ ان المقتول لم يكن علياً ، وانما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي ، وان علياً صعد الى السماء كما صعد اليها عيسى بن مريم (البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٣٤) وزعمت السبئية ان علياً في السحاب (الملطي : التنبيه والرد ص ٢٥) ، ونادت السبئية بالرجعة وذهبت الى ان علياً قد صعد الى السماء وانه سينزل الى الدنيا وينتقم من اعدائه (البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٤٣) .

(٤) يرى المستشرق برنارد لويس (أصول الاسماعيلية ص ٨٦) ان مصرع علي ثم مأساة كربلاء كان لها أثرها في ظهور (التشيع الثوري ذي الصبغة المهدوية) .

(٥) دكتور احمد محمود صبحي : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ٢٨ .

كانت جماعة الشيعة عند أول ظهورها جماعة سياسية ، تدعو الى احقية علي ابن ابي طالب بالخلافة . ولم تكن هذه الجماعة حزباً نظامياً او رابطة موحدة بل كانوا افراداً كثيرين، متفرقين في مختلف الامصار الاسلامية يدفعهم الى تأييد علي بن ابي طالب حبهم وولاؤهم للرسول صلى الله عليه وسلم وآله رضي الله عنهم . وكان من بينهم عدد من كبار الصحابة ، وعدد من الانصار(١) .

حتى اذا اصبح علي بن ابي طالب الخليفة الرابع ، اعتبره شيعتــه الامام والوصي . فقد خطب مالك الاشتر الناس فقال :

« أيها الناس ، هذا وصي الاوصياء ، ووارث علم الانبياء »(٢) .

وفي رواية لابن النديم(٣) نرى ان علي بن ابي طالب يطلق على انصاره « شيعتي » ، ولكننا نرى ان مفهوم «الشيعة » لم يزد عن مفهوم الفاظه «انصار» أو « مؤيدين » او « اصحاب » لأن علياً اطلق على شيعته اسماء اخرى منها « الاصفياء» و« الاولياء » و« الاصحاب » وخاصة ان معاوية بن ابي سفيان قد اطلق ايضاً لفظ « الشيعة » على انصاره (٤) . كما تحدثت صحيفة التحكيم عن شيعة علي ، وعن شيعة معاوية(٥) .

ويرى الدكتور طه حسين(٦)ان التشيع بالمفهوم المتداول بين الفقهاء ومؤرخي

---

(١) قام الكاتب الشيعي محسن الأمين العاملي باحصائية لمن انضم الى علي بن ابي طالب في موقعة صفين ، فذكر انه كان من بينهم ٨٧ انصارياً ، و ٩٠٠ ممن شهدوا بيعة الرضوان ، بلغ عدد الصحابة ٢٨٠٠ صحابي (أعيان الشيعة ص ٣٧) .

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ١٥١ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٩ .

(٤) قال معاوية لبسر بن ارطأة حين بعثه الى بلاد اليمن : « امعن حتى تأتي صنعاء فان لنا بهـــا شيعة » .

(٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ١ ص ١٤٠ .

(٦) طه حسين : علي وبنوه ص ٩٠ .
يؤيد الدكتور النشار هذا الرأي فيقول :
« لم يظهر مصطلح الشيعة حتى ذلك الوقت دلالة على اتباع علي بالذات » (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٩) .

الفرق المتكلمين لم يظهر في عهد علي بن ابي طالب ، وأن مفهوم الشيعة في حياته هو نفس المعنى اللغوي القديم ، كما جاء في القرآن الكريم (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وفي قوله عز وجل (وان من شيعته لابراهيم) وان الشيعة هنا تعني الاتباع والانصار . لذا يرى الدكتور طه حسين انه لم تكن لعلي شيعة بالمعنى المفهوم لهذا اللفظ ، وانما كان له انصار واتباع .

أثر جهاد الإمام الحسين في تبلور التشيع :

كان مصرع الحسين بن علي في كربلاء هو الحدث التاريخي الكبير الذي أدى الى بلورة جماعة الشيعة ، وظهورها كفرقة متميزة ذات مبادىء سياسية وصبغة دينية وفي الحقيقة ، لا يمكن تفسير دعوة شيعة الكوفة للحسين ثم خذلانهم له الا بضعف العقيدة في نفوسهم في ذلك الوقت(١) . وكان لمأساة كربلاء اثرها في نمو روح الشيعة وازدياد انصارها ، حتى انه يمكن القول ان الحركة الشيعية بدأ ظهورها في العاشر من المحرم(٢) .

وظهرت جماعة الشيعة بعد مقتل الحسين كجماعة منظمة ، تربطها روابط سياسية وآراء دينية ، لها اجتماعاتها وزعماؤها ثم لها قواتها العسكرية ، وكانت جماعة « التوابين »(٣) اول مظهر لذلك كله ، فيقول المسعودي(٤) :

« وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة ، وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ، ورأوا انهم قد اخطأوا خطأ كبيراً بدعاء الحسين

---

(١) الخربوطلي : تاريخ العراق ص ١٢٣ .

(٢) فيليب حتي : تاريخ العرب ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

(٣) كان التوابون يستشهدون دائماً بقوله سبحانه وتعالى :
(فتوبوا الى بارئكم . فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٠٠ - ١٠١ .

اياهم ولم يجيبوه ولمقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا انهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم الا قتل من قتله او القتل فيه ، ففزعوا الى خمسة نفر منهم : سليمان بن صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجبة الفزاري ، وعبد الله بن سعد بن نفيل الازدي . وعبدالله بن وال التميمي ، ورفاعة بن شداد البجلي ، فعسكروا بالنخيلة » .

ويصف الطبري(١) تبلور جماعة الشيعة بعد مصرع الحسين في جماعة التوابين فيقول : « فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس في السر من الشيعة وغيرها الى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر ، فلم يزالوا كذلك حتى مات يزيد بن معاوية .

كما بدأت عملية تنظيمية لجماعات الشيعة في بعض المدن فقد كتب سليمان ابن صرد زعيم التوابين الى شيعة المدائن ، والى شيعة البصرة ، يحثهم جميعاً على الانضمام الى حركة التوابين ، فاستجابوا الى دعوته (٢) .

وبدأت جماعة الشيعة تأخذ طابعاً دينياً حتى غلب الجانب الديني في التشيع الجانب السياسي (٣) وبينما كانت الشيعة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تتعدى طائفة قليلة من الناس يرون علي بن ابي طالب – لصفات فيه – أحق الناس بالامامة ، وبينما ناصر كثير من المسلمين علياً حينما آل اليه الامر بعد مقتل عثمان لأنه امام المسلمين ، او لأسباب أخرى ، فان دماء الحسين التي اريقت – وهي دماء حفيد الرسول – قد ركزت الانتباه الى مدى ما لاقاه آل بيت النبي من اضطهاد وقتل ، ومن ثم اصبح التشيع مقروناً بأحقية آل البيت (٤) .

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٧ ص ٤٦ .
(٢) البلاذري : انساب الاشراف ج ٥ ص ٢٠٦ .
(٣) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ص ١٧٦ .
(٤) احمد صبحي : نظرية الامامة ص ٤٨ .

ونتج عن مقتل الحسين – كما يقول ستانلي لينبول – تشيع كثير من الموالي فقد اعتبروا الحسين مثلا أعلى للتضحية وتحمل العذاب والشدائد من أجل البشرية وكانت طبيعة الفرس تميل نحو انكار الذات ، ولذا كانت تضحية الحسين تساير الاستعداد الطبيعي للفرس (١) .

افتقدت الشيعة بمصرع الحسين الزعيم الذي يكون محوراً لجماعتهم وتنظيمهم والذي يقودهم الى تحقيق تعاليمهم ومبادئهم . وانصرف الامام علي زين العابدين عن السياسة الى الدين وعبادة الله عز وجل(٢) ، وأصبح للشيعة زعيماً روحياً. ولكنه لم يكن الثائر السياسي الذي يتزعم جماعة الشيعة حتى انه اثر البقاء في المدينة المنورة طوال حياته(٣) . وحاول المختار بن ابي عبيد الثقفي ان ينتزع علياً من حياة التعبيد والاشتغال بالعلم الى ميادين السياسة دون جدوى ، فقد « كتب المختار كتاباً الى علي بن الحسين السجاد ، يريده على ان يبايع له ، ويقول بامامته ، ويظهر دعوته ، وأنفذ اليه مالا كثيراً ، فأبى علي ان يقبل ذلك منه او يجيبه عن كتابه وسبه على رءوس الملإ في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأظهر كذبه وفجوره ودخوله على الناس باظهار الميل الى آل أبي طالب ، فلما يئس المختار من علي بن الحسين كتب الى عمه محمد بن الحنفية يريده على مثل ذلك ، فأشار عليه علي بن الحسين ان لا يجيبه الى شيء من ذلك »(٤) .

وكان عبدالله بن الزبير يطمع في الخلافة ، ولذا انتهز فرصة مصرع الحسين

---

(١) S. Lane Poole : Studies in a mosque P. 218.

(٢) ذكر الساعدي (حياة الامام علي بن الحسين ص ٣٢٠) ان علياً كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة كما كان من رواة الاحاديث ، واشتهر باسم السجاد وزين العابدين وذي الثفنات.

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ١٠٤ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٨٣ .

ابن علي(١) ، وركون ابنه علي زين العابدين الى الهدوء ، فأعلن بيعته بالخلافة في بلاد الحجاز(٢) ، وامتد نفوذه الى معظم الامصار الاسلامية . وانضم المختار في أول الأمر الى ابن الزبير ، حتى اذا لم يحقق ابن الزبير اطماعه في السلطة والنفوذ رأى ان يكون التشيع وسيلة لتحقيق تلك الاطماع العريضة ، فحاول كما رأينا — الاتصال بعلي بن الحسين ، حتى اذا أخفق تحول الى محمد بن علي ابن أبي طالب المعروف بابن الحنفية . وقد قدر ابن الزبير موقف علي بن الحسين فلم يكن ضمن قائمة من اضطهدهم ابن الزبير من بني هاشم(٣) .

امتد نفوذ ابن الزبير الى بلاد العراق ، حيث يعتنق كثير من أهلها مذهب التشيع ، وكانت الشيعة لا تزال تعاني من احزانها وآلامها بعد فاجعة كربلاء ومصرع الحسين ، وأملت الشيعة ان يثأر ابن الزبير لزعيمها ابي الشهداء ، وخاصة ان الشيعة وابن الزبير يجتمعان على عداء الدولة الاموية ، ولكن ابن الزبير لم يحقق للشيعة آمالها(٤) ، ولذلك رأت الشيعة ان تثأر بنفسها لنفسها من قتلة الحسين ، فكانت حركة التوابين ، وتكررت اخطاء ابن الزبير ، فقد امتنع عن ان يقدم الى التوابين من المعاونات المادية والعسكرية ما يحقق لهم الانتصار ، فانتهت حركتهم بالاخفاق(٥) .

---

(١) انظر نص الخطبة التي القاها ابن الزبير في مكة بعد مقتل الحسين في تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٦٤ .

(٢) روى الطبري « فثار اليه — أي ابن الزبير — اصحابه فقالوا له : أيها الرجل اظهر بيعتك فانه لم يبق احد اذ هلك الحسين ينازعك هذا الامر . وقد كان يبايع الناس سراً ، ويظهر انه عائذ بالبيت » . الطبري ج ٤ ص ٣٦٤) .

(٣) اضطهد ابن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس بن عبد المطلب اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٠ ، المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ٢٧ .

(٤) اخطأ ابن الزبير في اختياره لابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله ، ضمن عماله في الكوفة ، وكانت الشيعة تبغض أباه ، كما اضطهد أيضاً واليه عبدالله بن مطيع شيعة الكوفة « فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم » (اليعقوبي ج ٣ ص ٥) .

(٥) لقي التوابون الهزيمة في موقعة عين الورده على يد الجيش الاموي بقيادة عبيد الله بن زياد سنة ٦٤ هـ . وكانت حركتهم قد بدأت سنة ٦١ هـ . (الطبري ج ٧ ص ٤٦ وما بعدها ، ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٤٨ وما بعدها ، البلاذري : انساب الاشراف ج ٥ ص ٢١٠ وما بعدها) .

جهاد الشيعة في العراق :

أصبحت بلاد العراق بعد مصرع الحسين ، مركزاً لنشاط الشيعة ، وقد بدأت حركة التوابين سنة ٦١ هـ بعد فاجعة كربلاء مباشرة ، وكانت نهايتها سنة ٦٤ هـ (١) لتبدأ حركة شيعية أخرى هي حركة المختار الثقفي ، وكان المختار من عوامل اخفاق حركة التوابين ايضاً ، فقد رأى ان يتولى قيادة هذا التنظيم الشيعي الذي أصبح يحمل اسم التوابين (٢) .

وقام المختار الثقفي بدور كبير في تاريخ الشيعة في العصر الاموي ، وامتد تأثيره الى مطالع العصر العباسي . وكان المختار قد توجه بولائه في أول الامر الى ابن الزبير — كما شهدنا — ثم حاول تحويل ولائه الى علي بن الحسين فأخفق ، فرأى أخيراً ان يتجه بولائه الى محمد بن الحنفية ، فهو محتاج الى هذا الولاء لجذب قلوب الشيعة وتأييدهم له . وكان المختار قد عرض على ابن الحنفية ان يتولى الثأر للحسين من قتلته فقال «اني لأحب ان ينصرنا ربنا ويهلك من سفك دماءنا ، ولست آمر بحرب ولا اراقة دم»(٣).

واستفاد المختار من هذا اللقاء ، ومن هذه العبارة العامة المشروطة ، فرحل الى العراق حيث أعلن لأهلها أنه «وزير» و«أمير» ابن الحنفية وانه فوضه في الثأر لاخيه الحسين . وشكت الشيعة في أمر المختار ، فبعثت بمندوبين

---

(١) اتخذت حركة التوابين في اول امرها طابعاً سرياً ، وكانوا قد اتفقوا على اعلان الثورة في آخر ربيع الثاني سنة ٦٥ هـ . ولكنهم رأوا التعجيل بالثورة في شهر ربيع الأول من سنة ٦٤ هـ حينما تناهى الى اسماعهم موت الخليفة الأموي يزيد بن معاوية (البلاذري : انساب الاشراف جـ ٥ ص ٢٠٦) .

(٢) روى المسعودي (مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٩) : «فكان المختار اذا دعا الشيعة الى نفسه والى الطلب بدم الحسين قالوا : هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها . فيقول : ان سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال فلم يزل حتى انشعبت اليه طائفة منهم » .

(٣) البلاذري : انساب الاشراف جـ ٥ ص ٢١٣ .

عنها الى الحجاز للوقوف على رأي ابن الحنفية ، فقال لهم : « ما أحب الينا من طلب بثأرنا وأخذ لنا بحقنا وقتل عدونا »(١) .

ونجح المختار فيما اخفق فيه التوابون ، فقد قتل كثيراً من قتلة الحسين(٢) ، كما بعث جيشاً نجح في قتل عبيد الله بن زياد الذي وجه الجيش لقتال الحسين(٣). وأبدى علي بن الحسين ، رغم موقفه السابق ، من المختار سروره لمصرع ابن زياد (٤) . ونجح المختار في ان يتزعم الشيعة ، ويطور آراءهم ، ويقودهم لمناهضة ولاة ابن الزبير بالعراق(٥) معتمداً على التأييد الذي ابداه ابن الحنفية له في أول الأمر .

مرت العلاقات بين المختار وابن الحنفية بعدة مراحل ، وقد شهدنا المرحلة الأولى منها ، وخلالها استمال المختار الشيعة خاصة وسائر الناس عامة : بالتقرب الى بني هاشم ، فكانت هداياه تصل الى ابن الحنفية وعبدالله بن العباس وغيرهما من الهاشميين (٦) وبذلك أصبح المختار نصير آل البيت النبوي ، في وقت يضطهدهم فيه الخلفاء الامويون وولاتهم ، وعبد الله بن الزبير ، على السواء .

ظهور جماعة الشيعة الكيسانية :

ثم بدأت مرحلة جديدة ، حين أراد المختار تطوير آراء الشيعة ، مما يحقق

(١) اليعقوبي : جـ ٣ ص ٥ .
(٢) ابن قتيبة : الامام والسياسة جـ ٢ ص ٢٣ .
(٣) بعث المختار بجيشين بقيادة يزيد بن انس وابراهيم بن الاشطر فنجحا في قتل ابن زياد(الطبري جـ ٧ ص ١٤٤) .
(٤) روى اليعقوبي في تاريخه جـ ٣ ص٦ ان علياً (لم ير ضاحكاً قط منذ قتل أبوه الا في ذلك اليوم).
(٥) نجح المختار في الاستيلاء على قصر امارة الكوفة وبيت مالها واستمال الناس بالاموال (ابن الاثير : الكامل جـ ٣ ص ٩٥) .
(٦) البلاذري : أنساب الاشراف جـ ٥ ص ٢٧٠ .

له السلطة والنفوذ ، ومما يرضي اتباعه وانصاره من الموالي الفرس . أما الهدف الأول ، فيبدو في دعوة المختار الى ان الدين طاعة رجل ، حتى حملهم ذلك تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وغير ذلك على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الرجل : وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول ، والرجعة بعد الموت . فمن مقتصر على واحد معتقد انه لا يموت ، ولا يجوز ان يموت حتى يرجع . ومن يعتقد حقيقة الامامة الى غيره ، ثم متحسر عليه ، متحير فيه ، ومن مدع حكم الامامة وليس من الشجرة (١) .

كما ذهب المختار الى انه يجوز البداء على الله تعالى (٢) ، ولذا كان المختار « اذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة فان وافق كونه جعله دليلا على صدق دعواه ، وان لم يوافق قال بدا لربكم ، وكان لا يفرق بين النسخ والبداءة » (٣) . وروى ابن الاثير (٤) ان المختار اشترى كرسياً قديماً من بائع زيت ، وأزال منه ما علق به من زيت ، وقال لأتباعه : انه لم يكن في الامم الخالية أمر الا وهو كائن في هذه الامة مثله وان كان في بني اسرائيل التابوت ، فان هذا — أي الكرسي — فينا مثل التابوت» .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٦ . ويقول الشهرستاني في آخر هذا النص عن المختار واتباعه « وكلهم حيارى متقطعون ، ومن اعتقد ان الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له ... »

(٢) فسر الشهرستاني معاني البداء فقال : « البداء في العلم وهو ان يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم . والبداء في الامر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك ، ومن لم يجوز النسخ ظن ان الاوامر المختلفة في الاوقات المختلفة متناسخة « . (الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٧ — ٢٣٨) .

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٧ — ٢٣٨ .

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٠٨ .

ويرى المستشرق بروكلمان (١) ان المختار حين نادى بهذه الآراء الغريبة كان يريد تعويض ما كان يشعر به من نقص ، حيث لم يكن له حق في الخلافة ، بينما يرى الدكتور الخربوطلي(٢) ان تعاليم المختار هي التعاليم التي كانت تناسب تماماً موالي العراق من الفرس(٣) .

وساءت العلاقات بين المختار وابن الحنفية « فخاف من جهة الفتنة في الدين فأراد قدوم العراق ليصير اليه الذين اعتقدوا امامته(٤) » . وكان هذا التحول في موقف ابن الحنفية من عوامل ضعف حركة المختار في بلاد العراق ، والتعجيل بنهايتها على يد مصعب بن الزبير (٥) .

ترتب على حركة المختار الشيعية ظهور فرقة(الكيسانية)(٦) ، وربط الشهرستاني تعاليمها بتعاليم المختار ، وهي ان الدين طاعة رجل ، وانه يجوز البداء على الله تعالى ، في العالم والارادة والأمر ، مع عدم التفريق بين النسخ والبداء(٧). كما اعتقدت الكيسانية برجعة محمد بن الحنفية ، فهو مقيم بجبل رضوى : وانه حي لم يمت ، وانه في انتظار اذن الله له بالخروج ، لينشر العدل في الأرض(٨) ويرى البغدادي(٩)ان الكيسانية قد تأثرت بتعاليم السبئية الغلاة(١٠)

---

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ١ ص ١٥٩ .
(٢) تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ص ١٤٩ .
(٣) كان معظم انصار المختار من الموالي الفرس ، الذين يسمون « الجند الحمراء » (الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٩٦) .
(٤) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣١ .
(٥) التقى جيش مصعب بجيش المختار عند « حروراء » وانتهى القتال بمصرعه (الطبري ج ٧ ص ١٥٧) .
(٦) بحث الدكتور الخربوطلي شخصية كيسان ، وذكر آراء مؤرخي الفرق ، وانتهى الى ترجيح أن يكون المختار هو كيسان (تاريخ العراق ص ١٥١) .
(٧) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٧ — ٢٣٨ .
(٨) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٤ وابن نشوان : الحور العين ص ١٧١ .
(٩) الفرق بين الفرق ص ٣١ .
(١٠)وهم غلاة الشيعة انصار عبد الله بن سبأ ، وهو رجل يهودي تظاهر باعتناق الاسلام وتشيع لعلي بن ابي طالب ودعا الى تعاليم تخالف الاسلام ، ولكنها لاقت نجاحاً في بعض الامصار ، وكانت من عوامل الثورة ضد عثمان ، فتنادى السبئية بحلول الجزء الالهي في الامام وتجعل له نصيباً في الالوهية نفسها ، ويعتبرون الامام شخصاً مقدساً وينادون برجعة الامام من مقره بالسماء .

ومنها قولهم بتناسخ روح الاله في الانبياء ، وانها انتقلت بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى علي بن ابي طالب ثم الى الائمة من ابنائه .

ورأت الشيعة الكيسانية ان الائمة اربعة ، وهم علي بن أبي طالب وبنوه الثلاثة : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، ويتضح هذا الرأي في هذه الابيات من الشعر(١) :

الا ان الائمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه ... هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى ... يقود الخيل يتبعها اللواء
يغيب فلا يرى فيهم زمانا ... برضوى عنده عسل وماء

فرقة الشيعة الإمامية :

والى جانب فرقتي السبئية والكيسانية ، كانت هناك فرقة الشيعة الامامية ، التي ترى ان محمد بن الحنفية ليس من أبناء الرسول عليه الصلاة والسلام ، وان الحسين أوصى بالامامة الى ابنه علي(٢) . وان شروط الامامة وان نصت نظرياً على وجوب تعيين الامام لمن يخلفه ، فحين قتل علي الاكبر ابن الحسين انتقلت الامامة الى ابن الحسين الآخر وهو علي الاصغر الذي لقب بعدئذ بزين العابدين ، وكان أحد الخمسة الذين نجو من القتل في كربلاء(٣) . وتذكر مصادر الشيعة الامامية ان امامة علي زين العابدين

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٥

(٢) الكليني : أصول الكافي ص ١١٠ ، الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٥ .

(٣) رونلدسن : عقيدة الشيعة . أما الاربعة الآخرون الذين نجوا من القتل عدا علي زيد العابدين ، فهم عمته وأخوه عمر ، وأختاه .

قد نص عليها جده علي بن أبي طالب ، وأبوه الحسين بن علي ، وتذكر بعض الروايات أن الحسين أودع وصية أم سلمة زوجة النبي وفيها عهده الى الامام زين العابدين(١) .

اختار علي زين العابدين الامامة الروحية التي تقربه من أقطاب الصوفية وتبعده عن رئاسة الاحزاب السياسية او زعامة الفرق الدينية : ونتج ذلك اتجاه شيعة العراق الى محمد بن الحنفية ، نتيجة رغبتها في الاستمرار في الكفاح ، وهكذا تأرجحت الشيعة بين هؤلاء ابن الحنفية وبين موالاة علي زين العابدين ، فكان الانقسام بين الكيسانية والامامية ولكن وان رجحت كفة ابن الحنفية لظروف سياسية أو حربية مؤقتة ، فقد كان قدراً محتماً ان يبقى التشيع في ذرية من ينتسب الى فاطمة ، ولذا بقيت الامامية وانتهى امر الكيسانية (٢) .

وسار الامام محمد الباقر(٣) على سياسة أبيه علي زين العابدين ، في التمسك بالامامة الروحية ، والابتعاد عن خوض ميادين السياسة ، ولذا لم يكن له دور في تاريخ الشيعة السياسي ، وان كان له دوره في رواية الاحاديث النبوية : وفي تطوير علم الكلام(٤) ، كما هاجم محمد الباقر غلاة الشيعة وتبرأ منهم وطالب الشيعة بأن يقفوا موقفاً وسطاً (٥) .

---

(١) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ١٣٤ .

(٢) دكتور احمد صبحي : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ٣٥٥ .

(٣) كان مولد محمد الباقر سنة ٥٧ هـ ، وكان في الرابعة من عمره حين قتل جده الحسين في كربلاء، وترجع تسميته بالباقر الى حديث للرسول لجابر بن عبدالله الانصاري : يا جابر انك ستعيش حتى تدرك رجلا من اولادي اسمه اسمي يبقر العلم بقراً فاذا رأيته فاقرئه مني السلام . (تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٦١ ، ابن الصباغ الفصول المهمة ص ١٩٢ ، الديار بكري تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٨٦) .

(٤) الكليني : اصول الكافي ص١٠٩ وما بعدها .

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣٤ . قال الباقر : شيعة آل محمد ، كونوا النمرقة (الوسادة) الوسطى .

وان كنا نطلق تعبير (الشيعة الامامية) على الملتفين حول علي زين العابدين ثم محمد الباقر ، الا انه في الحقيقة لم تظهر كلمة (الامامية) في عهد الباقر ، انما كان اتباعه هم المقتصدين من الشيعة . ويبدو انهم كانوا في عهد زين العابدين والباقر قلة في المدينة وفي الكوفة . أما بقية الشيعة فقد تقاسمتهم الكيسانية بفرقها المختلفة ، والغلاة بحركاتهم القاسية ، بينما كانت العباسية او الرافدية تثبت اقدامها في خراسان(١) .

بعد اختفاء محمد بن الحنفية ، تولى امامة الشيعة الكيسانية ابنه ابو هاشم فدخل تاريخ هذه الفرقة في دور جديد . وهو الذي عهد بوصيته وعهده الى محمد بن علي العباسي ، مما أدى الى ظهور الدعوة العباسية سنة ١٠٠ هـ . وخلال فترة انتشار هذه الدعوة العباسية (١٠٠ – ١٣٢ هـ) قامت ثورات شيعية عنيفة ، أبرزها ثورة زيد بن علي زين العابدين (٢) وابنه يحيى ، وثورة عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب . وظهر العباسيون جنباً الى جنب مع الشيعة على مسرح الاحداث ، وتغيرت صور العلاقات بين الفريقين ، وبين التعاون او الصدام ، وكانت هذه العلاقات هي التي حددت موقف الشيعة من الدولة العباسية عند قيامها ، مما سيكون موضع دراستنا في الباب الأول من هذا البحث .

---

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٣٦ .

(٢) كان مولد زيد بن علي سنة ٨٠ هـ وقد مات أبوه علي زين العابدين وهو في الرابعة عشرة من عمره فكفله أخوه الأكبر محمد الباقر الذي كان له ابن في عمر زيد وهو جعفر الصادق .

٢ ـ أثر جهاد
الشيعة في سقوط الدولة الاموية

يدرس هذا الفصل دور الشيعة في سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية وقد كان هذا الدور هو الذي حدد موقف الشيعة من خلفاء العصر العباسي الأول .

وقد درسنا في الفصل السابق نشأة التشيع وتطوره ، ووصلنا بدراستنا الى تولي ابي هاشم امامة الشيعة الكيسانية . كما شهدنا انصراف كل من الامام علي زين العابدين ومحمد الباقر الى الامامة الروحية دون الخوض في مسائل السياسة . ثم شهدنا ظهور الامام زيد بن علي الذي أعلن ثورة عنيفة ضد الدولة الاموية .

استفادة الدعوة العباسية من جهاد الشيعة في العصر الأموي :

بدأت الدعوة العباسية سنة ١٠٠ هـ (١) ، بعد ان عهد ابو هاشم بن محمد بن الحنفية زعيم الشيعة الكيسانية بوصيته وعهده الى محمد بن علي العباسي . وقد استفاد العباسيون من جهود الشيعة التي بذلوها طوال العصر الاموي ، وقد كان كفاح الشيعة وثوراتهم من معاول هدم الدولة الاموية .

واستترت الدعوة العباسية وراء الدعوة للرضا من آل محمد ، فكسبت بذلك ولاء كثير من المسلمين الذين يريدون تحويل الخلافة الى البيت الهاشمي ، أي بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وخاصة من الموالي الفرس (٢) .

(١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٤ .
(٢) الفخري : ص ١١٥ وما بعدها .

وقامت خلال فترة انتشار الدعوة العباسية (١٠٠ ـ ١٣٢ هـ) ثورات شيعية عنيفة ، قام بها زيد بن علي وابنه يحيى ، وعبد الله بن معاوية ، وقد شغلت هذه الثورات الخلفاء الامويين عن التفرغ لمواجهة الدعوة العباسية الآخذة في الاتساع والانتشار كما استنفذت هذه الثورات كثيراً من جهود الدولة الاموية ، مما دعم الدعوة العباسية وأفسح لها الطريق .

واختلفت مواقف العباسيين من هذه الثورات العلوية ، وكانت الفترة بين ١٠٠ ـ ١٣٢ هـ فترة حاسمة حددت شكل العلاقات بين العلويين وشيعتهم من جانب ، والبيت العباسي من جانب آخر ، وأصبح الوقوف على أحداث تلك الفترة التي ازدحمت بالاحداث يفسر للباحثين عوامل قيام حركات الشيعة في العصر العباسي الأول ، فقد كانت فترة اتصال واحتكاك ، اختلفت الاحوال فيها بين التعاون والصدام ، وكان الجميع يشتركون في نضال وكفاح الدولة الاموية ، مما شغلهم عن وضع أبعاد وحدود ثابتة لمناهجهم وأهدافهم الحقيقية .

وتطورت الأمور ، وأثمر النضال والكفاح وسقطت الدولة الأموية ، واتضحت الحقيقة وتبلورت الأوضاع وقامت خلافة عباسية ، وثارت اشجان العلويين ، وظهر السخط بين الشيعة على العباسيين ، وادركت الشيعة ان العباسيين قد استفادوا من جهودهم وانهم خدعوهم باستئثارهم بالخلافة والحكم دون العلويين ، مما أدى الى قيام حركات الشيعة الثورية التي شهدها العصر العباسي الأول .

أصبح أبو هاشم امام الشيعة الكيسانية بعد أبيه محمد بن الحنفية(١) . وقد بدأ نشاطاً واسعاً أثار قلق وخوف الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك(٢) ،

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٣ .

(٢) اشتهر ابو هاشم بالعلم والبلاغة وطلاقة اللسان ، واعتبره أهل خراسان الامام بعد وفاة أبيه ابن الحنفية (الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٩١) .

ولذا رأى الخلاص منه ، فدعاه الى القدوم الى العاصمة دمشق حيث رحب به ثم دس له من سمه وهو في طريقه الى الحجاز سنة ٩٨ هـ .

أدرك أبو هاشم قرب منيته ، فاتجه الى الحميمة ، حيث كان يقيم محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وقال له : «يا ابن عم أنا ميت ، وقد صرت اليك ، وهذه وصية أبي الي وفيها ان الأمر صائر اليك والى ولدك ، والوقت الذي يكون ذلك والعلامة وما ينبغي لكم العمل به » ثم قال : « وهؤلاء الشيعة استوص بهم خيراً ، وهؤلاء دعاتك وانصارك فاستبطنهم ، فاني قد بلوتهم بمحبة ومودة لأهل بيتك» (١) .

وتذكر المصادر التاريخية القديمة ان أبا هاشم أفضى الى محمد بن علي بأسرار الدعوة الهاشمية التي حمل لواءها نحو خمس عشرة سنة ، وأرشده الى وسائل الاستمرار في الدعوة ، وأمده بأسماء داعي دعاته في الكوفة ، ومن يليه من الدعاة ، كما سلمه رسائل كتبها الى شيعته وأعوانه في العراق وخراسان ، يخبرهم فيها بدنو أجله ، وبأنه أوكل أمر الدعوة الى محمد بن علي العباسي ، والى ولده من بعده ، ويطلب منهم القصد اليه والتعرف به ، والامتثال لأوامره « فصارت الوصية في بني العباس من تلك الجهة »(٢) .

قضية ميراث الكيسانية في ميزان التاريخ :

هذه هي خلاصة لما روته المصادر التاريخية القديمة ، وقد اختلف المؤرخون المحدثون في تعليقاتهم على هذه الحادثة التاريخية الهامة . فيرى فلهوزن (٣) في

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ٤٠ .
(٢) الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص ١٢٦ – انظر ايضاً : (طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٢٤٠ – ٢٤١) ، (اليعقوبي جـ ٣ ص ٤٠) ، (المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٩٢)،(وابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ٢ ص ٧) . (ابن قتيبة : المعارف ص ٩٥) .
(٣) الخوارج والشيعة ص ٢٤٨ .

كتابه « الخوارج والشيعة » ان العباسيين بنوا شرعية حقهم في الخلافة على أساس الادعاء ان ابن محمد بن الحنفية ووريثه ، وهو أبو هاشم ، قد تنازل عن حقه للعباسيين . ويذكر (فلهوزن) أيضاً في كتابه « الدولة العربية » ان رواية التنازل على الارجح مخترعة ، ولكن اختراعها كان منذ زمن مبكر ، لأن لها شواهد قوية ، ولولا ذلك لحذر العباسيون فيما بعد من أن يقيموا حقهم على مثل هذا الاساس . وهذه الرواية تتضمن أيضاً قدراً من الحق ، فقد كان أبو هاشم ، في الواقع سلفاً لمحمد بن علي العباسي ، وان كان يجوز انه لم يعينه خليفة له تعييناً حقيقياً . وقد كان لأبي هاشم حزبه الخاص ، وكان اتباعه يسمون الهاشمية ، وهم بعد ان مات ابو هاشم قد صاروا الى محمد بن علي . وبحسب ما جاء في الطبري كان على رأسهم خداش ، وهو من أكبر دعاة الشيعة نجاحاً ، وكان في أول الأمر يدعو الى محمد بن علي . وعلى هذا ففي خبر تلك الوصية شيء من الحق ، فالعباسيون والوا أبا هاشم لكي يضموا الهاشمية الى دعوتهم (١) .

ويرى المستشرق (رونلدسن) (٢) ايضاً ان أبا هاشم قد تنازل عن حقه في الخلافة الى محمد بن علي العباسي بحضور شهود من الكيسانية . أما (فان فلوتن) (٣) فهو يؤكد قصة هذا التنازل ، وان كان التنازل قد أصبح حقيقة واقعة ، فيقول : ان تاريخ استخلاف ابي هاشم لابناء عمه من العباسيين لأمر لا يكاد يجهله من له بعض الالمام بالتاريخ الاسلامي . ويقال ان أبا هاشم لما شعر بدنو أجله أوصى الى ولد العباس بحقه في الامامة ، وأمدهم بأسماء داعي دعاته في الكوفة ومن يليه من الدعاة ، كما سلمهم كتباً يقدمونها الى هؤلاء الدعاة ، ومهما يكن من شيء ، فقد رأينا الامام محمد بن علي العباسي يضطلع بأعباء الدعوة بعد موت أبي هاشم .

---

(١) الدولة العربية ص ٤٧٦ .
(٢) عقيدة الشيعة ص ١٢٣ .
(٣) السيادة العربية ص ٩٢ – ٩٣ .

وينفي المؤرخ (K. V. Zattcreieen) الذي كتب مادة (أبو هاشم) في دائرة المعارف قصة تنازل العلويين عن حقهم للعباسيين ، فيذكر ان هـــذه الرواية وان وردت في أقدم تواريخ العرب ، فان المحققين الآخرين يشكون في صحتها شكاً كبيراً ، ويعزونها الى اختراع شيعة العباسيين الذين أرادوا ان يبرهنوا بهذه الصورة على حق العباسيين في الخلافة . وقد رد (رونلدسن)(١) على هذا الرأي فقال : ان قوة الشك تخف عندما نعلم ان أبا هاشم قد مات بالحميمة ، وليس من المستبعد ان يكون لهذا الاتفاق علاقة بتوحيد الجهود بين الكيسانية والعباسيين ضد بني أمية .

ويرى المرحوم الدكتور حسن ابراهيم(٢) ان حق الامامة قد انتقل من البيت العلوي الى البيت العباسي ، ويطلق على ذلك اسم « ميراث الكيسانية » ، ويرى ان أبا هاشم قد تنازل عن هذا الحق لمحمد بن علي العباسي ، ويعلل ذلك بأن أبا هاشم لم يجد بين أفراد البيت العلوي من يستطيع النهوض بأعباء امامة المسلمين ، الى جانب اختلاف اعتقاد الشيعة الامامية انصار اولاد فاطمة .

وفي رأينا ان هذا التنازل ، لم يكن بترتيب سابق او حسب خطة موضوعة بل هو وليد الاحداث ، ونتيجة حتمية للظروف السياسية حينئذ ، فقد خرج أبو هاشم من دمشق عائداً الى موطنه ، ولم يعرج على الحميمة الا بعد ان شعر أن السم الذي دسه له أحد اتباع الخليفة سليمان بن عبد الملك قد سرى في جسده وانه موشك على الموت ، وأدرك حقيقة تلك المؤامرة التي دبرها له الخليفة الأموي ، ورأى ان تستمر الدعوة التي حمل لواءها زهاء خمس عشرة سنة ، وأن يثأر من هذا الخليفة الأموي الذي اغتاله بالسم ، وكان قريباً حينئذ من (الحميمة) مركز العباسيين ، فرأى أن يعهد بالدعوة إلى محمد بن علي العباس .

ونحن نعتقد انه لو لم تحدث هذه المؤامرة ، ولو طالت الحياة بأبي هاشم لما كان قد عهد بدعوته الى الامام العباسي ، كما كان هنالك تنافس شديد بين

---

(١) عقيدة الشيعة ص ١٢٣ .

(٢) تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ١١ - ١٢ .

فريقي العلويين ، وهما الفريق الحنفي الذي ينتسب أبو هاشم اليه ، والفريق الحسيني الذي ينتسب الى الحسين بن علي .

وكانت ظروف أبي هاشم الشخصية تؤدي الى ما أقدم عليه ، فقد عاش من غير ولد يوصي له بالأمر ، كما كان معظم احفاد جده الامام علي بن أبي طالب صغاراً في السن ، ولم يجد في كبارهم – آنذاك – من يطمح لها ويقبل حمل مسؤولياتها الخطيرة على حين كانت الكثرة والعدد في شباب بني العباس . الذين عاشوا في الأمس مسالمين فأصبحوا شبه عشيرة كاملة ، وهم اليوم على استعداد لمناوأة الامويين وقد ظهر نشاطهم وتكتلهم ، الى حد لفت أنظار خلفاء بني أمية فصاروا يحتاطون له(١) .

ويبدو أن العباسيين أنفسهم رأوا الا يقتصروا على الاعتماد على هذا التنازل الذي أقدم أبو هاشم عليه ، ورأوا انه لا بد لهم من التذرع ببعض الاسانيد الشرعية قبل ان يقدموا على العمل لنقل الخلافة اليهم ، فأذاعوا بين المسلمين انهم من سلالة العباس بن عبد المطلب عم النبي ، كما ادعوا ان الخلافة تصير الى العم اذا لم يكن هناك وارث ذكر . وهكذا نظروا الى الخلافة على انها تركة تركها النبي تورث وينطبق عليها أحكام الميراث(٢) .

وخير ما يصور رأي الزعماء العلويين ، من غير فرع محمد بن الحنفية ، تلك الرسالة التي بعثها محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ، المعروف بالنفس الزكية ، الى الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور ، فقد جاء فيها : « ...فان الحق حقنا ، وانما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وان أبانا علياً كان الوصي وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ... » (٣)

---

(١) الجومرد : أبو جعفر المنصور ص ٤٦ .

(٢) جمال سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ص ١٧٢ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٩٥ – ص ١٩٦ .

وكتب المنصور رداً مطولا على رسالة محمد النفس الزكية ، فلم يشر الى تنازل أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي ، وانما استند في الحجج التي ساقها لتفضيل العباسيين على العلويين على ان العباس هو وارث النبي ، وليس علي بن أبي طالب ، فكتب المنصور : « ... وأما قولك أنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان الله تعالى يقول في كتابه «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم»(١) ولكنكم بنو ابنته ، وانها لقرابة قريبة ، ولكنها لا تجوز الميراث ، ولا ترث الولاية ولا تجوز لها الامامة ، فكيف تورث بها ... ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ، ان الجد أبا الأم والخال والخالة لا يرثون(٢) ».

شيعة العلويين أساس الدعوة العباسية :

أدت حادثة تنازل أبي هاشم للامام العباسي محمد بن علي ، الى نتائج كثيرة هامة ، فقد بدأ كل من العلويين والعباسيين يختطون طريقهم الخاص الذي يوصلهم الى الهدف الذي يطمح الفريقان اليه ، وهو الخلافة ، فقد بدأ العباسيون يسعون من أجل تولي الخلافة ، كما استمر العلويون من أحفاد فاطمة ، يواصلون كفاحهم ضد الدولة الاموية . ورغم ان كلا من الفريقين كان له وسائله ، الا انهما لم ينفصل احدهما عن الآخر تمام الانفصال ، فقد أصبح شيعة العلويين أساساً للدعوة العباسية ، كما أصبح بعض العباسيين أنصاراً لبعض الثورات العلوية(٣) ، التي قامت في اواخر العصر الأموي ولم يقتصر الاتصال بين الفريقين على التعاون بينهما احياناً ، بل كثيراً ما اصطدمت الحركات العلوية بالدعوة العباسية .

---

(١) سورة الاحزاب رقم ٣٣ آية ٤٠ .

(٢) انظر نص الكتابين في تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٥ – ١٩٨ ، الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ٢٥٥) .

(٣) انضم ابو العباس وابو جعفر المنصور وعماه عيسى وداود بن علي الى ثورة عبد الله بن معاوية (الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٦٧) .

تسلم محمد بن علي قيادة الدعوة ، وكان عمره حينئذ ثمانية وثلاثون عاماً ، فجمع أعوانه والرؤساء الدعاة من صحابة سلفه ابي هاشم وخطب فيهم ، ووزع عليهم الأموال كل في منطقته وأمرهم بجباية خمس الأموال من الشيعة ، وإعطائها الى صاحب الكوفة ليحملها اليه في الحميمة ، فان لم يستطع ففي مكة عند كل موسم حج ، ليتصرف في انفاقها على بث الدعوة واشترطوا ان يبقى اسمه مجهولا الا عند خاصته ، وان تبقى الدعوة باسم رجل من آل البيت ، لتكون أكثر قبولا عند الناس . فكان في عمله هذا أشبه برئيس جمعية سرية ، تهيىء أسباب الثورة(١) .

وجد محمد بن علي العباسي ان كلا من الكوفة وخراسان تصلح لتكون مركزاً لنشر الدعوة ، لأن الكوفة مهد التشيع لآل البيت منذ زمن طويل ، ولأن خراسان يفهمون فكرة التشيع بسهولة ، ويعتقدون في نظرية الحق الملكي المقدس التي كانت سائدة في بلاد الفرس منذ أيام آل ساسان ، هذا الى ما كان يقاسيه الفرس من الحكم الأموي مما ييسر على العباسيين نشر دعوتهم(٢) .

تحدث صاحب الفخري عن اتجاهات وميول أهل الأمصار ، فقال « أما أهل الحجاز فقليلون ، وأما أهل الكوفة والبصرة فكان أهل البيت مذعورين منهم لما جرى منهم على أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام من الخذلان والغدر وسفك الدماء ، وأما أهل الشام ومصر فهو اهم في بني أمية ، وحب بني أمية قد رسخ في قلوبهم ، فلم يبق لهم — أي للعباسيين — من يسكنون اليه من أهل الامصار الا أهل خراسان(٣) .

---

(١) الجومرد : أبو جعفر المنصور ص ٤٧ .
(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٢ .
(٣) الفخري : ص ١٢٨ .

وصف الامام محمد بن علي العباسي لدعاته احوال العالم الاسلامي حينئذ وميول واتجاهات أهالي الامصار ، فقال : « أما الكوفة وسوادها(١) فشيعة علي ، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف ، وأما الجزيرة فحرورية (٢) مارقة وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بني أمية وعداوة راسخة وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الاهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يفدح فيها فساد ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل ، وهامات ولحى وشوارب ، وأصوات هائلة ، ولغات فخمة تخرج من أجسام منكرة . وبعد فاني اتفاءل الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق (٣) .

اتخذ العباسيون خراسان مركزاً للدعوة العباسية ، دون بلاد العراق ، لأن العراق كانت قريبة من مركز الخلافة بالشام ، الى جانب تعدد احزاب العراق من شيعة الى خوارج الى معتزلة الى مرجئة وغير ذلك ، فضلا عن وجود جيوش الشام ورجالات بني أمية ووجوه العرب في حواضر العراق ، وكان الولاة الامويون في العراق يتتبعون دائماً الدعاة العباسيين بالحبس والتعذيب والايذاء (٤) ، بينما خراسان تقع في الاطراف البعيدة ، واغلب سكانها من الموالي الساخطين على الحكم الأموي ، وبها أقلية من العرب فرقت العصبية القبلية شملهم .

---

(١) سواد الكوفة : الارض السوداء الخصبة المحيطة بالكوفة .

(٢) حرورية : وهم الخوارج وقد نزلوا مدينة حروراء قبل اشتباكهم في القتال مع علي بن أبي طالب في موقعة النهروان .

(٣) المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ج ٣ ص ٢٩٣ — ٢٩٤

(٤) الطبري ج ٨ ص ٢٨٣ .

وشاءت المقادير ان تخدم الدعوة العباسية ، فقد تولى الخلافة الاموية عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ) ، وتميز بالعدل والتقوى وحب السلام ، فمنع سب علي ابن أبي طالب من فوق المنابر(١) ، واطلق حرية التنقل للهاشميين ، علويين وعباسيين ، ومنع المظالم والاضطهادات التي كانت تلحق بهم طوال العصر الأموي(٢) . مما أتاح الفرصة للامام العباسي محمد بن علي العباسي في أن يمارس نشاطه ، ويجتمع بدعاته في حرية تامة ، ووفر للدعوة العباسية ، وهي ما زالت وليدة ، فرصة هدوء تنمو وتزدهر فيها .

ولذا يعتبر المؤرخون ان سنة ١٠٠ هـ هي نقطة انطلاق الدعوة العباسية السرية. وكان كثير من المسلمين يعتقدون ان نهاية قرن ، وبداية قرن آخر سيكون بشيراً بتغير الاحوال ، وان القرن الجديد سيشهد خذلان بني أمية وانتصار بني هاشم ، ولذا تفاءل الكثير من حلول سنة ١٠٠ هـ (٣) ، ومن تولى خليفة اكثر عدلا هو عمر بن عبد العزيز ، وظنوا ان عهد هذا الخليفة سيكون مرحلة انتقال بين حكم أموي وحكم هاشمي . ولكن هذه الآمال العريضة لم تتحقق سريعاً ، فما لبث هذا الخليفة الأموي العادل ان لقي حتفه ، بعد سنتين وخمسة أشهر من حكمه ، ويذكر بعض المؤرخين انه مات مسموماً على أيدي بعض الامويين الذين لم يرضوا عن تساهله مع العلويين ،وخلفه يزيد بن عبدالملك الذي انتشرت الاضطرابات في عهده الذي استمر أربع سنوات ، ثم خلفه هشام ابن عبد الملك ، وهو من أقوى شخصيات البيت الأموي فواجهت الدعوة العباسية وهي لا زالت في المهد ، خصماً عنيفاً ، وعدواً لدوداً ، وخاصة ان فترة حكمه طالت الى عشرين عاماً .

---

(١) الفخري ص ٩٤ – بدأ معاوية بن أبي سفيان سياسة سب علي بن أبي طالب من فوق المنابر واستمرت في عصور سائر الخلفاء الامويين .

(٢) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٥٦ .

(٣) قال محمد بن علي العباسي لأنصاره في الحميمة سنة ١٠٠ هـ : « هذا أوان ما نؤمل ونرجو من ذلك لانقضاء مائة سنة من التاريخ » . (الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٤) .

انطلقت الدعوة العباسية السرية سنة ١٠٠ هـ من الحميمة ، في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقد توافدت في هذه السنة شيعة العراق على محمد بن علي بالحميمة فأرادوه على البيعة ، فقال لهم : « هذا أوان ما نؤمل ونرجو من ذلك لانقضاء مائة سنة من التاريخ(١) » . فوجه الامام دعاته الى العراق وخراسان ، فأقبلت الشيعة على البيعة لمحمد بن علي ، وعاد الدعاة بكتب من استجاب لهم(٢) ، وكان من دعاته الذين وجههم ميسرة النبال الذي وجهه الى العراق ، كما وجه ثلاثة من الدعاة ، احدهم أبو عكرمة السراج ، لنشر الدعوة في خراسان . وقد اختار أبو عكرمة من الدعاة سبعين داعية من بينهم اثنا عشر نقيباً (٣) ، وأمر الامام العباسي دعاته ان تكون الدعوة للرضا من آل محمد ، دون أن يخصصوا علوياً او عباسياً ، اذ ان تعيين الشخص المدعو اليه يثير عداء العلويين فضلا عن الامويين على الدعوة العباسية(٤) .

تولى الخلافة الاموية هشام بن عبد الملك(١٠٥)هـ ، ويتضح في خلافتــه مدى الاتفاق والافتراق ، بين العباسيين والعلويين . فقد اتفقوا جميعاً في تعرضهم للاضطهاد والتنكيل ، وافترقوا في الطريق السياسي الذي اختطه لنفسه كل فريق .

---

(١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٤ .

(٢) الطبري : جـ ٨ ص ١٣٦ .

(٣) يذكر المستشرقون عند حديثهم عن هذا التنظيم العباسي ان الدعوة المسيحية كانت في بداية أمرها تقوم على نظام يشمل سبعين رسولا ، واثني عشر نقيباً ويذهب فان فلوتن (السيادة العربية ص ٩٥) ان سليمان بن كثير الخزاعي وشبيب بن قحطبة الطائي ، وهما من كبار الدعاة العباسيين ، قد أسسا مع عشرة آخرين جمعية أشبه بمجلس شورى تحت رياسة داعي الدعاة ، ثم اتخذ كل منهم لقب (نقيب) على نحو ما كان يفعله الاسرائيليون في مجلس شوراهم الذي كان يتكون من اثني عشر حوارياً . ويذهب (فان فلوتن) أيضاً ان العباسيين تأثروا بمجلس الشورى في عهد الرسول فاتخذوا سبعين داعياً .

(٤) Nicholson : Lit. Hist. of the Arabs ; P. 250

وكان هشام حينما تولى الخلافة قد ولى خالد القسري حكم بلاد العراق ، فاحسن معاملة بني هاشم وشيعتهم . ولكن يوسف بن عمر الثقفي(١) لفت أنظار الخليفة الى خطورة هذه السياسة ، فكتب اليه « أن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همة احدهم قوت عياله ، فلما ولي خالد العراق اعطاهم الأموال فقووا بها حتى تاقت أنفسهم الى طلب الخلافة(٢) » . وعزل هشام خالد القسري ، وولى يوسف بن عمر الذي بدأ سياسة اضطهاد وتنكيل بشيعة بني هاشم فكان « لا يدع أحداً يعرف بموالاة بني هاشم ومودة أهل بيت رسول الله ، الا بعث اليه فحبسه عنده بواسط » (٣).

تساوى العباسيون والعلويون فيما نالهم من اضطهاد وايذاء يوسف بن عمر ، والي هشام على العراق . واختلف الفريقان في طريق مواجهة هذا الاضطهاد ، فقد رأى العباسيون ان ينكمشوا وان يزداد استتارهم وان يمعنوا في اخفاء دعوتهم ، منتهجين سبل التريث والاناة . اما العلويون فرأوا ان يواجهوا الاضطهاد بالثورة العلنية المسلحة ، فكانت ثورة زيد بن علي .

ثورة زيد بن علي بالعراق :

وشهدت الاطراف الشرقية من الدولة الاموية في عهد هشام حركتين ، إحداهما حركة عباسية سرية تقوم على الدعوة وتتحسس الخطى وتمضي في روية متجنبة المسالك الوعرة والاخرى حركة علوية اتخذت شكلاً ثورياً علنياً، تحشد الجيوش وتواجه القوات الاموية في ساحات القتال . فقد قدم أهل العراق على زيد بن علي يستحثونه على البقاء في الكوفة ، وكان الخليفة قد أمر واليه بابعاد زيد من الكوفة الى المدينة ، فقالوا له : « أين تخرج — رحمك الله —

---

(١) اشتهر الثقفيون (عدا المختار الثقفي) بولائهم للبيت الأموي .

(٢) الطبري جـ ٨ ص ١٦ .

(٣) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٩ .

ومعك مائة ألف بسيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان ويضربون بني أمية بها دونك ، وليس قبلنا من أهل الشام الا عدة(١) .

ويهمنا في الحديث عن ثورة زيد بن علي ، بيان موقف العباسيين منها ومدى التشابه او الاختلاف بين اهداف وتعاليم كل من الثورة العلوية والدعوة العباسية .

وضع زيد بن علي لحركته ثلاثة مبادىء : أولها ان الامامة في اولاد فاطمة دون غيرهم ، وثانيها طاعة كل فاطمي زاهد شجاع يطلب الامامة سواء من أولاد الحسن أو الحسين ، وثالثها جواز خروج امامين في قطرين يشتركان في الخصال الحسية فتصبح طاعتهما واجبة (٢) .

ويمكن وصف هذه المبادىء الزيدية بالاعتدال ، فقد أصبح هناك دعوتان ، احداهما علوية ، والاخرى عباسية ، تتنافس على كسب تأييد المسلمين ، وكما وقفت الدعوة العباسية موقفاً وسطاً حين دعت الى الرضا من آل محمد ، فقد اتصفت آراء زيد أيضاً بالاعتدال ، حتى يمكن وصفها بأنها أقرب الى مبادىء السنة منها الى مبادىء الشيعة(٣) .

ويبدو هذا الاعتدال واضحاً في شروط البيعة التي أخذها زيد من اهالي العراق فقد قال زيد : « انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين ، وقسم هـذا الفيء بين أهله سواء ، ورد المظالم ، واقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا »(٤) .

ويرى الشيخ أبو زهرة ان آراء زيد بن علي قد استمدها من آراء الامام علي

---

(١) الطبري جـ ٨ ص ٢٦١ .
(٢) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ ص ٣٤٩ — البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٥ .
(٣) Shorter Encycl. Of Islam ; P. 535.
(٤) الطبري جـ ٨ ص ٢٦٧ .

ابن أبي طالب التي ذاعت بين الناس جميعاً ، كما يرى ان زيداً أراد ان يرد المذهب الشيعي الى أصوله في عهد علي بن أبي طالب(١) .

والمذهب الزيدي هو رد فعل عنيف للتشيع الاثني عشري على صورته أيام الباقر ، ولا تقبل الزيدية الامامة الروحية باعتبارها اتجاهاً سلبياً في حل المشاكل السياسية ، ولذا اشترطوا الخروج لتصح الامامة ، وانكرت الزيدية القول بالنص او الوصية ، كما انكرت عقيدة العصمة والقول بالرجعة وانتظار الامام الغائب ، ويرون ان الامامة بالاختيار كما جوزوا امامة المفضول مع وجود الافضل . وهكذا تبدو عقائد الزيدية في الامامة محاولة جريئة لتحطيم ذلك الحاجز القوي الذي أرادت الشيعة زمن الباقر ان يقيموه بينهم وبين سائر الفرق الاسلامية لا سيما أهل السنة(٢) .

كان زيد من « عظماء اهل البيت علماً وزهداً وورعاً وشجاعة وديناً وكرماً »(٣) .

ولذا أدرك الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك خطورة آرائه وحركته ، ورأى مواجهته بحزم وفي حسم(٤) .

وأثرت ثورة زيد بن علي في الدعوة العباسية ، فقد شدد الأمويون قبضتهم على العباسيين ودعاتهم ، حتى أصبح محمد بن علي العباسي سجيناً في بيته ، فانقطعت عنه أخبار الدعاة ، ولم يستطع لقاء النقباء الا في مكة عند موسم الحج ، وفي سرية تامة .

---

(١) الشيخ أبو زهرة : الامام زيد ص ١١٨ .
(٢) دكتور احمد صبحي : نظرية الامامة ص ٣٦١ - ٣٦٢ .
(٣) الفخري ص ٩٥ .
(٤) كتب هشام الى واليه يوسف بن عمر والي العراق يقول له : « ... ولا يقيمن قبلك ساعة واحدة ، فاني رأيته رجلا حلو اللسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام وأهل العراق أسرع شيء الى مثله » . (اليعقوبي ج ٣ ص ٦٥) .

وأدرك العباسيون خطورة ثورة زيد على دعوتهم العباسية ، فقد أقبل داود ابن علي على زيد يذكره بموقف أهل الكوفة من علي والحسن والحسين وينصحه بالا يستسلم الى وعودهم الخلابة التي سرعان ما تتبخر . ولكن زيداً أصر على المضي في طريق الثورة ، فقال لداود : ان علياً كان يقاتله معاوية بدهائه ونكرائه بأهل الشام ، وان الحسين قاتله يزيد بن معاوية والامر عليهم مقبل(١). ويئس داود من اقناع زيد ، فقال له : اني لخائف ان رجعت معهم ان يكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم (٢) .

انتهت ثورة زيد بن علي بالاخفاق ، واستشهد في صفر سنة ١٢٢ ﻫ (٣) .

فهل كانت الدعوة العباسية من عوامل اخفاقها ؟

في الحقيقة لم تشر المصادر التاريخية القديمة الى أن الدعوة العباسية قامت بدور رئيسي في اخفاق حركة زيد ، بل ينسب المؤرخون الاقدمون هذا الاخفاق الى عوامل أخرى . فيرى ابن خلدون (٤) ان السبب هو عدم خروج علي زين العابدين وينسب ابن قتيبة(٥) الاخفاق الى قوة الدولة الاموية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، بينما ينسبه كل من المسعودي (٦) والاصفهاني(٧) الى تخاذل أهل الكوفة .

---

(١) ظن زيد ان ظروف الدولة الاموية تسمح بالثورة في عهد هشام بن عبد الملك ، ولكن في الحقيقة وكما يقول ابن قتيبة « لم يكن في بني أمية ملك اعظم من هشام ولا اعظم قدراً ولا أعلى صوتاً منه ، دانت له البلاد وملك جميع البلاد » — (ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٠).

(٢) الطبري ج ٨ ص ٢٦٥ .

(٣) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٤٥ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٣٧ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٩ — ويرى ابن خلدون ان علي زين العابدين ليس اماماً لأنه لم يخرج ولا تعرض للخروج — فقد كان زيد بن علي يشترط ايجابية الامام وخروجه ، حتى انه قال واصل بن عطاء لزيد : علي قضية مذهبك والدك ليس بامام، فانه لم يخرج ولا تعرض للخروج. (الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ٢٥٢) .

(٥) الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٠ .

(٦) مروج الذهب ج ٣ ص ١٤٠ .

(٧) مقاتل الطالبيين ص ١٣٧ — أحصى ديوان زيد بالكوفة انصاره فبلغوا خمسة عشر ألفاً (الفخري ص ٩٦) ، ولم ينضم الى زيد خلال المعركة سوى ٢١٨ رجلا (الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٣٧) .

ومهما كانت أسباب اخفاق حركة زيد بن علي (١)، فلا شك ان الدعوة العباسية قد استفادت من اخفاقها ، فقد جمعت الحركة الزيدية كثيراً من الانصار والمؤيدين الذين كان العباسيون يتمنون انضمامهم اليهم .

ثورة يحيى بن زيد :

وثار يحيى بن زيد مطالباً بثأر ابيه من الامويين ، وقامت ثورته في خراسان اذ أدرك تخاذل أهل الكوفة عن نصرة أبيه . ولا شك ان العباسيين لم يرتاحوا لقيام هذه الحركة العلوية الجديدة في خراسان التي أصبحت مسرحاً لنشاط الدعوة العباسية ، ولا شك أيضاً ان العباسيين قد تنفسوا الصعداء حينما نجح الامويون في القضاء على ثورة يحيى في سنة ١٢٥ ﻫ (٢) .

وفي الحقيقة لم تكن الدعوة العباسية هي السبب في اخفاق ثورة يحيى بن زيد، وان كان العباسيون لم يرتاحوا كثيراً لقيامها ، اذ يريدون أن تخلو خراسان لهم ليبثوا دعوتهم فيها . ونرى أن العامل الأول في اخفاق حركة يحيى ، رغبته في الاستعانة بجماعة من المحكمة ، احدى فرق الخوارج ، في كفاحه للدولة الاموية ، ولذا أبدت الشيعة تعجبها من رغبته في الاستعانة بقوم يبرأون من علي بن أبي طالب وأهل بيته(٣) .

---

(١) يذكر المستشرق سيديو (تاريخ العرب العام ص ١٤٦) ان السبب انقسام الشيعة على نفسها بينما ينسب بعض المؤرخين الاخفاق الى صلة زيد بواصل بن عطاء رأس المعتزلة الذي كان يجوز الخطأ على جده علي بن ابي طالب في قتال الناكثين والقاسطين، كما يتكلم على القدر بآراء تخالف آراء أهل البيت، كما ينسبها البعض الى اعتراف زيد بصحة خلافة ابي بكر وعمر بن الخطاب مما يخالف آراء كثير من الشيعة مما أدى الى رفض بعضهم هذه الآراء وأصبح اسمهم (الرافضة) — (البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٥ — الشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ٢٥٢) .

(٢) الطبري ج ٨ ص ٣٠٠ — ٣٠١ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١١٣ .

استمرت الدعوة العباسية تشق طريقها في خطوات وئيدة . وما لبث ان مات الامام محمد بن علي العباسي بعد مرض شديد ، سنة ١٢٤ هـ، في الحميمة بعد أن أوصى برئاسة الدعوة الى أكبر أولاده ابراهيم الذي تلقب بالامام . وما لبث أن مات الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ ، مما أتاح الفرصة للدعوة العباسية في الانطلاق فقد تولى الحكم خلفاء أمويون ضعاف، وسادت الاضطرابات في عهدهم في أرجاء الدولة الاموية ، وأصبح الاتصال بين الامام ابراهيم ودعاته في خراسان سهلا ميسوراً .

توقفت حركات الشيعة في عهد الخليفتين الامويين الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويزيد بن الوليد . ثم ظهرت حركة علوية جديدة في عهد الخليفة ابراهيم بن الوليد مستفيدة من صراع الخليفة مع منافسه مروان بن محمد (١).

ثورة الشيعة بزعامة عبدالله بن معاوية :

قاد الحركة الشيعية الجديدة ، عبدالله بن معاوية بن عبد الملك بن جعفر بن أبي طالب (٢) . وقد وصفه الاصفهاني بأنه كان جواداً فارساً شاعراً ، ولكنه في نفس الوقت يصفه بأنه كان سيء السيرة رديء المذهب وانه جمع حوله بطانة سوء ، بل ان الاصفهاني يتهمه بالزندقة(٣) أما النوبختي (٤) فيذكر ان عبد الله بن معاوية ذهب الى ان الامامة قد انتقلت اليه من الامام أبي هاشم

---

(١) الطبري جـ ٩ ص ٤٩ .

(٢) كان جعفر بن أبي طالب من السابقين الى الاسلام ، وقد كان في مقدمة المهاجرين الى الحبشة، وتولى شرح عقائد الاسلام لنجاشي الحبشة حين أوفدت قريش وفداً برئاسة عمرو بن العاص لرد المهاجرين ، وجاهد جعفر في سبيل الاسلام واستشهد في موقعة مؤتة وبكاه الرسول كثيراً (ابن حزم الفصل في الملل جـ ٢ ص ٨٥) ، (سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٥ ، ٣٥٨ – وما بعدها) .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٦٥ الاغاني جـ ١١ ص ٧١ .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٦٧ .

بناء على وصية له عهد بها الى صالح بن مدرك ، ليحتفظ بها حتى يشب عبدالله ابن معاوية الذي كان حدثاً حين مات أبو هاشم .

ويهمنا في الحديث عن حركة عبدالله بن معاوية توضيح العلاقات بينها وبين الدعوة العباسية ، وكان عبدالله يدعو عند أول قيامه بحركته الى « الرضا من آل محمد » وهي نفس الدعوة التي دعا اليها العباسيون (١) . ولا شك ان العباسيين ادركوا خطورة هذه الحركة العلوية الجديدة التي أصبحت منافساً خطيراً لدعوتهم العباسية ، وقد كانت هذه الدعوة قد بدأت تنتعش بعد موت هشام ابن عبد الملك وانتشار الفوضى السياسية في أرجاء الدولة الاموية .

وشعر العباسيون بالحرج ، اذ اتسع نطاق دعوة ابن معاوية ، فامتدت الى معظم مدن العراق ، والى المدائن والماهين وهمذان وقومس وأصبهان والري وفارس (٢) ، وفي سنة ١٢٨ هـ اتخذ ابن معاوية من أصبهان مركزاً لدعوته وحركته ولمناطق نفوذه ، وبعث الى الهاشميين ، علويين وعباسيين يدعوهم اليه ليساهموا معه في ادارة البلاد التي سيطر عليها ، فقدم عليه عدد كبير منهم .

ولم يجد العباسيون بداً من محالفة هذه الحركة العلوية الشيعية ، او مهادنتها ولو مؤقتاً ، انتظاراً لما تخبئه الأيام ، فكان ممن قدم على ابن معاوية من العباسيين أبو جعفر المنصور ، وأخوه عبد الله بن الحارثة ، وعمهما عيسى بن علي ، وولى عبدالله بن معاوية أبا جعفر المنصور على كورة بين خوزستان واصبهان ، تدعى (ايزج) وفوضه أمر جباية أموالها(٣) .

وكانت الدولة الاموية تعاني من الاضطرابات الداخلية نتيجة انقسام البيت الاموي على نفسه ، مما أتاح الفرصة لعبد الله بن معاوية للنهوض بحركته ويبدو

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٦٧ .
(٢) الطبري ج ٩ ص ٤٩ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٦٧ .

أنه اعتز بقوته واتساع نفوذه فتحول عن الدعوة الى الرضا من آل محمد ، ودعا الى نفسه(١) .

نجح مروان بن محمد(٢) في الوصول الى الخلافة ، وتفرغ لمواجهة الحركة العلوية فبعث بجيش أموي لقتال عبدالله بن معاوية الذي رأى ازاء تخاذل اصحابه ان ينسحب الى خراسان(٣) .

وأصبح الموقف حرجاً بين عبدالله بن معاوية وشيعته وبين العباسيين ، فقد أصبحت خراسان موطن الدعوة العباسية . وأصبحت هناك حركتان تختلفان في تعاليمهما وتنظيماتهما وزعمائهما . ولم يفطن عبد الله بن معاوية الى هذه الاختلافات الجوهرية حتى انه لجأ الى أبي مسلم الخراساني ، داعية العباسيين ، يطلب منه النصرة والمعاونة ، ولكن أبا مسلم خيب ظنه ، فقد أدرك خطورة ابن معاوية على الدعوة العباسية اذ نجح في استمالة عدد كبير من أهل خراسان الذين يرى أبو مسلم قصر ولائهم على دعوته العباسية ، ولذا أقدم أبو مسلم على القبض على ابن معاوية وسجنه ، ثم قتله(٤) .

ولنا أن نتساءل :

هل كانت الدعوة العباسية هي السبب المباشر لاخفاق حركة ابن معاوية ؟

لا شك انه كانت هناك عوامل عديدة(٥) تكاتفت على اضعاف هذه الحركة

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٥ .

(٢) الطبري ج ٩ ص ٥٠ .

(٣) الطبري ج ٩ ص ٥٠ ، الفخري ص ٩٩ .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٦٨ .

(٥) نذكر منها تخاذل الشيعة ، وتخلي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي الكوفة عن مناصرته ، وسوء معاملة ابن معاوية لانصاره ، واتهامه بالزندقة ، فضلا عن انتساب ابن معاوية لجعفر بن أبي طالب وعدم انتسابه لعلي بن أبي طالب أو للحسن او للحسين (انظر تاريخ الطبري ج ٩ ص ٥٠ وما بعدها — الاصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ١٦٥ وما بعدها) ويصف النوبختي (فرق الشيعة ص ٣٥) انصار ابن معاوية بانهم «شذاذ صنوف الشيعة » .

العلوية ، أبرزها المؤرخون ، مما لا يدخل في نطاق بحثنا ، ولكن كان الصدام بين الدعوة العباسية والحركة العلوية ، على مسرح خراسان ، من أبرز هذه العوامل ، فقد سكت العباسيون أول الأمر ، وهادنوا الحركة العلوية ، نتيجة عاملين :

أولهما ان الحركة العلوية قد اتخذت في أول الأمر نفس شعار العباسيين أي الدعوة الى الرضا من آل محمد .

أما العامل الثاني فهو ان الحركة العلوية بدأت بعيدة عن خراسان ، حتى اذا اختفى هذان العاملان ، انقلب العباسيون على عبد الله بن معاوية ، فقد بدأ يدعو لنفسه ، كما نقل نشاطه الى خراسان حيث بذر العباسيون بذور دعوتهم وتعهدوها حتى نمت وترعرعت .

علق المستشرق (فلهوزن) (١) على مصرع ابن معاوية على يد أبي مسلم الخراساني ، بقوله : كان أبو مسلم قد ظهر بمظهر المطالب بثأر يحيى بن زيد ، لما يعلمه من تأثير ذلك في النفوس ، ولذلك كان ابن معاوية يعتقد انه اذا خرج الى خراسان فهو مصيب مكاناً أميناً ، ولكنه أخطأ ظنه في أبي مسلم لأن أبا مسلم لم يكن عنده مكان لعلوي حي أكثر مما كان عنده لعلوي ميت ، فدس على ابن معاوية من قضى عليه شراً .

أدت حركة عبدالله بن معاوية الى ظهور فرقتين من فرق الشيعة وهما الجناحية والحارثية . أما الجناحية(٢) فهي نسبة الى جعفر بن أبي طالب الذي

---

(١) فلهوزن : الدولة العربية ص ٤٧٤ .

(٢) يرى الشهرستاني ان آراء الجناحية كانت هي السبب في ظهور تعاليم الزندقة في العراق في العصر العباسي الأول وخاصة تعاليم الخرمية والمزدكية (الملل والنحل ج ١ ص ٢٥٠ وما بعدها) .

اشتهر باسم ذي الجناحين . أما الحارثية(١) فهي نسبة الى عبد الله بن الحارث، أبرز دعاة ابن معاوية .

شهدنا أبا جعفر المنصور ، ابن الامام محمد بن علي العباسي ، وقد أصبح من ولاة عبدالله بن معاوية ، ولكننا نراه بعد قتل ابن معاوية يجمع الاموال التي في يده ، ويرسلها الى البصرة ، ثم يغادر (ايزج) عن طريق الأهواز ، وقبض عليه الوالي الأموي سليمان بن حبيب وضربه أربعين سوطاً حتى يسلم اليه الأموال التي جمعها ، وكاد يقتله لولا تدخل كاتبه أبي أيوب المورياني الذي قال للوالي : « أيها الأمير لا تقتله فان الخلافة ان بقيت أموية فلا يسوغ لك قتل رجل من بني عبد مناف ، وان صار الملك الى بني هاشم ، فلن تكون بلاد الاسلام لك بلاداً ان قتلته(٢) » ، وعدل الوالي عن قتل المنصور واكتفى بسجنه وما لبث ان اطلقت سراحه جماعة من العرب من المضرية ، فخرج الى البصرة حيث حاز أمواله ، ثم خرج الى الحميمة ليشارك أخاه الامام ابراهيم جهوده في هذه المرحلة الحاسمة التي تمر بها الدعوة العباسية بعد اخفاق الحركة الشيعية .

أدى اخفاق حركة ابن معاوية الى ان الدعوة العباسية قد بدأت تسلك طريقاً مستقلا عن طريق العلويين وشيعتهم ، وقد خلا الميدان لها اذ ركن الزعماء العلويون الى الهدوء والتقية والكتمان ، وانصرفت شيعتهم تداوي جروحها التي اصابتها خلال نضال الامويين لحركات زيد بن علي ، وابنه يحيى ، وعبدالله بن معاوية .

---

(١) كان أبو الحارث زنديقاً ، وذهب الحارث الى تناسخ الارواح وقال ان الله نور وقد انتقل الى ابن معاوية ودعا الى الاباحية وأباح الخمر والميتة والزنا وغيرها من المحرمات وأسقط العبادات (انظر تعاليم هذه الفرقة في كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٥٠ وما بعدها) .

(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٩٨ .

أبو مسلم الخراساني ونجاح الدعوة العباسية :

ورأى العباسيون ان يبلوروا دعوتهم بعد أن نمت وترعرعت ، وأن يدفعوها الى الامام فتتخذ شكلا ايجابياً فعالا وقدم وفد من خراسان على الامام ابراهيم في الحميمة وتدارسوا معه ومع حاشيته أمر اعلان الثورة. وأرادوا اختيار قائد يقود هذه الثورة الى طريق النصر ، على ان يبقى الامام ابراهيم مستتراً في الحميمة . وعرض الامام ابراهيم القيادة على سليمان بن كثير ، وكان شيخاً مسناً ، فاعتذر عن قبولها وقال : « لا آلي على اثنين من الناس » ، ثم عرضها على ابراهيم بن سلمة ، فاعتذر أيضاً وقال انه هناك من هو أكثر جدارة منه(١) . وانتهى الأمر باختيار أبي مسلم الخراساني قائداً للثورة العباسية .

وقد اختلف المؤرخون في أصل ابي مسلم الخراساني(٢) وفي الدوافع التي دفعت بالامام ابراهيم لاختياره زعيماً للثورة العباسية ، وقد كان حينئذ في التاسعة عشرة من عمره ، ليس له خبرات وتجارب أو ماض سياسي يزكيه لهذه المهمة الخطيرة الكبيرة ، وخاصة ان هذا الاختيار قد لقي معارضة شديدة من أبي جعفر المنصور ومن بعض النقباء والدعاة بالكوفة وخراسان . ونستطيع ان نبرر سر اختياره بانه كان صنيعة العباسيين ، كما لم يكن له ميول علوية

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٢٩٥ .

(٢) اختلفت الروايات حول أصل أبي مسلم فقيل انه غلام فارسي اشتراه النقيب بكير بن ماهان وأهداه الى محمد بن علي العباسي أو الى الامام ابراهيم . وقيل انه من نسل احد ملوك الفرس من بني ساسان هو (بزرجمهر) وهناك رواية تقول انه فارسي يدعى ابراهيم بن عثمان بن يسار ولد قرب اصبهان سنة ١٠٨ هـ ، وانه اتصل وهو في الخامسة عشرة من عمره بالدعاة العباسيين وانضم لهم مدفوعاً بروح شعوبية ضد العرب وان ابراهيم الامام ابدى اعجابه به وسماه عبد الرحمن بن مسلم واشتهر باسم ابي مسلم الخراساني ، ونرجح الرواية الاخيرة على سائر الروايات .

او شيعية قد تضر بالدعوة العباسية ، هذا بينما كان أبو سلمة الخلال او سليمان بن كثير قد اشتهر بمثل هذه الميول ، وكان أبو سلمة نفسه حينئذ، « وزير آل محمد » وخير دليل على افتقاد أبي مسلم لهذه الميول الشيعية اقدامه على قتل عبد الله بن معاوية وقد اثبت أبو مسلم دائماً اخلاصه للدعوة العباسية وتفانيه من أجلها .

رسم الامام ابراهيم الطريق لأبي مسلم الخراساني ، فقال له : « يا أبا عبد الرحمن انك رجل منا أهل البيت(١) ، فاحفظ وصيتي ، وانظر هذا الحي من اليمن فاكرمهم ، فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم . وانظر هذا الحي من ربيعه فاتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحي من مضر فانهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ، وان استطعت الا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فافعل...(٢) .

أبدى ابو مسلم روحاً شعوبية متطرفة وأنزل سخطه على العرب ، وبالغ في تنكيله بهم ، حتى انه قتل ستمائة ألف عربي صبراً بالسيف ، عدا من قتل في الحرب (٣) .

مضت الثورة العباسية من نصر الى نصر ، مما يخرج تفصيل احداثها عن نطاق هذا البحث ، فنحن نركز الدراسة على أبعاد العلاقات بين الشيعة والحركة العباسية ودور جماعة الشيعة في سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية .

---

(١) قد تدعو عبارة « إنك رجل منا أهل البيت » الى التساؤل ولتوضيح ذلك نقول أن أبا مسلم ادعى انه من ولد سليط بن عبد الله بن العباس . وكانت لسليط هذا جارية ادعى ابنها انه من ولد عبدالله بن العباس . ولما مات عبد الله نازع سليط ورثته في ميراثه . وخرج بنو أمية بذلك للحط من شأن علي بن عبد الله بن العباس فأعانوه ، وقضى له القاضي في دمشق بالميراث فادعى ابو مسلم انه من ولد سليط هذا (الفخري ص ١٢٣) .

(٢) الطبري ج ٨ ص ١٣٤– ابن الاثير : الكامل ج ٤ص ٤٩٥– ابن قتيبة الامامة والسياسة ج ٢ ص ٢١٨ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٢٠٨ .

أحكم العباسيون ستر حركاتهم ونشاطهم ، حتى انكشف أمرهم حين وقع خطاب كتبه الامام ابراهيم الى أبي مسلم ، في ايديهم . فأمر الخليفة الاموي مروان بن محمد بالقبض على ابراهيم في الحميمة . فأوصى ابراهيم بالامامة بعده الى أخيه أبي العباس ، وما لبث ابراهيم ان مات في سجنه بحران(١) .

يرى صاحب الفخري ان الاقدار كانت هي التي تنكرت لبني أمية ، وحالفت بني العباس ، وينسب نجاح الدعوة العباسية الى جهود جيش خراسان وليس الى جهود الامام ابراهيم فيقول : « لما قدر ، الله عز وجل انتقال الملك الى بني العباس هيأ لهم جميع الاسباب ، فكان ابراهيم الامام بن محمد ابن علي بن عبدالله العباسي في الحجاز او بالشام جالساً على مصلاه مشغولا بنفسه وعبادته ومصالح عياله ، ليس عنده من الدنيا طائل . وأهل خراسان يقاتلون عنه ويبذلون نفوسهم وأموالهم دونه وأكثرهم لا يعرفه ... ولما قرر الله تعالى خذلان مروان وانقراض ملك بني أمية فكان مروان خليفة مبايعاً ، ومعه الجنود والأموال والسلاح والدنيا بأجمعها عنده ، والناس يتفرقون عنه ، وأمره يضعف وحبله يضطرب ، فما زال يضمحل حتى هزم وقتل ، فتعالى الله » (٢) .

استمرت الحركة العباسية في مراكزها الثلاثة : الحميمة(٣) ، والكوفة ، وخراسان ، وكان يتولى أمر المركز الأول بعض زعماء العبـــاسيين مثل أبي جعفر المنصور وأخيه عبدالله بن الحارثة وأعمامهما . أما المركز الثاني ، أي الكوفة فكان يتولاه ابو سلمة الخلال حانقاً على اختيار أبي مسلم الخراساني

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٧٩ — ٨٠ .
(٢) الفخري ص ١٢٩ .
(٣) تقع الحميمة في أرض الشراة ، وقال ياقوت الحموي ان الشراة صقع بالشام بين دمشق والمدينة (معجم البلدان ج ٥ ص ٢٤٧) .

لقيادة الثورة العباسية الى جانب اضطهاد أبي مسلم للعرب . أما أبو مسلم فقد تولى المركز الرئيسي في خراسان ، ونجح في اعداد جيش عباسي كثيف ما لبث ان هزم به جيش الخليفة الأموي الاخير مروان بن محمد عند نهر الزاب (١) ، وانتهى الامر بمقتل مروان . وما لبث ان ظهر السواد شعار العباسيين في الكوفة في العاشر من المحرم سنة ١٣٢ ، فكان هذا اعلاناً عن سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية(٢) .

* * *

(١) نهر الزاب فرع من فروع نهر الفرات .
(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٠٤ — ١٠٥ .

٣ ـ تطور العلاقات
بين البيتين العلوي والعباسي

شهد العصر العباسي الأول حركات شيعية عديدة ، ترمي الى دفع زعماء البيت العلوي الى الخلافة ، ورأت الشيعة ان البيت العباسي قد اغتصب من العلويين حقهم المشروع . وبدأ منذ مطلع العصر العباسي الأول صراع عنيف بين البيتين العلوي والعباسي منذ قيام الدولة الاموية سنة ٤٠ ﻫ الى سقوطها سنة ١٣٢ ﻫ . وحتى نستطيع ان نفهم أبعاد العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول ، نرى ان نعود الى الوراء لندرس تطور العلاقات بين البيت العلوي والبيت العباسي والوقوف على الفترات التي شهدت تحالف البيتين ، ثم فتور العلاقات ، ثم قيام العداء السافر بين البيتين .

العباس بن عبد المطلب :

ينتسب البيت العباسي الى العباس بن عبد المطلب ، عم الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان مولده قبل الهجرة بنحو خمسين سنة(٥٠٢م) ونشأ في مكة ، وأصبح من وجوهها ، ومن سادة قريش ، واشتهر بسداد الرأي ، والكرم ، والعطف على الفقراء وتولى في الجاهلية منصب السقاية ، أي توفير المياه للحجاج(١) كما تولى عمارة المسجد الحرام(٢) .

---

(١) كانت المناصب في قبيلة قريش خمسة عشر منصباً وزعها القرشيون بالعدل فيما بينهم ليرضوا كل بطون قريش . وفي مقدمة هذه المناصب السدانة او الحجابة اي الاشراف على الكعبة ، والسقاية اي توفير الماء للحجاج ، والرفادة أي توفير الطعام للحجاج (ابن عبد ربه) العقد الفريد ج ١ ص ٣٨) .

(٢) العمارة : أي منع الكلام بصوت عال في الكعبة .

وبعد وفاة عبدالمطلب آلت كفالة محمد صلى الله عليه وسلم ، الى أبي طالب(١) وان لم يكن أكبرهم سناً ، فقد كان الحارث اسنهم ، كما لم يكن أبو طالب أكثر اعمام محمد مالا ، فقد كان العباس أكثر يساراً ، ولكنه كان على ماله حريصاً ، لذلك احتفظ بالسقاية وحدها دون الرفادة(٢) .

أصابت قريش ازمة اقتصادية ، وكان ابو طالب كثير العيال ، ورأى محمد عليه الصلاة والسلام ، ان يخفف من اعباء عمه ابي طالب ، فتوجه الى عمه العباس ، وكان ذا مال ، فقال له :

« ان أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله ، آخذ من بنيه رجلا ، وتأخذ رجلا فنكفلهما عنه » . وكفل العباس جعفراً ، وكفل محمد علياً . وكان علي اول من آمن من الصبيان بعد ظهور الاسلام(٣) .

وقام العباس بن عبد المطلب بدور في بيعة العقبة ، فقد خرج مع الرسول عليه الصلاة والسلام ليأخذ المواثيق من مسلمي الخزرج(٤) . ووقع العباس في الاسر في غزوة بدر فأطلق الرسول سراحه فعاد الى مكة (٥) . وقدر العباس هذا الكرم من الرسول فكان يكتب الى الرسول من مكة باخبار قريش ، وبعث برسالة اليه عليه الصلاة والسلام قبيل غزوة احد ينبئه بعزم قريش على

---

(١) المسعودي : مروج الذهب جـ ٢ ص ١٣٢ .

(٢) علل الطبري (جـ ٢ ص ٣٢) اختيار عبد المطلب لابنه أبي طالب دون ابنائه الآخرين بقوله : «وكان عبد المطلب يوصي برسول الله صلى الله عليه وسلم ابا طالب ،وذلك ان ابا طالب وعبدالله ابا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا لام واحدة فكان ابو طالب هو الذي يلي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده وكان دائماً معه » .

(٣) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٣ ، الطبري جـ ٢ ص ٥٤ .

(٤) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٨ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٢ ص ٣٦ .

(٥) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٩ ، الطبري جـ ٢ ص ١٥٩ .

غزو المدينة(١) وقبيل فتح مكة خرج العباس الى المدينة للقاء الرسول الكريم، حيث اعلن اسلامه ، واقتدى به كثير من بني هاشم .

وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام اشترك العباس مع علي بن أبي طالب والفضل وقثم بن العباس واسامة بن زيد في تجهيز الرسول ودفنه ، ولذا لم يشتركوا في اجتماع سقيفة بني ساعدة الذي انتهى بالبيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة(٢) . وكان العباس مثله مثل معظم آل بيت الرسول ، يعتقد ان علي بن أبي طالب أحق الصحابة بالخلافة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام. فقد ظهر جميع بني هاشم بمظهر الاتحاد، وبرز ذلك خلال التنافس الذي قام بين علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان حول تولي الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب ، فقد كان العباس في مقدمة انصار علي (٣) .

كان للعباس مكانة بارزة في عهد الخلفاء الراشدين ، فكان اذا مر بالخليفة عمر بن الخطاب ترجل عمر اجلالا له . وقد أراد عمر ان يشتري دار العباس ليدخلها في المسجد ، فوهبها العباس لله وللمسلمين . كما كان العباس موضع تقدير عثمان ، رغم تأييد العباس لعلي بن أبي طالب .

عاش العباس نحو تسعين عاماً ، وتوفي بالمدينة ، عن تسعة أولاد من الذكور في مقدمتهم عبدالله بن عباس ، الذي اشتهر باسم (حبر الامة) .

عبد الله بن العباس :

كان مولد عبدالله بن العباس قبل الهجرة بثلاث سنوات (٦١٩م) (٤). وكان

---

(١) روى ابن هشام في سيرته (ج ٤ ص ٤٢) ان العباس كان قبل فتح مكة «مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض» .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٠٦ – ٣١١ .

(٣) الطبري ج ٣ ص ٣٠٥ ، ابن الاثير : الكامل ج ٣ ص ٣٠ – ٣١ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ١٠٨ .

مقرباً من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وموضع عطفه ورعايته (١) ، ولذا أصبح عبدالله في مقدمة رواة الاحاديث النبوية الشريفة ، وشارك عبدالله في كثير من الاحداث في عهد الخلفاء الراشدين ، فقد اشترك في الجيش الاسلامي الذي فتح طبرستان في عهد خلافة عثمان بن عفان .

وحينما تولى علي بن أبي طالب الخلافة ، عهد الى أولاد العباس بن عبد المطلب بحكم بعض الولايات الاسلامية ، فقد ولى عبدالله بن عباس على البصرة ، وعبيد الله على اليمن ، ومعبداً على مكة ، وقثم على البحرين(٢) .

اشترك عبدالله بن العباس في موقعتي الجمل وصفين الى جانب علي بن أبي طالب ، وحينما انتهت موقعة صفين بالتحكيم ، اختار أهل الشام عمرو بن العاص حكماً ، وأراد علي ان يختار عبدالله بن عباس ، ولكن كثيراً من جنده من أهل العراق اصروا على اختيار أبي موسى الاشعري ، فذكرهم علي بعصيان أبي موسى له وخذلانه ومفارقته إياه ، وامتدح لهم عبدالله بن عباس ، ولكنهم أبوا اختياره لقرابته من علي ، اذ انه من بني هاشم(٣) .

العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر الأموي :

واستمرت العلاقات طيبة ودية بين البيتين العلوي والعباسي في مطلع العصر الأموي ، فقد كان قيام الدولة الأموية هو في الحقيقة انتصاراً للامويين على الهاشميين ، مما يحتم وحدة بني هاشم لاستعادة الخلافة من البيت الأموي بعد ان اصبحت وراثية يتعاقبها ابناء هذا البيت . وحمل الحسين بن علي بن أبي طالب

---

(١) روى المسعودي (مروج الذهب ج ٣ ص ١٠٩) ان الرسول دعا له فقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥ .

(٣) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٠٦ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٧ ص ١٧٧ .

لواء المعارضة للدولة الاموية ، بينما آثر عبدالله بن العباس اعتزال الحياة السياسية ، فاستقر في المدينة وانصرف الى العلم ورواية الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما اشتهر بتفسير القرآن الكريم ، حتى قال ابن مسعود عنه :

« نعم ترجمان القرآن ابن عباس » .

أبدى بنو هاشم ، علويون وعباسيون المهم لتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن ابي سفيان (١) وبات الهاشميون يترقبون نهاية عهد معاوية حتى تصبح الخلافة شورى ، فيتولاها هاشمي ، وكان الحسين بن علي هو المرشح الأول للخلافة ، فقد كان الحسين يقول للناس اذا حثوه على الخروج :

« ليكن كل رجل فيكم حلساً من احلاس بيته ما دام معاوية حياً فانها بيعة كنت والله لها كارهاً ، فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم ، ورأينا ورأيتم »(٢) .

وحينما أراد معاوية أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد ، تعاون العلويون والعباسيون في معارضة هذا المشروع ، وساندهم أبناء الصحابة ، مثل عبدالله ابن عمر ، وعبدالله بن الزبير(٣) ، ولم يقم الحسين معارضته على أساس انه وارث لعلي او زعيم البيت العلوي ، ولكن كواحد من أبناء المهاجرين الذين اعتبروا انفسهم « ولاة الأمر » ، وكان الموقف يقتضي الاتحاد لاحباط مشروع معاوية(٤) .

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ١ ص ١٦٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ص ١٩ .

(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ١ ص ١١ .

(٣) قال عبد الله بن الزبير لمعاوية : « فاتق الله يا معاوية وأنصف من نفسك ، فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله وهذا عبدالله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وأنا عبدالله بن الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي خلف حسناً وحسيناً ، وأنت تعلم من هما وما هما ، فاتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك» ، (ابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ١ ص ١٧٥) .

(٤) الخربوطلي : الدولة العربية الاسلامية ص ١٩٠ .

وكان عبدالله بن العباس ممن توجهوا بالنصيحة للحسين بن علي ، فنصحه بالبقاء في الحجاز وبألا يخرج الى الكوفة ، وذكره بموقف أهلها من أبيه علي وأخيه الحسن ، وتخاذلهم عن مناصرتهما ، فقال : « أقم في هذا البلد - أي الحجاز - حتى ينفي أهل العراق عدوهم ، ثم أقدم عليهم ، وكن عن الناس في معزل واكتب اليهم وبث دعاتك فيهم فاني أرجو اذا فعلت ان يكون ما تحب » ، ثم أشار ابن عباس على الحسين بأن يخرج الى اليمن ، ورسم له طريق النجاح ، فقال : فان أبيت الا ان تخرج ، فسر الى اليمن فان بها حصوناً وشعباً ، وهي أرض عريضة طويلة لابيك بها شيعة وانت عند الناس في عزلة ، فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعاتك (١) .

كانت مأساة كربلاء في عهد يزيد بن معاوية ، حيث استشهد الحسين بن علي وبعض العلويين ، ضربة عنيفة أصابت البيت الهاشمي ، فقد فقد هذا البيت زعيمه وقائده ، ولذا آثر وجوه بني هاشم مثل عبدالله بن العباس وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن علي بن أبي طالب ، الركون الى الهدوء ، مما أتاح الفرصة لعبدالله بن الزبير لينشر دعوته في كثير من الأمصار الاسلامية(٢).

ادرك الخليفة يزيد بن معاوية خطورة ما أقدم عليه من قتل الحسين بن علي ، كما فطن الى خطورة دعوة عبدالله بن الزبير ، ولذا رأى يزيد ان يهادن البيت الهاشمي ويحاول استمالتهم ، ويعوضهم عن خسارتهم الفادحة ، حتى يهدىء من ثورتهم وثورة المسلمين في كل مكان ، فقد سخطوا على يزيد واعتبروه مسؤولا عن مصرع الحسين(٣) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٣ ص ١٦ - ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٨ ص ١٦٠ .

(٢) قال عبدالله بن العباس للحسين بن علي : « لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك اياهوالحجاز والخروج منها ، وهو يوم لا ينظر اليه احد معك ، (الطبري جـ ٣ ص ٣٨٨) .

(٣) الخربوطلي : عبد الله بن الزبير ص ١٥٦ .

نفذ يزيد هذه السياسة الجديدة فتبرأ من قتل الحسين وألقى بكامل المسؤولية على واليه بالعراق عبيد الله بن زياد ، وزعم ان ما حدث للحسين كان بغير علمه وبدون رغبته ، ثم رأى يزيد ان يستميل اليه احد زعماء بني هاشم ، وهو محمد بن علي بن أبي طالب ، المعروف بابن الحنفية ، فكتب اليه رسالة ودية دعاه فيها الى القدوم الى دمشق بالشام(١) . وهناك أحاط يزيد ابن الحنفية بالتكريم والترحيب ، فبايعه بالخلافة ، مما أثار العداء بين ابن الحنفية وابن الزبير .

أما عبدالله بن العباس ، فقد وقف من دعوة ابن الزبير موقفاً سلبياً ، فلم يعلن تأييده لها . وحاول ابن الزبير عبثاً ان يفوز بتأييد ابن عباس ، وحمد الخليفة يزيد بن معاوية لابن عباس موقفه ، فبعث اليه كتاباً يشكره فيه على موقفه من ابن الزبير ، وقد ظن ان ذلك طاعة له ، ودعا يزيد ابن عباس وبني هاشم الى التمسك ببيعتهم له ، ومناه في ختام رسالته بالاماني والوعود .

وفي الحقيقة لم يكن موقف ابن عباس من ابن الزبير ولاء منه ليزيد ، فقد كان ابن عباس لا يقتنع بغير احقية بني هاشم ، دون غيرهم بالخلافة ، ولذا كتب ابن عباس رده على رسالة يزيد فأخبره انه في غنى عن حمده له وثنائه وان ما يمنيه به من مال وصلات انما هو حق لهم ، وهو قليل من كثير كانوا يستحقونه ، ثم ذكره في ختام رسالته انه لا ينسى انه قتل الحسين بن علي(٢) .

ويئس يزيد بن معاوية من عبدالله بن العباس فرأى التركيز على الاعتماد على محمد بن الحنفية في استمالة قلوب بني هاشم حتى يقفوا الى جانبه ، او يمتنعوا عن تأييد عبدالله بن الزبير الذي انتشر نفوذه في بلاد الحجاز بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ ، أعلن ابن الزبير نفسه خليفة وبايعه كثير من أهالي الأمصار

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٤٥٠ ، الطبري ج ٤ ص ٣٦٨ .
(٢) تاريخ اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٢٠ .

الاسلامية . وطلب ابن الزبير البيعة من ابن عباس وابن الحنفية فقالا له : حتى تجتمع لك البلاد ويتسق لك الأمر وما عندنا خلاف(١) .

أدى موقف ابن الحنفية وابن عباس من ابن الزبير ، الى عداء وخصام ، ورأى ابن الزبير ان يبعد الزعيمين العلوي والعباسي عن مكة ، مركز خلافته ، حتى لا يتأثر أهلها بآرائهما ، فخرج ابن الحنفية الى ناحية رضوى ، كما خرج ابن عباس الى الطائف ، وما لبث ان مات سنة ٦٨ هـ (٢) .

أنجب عبد الله بن عباس ستة أبناء ، كان أشهرهم هو علي ، الذي اشتهر باسم « السجاد » لتقواه وكثرة صلاته ، وقد كان اصغر اخوته سناً . وكان مولده في سنة ٤٠ هـ ، وهي السنة التي قامت فيها الدولة الاموية ، واشتهر بالتقوى والورع والبلاغة ، وحاز مكانة عظيمة في بلاد الحجاز ، حتى انه « كان اذا قدم مكة حاجاً او معتمراً ، عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام ، اعظاماً له وتبجيلا ، فان قعد قعدوا معه ، وان مشى مشوا جميعاً حوله ، ولا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم(٣) » وقد آثر علي بن عبد الله الابتعاد عن الاضطرابات السياسية التي بدأت في عهد يزيد ، واستمرت في عهد مروان بن الحكم وابنه عبدالملك .

واجه الخليفة عبدالملك بن مروان كثيراً من المشاكل السياسية فقد ثار الشيعة التوابون في بلاد العراق مطالبين بثأر الحسين بن علي ، ثم ثار المختار بن أبي عبيد الثقفي في العراق أيضاً ، ونادى بأنه وزير محمد بن الحنفية(٤) ، وانه يثأر لآل البيت ، كما كان عبدالله بن الزبير ، خليفة الحجاز ، لا يزال مسيطراً

(١) ابن عساكر : التاريخ الكبير جـ ٧ ص ٤٠٨ .
(٢) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٧ — تقع الطائف على مقربة من مكة وكان للعباس بها عقارات وبساتين .
(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٤٣٧ .
(٤) اي محمد بن علي بن أبي طالب .

على بعض الامصار الاسلامية ، ولذا رأى عبد الملك استمالة البيت العباسي ، باعتباره الفرع الهاشمي الذي آثر الهدوء، بينما ظل العلويون معلنين ثورتهم وسخطهم على الدولة الاموية . ولذا استمال علي بن عبدالله ، وأغدق عليه الهدايا والصلات ، ثم اقطعه قرية « الحميمة » في أرض الشراة من ناحية البلقاء، في شرق الاردن ، ومنحه قدراً كبيراً من المال ليبني له فيها قصراً ، وبنى بعض العباسيين دورهم حول القصر ، وأصبحت (الحميمة) مركزاً للبيت العباسي بدلا من الطائف التي كان عبدالله بن العباس قد انتقل اليها(١) .

توتر العلاقات بين العباسيين والأمويين :

ولكن العلاقات توترت بين علي بن عبدالله والخليفة الوليد بن عبد الملك ، فقد ارادت احدى نساء عبد الملك، وهي لبابة بنت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، ان تغادر بلاد الشام بعد وفاة عبدالملك ، لعدم وجود محرم لها هناك ، فتزوجها علي بن عبدالله ليكون لها محرماً ، وخاصة انها من نساء بني هاشم . وغضب الوليد لهذا الزواج ، لأنها كانت بمنزلة أمه ، واستدعى علياً اليه ، وعنفه ووبخه ، ثم أمر بضربه سبعين سوطاً ، ونفاه من الشام الى قرية الحميمة ، حيث حدد اقامته فيها ، فلا يغادرها الا لتأدية الحج(٢) .

كانت هذه الأزمة التي وقعت بين الخليفة الاموي الوليد بن عبدالملك والزعيم العباسي علي بن عبدالله ، هي بداية العداء السافر بين البيت العباسي والدولة الاموية ، وكان علي بن عبدالله قد غضب غضباً شديداً لجلده على ذلك النحو ، حتى أصبح يهاجم الخليفة والدولة الاموية ويطالب بالخلافة للعباسيين . وترامت أقوال علي الى الوليد فغضب لذلك ، وأمر بالقبض على الزعيم العباسي ، ثم أمر بجلده مرة أخرى ، والطواف به على ظهر جمل في الطرقات للتشهير به ،

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٣٨ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ص ٤٣٨ .

والمنادي يصيح « هذا علي بن عبدالله الكذاب » ثم حدد اقامته في قرية الحميمة ، حيث ظل مقيماً عشر سنوات حتى توفي الوليد، فعاد علي الى تجوله في مدن الشام(١).

تطورت قرية الحميمة حتى اصبحت مدينة مثل سائر مدن الشام ، وقد اصطبغت بالصبغة العباسية ، اذ توافد عليها معظم ابناء البيت العباسي ، حيث تناسلوا وتكاثروا ، حتى ان علي بن عبدالله قد انجب اثنين وعشرين ولداً ، غير البنات ، وكان اشهرهم محمد بن علي ، الذي كان دائماً ملازماً لأبيه ، واشتهر بين الناس بالتقوى والورع والعلم والكرم . وأنجب محمد أكبر اولاده وهو ابراهيم من جارية بربرية تدعى سلمى ، ثم أنجب من هذه الجارية أيضاً ابنه موسى ، كما أنجب سنة ٩٥ هـ من جارية بربرية أخرى ، هي سلامة ، ابنه عبدالله ، وهو أبوجعفر المنصور ، ثم أنجب بعد تسعة أعوام ابناً رابعاً من زوجة عربية من بني الحارث ، سماه «عبدالله » أيضاً ، وهو أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين(٢) ، كما أنجب محمد ابنين آخرين ، هما يحيى والعباس .

وهكذا أصبح العباسيون مهيئين نفسياً للثورة على الدولة الاموية ، اذ امتلأت قلوبهم حنقاً وسخطاً على الخلفاء الأمويين ، لاضطهادهم لهم ، ولحصرهم في « الحميمة » ومراقبتهم لحركاتهم وتنقلاتهم ، ولكن العباسيين لم يوحدوا جهودهم مع جهود العلويين او شيعتهم . وكان معظم زعماء البيت العلوي ، وخاصة الامام زين العابدين(٣) والامام محمد الباقر(٤) ، قد آثروا الهدوء ، كما لجأت الشيعة الى النشاط السري او ما يسمونه « التقية والكتمان » ، بعد ان توالت الضربات العنيفة عليهم .

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٣٩ .

(٢) تولى ابو العباس الخلافة قبل أخيه المنصور رغم انه اصغر منه سناً لأن امه عربية بينما أم المنصور جارية بربرية – اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٣٦ .

(٣) وهو الامام علي زين العابدين المتوفى سنة ٩٤ هـ ويلقب بالسجاد (الساعدي : حياة الامام علي بن الحسين ص ٣٢٥ وما بعدها) .

(٤) توفي سنة ١١٤ هـ . وقد مال الى العلم والزهد والتصوف ورواية الأحاديث النبوية . (طبقات ابن سعد جـ ١ ص ٢٣٦) .

يشير المؤرخ (رونلدسن) الى أثر اقامة العباسيين في الحميمة فيقول : وقد ادرك بنو العباس في الحميمة ، لقربهم من دمشق ، ان الامويين فقدوا قوتهم الحربية بسماحهم للقبائل العربية بالتوطن في المدن ، ففقدت الجيوش نشاطها بالاختلاط وكانت عجرفتهم سبباً لجعل اسم العرب مكروها(١) .

افتراق الطريق :

وكانت سنة ٩٨هـ. هي السنة الفاصلة في تاريخ العلاقات بين البيتين العلوي والعباسي . فقد استدعى الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك اليه زعيم الشيعة الكيسانية أبا هاشم بن محمد بن الحنفية ، لزيارته في دمشق ، حيث بالغ في الترحيب به وتكريمه ثم دبر مؤامرة لقتله ، حتى يحول بينه وبين الدعوة لنفسه ، فدس له من سمه وهو في طريقه الى الحميمة ، حيث كان يقيم محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس (٢) .

ولما شعر أبو هاشم بقرب منيته ، عهد بوصيته للامام العباسي ، وكانت هذه الوصية هي نقطة التحول كما سيتضح لنا في هذا البحث ، فقد بدأ كل من البيتين العباسي والعلوي يشق طريقه للوصول الى الخلافة . فقد استفاد العباسيون من هذه الوصية وبدأوا دعوتهم السرية سنة ١٠٠ هـ على أسس وطيدة منظمة بينما استمر بعض الزعماء العلويين في ثوراتهم ، ولم يوفروا لها سبل النجاح ، مما أدى الى اخفاقها مثل ثورات زيد بن علي وابنه يحيى ، وثورة عبدالله بن معاوية بن عبد الملك بن جعفر بن أبي طالب .

* * *

(١) عقيدة الشيعة ص ١٢٣ .

(٢) اليعقوبي جـ ٣ ص ٤٠ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٢٦ .

٤ ـ فرق الشيعة
وموقفها من قيام الدولة العباسية

أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين :

مات الامام العباسي ابراهيم في سجن الخليفة الاموي الاخير مروان بن محمد بمدينة حران . وخشي اخواه ابو العباس وأبو جعفر المنصور ان يلقيا نفس المصير فخرجا في جماعة من بني العباس الى الكوفة « وكان لهم بها شيعة منهم ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال ، وكان من كبار الشيعة بالكوفة»(١) .

تمت البيعة لأبي العباس ، كأول خلفاء الدولة العباسية في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ ، وظهر السواد شعار العباسيين فيه بالخلافة فماذا كان موقف شيعة العلويين من أبي العباس ؟ وماذا كان موقف الخليفة منهم ؟

بدأ أبو العباس عهده بأن ألقى خطبة من فوق منبر الكوفة . ثم أعقبه عمه داود بن علي بالقاء خطبة أخرى . وسنحلل هاتين الخطبتين وسنشير الى بعض العبارات التي وردت بهما ، والتي توضح سياسة العباسيين نحو الشيعة العلويين .

بدأ أبو العباس خطبته بأن وصف بني العباس بأنهم حماة الاسلام ، و«أهله وكهفه وحصنه ، والقوام به والذابين عنه والناصرين له » . ثم أشار الى قرابة العباسيين من الرسول ، وان الله خصهم « برحم رسول الله وقرابته » ، ثم تلا

---

(١) الفخري ص ١٣٠ – وصف الدينوري أيضاً (الاخبار الطوال ص ٣٣٦) أبا سلمة بانه من كبار الشيعة .

أبو العباس عدة آيات قرآنية كريمة(١) تشيد بذوي القربى من الرسول عليه الصلاة والسلام . ثم دخل أبو العباس في صميم الموضوع ، فأشار الى ما ذهب اليه غلاة الشيعة من السبئية من ان العلويين أحق بالخلافة من العباسيين ، وان لم يذكر أبو العباس العلويين صراحة فقال « وزعمت السبئية الضلال ان غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا ، فشاهت وجوههم ، ثم تساءل أبو العباس عن سبب أحقية بني العباس بالخلافة ، وأجاب على تساؤله فقال : « وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم ، وانقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق ، وحصن بنا الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ، ورفع بنا الخسيسة ، وتم بنا النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبرّ ومواساة ، في دينهم ودنياهم». ثم أشار أبو العباس الى اغتصاب بني أمية الخلافة حتى استرد العباسيون حقهم فقال : « ورد علينا حقنا ، وتدارك بنا امتنا ... » .

وكان أبو العباس متوعكاً ، فلم يطل الحديث ، وختم خطبته بمديح أهل الكوفة والتودد اليهم ، ونحن نعلم كيف كانت الكوفة مركز شيعة العلويين منذ عهد علي بن أبي طالب ، وطوال العصر الأموي ، ولكن أبا العباس اعتبر ولاءهم موجهاً نحو آل البيت النبوي ، وليس الى البيت العلوي فحسب ، فقال أبو العباس : يا أهل الكوفة ، انتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا ، انتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم ذلك تحامل أهل الجور عليكم ، حتى ادركتم زماننا ، وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد

---

(١) هذه الآيات الكريمة هي : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ، (قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى) (وأنذر عشيرتك الاقربين) (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى) (اعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى) .

ردتكم في اعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا ، فانا السفاح(١) المبيح ، والثائر المبير » . وبذلك ختم أبو العباس خطبته بالوعود والوعيد(٢) .

صعد داود بن علي ، عم الخليفة أبي العباس ، الى المنبر ، فخطب خطبة طويلة ، بدأها بحمد الله ان أعاد الى بني العباس ميراثهم عن الرسول ، فقال : الحمد لله ، شكراً شكراً شكراً ، الذي أهلك عدونا ، وأصار الينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم(٣)» . وبذلك استند العباسيون في توليهم الخلافة على ميراث العباس عم الرسول ، ولم يسندوا الى تلك الوصية التي أفضى بها أبو هاشم بن محمد بن الحنفية ، والى الامام العباس محمد بن علي، فقد كانت الشيعة الامامية تنكر وتستنكر هذا العهد .

واصل داود بن علي خطبته ، فحمد الله ان « رجع الحق الى نصابه في أهل بيت نبيكم » . وقال ان العباسيين لم يخرجوا طلباً للدنيا ، ولكن لأن بني أمية قد اغتصبوا الخلافة ، وغضباً لما لحق بني عمهم ، أي العلويين . فقال : « ... وانما اخرجنا الانفة من ابتزازهم — أي بني أمية — حقنا ، والغضب لبني عمنا » ، ثم عدد داود مساوىء الحكم الاموي ، ثم أعلن ان المسلمين قد أصبحوا بعد قيام الدولة العباسية ، في ذمة الله ورسوله والعباس، وأن العباسيين سيحكمون وفقاً لكتاب الله وسيرة الرسول .

وبعد ان امتدح داود بن علي ابن أخيه أبا العباس، ودعا له بالعافية والشفاء من وعكته ، ختم خطبته بقوله : « الا وانه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وأمير

---

(١) يذكر نيلكسون في كتابه Lit. Hist. Of the Arabs; P. 253. ان لفظ السفاح معناه الرجل المناح الكثير العطايا ، وقد أطلق اللفظ على بعض شيوخ القبائل في الجاهلية .

(٢) انظر نص الخطبة في تاريخ الطبري ج ٦ ص ٨١ — ٨٣ .

(٣) المصدر السابق .

المؤمنين عبدالله بن محمد ، فاعلموا ان هذا الأمر فينا ليس بخارج منا ، حتى نسلمه الى عيسى بن مريم(١) ... »

حرج موقف أبي العباس في الكوفة مركز الشيعة :

دخل أبو العباس وعمه داود بن علي قصر الامارة بالكوفة ، وجلس أبو جعفر المنصور في المسجد يأخذ البيعة من سائر الناس . ورغم هذه البيعة ، فقد كان موقف الخليفة العباسي الجديد حرجاً للغاية ، فهو مضطر الى التودد الى شيعة الكوفة ، فهو يقيم بين ظهرانيهم ، وقد بدا من زعيمهم أبي سلمه الخلال ميول واضحة نحو العلويين سنتحدث عنها بعد قليل ، ولم يكن مع العباسيين حينئذ غير أهل خراسان ، بينما الخليفة الاموي مروان بن محمد لا يزال معسكراً على نهر الزاب في جيش كثيف يتألف من أكثر من مائة ألف مقاتل ، ولم تكن البصرة وواسط قد دانتا للعباسيين بعد .

ولم يطل أبو العباس اقامته في قصر الامارة بالكوفة ، بل غادره حيث أقام في معسكر وزيره أبي سلمة الخلال في حمام أعين ، أو في موضع قريب منه يدعى التخيلات ، وكان لا يزال مرتاباً في أمر هذا الوزير لميله الى العلويين ، فاتخذ له حرساً خاصاً خوفاً من غدر وزيره به ، ورأى التفرغ لصراعه مع الخليفة الأموي . وانتهى الأمر بانتصار جيوش العباسيين ومصرع مروان بن محمد ، فتنفس أبو العباس الصعداء(٢) .

كان أمد الفترة بين بيعة أبي العباس بالخلافة وبين مصرع الخليفة الأموي مروان نحواً من تسعة أشهر ، انصرمت كلها في سنة ١٣٢ هـ . وأصبحت هذه السنة تؤثر في تاريخ الامويين والعباسيين والعلويين على السواء .

---

(١) انظر نص الخطبة في تاريخ الطبري جـ ٦ ص ٨٣ — ٨٤ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٥ ص ٣١٨ .

(٢) انظر تفاصيل هذه الاحداث في تاريخ الطبري جـ ٦ ص ٨٨ — ٩٥ .

لم يكن أبو العباس يستطيع الحياة طويلا في الكوفة ، مركز شيعة العلويين ، ولذا تحول الى الأنبار على نهر الفرات(١) ، وقد أسسها سابق بن هرمز أحد أكاسرة الفرس فجددها أبو العباس ، وأقام بها قصراً فخماً سماه (الهاشمية)(٢) نسبة الى جده هاشم بن عبد مناف(٣) . وجدير بالملاحظة ان أبا العباس لم يطلق على هذا القصر اسم « العباسية» نسبة الى جدهم الأكبر العباس بن عبد المطلب، بل سماه الهاشمية، كما ذكرنا، حتى يبرز نسبة العباسيين الى البيت الهاشمي بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذه التسمية في رأينا استمرار لما كان العباسيون يدعون اليه ، قبل قيام دولتهم ، ومن الدعوة للرضا من آل محمد .

الاتجاهات الدينية في الخلافة العباسية الجديدة :

كان العباسيون يستندون في قيام دولتهم على انهم وارثون للرسول عليه الصلاة والسلام ، يتضح ذلك في نص للمسعودي(٤) ، اذ يقول : « ذكرت الراوندية ، وهم شيعة ولد العباس – عبد المطلب ، من أهل خراسان وغيرهم ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ، وان أحق الناس بالامامة بعده العباس ابن عبد المطلب ، لأنه عمه ووارثه وعصمته ، لقول الله عز وجل (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وان الناس اغتصبوه حقه ، وظلموه أمره ، الى ان رده الله اليهم ، وتبرءوا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، واجازوا بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه باجازة العباس لها ، وذلك لقوله : « يا بن أخي ، هلم الي ان ابايعك فلا يختلف عليك اثنان . ولقول داود بن علي على منبر الكوفة يوم بويع لأبي العباس : يا أهل الكوفة ، لم يقم

---

(١) بين الانبار وبغداد عشرة فراسخ .

(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٢٣٧ .

(٣) وهو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب (انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٣٠ وما بعدها ، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣ وما بعدها) .

(٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٢ – الراوندية فرقة من فرق الزنادقة .

فيكم امام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن أبي طالب ، وهـذا القائم فيكم ، يعني أبا العباس السفاح » .

وحرص أبو العباس في يوم البيعة له على احياء سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فخطب على المنبر قائماً ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً ، فضج الناس وقالوا :

أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

رحب كثير من المسلمين بانتصار العباسيين على اعتبار انهم كانوا يمثلون النظرية الحقيقية في الخلافة ، او فكرة الحكومة الدينية ، على عكس اسلافهم الامويين الذين كانوا يمثلون الحكومة الزمنية . وقد حرص الخلفاء العباسيون على اضفاء الصفة الدينية على دولتهم ، حتى انهم أشاعوا ان السلطان سيظل الى الابد في ايدي العباسيين حتى يسلموه في آخر الأمر الى المسيح(٢) .

والواقع ان هذا التغيير الديني انما كان في الظاهر اكثر منه في الحقيقة ولو ان العباسيين كانوا يختلفون عن الأمويين بتظاهرهم بالتقوى والورع ، فان الخليفة في بغداد قد أثبت انه لا يقل اتساعاً في الأفق وعالمية في التفكير عن الخليفة الأموي في دمشق . ولكنه يختلف عنه أساسياً من ناحية واحدة ، ذلك أن الدولة الاموية كانت عربية على حين ان الدولة العباسية كانت أكثر دولية ، اذ كانت تضم عناصر المسلمين الجدد ، ولم يكن العرب فيها الا عنصراً واحداً بين عناصر أخرى متعددة(٣) .

دخل أحد الشعراء على أبي العباس مهنئاً بالخلافة ، وأنشد قصيدته ، فاعتبر الخلافة العباسية هي استرداد لحق بني هاشم المغتصب ، فانشد(٤) :

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٢٦ - كان معاوية أول من استن القعود عند الخطبة .
(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٣١٨ .
(٣) حتي : تاريخ العرب ص ٣٥٦ .
(٤) الفخري ص ١٣٤ - كان الشعر سلاحاً ماضياً ظهر خلال الصراع بين الشيعة والخلفاء العباسيين ، وكان للشيعة شعراء عبروا عن آرائهم ودعوا الى مناصرة الحركات العلوية .

اصبح الملك ثابت الاساس بالبهاليل من بني العبـــاس
طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس

وأراد هذا الشاعر ان يحرض أبا العباس على التنكيل بالأمويين فذكره بقتلى بني هاشم ، علويين وعباسيين ، فأنشد :

واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهـــــراس
والقتيل الذي بحران أضحى ثاوياً بين غربة وتنـــــاس

كان العباسيون أكثر نشاطاً وايجابية من أبناء عمومتهم ، العلويين ، فقد وضعوا برنامجاً دينياً وسياسياً واجتماعياً يسيرون بمقتضاه في حكمهم بينما اكتفى العلويون بالدعوة الى أنفسهم اعتماداً على حب المسلمين للرسول ولعلي بن أبي طالب وأولاده . ولذلك تحقق النصر للعباسيين فيما اخفق فيه العلويون وشيعتهم(١) .

موقف الخليفة العباسي من زعماء العلويين :

كافح العلويون كثيراً من أجل الوصول الى الخلافة ، وانتزاعها من الخلفاء الأمويين (٤٠ ــ ١٣٢ هـ) ، وناهضهم الامويون وتتبعوهم بالقتل والتنكيل، حتى لجأوا الى الكتمان والتقية ، وركنوا في أواخر العصر الأموي الى الهدوء والاشتغال بالتجارة او الانصراف الى الدين بدلا من الاشتغال بالسياسة والحرب(٢) وتولى أبناء عمومتهم العباسيون الكفاح والنضال ونجحوا في القضاء على الدولة الأموية ، وأقاموا الدولة العباسية وبدأت حركة المعارضة ضد قيام الدولة العباسية وحملت الشيعة الزيدية لواء المقاومة الايجابية ، وأصبح بيت عبدالله بن الحسن ابن الحسن مركزاً للثورة ضد العباسيين .

---

(١) الخربوطلي : تاريخ العراق ص ٢٢٩ .
(٢) مال علي زين العابدين ومحمد الباقر الى الهدوء والسلام والانصراف الى الدين والعلم (الساعدي : حياة الامام علي بن الحسين ص ٣٣٠ – الكليني : الطافي ص ٩٦) .

وبعد مقتل أبي سلمة الخلال ، نتيجة اتهامه بميوله الى العلويين — كما سنرى في الفصل القادم— قدم وفد علوي من الحجاز ، برئاسة عبدالله بن الحسن وأخيه الحسن الى الأنبار ، فاستقبل أبو العباس وأبو جعفر المنصور الوفد بالحفاوة والتكريم ، وانزلاه في دار رحبة(١) .

خص أبو العباس عبدالله بن الحسن بالتكريم والترحيب ، فكان يدعوه الى السمر معه في كل ليلة ، فكان يسأله دائماً عن ابنيه محمد وابراهيم ويقول له : ما خلفهما ومنعهما ان يفدا الى أمير المؤمنين مع أهل بيتهما ؟ فيجيب عبدالله : ما كان تخلفهما لشيء يكرهه أمير المؤمنين . وألح أبو العباس على عبدالله في السؤال ، وهدده وتوعده وأصبح موقفه حرجاً أمام الخليفة ، وأفضى بذلك الى أخيه الحسن ، فأشار عليه ان ينبىء أبا العباس ان عمهما الحسن هو الذي يعلم وحده مكان اختفائهما (٢) .

وتوجه أبو العباس الى الحسن بالسؤال عن مكان محمد النفس الزكية وابراهيم فقال الحسن : يا أمير المؤمنين ، اكلمك على هيبة الخلافة ، او كما يكلم الرجل ابن عمه ؟ فأجاب ابو العباس : بل كما يكلم الرجل ابن عمه ، فانك وأخاك عندي بكل منزلة . فقال الحسن : ان قدر الله لمحمد وابراهيم ان يليا من هذا الأمر شيئاً فجهدت وجهد أهل الأرض معك ان يردوا ما قدر لهما أتردونه ؟ فأجاب العباس بالنفي . فقال الحسن فانشدك الله ان كان لم يقدر لهما ان يليا هذا الأمر شيئاً فاجتمعا واجتمع أهل الارض معهما على أن ينالا ما لم يقدر لهما ، اينالانه ، فأجاب أبو العباس ايضاً بالنفي(٣) .

وابدى ابو العباس اقتناعه بمقالة الحسن ، او تظاهر بالاقتناع ، فقال الحسن :

---

(١) قدم هذا الوفد في صحبته الوالي العباسي داود بن علي (الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٩٣) .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٩٦ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٧٤ .

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٩٤ .

يا أمير المؤمنين ففيم تنغيصك على هذا الشيخ – أي عبدالله – نعمتك التي اوليته وايانا معه ؟ فقال أبو العباس : فلست بعارض لذكرهما بعد مجلسي هـذا ما بقيت ، الا ان يهيجني شيء فاذكره(١) .

وكان الخليفة أبو العباس قد بنى قصره الجديد في الهاشمية ، وأراد الخروج اليه لتفقده ورؤيته بعد الفراغ من بنائه ، ودعا الوفد العلوي الى مرافقته ، وتجول أبو العباس مع العلويين في حجرات القصر ، ثم سأل عبدالله بن الحسن عن رأيه في القصر الجديد ، فتمثل عبدالله ببيتين من الشعر هما(٢) :

الم تر حوشب قـد صار يبـني   قصوراً نفعها لبني نفيلـه
يؤمـل ان يعمـر عمر نوح   فأمر الله يحدث كـل ليلـه

وثار غضب أبي العباس ، وكتم غيظه ، وسأل عبدالله : ما أردت بهذا ؟ فاستدرك عبدالله وحاول التخفيف من ثائرة الخليفة ، فأجاب : ازهدك في القليل الذي بنيته(٣) .

وفي ليلة ، كان عبدالله بن الحسن يسمر مع أبي العباس ، حتى اذا انفض المجلس ، طلب أبو العباس الانفراد بالزعيم العلوي ، وأدخل يده تحت فراشه ، فأخرج كتاباً أعطاه لعبدالله ليطلعه عليه ، فاذا هو كتاب من ابنه محمد النفس الزكية الى هشام بن عمرو بن البسطام التغلبي يدعوه فيه الى نفسه . وقرأ عبدالله الكتاب ثم قال لأبي العباس: يا أمير المؤمنين لك عهد الله وميثاقه الا ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا(٤) .

وحان أوان عودة الوفد العلوي الى الحجاز فقال ابو العباس لعبدالله : احتكم

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٧٤ .
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٥ ص ٧٤ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٧٥ .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٧٧ .

علي . فقال : ألف ألف درهم فاني لم أرها قط . ولم يكن لدى أبي العباس هذا القدر الكبير من المال ، فاقترضها من أحد الصيارفة . كما منحه مبلغاً آخر من المال ليفرقه في العلويين بالحجاز (١) . وحانت لحظة الوداع ، فذكر أبو العباس عبدالله بأن ابنيه لم يبايعا بعد له بالخلافة ، وأنه أصبح يشك في أمرهما ويتوجس منهما خيفة ، فقال عبدالله : يا أمير المؤمنين ، ما عليك من ابني شيء تكره . فقال أبو العباس : وبك أثق وعلى الله أتكل(٢) .

عاد الوفد العلوي الى المدينة ، ففرق عبدالله بن الحسن الأموال التي أعطاها له الخليفة أبو العباس بين العلويين ، فأبدوا سرورهم وفرحهم واستنكر عبدالله هذا السرور فسألهم : أفرحتم ؟ فأجابوا : وما لنا لا نفرح بما كان محجوباً عنا بأيدي بني مروان حتى أتى الله بقرابتنا وبني عمنا ، فأصاروه الينا ؟ فغضب عبدالله وقال : افرضيتم ان تنالوا هذا من تحت أيدي قوم آخرين؟ (٣).

وانتقلت هذه العبارات من المدينة الى مسامع أبي العباس وأبي جعفر المنصور في العراق ، فثار غضبهما ، اذ لم تجد سياسة المهادنة واغداق الصلات على العلويين في كسب ولائهم . ولكن الاخوين العباسيين لم يجدا بداً من السكوت وارجاء أمر العلويين الى حين ، فقد كانت الدولة العباسية الوليدة تواجه كثيراً من المشكلات .

غير أن أبا جعفر المنصور حين تولى الخلافة كان أبعد نظراً ، واحزم أمراً من أخيه وهو يعلم ان التخاذل في مثل هذا الموقف ، يؤدي حتماً الى نتيجة لا تحمد عقباها ، وليس من الحكمة في رأيه ان يترك هذا النشاط على عواهنه(٤) .

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٥ ص ٢٤ ، هذا الصيرفي هو (ابن مقرن) .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٧٠ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٥ ص ٧٥ .
(٤) الجومرد : ابو جعفر المنصور ص ١٨١ .

في سنة ١٤١ هـ أحدث المنصور تغييراً في النظام الاداري في الحجاز ، فقد كانت الحجاز في العصر الأموي وعصر أبي العباس ولاية واحدة فجعلها المنصور ولايتين : الأولى مركزها مكة ، والثانية مركزها المدينة ، وجعل على كل منهما والياً مستقلا(١) .

فرق الشيعة في مطلع العصر العباسي الأول :

بدأ التشيع فكرة بسيطة ، فكان كل « من وافق الشيعة في أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالامامة وولده من بعده ، فهو شيعي ، وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف عليه المسلمون ، فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً» (٢) .

تفرقت الشيعة في العصر الأموي الى عدة فرق ، اشهرها السبئية ، والامامية والكيسانية والزيدية ، فقال الشهرستاني : « ويجمعهم — أي الشيعة — القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الانبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولا ، وفعلا ، وعقدا ، الا في حالة التقية ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ، ولهم في تعدية الامام كلام وخلاف كثير . وعند كل تعدية وتوقف : مقالة ، ومذهب ، وخبط ، وهم خمس فرق : كيسانية وزيدية وامامية وغلاة واسماعيلية وبعضهم يميل في الاصول الى الاعتزال وبعضهم الى السنة وبعضهم الى التشبيه (٣) .

وقد اختلفت فرق الشيعة في التفاصيل ، ولكنها اتفقت جميعها على ان علياً أحق المسلمين بالامامة والقيام بالأمر في أمته(٤) . وكانت فرقتا الامامية

(١) ابن حيان : أخبار القضاة ج ١ ص ٢٠٢ .
(٢) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ج ٢ ص ١١٣ .
(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٤٦ — ١٤٧ .
(٤) ابن نشوان : الحور العين ص ١٠٣ .

والزيدية أبرز فرق الشيعة وأكثرها انصاراً في العصر العباسي الأول ، وهما الفرقتان الشيعيتان اللتان قامتا بدور واضح في التاريخ السياسي لهذا العصر . ولجأت فرقة الشيعة الزيدية الى القيام بحركات ثورية مسلحة ، بدت بوادرها وطلائعها في عصر الخليفة أبي العباس ، أول الخلفاء العباسيين ، ثم تبلورت وظهرت على مسرح الاحداث واتخذت شكل الصدام العسكري في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور ، فكانت حركتا محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، أما فرقة الشيعة الامامية فقد التفت حول زعيمها الامام جعفر الصادق الذي اكتفى بالامامة الروحية ، واكتفى بالمعارضة السياسية السلمية دون اعلان الثورة وسنرى موقف الامام جعفر من المنصور ، وسندرس تعاليم فرقة الامامية في الباب الثاني من هذا البحث .

وسنركز الحديث في هذا الفصل على فرقة الشيعة الزيدية التي كان لها موقفها الواضح من قيام الدولة العباسية ، ومن خليفتها الأول أبي العباس . وقبل دراستنا للزيدية نتحدث عن فرقتي السبئية والكيسانية .

فرقة السبئية :

أما **فرقة السبئية** ، فقد ورد ذكرها في المصادر العربية باسم « الغلاة » وهم أصحاب عبدالله بن سبأ(١) ، وقد غالوا فيما خلعوه على علي بن أبي طالب من الصفات(٢) ، وقد انقسمت السبئية الى أربعة فرق بعد مصرع علي بن أبي

---

(١) وهو رجل يمني يهودي اعتنق الاسلام للكيد له (البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٥ ؛ الاسفراييني : التبصير في الدين ص ٨٥) .

(٢) الملطي : التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع ص ١٨ — ١٩ قالت السبئية لعلي : انت الخالق الباري .. فاستتابهم فلم يرجعوا فأوقد لهم ناراً ضخمة وأحرقهم . وقد قسمهم الملطي الى أربعة فرق : فرقة ترى ان علياً لم يمت وانه حي . والفرقة الثانية تقول ان علياً لم يمت وأنه مستقر في السحاب . والفرقة الثالثة تقول ان علياً مات ولكنه يبعث قبل القيامة ليقاتل الرجال وينشر العدل وهم لا يؤلهون علياً ولكنهم يقولون بالرجعة . والفرقة الرابعة تقول باماتة محمد بن علي (ابن الحنفية) وانه اختفى في جبال رضوى وانه حي ولم يمت وانه صاحب الزمان الذي يعود ويهدي الناس ويصلح الارض ، ويقتل الرجال .

طالب ، وتتفق هذه الفرق كلها في انهم « يقولون بالبداء » ويصفهم الملطي(١) بانهم « احزاب الكفر ، وفرق الجهل » ويرفض المستشرقان (برنارد لويس) و (كايتاني) ما ذكره المؤرخون العرب من أن بداية التشيع الثوري يرجع الى عبدالله بن سبأ وجماعته ، ويرى كايتاني ان مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لا يمكن ان يتصورها العالم العربي سنة ٣٥هـ بنظامه القبلي القائم على سلطان الأبوة وانها تعكس احوال العصر العباسي الأول بجلاء(٢)ويثير بعض الكتاب المحدثين كثيراً من الشكوك حول السبئية الأوائل بعد مصرع علي بن أبي طالب(٣) وقد تحدثنا عن فرقة السبئية في تمهيدنا لبحثنا هذا حينما درسنا تاريخ الشيعة قبل العصر العباسي .

فرقة الكيسانية :

أما فرقة الكيسانية : وقد سبق الاشارة اليها ايضاً — فقد ظهرت خلال حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، الذي دعا الى محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ونادى المختار بأن الدين طاعة رجل ، مما أدى الى تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها ، مما حمل البعض على « ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الرجل ، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة ، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول ، والرجعة بعد الموت . فمن مقتصر عليه واحد معتقد انه لا يموت ، ولا يجوز ان يموت حتى يرجع ، ومن معتقد حقيقة الامامة الى غيره ، ثم متحسر عليه،

---

(١) التنبيه والرد ص ١٩ .

(٢) برنارد لويس : أصول الاسماعيلية ص ٨٦ .

(٣) يرى الدكتور علي سامي النشار (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ٣١) ان آراء السبئية لا تمثل في اول الامر فرقة، ولكن هي الآراء الفولكرية التي تنتشر حول قداسة الاشخاص حين يموتون ويشعر اتباعهم بالحسرة ويؤيد الدكتور جابر الجيني (حركات الشيعة المتطرفين ص ٢٨) في المستشرقين وجود فكرة تأليه علي بن ابي طالب في ايامه .

متحير فيه ، ومن مدع حكم الامامة ، وليس من الشجرة وكلهم حيارى متقطعون(١) » ونادت الكيسانية ان محمد بن الحنفية بعد ان اختفى في جبال رضوى(٢) سيبعث هو وشيعته فيملأ الأرض عدلا(٣) .

فرقة الهاشمية :

وتفرعت **فرقة الهاشمية** عن الكيسانية ، فقد قالوا « بانتقال محمد بن الحنفية الى رحمة الله ورضوانه ، وانتقال الامامة الى ابنه ابي هاشم(٤) » واهتم ابو هاشم بتنظيم دعـوته وتوحيد صفوف الشيعة ، سواء أكانوا غلاة أم معتدلين ما داموا يتفقون في مناهضتهم للدولة الاموية ، وحاول التوفيق بين الاسلام والعقائد غير الاسلامية ، وخاصة هذه العقائد المنتشرة في خراسان التي اعتبره اهلها « الامام » اذ ورث الامامة عن وصية لأبيه ابن الحنفية(٥) .

استخدم أبو هاشم الدعاة والحجج ، وأصبح مصطلح الداعي والحجة من أهم مصطلحات الشيعة ، وأصبح الدعاة والحجج أعمدة هذه العقيدة ، سواء لدى العباسيين ثم الاثني عشرية ، ثم الاسماعيلية . وهو الذي استخدم النقباء ومن أشار باستخدامهم وهو الذي نادى بفكرة « العلم السري » المتوارث عن أبيه عن الامام علي ، واخيراً كان أبو هاشم أول من اخرج الوصية فعلا من البيت الفاطمي ، ولم يكن هو نفسه فاطمياً ، وأخرجها أيضاً من البيت العلوي الى بني عبدالمطلب عامة(٦) .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٤٧ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٢٠.
(٢) جبال في الحجاز شمال ينبع مطلة على البحر الاحمر .
(٣) ابن نشوان : الحور العين ص ١٨١ ، المجلسي : بحار الانوار ج ٩ ص ١٧٣ .
(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٠ ، ابن نشوان : الحور العين ص ١٥٩ ، أبو خلف القمي : المقالات والفرق ص ٢٥ .
(٥) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٩١ .
(٦) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٦٣ .

وانقسمت الفرقة الهاشمية بعد أبي هاشم الى عدة فرق ، أشهرها **فرقة المنتظرين** التي زعمت ان أبا هاشم أوصى الى ابن أخيه الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية ، فهو الامام بعده ، وان الحسن بن علي اوصى الى ابنه علي بن الحسن ولكن هذا الأخير قد مات دون ان يعقب ولدا ، فهم ينتظرون رجعة ابن الحنفية والفرقة الثانية العباسية وترى ان الامام بعد أبي هاشم هو محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب الذي تنازل له أبو هاشم عن الامامة(١) . وفرقة ثالثة قالت ان أبا هاشم أوصى الى عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي، وان الامامة خرجت من أبي هاشم الى عبدالله ، وتحولت روح أبي هاشم اليه ، ولكن هذا الرجل لم يكن على دين او علم فاتهموه بالكذب والخيانة واعرضوا عنه ، وقالوا بامامة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب(٢) .

وهناك **فرقة البيانية** اتباع بيان بن سمعان التميمي ، وقالوا بانتقال الامامة من أبي هاشم اليه ، وهو من الغلاة القائلين بألوهية علي بن أبي طالب . وفرقة الرزامية اتباع رزام بن رزم ، وساقوا الامامة من علي الى ابنه محمد ثم الى ابنه أبو هاشم ، ثم منه الى علي بن عبدالله بن العباس بالوصية ، ثم ساقوها الى محمد بن علي ، وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم الامام(٣) .

ويذكر الشهرستاني(٤) ان أبا مسلم الخراساني كان في أول أمره على مذهب الكيسانية ، واقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها ثم ارسل الى الامام جعفر الصادق امام الشيعة الامامية ، يقول له : اني قد اظهرت الكلمة ودعوت

---

(١) ابن نشوان : الحور العين ص ١٥٩ — ١٦٠ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥١ ، أبو خلف القمي : المقالات والفرق ص ٣٤ — ٣٦ .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٢ — ١٥٤ ، الرازي : اعتقادات فرق المسلمين والمشتركين ص ٦٣ وما بعدها ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٣ — ١٥٥ .

(٤) الملل والنحل ج ٦ ص ١٥٤ .

الناس عن موالاة بني امية الى موالاة أهل البيت ، فان رغبت فيه ، فلا مزيد عليك . فكتب اليه الصادق « ما أنت من رجالي ، ولا الزمان زماني» فحاد أبو مسلم الى أبي العباس السفاح وقلده الخلافة .

الشيعة الزيدية :

ثم نصل الى فرقة **الشيعة الزيدية** ، وهي الفرقة التي حملت لواء المعارضة الايجابية للدولة العباسية منذ قيامها ، وطوال العصر العباسي الأول ، واستمرت هذه المعارضة في العصور التالية .

وتنتسب فرقة الزيدية الى زيد بن علي الذي أعلن الثورة على الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك (١) ، وقد تحدثنا عن ثورته في التمهيد الذي درس تاريخ الشيعة قبل العصر العباسي (٢) . ونشأ زيد في المدينة التي اختارها العلويون مقاماً لهم ، وأخذ العلم عن أبيه زين العابدين ، ثم عن أخيه محمد الباقر بعد وفاة أبيه ، ولكن لم تطمئن نفس الفتى العلوي الشغوف الطلعة الى حياة المدينة الرتيبة ولا الى طريقة الحياة التي عاشها أبوه بعد محنة كربلاء وعاشها أخوه الباقر أيضاً متبعاً سنة أبيه علي زين العابدين . وبدأ الفتى رحلاته الى الكوفة ثم زارها مراراً ثم مضى الى البصرة يقابل علماءها ومفكريها ، وفي البصرة التقى بواصل بن عطاء شيخ المعتزلة وتأثر بكثير من آرائه(٣) .

أصبحت فرقة الزيدية أكثر فرق الشيعة اعتدالا(٤) . وركز الشهرستاني(٥) آراء الزيدية في قوله : « ساقوا الامامة في اولاد فاطمة رضي الله عنها ، ولم

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٢٨ وما بعدها .

(٢) وهو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان مولده سنة ٨٠ هـ ، ومصرعه سنة ١٢٢ هـ (ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣٢٨ وما بعدها) .

(٣) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٣ ص ٤٦٦ .

(٥) الملل والنحل جـ ١ ص ١٥٤ — ١٥٥ .

يجوزوا ثبوت الامامة في غيرهم ، الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالامامة ان يكون اماماً واجب الطاعة ، سواء كان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين رضي الله عنهما . وعن هذا جوز قوم منهم امامة محمد وابراهيم الامامين ابني عبدالله الحسن بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور وقتلا ذلك وجوزوا خروج امامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة » . ويذهب الشهرستاني أيضاً ان زيداً تأثر بآراء واصل بن عطاء رأس المعتزلة فكان مذهبه « جواز امامة المفضول مع قيام الأفضل» (١) .

واختلفت الزيدية مع الامامية في نظرتهما وتقديرهما لشرعية خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وبينما لا تعترف الامامية بصحة خلافتهما وتعتبرهما مغتصبين لحق علي بن أبي طالب ، نجد الزيدية لا تتبرأ من أبي بكر وعمر ولا تسيء اليهما ، بل تعترف بصحة خلافتهما ، وان كان علي أفضل منهما ، فالزيدية ترى ان الامام قد عينه الرسول بالوصف لا بالشخص ، كما ترى الزيدية ان الامامة « في ولد فاطمة كائناً من كان بعد ان يكون عنده شروط الامامة »(٢) .

وترى الزيدية أيضاً ان الامامة مسألة عملية ايجابية وليست سلبية فيجب على الامام ان يقود الشيعة في طريق الجهاد والنضال ، دون اللجوء الى كتمان

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٥ – ينكر الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه(الامام زيد ص ٣٨ – ٤١) تلمذة زيد على واصل بن عطاء وتأثره به فيقول ان الرجلين كانا في سن واحدة اذ ولدا سنة ٨٠ هـ ، وان التقاءهما كان « التقاء مذاكرة علمية » بل ان واصلا هو الذي أخذ آراءه عن آل البيت بل ان آراء المعتزلة هي آراء الزيدية وآراء الاثني عشرية بصفة عامة . ويرى محمد الحسين آل كاشف الغطاء (اصل الشيعة وأصولها ص ٧١) ان المعتزلة اقتبسوا كثيراً من تعاليمهم من الشيعة وعن علي بن أبي طالب وتتلمذ شيوخ المعتزلة على أبي هاشم بن محمد بن الحنفية .

(٢) ابن النديم : الفهرست ج ٢ ص ٤٥٦ .

أو تقية ، كما ان الزيدية تختلف مع الامامية في الصفات التي اضفتها الامامية على الامام مما جعل له صفات الهية (١) . وترفض الزيدية ما ذهبت الامامية اليه من عصمة الأئمة(٢) .

أيدت فرقة الشيعة الكيسانية فرقة الزيدية عند أول ظهورها ، فقد كانت الشيعة أنصار ابن الحنفية تتطلع الى حركة شيعية ايجابية ضد الدولة الاموية(٣) . ولكن غلاة الشيعة أبدوا سخطهم الشديد على آراء زيد المعتدلة التي تعترف بشرعية خلافة أبي بكر وعمر ، ورفضوا هذه الآراء ، ولذا أطلق عليهم اسم « الرافضة » (٤) .

وقد ظهرت آراء زيد بمظهر الاعتدال نتيجة سيادة آراء الغلو التي سادت في العصر الأموي نتيجة التضييق الفكري الذي عانت منه الشيعة ، فظهرت آراء متطرفة منحرفة وسط ظلام الكتمان ، فكانت مزاعم الوهية علي ، ورجعة النبي ، وعدم موت علي وغيرها ، وظهرت آراء زيد وسط آراء ثلاثة ، أولها ان الخلافة تثبت بالوراثة لا بالاختيار ، وثانيهما الاعتقاد باغتصاب أبي بكر وعن علي حق في الخلافة، وثالثها عصمة الأئمة،ورابعها فكرة المهدي المنتظر التي ذهب اليها المختار الثقفي بعد اختفاء ابن الحنفية ، ولذا كانت آراء زيد هي تصحيحاً لهذه الآراء الشيعية كلها(٥) .

ويرى الدكتور النشار ان فكرة « تجويز خروج امامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة(٦) » لم تصدر عن

---

(١) احمد أمين : فجر الاسلام ص ٣٢٤ — ٣٢٥ .
(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٥ النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٩ .
(٣) رونلدسن : عقيدة الشيعة ص ١٣٠ ، ولكن الكيسانية كانت تدعو الى امام علوي لا فاطمي .
(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥٥ ، الملطي : التنبيه والرد ص ١٨ .
(٥) أبو زهرة : الامام زيد ص ١٨٦ — ١٨٧ .
(٦) الشهرستاني : الملل النحل ج ١ ص ١٥٥ .

الامام زيد ، بل وضعته الزيدية اتباع الامامين محمد النفس الزكية وابراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ، في ثورتهما ضد الخليفة المنصور(١) ، ويشك الشيخ أبو زهرة أيضاً في نسبة هذا الرأي لزيد ، ويقول اننا لا نجد في المصادر ما يبرر نداء زيد بهذا الرأي ، ويتساءل هل اعتمد زيد على المهادنة بين علي ومعاوية ؟ ثم يجيب على تساؤله فيقول ان علياً لم يعترف بأن معاوية امام ، ولكنها كانت مهادنة لمصلحة المسلمين ولاداء فرائض الحج ، ثم ينسب الشيخ أبو زهرة هذا الرأي الى اتساع الدولة الاسلامية شرقاً وغرباً ، بحيث تكون المصلحة في تجزئة الحكم على ان يكون الولاء بينهما كاملا والتعاون شاملا(٢) .

استفاد الخلفاء العباسيون من الخلاف الذي نشب طوال العصر العباسي الأول بين الشيعة الامامية والشيعة الزيدية ، فقد رأت الشيعة الزيدية ان الامامة في أولاد فاطمة يتولاها كل عالم زاهد شجاع خرج بالسيف ، سواء من أولاد الحسن او الحسين(٣) ، ولذا أيدت الزيدية محمد النفس الزكية الذي أعلن الثورة في عهد الخليفة المنصور . كما ترى الزيدية ان الامامة تجوز لشخصين في عصر واحد اذا خرجا في قطرين وجمعا شروط الامامة (٤) .

تطور فرقة الشيعة الزيدية :

وتطورت فرقة الزيدية في العصر العباسي الأول ، فتفرع منها **فرقة الجارودية**

---

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ١٦٥ .

(٢) ابو زهرة : الامام زيد ص ١٩٣ — ١٩٤ .

(٣) قال النوبختي (فرق الشيعة ص ٤٨) : « وفرقة قالت ان الامامة صارت بعد مضي الحسين في ولد الحسن والحسين . فهي فيهم خاصة دون سائر ولد علي بن أبي طالب ، وهم كلهم فيها شرع سواء من قام منهم ودعا الى نفسه فهو الامام المفروض الطاعة بمنزلة علي بن أبي طالب واجبة امامته من الله عز وجل على أهل بيته وسائر الناس كلهم » . من اتبعه على ذلك وكل من قال بامامته وهم الذين سموا السرحوبية » .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ ص ١٥٥ .

وهم أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد(١) . وتحدث الشهرستاني (٢) عن آراء الجارودية فقال : « زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي رضي الله عنه بالوصف دون التسمية وهو الامام بعده . والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ، ولم يطلبوا الموصوف ، وانما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك . وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة امامه زيد بن علي ، فانه لم يعتقد هذا الاعتقاد . واختلفت الجارودية في التوقف والسوق . فساق بعضهم الامامة من علي الى الحسن ، ثم الى الحسين ثم الى علي بن الحسين زين العابدين، ثم الى ابنه زيد بن علي ، ثم منه الى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقالوا بامامته » . كما ذكر الشهرستاني أيضاً ان الامام أبا حنيفة كان من الجارودية(٣) .

ويطلق النوبختي (٤) على الجارودية اسم السرحوبية ، فقد كان أبو الجارود يسمى أيضاً (سرحوب) ، ويذكر الشهرستاني(٥) ان الامام محمد الباقر قد اطلق عليه هذا الاسم ، فقد تلقى أبو الجارود علومه عن هذا الامام ثم خالفه وفارقه .

ولم ترض الجارودية عن سياسة كل من الامام محمد الباقر ثم الامام جعفر الصادق في الاكتفاء بالامامة الروحية ، دون اعلان الثورة ومواجهة اغتصاب الامويين ثم العباسيين للخلافة من آل علي بن أبي طالب . فقالت الجارودية : « ومن ادعى منهم الامامة وهو قاعد في بيته مرخي عليه ستره فهو كافر مشرك،

---

(١) ويكنى بابي النجم الهمداني الخراساني العبدي والنهدي والثقفي الكوفي وتوفي بين سنة ١٥٠ وسنة ١٦٠ هـ. ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٧) .

(٢) الملل والنحل جـ ١ ص ١٥٨ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ ص ١٦٩ . فسر الامام محمد الباقر لفظ سرحوب فقال : شيطان اعمى يسكن البحر .

وكل من اتبعه على ذلك وكل من قال بامامته»(١) .

هذه هي آراء الجارودية السياسية ، وهي التي تهمنا في بحثنا هذا ، وكـان للجارودية آراء فلسفية ومشاركة في علم الكلام مما يخرج عن نطاق بحثنا(٢) . ثم تطرفت فرقة الجارودية فاختلفت في سوق الامامة ، وآمنت بالمهدية وخلود الامام ، وشاركت في حركة محمد النفس الزكية ، واختلفت بعد مقتله ، فمنهم من قال : انه لم يقتل وهو حي وسيخرج ويملأ الأرض عدلا . ومنهم من أقر بموته وساق الامامة الى محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين صاحب الطالقان(٣) ، ومنهم من قال بامامة يحيى بن عمر ، وقد تشتت الجارودية بعد ذلك في الامامية والزيدية ولم يظفر أبو الجارود بمحبة أي من طوائف الشيعة المختلفة ، وان كان هو يمثلها جميعها (٤) .

ومن الفرق التي تفرعت عن الشيعة الزيدية **فرقة السليمانية** ، وهم أصحاب سليمان بن جرير ، وقد ظهر في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور ، وكان في أول امره من الشيعة الامامية اتباع الامام جعفر الصادق ، ثم فارقه وكون فرقة شيعية مستقلة(٥) ، وتحدث الشهرستاني (٦) عن آراء سليمـان

---

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨ — ٤٩ .

(٢) من هذه الآراء ما ذكرها النوبختي (فرق الشيعة ص ٤٩ وما بعدها) اذ قالوا « الحلال حلال آل محمد صلى الله عليه وآله ، والحرام حرامهم ، والاحكام احكامهم ، وعندهم جميع ما جاء به النبي ... » وذكر الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ١٥٩) ان بعضهم يزعم ان علم الحسن والحسين كعلم النبي فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة ؛ وبعضهم يزعم ان العلم مشترك فيهم وفي غيرهم ، وجائز أن يؤخذ عنهم ، وعن غيرهم من العامة .

(٣) وهو الذي سيعلن الثورة في عهد الخليفة العباسي الثامن المعتصم كما سنشهد في هذا البحث .

(٤) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ١٩٢ .

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٥٥ وما بعدها — يرجع السبب في فراق سليمان بن جرير للامام جعفر الصادق الى قول جعفر بعد موت ابنه وولي عهده اسماعيل : ان الله عز وجل بدا له في امامة اسماعيل ، وأنكر سليمان هذا « البداء » وكان المختار الثقفي — كما ذكرنا آنفاً — يدعو الى البداء ، أي ان الله يغير مشيئته في بعض الامور .

(٦) الملل والنحل ج ١ ص ١٥٩ — ١٦٠ .

السياسية فقال : « وكان يقول ان الامامة شورى فيما بين الخلق ، ويصح ان تنعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وانها تصح في المفضول ، مع وجود الافضل . واثبت امامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حقاً باختيار الامة حقاً اجتهادياً . وربما كان يقول : ان الامة اخطأت في البيعة لهما مع وجود علي رضي الله عنه خطأً لا يبلغ درجة الفسق ، وذلك الخطأ خطأ اجتهادي ، غير انه طعن في عثمان رضي الله عنه للاحداث التي احدثها ، وأكفره بذلك ، وأكفر عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم اقدامهم على قتال علي رضي الله عنه » . كما عارض سليمان بن جرير مما ذهبت اليه الرافضة حول البداء والتقية. وانضم الى سليمان جماعة من المعتزلة(١) وجماعة من أهل السنة(٢) . وكان لحركة سليمان بن جرير اثر كبير في الشيعة ، فقد أدت آراؤه الى انصراف كثير من شيعة الامام جعفر الصادق عنه(٣) .

ومن **فرق الزيدية** التي كان لها شأنها في العصر العباسي الأول **فرقة الصالحية** أتباع الحسن بن صالح بن حي(٤). وهي أقرب فرق الشيعة الى أهل السنة(٥) ، ومن هذه الفرق فرقة البترية اصحاب كثير النوى الملقب بالابتر(٦) ، ويذكر الشهرستاني ان الفرقتين تتفقان مع فرقة السليمانية في آرائهم حول الامامية ،

---

(١) ومنهم جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب وكثير النوى وهو من أصحاب الحديث .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٠ . تحدث الشهرستاني عن معارضة سليمان لمذهب التقية : « فكلما أرادوا تكلموا به ، فاذا قيل لهم في ذلك انه ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا : انما قلناه تقية ، وفعلناه تقية » .

(٣) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ١ ص ١٩٩ .

(٤) وهو كوفي ، ومن كبار العلماء ، وأخرج له مسلم والبخاري كان مولده سنة ١٠٠ هـ وتوفي سنة ١٦٩ هـ ، وهو فقيه متكلم ، وكان يعاونه أخواه علي وصالح (ابن النديم : الفهرست ص ١٢٧) .

(٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٤ .

(٦) كان كثير من علماء الحديث ، واسمه الكامل ابو اسماعيل كثير بن اسماعيل بن نافع النواء (الاشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٨ وما بعدها) .

ولكن الفرقتين تختلفان عن السليمانية في رأيها حول تكفير عثمان ، وترك الحكم عنه الى الله عز وجل فهو « احكم الحاكمين » ، ثم تقول الفرقتان ان علياً هو افضل الناس بعد الرسول وأولاهم بالامامة ، ولكنه سلم الى الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل الأمر لهم راضياً وترك حقه راغباً « فنحن راضون بما رضي ، مسلمون لما سلم » ، وترى الفرقتان « امامة المفضول وتأخير الفاضل والأفضل اذا كان الفاضل راضياً بذلك » ، ثم تقول الفرقتان : « من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكان عالماً زاهداً شجاعاً ، فهو الامام » وشرط بعضهم صباحة الوجه ، ولهم خبط عظيم في امامين وجدت فيهما هذه الشرائط وشهرا سيفيهما ينظر الى الافضل والازهر وان تساويا ينظر الى الامتن رأياً والاحزم أمراً ، وان تساويا تقابلا فينقلب الأمر عليهم كلا ويعود الطلب جذعاً ، والامام مأموماً ، والأمير مأموراً »(١) » .

وترى الفرقتان انه في حالة ظهور اماميين في قطرين « انفرد كل واحد منهما بقطره ، ويكون واجب الطاعة في قومه ولو أفتى احدهما بخلاف ما ما يفتي الآخر كان كل واحد منهما مصيباً ، وان أفتى باستحلال دم الامام الآخر » (٢) .

يصف النوبختي آراء فرقتي الصالحية والبترية بالاعتدال ، واقترابها من آراء أهل السنة وعامة الناس فهم وان فضلوا علياً وجعلوا الامامة من حقه ، الا انهم لا يطعنون في أبي بكر وعمر(٣) .

يصف الدكتور النشار(٤) الحسن بن صالح بأنه كان أخطر رجال الحركة الزيدية على الاطلاق ، فقد اعلن ولاءه لابناء زيد وأخلص لهم دون أولاد

(١) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ ص ١٦١ .
(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ١٦١ – ١٦٢ .
(٣) النوبختي : فرق الشيعة ص ٥٥ وما بعدها .
(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٩٤ .

فاطمة الآخرين . وكان الحسن بن صالح قد شارك هو وأهل بيته في ثورة زيد بن علي ، ولكنه لا يبدو انه شارك في خروج ابراهيم بن عبدالله حتى اذا قتل ابراهيم ، وتوارى عيسى بن زيد عن أنظار العباسيين ، التجأ الى دور بني صالح ، وأصبح صالح الساعد الايمن لعيسى بن زيد ، ورافقه في أدائه الحج ، ثم نظم له الدعوة ، وحاول حثه على الخروج ولكن عيسى رفض هذه الدعوة ، ومات الحسن بن صالح بعد موت عيسى بشهرين(١) .

هذه هي فرق الشيعة الاربع التي شهدها العصر العباسي الأول (٢) وقد قامت الزيدية بالغالبية العظمى من الحركات الثورية التي شهدها العصر العباسي الأول ، فقد أصبح المذهب الزيدي أكثر مذاهب الشيعة نمواً واتساعاً في ذلك العصر . ويفسر الشيخ أبو زهرة(٣) هذا الاتساع فيجعل له أربعة أسباب : أولها فتح باب الاجتهاد ، فكان الاجتهاد من غير الأئمة اجتهاد منتسبين ولم يكن اجتهاد مستقلين ، وثانيها فتح باب الاختيار من المذاهب الاخرى فقد صار المذهب الزيدي حديقة غناء تلتقي فيها أشكال الفقه الاسلامي المختلفة ، وقد اختار الزيديون باجتهادهم من المذاهب الأخرى ما يتفق مع منطق المذهب أو أصوله . وثالث هذه العوامل وجود المذهب في عدة أماكن مختلفة متباعدة وكل اقليم يختلف في بيئته عن الاقاليم الاخرى فأصبح المذهب الزيدي يعتبر

---

(١) كان موت عيسى والحسن في عهد الخليفة العباسي الثالث المهدي ، كما سنرى في الباب الثالث من هذا البحث ، وقد أبدى المهدي سروره لموت الحسن (الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤١٧) .

(٢) اقتصر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل على ذكر هذه الفرق الاربع بينما يضيف المسعودي في كتابه مروج الذهب فرقاً أخرى ثانوية .

(٣) أبو زهرة : الامام زيد ص ٤٨٨ .

من أهل كل بلد عرفه وعاداته وتقاليده وأفكاره مما أدى الى تجديد دمـــاء هذا المذهب . أما العامل الرابع فهو وجود أئمة مجتهدين متبعين في كل عصر من العصور الأولى وحتى القرن الثامن الهجري .

ومما أفسح المجال أمام الشيعة الزيدية لتقوم بحركاتها الثورية التي استمرت طوال العصر العباسي الأول ، ركون الشيعة الامامية غالباً الى الهدوء والسلام ، واكتفاء الزعماء العلويين بالامامة الروحية .

* * *

٥ ـ محاولات أبي سلمة الخلال
لتحويل الخلافة الى العلويين

اعتقد العلويون ان العباسيين قد خدعوهم حين كانوا ينادون بتولية (الرضا من آل محمد) دون تحديد ، اذ انفرد العباسيون بالخلافة دونهم ، وخاصة ان العباسيين قد استفادوا من شيعة العلويين واعتمدوا عليهم في دعوتهم ، كما اتخذوا من وصية أبي هاشم للامام العباسي محمد بن علي طريقاً أوصلهم الى الخلافة ، ولذا بدأ العلويون يناضلون الخلفاء العباسيين كما كانوا يناهضون الخلفاء الامويين بالأمس . واضطر الخلفاء العباسيون الى الدفاع عن أنفسهم وعن دولتهم وبدأت مرحلة طويلة حفلت بمظاهر مختلفة للعداء بين العباسيين والعلويين.

أبو سلمة الخلال :

وكان أول هذه المظاهر ، مصرع أبي سلمة الخلال(١) . وهو حفص بن سليمان ، وكان مولى لبني الحارث بن كعب وهو من وجوه الكوفة ، وقد اشتهر بالعلم والفصاحة والكرم ، وقد اتصل بالعباسيين عن طريق صهره بكير بن ماهان كاتب ابراهيم الامام ، وحينما أدرك بكير قرب منيته ، أوصى الامام بأن يعهد الى أبي سلمة بالقيام بأمر الدعوة العباسية بدله . وقد بذل أبو سلمه كثيراً من الجهود من أجل هذه الدعوة .

---

(١) ذكر صاحب الفخري (ص ١٣٦) ثلاثة تفسيرات لتسميته بالخلال فقال : « قيل في تلقيبه بالخلال ثلاثة اوجه : احدها ان منزله بالكوفة كان قريباً من محلة الخلالين وكان يجالسهم فنسب اليهم .. وثانيها انه كان له حوانيت يعمل فيها الخل فنسب الى ذلك وثالثها أنها نسبة الى خلل السيوف وهي اغمادها » .

بعد بيعة أبي العباس بالخلافة ، استوزر أبا سلمة ، ولقبه (وزير آل محمد)(١) ولم يكن أبو العباس محباً له ، فقد كان «في النفس أشياء»(٢)، ولكنه اضطر الى توليته ، ونرى ان ذلك كان بدافعين : اولهما مكانته بين أهالي خراسان وهم عصب الدولة العباسية وأنصارها ، وثانيهما منزلته من شيعة العلويين وكأن أبا العباس قد أراد تسكين خواطرهم وقد بدا هذا في تسمية ابي سلمة بوزير آل محمد دون تسميته بوزير بني العباس (٣) .

يجمع المؤرخون على ميل أبي سلمة الى تحويل الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي ، مما أدى الى مصرعه بأمر من الخليفة أبي العباس . فيقـول الطبري(٤) : « لما بلغ أبا سلمة قتل مروان بن محمد ابراهيم الذي كان يقال له الامام بدا له الدعاء الى اولاد العباس ، واضمر الدعاء لغيرهم » . ويقـول اليعقوبي(٥) أن أبا سلمة « دبر أن يصير الأمر الى بني علي » .

ويقول المسعودي (٦) : « وقد كان أبو سلمة ، حفص بن سليمان حين بلغه مقتل ابراهيم الامام ، أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية الى آل أبي طالب » . ويقول صاحب الفخري (٧) : « وقام أبو سلمة بأمر دعوتهم ، أي العباسيين ، قياماً عظيماً ، فلما سبر أحوال بني العباس عزم على العدول عنهم الى بني علي عليه السلام » .

---

(١) منحه نقباء الدعوة العباسية هذا اللقب وسلموا اليه الرياسة (الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٤) .

(٢) الفخري ص ١٣٨ .

(٣) في الحقيقة كانت مهام أبي سلمة تشبه مهام الكاتب الأموي ، فيقول المسعودي « استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيراً » (التنبيه والاشراف ص ٢٩٤) .

(٤) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٨٥ .

(٥) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٨١ .

(٦) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٨ .

(٧) الفخري ص ١٣٧ .

كما أشار ابن عساكر(١) والمقدسي(٢) الى محاولة أبي سلمة لتحويل الخلافة الى العلويين ويصف الدينوري(٣) أبا سلمة بأنه كان من كباز الشيعة .

أسباب ولاء أبي سلمة للعلويين :

وقد نتساءل : ما الذي جعل أبا سلمة يتحول عن ولائه من العباسيين الى العلويين ؟ ولا نستطيع ان نقول ان أبا سلمة كان مخدوعاً في الدعوة العباسية حينما دعت الى (الرضا من آل محمد) كما خدع كثير من شيعة العلويين ، فقد كان أبو سلمة في مقدمة الدعاة العباسيين وهو صهر بكير بن ماهان من أوائل وأكابر الدعاة ، وقد كانا يدعوان للامام محمد بن علي العباس ، ويقفان على كل اسرار الدعوة العباسية وأبعادها ووسائلها . ولكننا نستطيع ان نقول ان اختيار أبي مسلم الخراساني لقيادة الثورة في خراسان كان العامل الأول في هذا التحول في ولاء أبي سلمة ، فقد استطاع أبو مسلم ان يتقدم الصفوف ، ويحجب جميع الدعاة العباسيين وكان صاحب اليد الطولى في اسقاط الدولة الاموية واقامة الدولة العباسية الى جانب شعوبيته وقسوته ، وما أقدم عليه من اضطهاد للعناصر العربية . وتنكيل بأنصار الامويين مما حفلت به المصادر العربية القديمة(٤) .

وخير ما يبرز ما كان من عداء بين أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخراساني ، ما رواه المسعودي ، فقد كتب أبو مسلم الى أبي العباس يشير عليه بقتل أبي سلمة ، وجاء في كتابه : « قد أحل الله لك دمه ، لانه قد نكث وغير وبدل» . ولكن أبا العباس رفض ذلك وقال :« ما كنت لافتتح دولتي بقتل رجل من

---

(١) ابن عساكر : التاريخ الكبير ج ٤ ص ٣٧٧ .
(٢) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٦ ص ٦٧ .
(٣) الاخبار الطوال ص ٣٣٦ .
(٤) الطبري ج ٦ ص ٧٠ ـ ٧٥ ، الفخري ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

شيعي ، لا سيما مثل أبي سلمة وهو صاحب الدعوة وقد عرض نفسه ، وبذل مهجته وانفق ماله ، وناصح إمامه وجاهد عدوه » . وأشار أبو جعفر المنصور وداود بن علي على أبي العباس بقتل أبي سلمة ، فرفض ذلك فنصحه بأن يحترس منه ، فأجاب أبو العباس « كلا اني لآمنه في ليلي ونهاري وسري وجهري ووحدتي وجماعتي (١) » .

اتخذ تحول ميول أبي سلمة عن العباسيين الى العلويين ، صورا كثيرة ، سلبية وايجابية . أما الصور السلبية فبدت في موقفه من أبي العباس وأبي جعفر المنصور بعد قدومهما الى الكوفة ، بعد القبض على الامام ابراهيم وموته في سجن الخليفة الأموي مروان بحران ، فروى الطبري(٢) والمسعودي(٣) ان أبا سلمة أخفى أبا العباس والمنصور وكتم أمرهما أربعين يوماً عن جميع القواد والشيعة وكان كلما سألوه عن الامام قال : ليس هذا وقت خروجه . وقد رفض أبو سلمة أن يمنح أبا العباس مائة دينار كان قد طلبها منه ليمنحها لصاحب الابل التي حملت العباسيين من الحميمة الى الكوفة(٤) . وكان ابو العباس يتوقع امتناع أبي سلمة عن البيعة له ، ولذا حينما خرج أبو سلمة للقائه عند أول قدومه الى الكوفة ، طلب أبو العباس من أنصاره ان يكونوا على حذر ، وان يقدموا على قتل أبي سلمة ان هو امتنع عن البيعة ، ولكن أبا سلمة خيب ظنون أبي العباس ، وسلم عليه بالخلافة(٥) ، ويروي الطبري ان احد رجال أبي العباس ، وهو أبو حميد ، قال لأبي سلمة حينما بايع أبا العباس : على رغم

---

(١) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٨٤ ، انظر أيضاً تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ٨٩ والاخبار الطوال للدينوري ص ٣٦٨ .

(٢) الطبري جـ ٦ ص ٨٠ .

(٣) مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٦٨ .

(٤) الطبري جـ ٦ ص ٨٦ .

(٥) الطبري جـ ٦ ص ٨٧ .

أنفك(١) . وكان أبو سلمة يمن على أبي العباس بأفضاله على وصوله الى الخلافة فيقول ابن قتيبة(٢) : « « وكان أبو سلمة يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين » .

كان أبو العباس واقفاً على ميول أبي سلمة نحو العلويين ، ولكنه آثر السكوت عليها ، اذ كان يمر بفترة قلقة حرجة فلا تزال الدولة الاموية قائمة وخليفتها مروان بن محمد على قيد الحياة . وبعد البيعة لأبي العباس ، رأى ان يرحل عن معسكره بظاهر الكوفة الى الهاشمية بعد أن تأكد من اتجاهات أبي سلمة ، فروى الطبري : « وأقام أبو العباس في المعسكر أشهراً ، ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية في قصر الكوفة وقد كان تنكر لأبي سلمة قبل تحوله حتى عرف ذلك » .

رسائل أبي سلمة إلى زعماء العلويين :

ثم بدأت المرحلة الايجابية ، فقد رأى أبو سلمة ان تتخذ ميوله نحو العلويين صورة فعالة . فكتب ثلاث رسائل الى ثلاثة من زعماء العلويين حينئذ ، وهم جعفر بن محمد الصادق(٣) ، وعبدالله المحض بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٤) ، وعمر الاشرف بن زين العابدين(٥) . والثلاث رسائل من نسخة واحدة ، وفي كل رسالة « يدعو كل واحد الى الشخوص اليه ليصرف الدعوة اليه ويجتهد في بيعة أهل خراسان له(٦) » .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٨١ .

(٢) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٢٣١ .

(٣) سنتحدث عن موقف الامام جعفر الصادق من الخلافة العباسية في فصل خاص من هذا البحث .

(٤) وهو الذي سيثور ابناه محمد النفس الزكية وابراهيم في عهد الخليفة المنصور كما سنرى في الباب القادم من هذا البحث .

(٥) الفخري ص ١٣٧ .

(٦) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٨ .

أعطى أبو سلمة رسائله الثلاث الى رسول أمين من شيعة العلويين المخلصين وأمره بأن يقصد اولا جعفر بن محمد الصادق فان أجاب ابطل الكتابين الآخرين وان لم يجب قصد عبدالله المحض فان أجاب هذا أبطل الرسالة الثالثة ، وان لم يجب قصد عمر(١) . فقد كان جعفر اعظم شخصيات البيت العلوي ، فهو من أحفاد الحسين بل يصفه ابن عماد(٢) بانه سيد بني هاشم جميعاً في عصره .

رحل الرسول ، وهو محمد بن عبد الرحمن الى المدينة حيث التقى بجعفر بن محمد الصادق ، ودفع اليه بكتاب أبي سلمة ، فقال جعفر : وما أنا وأبو سلمة ؟ وأبو سلمة شيعة لغيري . ووضع جعفر الكتاب على سراج حتى احترق ، وقال للرسول : عرف صاحبك بما رأيت . ثم تمثل ببيت شعر للكميت بن زيد هو(٣):

أيا موقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب

وخرج الرسول بالكتاب الثاني الى عبدالله المحض فأبدى هذا سروره بما حوته الرسالة وخرج من فوره الى دار جعفر بن محمد الصادق واطلعه على الكتاب وقال له : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني الى ما أقبله ، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان ، فقال جعفر : يا أبا محمد ، ومتى كان أهل خراسان شيعة لك ؟ انت بعثت أبا مسلم الى خراسان ، وأنت أمرته بلبس السواد ؟ وهؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم او وجهت فيهم ؟ وهل تعرف منهم أحداً ؟ ولم يقتنع عبدالله المحض بمقالة جعفر وقال : انما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهدي هذه الأمة . فقال جعفر : والله ما هو مهدي هذه الأمة ولئن شهر سيفه ليقتلن . وغضب عبدالله المحض ، وصاح في جعفر : والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد. فقال جعفر : والله ما هذا الا نصح مني لك ، ولقد كتب الي أبو سلمة بمثل ما كتب به اليك ، فلم يجد رسوله

---

(١) الفخري ص ١٣٧ .
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٩ والجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٦ .

عندي ما وجد عندك ، ولقد احرقت كتابه من قبل ان أقرأه . وغادر عبدالله دار جعفر غاضباً(١) .

وقصد الرسول الزعيم العلوي الثالث عمر بن زين العابدين، فرد الكتاب وقال : آنا لا أعرف صاحبه فأجيبه (٢) .

مصرع أبي سلمه الخلال :

ورأى الخليفة أبو العباس أن يقف من أبي سلمة موقفاً حازماً ، فجمع خاصته وحاشيته ليشاورهم في أمره وذكرهم بما فعله أبو سلمة مع العباسيين عند قدومهم الى الكوفة ، وحجبهم عن أنصارهم أربعين يوماً ، ونقل اليهم نبأ مكاتبة أبي سلمة لزعماء العلويين . فقال أحد خاصة العباسيين : ما يدريكم لعل ما صنع أبو سلمة كان عن رأي أبي مسلم . فقال أبو العباس : لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم أنا لبعض بلاء الا ان يدفعه الله عنا (٣) .

لم يشأ أبو العباس أن تكون نهاية أبي سلمة الخلال على يديه ، حتى لا يثير مشاعر الشيعة ضده ، ورأى ان يعهد بذلك الى خصمه اللدود أبي مسلم الخراساني فبعث اليه بكتاب « يعلمه فيه بما عزم عليه أبو سلمة من نقل الدولة عنهم ، ويقول له : انني قد وهبت جرمه لك » . وباطن الكتاب يقتضي تصويب الرأي في قتل أبي سلمة(٤) ، وبعث أبو العباس هذا الكتاب مع أخيه أبي جعفر المنصور

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٩ — روى اليعقوبي في تاريخه (ج ٢ ص ٣٤٩) ان عبد الله بن الحسن قال لرسول أبي سلمة : أنا شيخ كبير وابني محمد أولى بهذا الامر . ثم أرسل الى جماعة من بني أمية وقال : بايعوا لابني محمد ، فان هذا كتاب أبي سلمة حفص بن سليمان الي . فقال جعفر بن محمد : أيها الشيخ لا تسفك دم ابنك .

(٢) الفخري ص ١٣٨ — وكان عمر بن زين العابدين قد انصرف عن مشاكل السياسة الى الدين والعلم .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٠٢ ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٣٣٦ .

(٤) الفخري ص ١٣٨ .

وبعث أبو مسلم ، بجماعة من أهل خراسان قتلوا أبا سلمة ، وزعم ان الخوارج هي التي قتلته(١) .

ومن هذا كله نرى ان العلويين لم يكن لهم من القوة وكثرة الانصار ما يعيد لهم سبيل الوصول الى الخلافة ، فلم يروا بداً من الاستكانة حتى تتهيأ لهم الاحوال فيمتشقون الحسام ويقومون بطلبها . ومن هذا لا نعجب اذا رفض العلويون عروض أبي سلمة عليهم في عضده ، مما أدى الى قتله على يد السفاح بعد ان وقف على رغبته في تحويل الخلافة الى العلويين(٢) .

علق الدكتور الجومرد على محاولة أبي سلمة الخلال تحويل الخلافة الى العلويين فقال : والواقع ان محاولة أبي سلمة هذه كانت أشبه باللعب بالنار ، ولا ندري على ماذا كان اعتماده في هذه المحاولة ، بعد أن تكللت الثورة العباسية بنصر كبير ، وسيوف زعيمها أبي مسلم الخراساني من بني العباس ؟ والظاهر ، انه كان يريد ان يخلق جبهة ثالثة علوية ، تقوم بعد ان تضعف الجبهتـــان المتصارعتان ، الاموية ، والعباسية ، فتكون النتيجة لها . ولكنه أخطأ تقدير الزمن اذ كانت الثورة العباسية تتقدم نحو نهاية النصر باسرع مما كان يتصور(٣).

أهمل أبو مسلم الخراساني أبا جعفر المنصور حين كان لديه في خراسان، مما اثار غضبه ، فعاد الى أبي العباس يقول : «لست خليفة ولا آمرك بشيء ان

---

(١) الطبري ج ٦ ص ١٠٣– المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧٠–٢٧١ . وذكر الجهشياري (الوزراء والكتاب ص ٨٤ – ٨٥) ان ابا مسلم الخراساني كلف مرار بن أنس الضبي بقتل أبي سلمة الخلال وروى ابن خلكان (وفيات الاعيان ج ١ ص ١٦٣) ان أبا العباس السفاح انشد حينما علم بمصرع أبي سلمة :

الى النار فليذهب ومن كان مثله　　　على أي شيء فاتنا منه نأسف

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٨٦ .

(٣) أبو جعفر المنصور ص ٩٩ يرى الدكتور الدوري (النظم الاسلامية ص ٢١٨) ان نكبة الخلال كانت مظهراً لغموض وضع الوزارة ، وللتصادم بين سلطة الخليفة وسلطة الوزير .

تركت ابا مسلم ولم تقتله » ، ولكن أبا العباس أدرك خطورة الاقتراح ، ورأى ارجاء تنفيذه (١) .

استوزر السفاح بعد مصرع أبي سلمة ، أبا الجهم بن عطية ، وهو مولى فارسي من صنائع أبي مسلم الخراساني ، ولذا أصبح عيناً على الخليفة ينقل أخباره الى أبي مسلم(٢) .

وحدث بعد مصرع أبي مسلم ، ان شهدت مدينة واسط قتالا عنيفاً بين الجيش العباسي بقيادة الحسن بن قحطبة ، والجيش الاموي بقيادة يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقد رأى ابن هبيرة ، رغم مقتل الخليفة الاموي وسقوط دولته ، الاستمرار في مقاومة العباسيين . ثم رأى ابن هبيرة ان يدعو لزعيم علوي . فبعث برسالة الى محمد بن عبد الله بن الحسن ، ولكنه أبطأ عليه في الرد ، ولذا اضطر ابن هبيرة الى قبول الامان الذي عرضه أبو جعفر المنصور نيابة عن أخيه أبي العباس (٣) .

أبدى عبدالله بن الحسن العلوي سخطه على السياسة التي انتهجها الوالي الأموي داود بن علي في التنكيل بأنصار بني أمية ، حيث أسرف في سفك دمائهم ، فقال الزعيم العلوي له : « يا ابن اخي ، اذ قتلت هؤلاء كلهم فمن تباهي بملك الله » ؟ ولكن داود بن علي رفض النصيحة واستمر في سياسته الدموية(٤) .

---

(١) اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥١ ، الطبري ج ٦ ص ١٠٤ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ١٠٧ الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٩٣ .
(٣) الطبري ج ٦ ص ١٠٧ – واسط : هي المدينة التي انشأها بالعراق الحجاج الثقفي في العصر الاموي (اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٣٢٢ وياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٣٧٩ – ٣٨٠) .
(٤) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٣٥ .

ويبدو ان ركون الشيعة الامامية الى الهدوء ، الى جانب انشغال أبي العباس في هدم بقايا آثار الدولة الاموية ، لم يدع مجالا لقيام حركات شيعية ثورية : ولذا لم يلق أحد من العلويين حتفه على يد أبي العباس ، فيقول الاصفهاني(١) عنه : « ولا أعلمه قتل احداً منهم ولا أجرى الى جليس له مكروهاً » .

* * *

(١) مقاتل الطالبيين ص ١٧٣ .

الباب الثاني

جهاد الشيعة الزيدية والإمامية
في عصر الخليفة العباسي المنصور

١ ـ ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز .

٢ ـ ثورة ابراهيم بن عبدالله في البصرة .

٣ ـ موقف الإمام جعفر الصادق والشيعة الإمامية من الخليفة المنصور .

٤ ـ الصراع الفكري بين الشيعة والعباسيين وموقف الإمامين مالك وأبي
وأبي حنيفة .

١ ــ ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز

شهد عصر أبي جعفر المنصور ، اول حركة ثورية تقوم بها جماعة الشيعة الزيدية ضد الدولة العباسية ، وقد حمل لواء هذه الثورة زعيمان اخوان، هما محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم ، وهما ابنا عبدالله بن الحسن الذي أصبح ابناؤه واحفاده يحملون لواء الثورة ضد الدولة العباسية .

يتفق المؤرخون على ان أبا جعفر المنصور ، ثاني الخلفاء العباسيين ، هــو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، فقد قام بنصيب كبير في الدعوة العباسية وفي الخلاص من الدولة الاموية واقامة الدولة العباسية ، وكان الساعد الايمن لأخيه أبي العباس ، أول الخلفاء العباسيين ، حتى اذا تولى المنصور الخلافة سنة ١٣٦ هـ ارسى قواعد الدولة العباسية ، اذ قضى على اعدائها وخصومها ، وبنى العاصمة العباسية الكبيرة بغداد ، كما وضع أسس النظم الادارية والمالية .

محمد النفس الزكية :

كان أبرز زعماء الشيعة عند تولي أبي جعفر المنصور الخلافة ، جعفــر الصادق ابن محمد الباقر امام الشيعة الامامية ومحمد بن عبدالله المعروف بالنفس الزكية ، أما جعفر الصادق فقد آثر الركون الى الهدوء والامتناع عن المطالبة بالخلافة اذ رأى ان الظروف غير مؤاتية فقد كانت الدولة العباسية لا تزال في أول عهدها ، وفي أوج قوتها كما رأى بطش أبي العباس وأبي جعفــر المنصور باعدائهما ، اذ لم يجد المنصور بأساً من الخلاص من أبي مسلم الخراساني الذي حمل لواء الدعوة العباسية وأرسى قواعد الدولة العباسية ، كما أقدم على

التنكيل بعمه عبدالله بن علي رغم بلائه من أجل قيام دولة بني العباس(١) : وستتحدث بالتفصيل عن موقف جعفر الصادق في فصل خاص من فصول هذا البحث .

أما الزعيم الآخر ، وهو محمد النفس الزكية ، فكان أكثر العلويين تطلعاً الى الخلافة ، وقد بدأ طموحه فيها منذ أواخر العصر الاموي ، حين بايعه كثير من بني هاشم ومن بينهم أبو جعفر المنصور(٢) .

أطلق القوم على محمد بن عبد الله اسم (النفس الزكية) (٣) ويفسر المسعودي(٤) هذه التسمية فيقول : وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه «كما اطلق عليه أيضاً اسم «المهدي»» ، وفي ذلك يقول صاحب الفخري(٥) كان النفس الزكية من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفاً وديناً وعلماً وشجاعة وفصاحة ورئاسة وكرامة ونبلا ، وكان في ابتداء الأمر قد شيع بين الناس انه المهدي الذي بشر به ، واثبت ابوه هذا في نفوس طوائف من الناس ، وكان يروي ان الرسول صلوات الله عليه وسلامه قال (لو بقي من الدنيا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه مهدياً او قائماً اسمه كاسمي واسم ابيه كاسم أبي) .

كما أطلق على النفس الزكية ايضاً اسم « صريح قريش » ويفسر الاصفهاني هذه التسمية فيقول « لانه لم يقم عنه ام ولد في جميع اباته وامهاته وجداته »(٦) .

---

(١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦٠ وما بعدها ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٣٤ وما بعدها .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٠٦ ، الفخري ص ١٤٧ .

(٣) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣١٤ .

(٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٦ .

(٥) الفخري : ص ١٤٨ .

(٦) مقاتل الطالبيين ص ٢٣٣ ، الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ١٢ وما بعدها .

ظل محمد النفس الزكية منذ اواخر العصر الاموي يعتقد انه صاحب الحق الشرعي في الخلافة دون أبي العباس وأبي جعفر المنصور ، بل اعتقد ان هذين الخليفتين العباسيين قد اغتصبا حقه في الخلافة ، وان في عنقهما بيعة له ، ولذا امتنع محمد النفس الزكية عن البيعة للخليفتين .

ويفسر الاصفهاني (١) حرص أبي العباس والمنصور على طلب البيعة من النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، بما كان في عنقهما من بيعة للنفس الزكية ، فيقول الاصفهاني « فلما ظهرت الدعوة لبني العباس وملكوا ، حرص السفاح ، والمنصور على الظفر بمحمد وابراهيم ، لما في اعناقهم من البيعة لمحمد ، وتواريا فلم يزالا يتنقلان في الاستتار ، والطلب يزعجهما من ناحية الى أخرى ، حتى ظهرا فقتلا » .

وتحدث الاصفهاني (٢) عن بيعة المنصور لمحمد النفس الزكية في أواخر العصر الأموي ، فروى عن عبدالله بن سعد الجهني أنه قال : « بايع أبو جعفر محمداً مرتين (٣) انا حاضر احداهما بمكة في المسجد الحرام ، فلما خرج أمسك له بالركاب ثم قال : أما انه ان أفضى اليكما الأمر نسيت لي هذا الموقف .

شاع بين الناس أن النفس الزكية هو « المهدي » ، وقد اجتهد أبوه عبدالله ابن الحسن في نشر هذه العقيدة ، فكان يقول «ان ابنه محمد هو المهدي الذي بشر به الرسول عليه الصلاة والسلام » . ثم ألقى الله محبته على الناس ، فمالوا اليه كافة ثم عضد ذلك ان اشراف بني هاشم بايعوه ورشحوه للأمر ، فقدموه على نفوسهم فزادت رغبته في طلب الأمر وزادت رغبة الناس فيه(٤) .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٠٩ .
(٣) كانت البيعة الثانية في الابواء ، وهو مكان بأعلى المدينة ومثل البيت العباسي ابراهيم بن محمد ابن علي ، وأبو جعفر المنصور ، وصالح بن علي . ومثل بيت الحسن بن علي عبدالله بن الحسن وابناه محمد النفس الزكية وابراهيم ، كما حضر الاجتماع بعض بني عثمان (الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ٢٧) .
(٤) الفخري ص ١٤٨ ، الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ٢٧ .

وشاع بين الناس رواية تقول انه « يملك رجل اسمه اسم النبي صلى الله عليه وآله ، واسم امه على ثلاثة احرف اولها هاء وآخرها دال (١) » وكانت هذه الرواية تنطبق على النفس الزكية ، فاسمه محمد وأمه هي هند بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الاسود بن المطلب(٢) وتشبع محمد النفس الزكية بهذه الرواية التي تناقلها الناس ، حتى انه كان يعد نفسه منذ صغره لتولي الامامة ، فيقول الاصفهاني(٣) « لم يزل محمد بن عبدالله بن الحسن ، منذ كان صبياً ، يتوارى ويراسل الناس بالدعوة الى نفسه ويسمى بالمهدي» ويذكر الاصفهاني(٤) ايضاً ان أبا جعفر المنصور أراد صرف عواطف الناس عن النفس الزكية ، فسمى ابنه محمداً كما لقبه بالمهدي أيضاً .

موقف النفس الزكية وأخيه ابراهيم من خلافة المنصور :

امتنع محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم عن البيعة لأبي العباس اول الخلفاء العباسيين . وقد سكت الخليفة عن ذلك ، فقد كانت الدولة العباسية في أول عهدها ، تواجه كثيراً من المشاكل والاضطرابات . فرأى ان يؤجل أمر الزعيمين العلويين الى حين تتهيأ الظروف له .

وفي أواخر عهد أبي العباس ، رحل أخوه وولي عهده أبو جعفر المنصور الى الحجاز حاجاً سنة ١٣٦ هـ ، وفي المدينة ، خرج وجوه القوم اليه لتحيته والسلام عليه ، ولم يتخلف منهم غير محمد وابراهيم ولدي عبدالله بن الحسن . فسأل المنصور عبدالله عن ولديه فانكر علمه بمكانهما واغلظ كل منهما القــول للآخر ، مما أدى الى غضب المنصور فاقترح احد خاصته عليه قتل عبدالله ،

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٢٤٠ ، كان النفس الزكية يعتز بأن اسمه محمد وبأن اسم أبيه هو عبدالله تشبيهاً بالرسول .
(٢) كان عبدالله المحض هاشمياً خالصاً فأبوه من سبط الحسن وأمه من سبط الحسين .
(٣) مقاتل الطالبيين ص ٢٣٩ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٤٠ .

ولكن والي المدينة زياد بن عبدالله الحارثي هدأ من ثورة المنصور ، وتعهد بالبحث عن محمد وابراهيم والقبض عليهما(١) ، واكتفى المنصور بهـذا التعهد ، وأقر الوالي في ولايته ، وبدأ رحلته الى بلاد العراق(٢) .

وفي طريق المنصور الى العراق ، جاءه نبأ وفاة أخيه أبي العباس ، وعلم ان الخلافة قد آلت اليه ، فبعث برسول الى الحجاز ، ليأخذ البيعة له بالخلافـة من أهل مكة والمدينة دون ان يتخلف احد عنها ، كما بعث المنصور مع رسوله رسالة الى زياد بن عبدالله يحثه فيها بالجد في البحث عن النفس الزكية وابراهيم ، وأخذ البيعة منهما(٣) .

ثم توالت احداث خطيرة عاجلة ، شغلت الخليفة الجديد ، أبا جعفر المنصور فقد كان عليه الخلاص من أبي مسلم الخراساني ، ومن عمه عبدالله بن علي ، وكان عليه مواجهة حركات الزنادقة ، وثورات الخوارج . حتى اذا انتهى من مواجهة هذه الاخطار والتغلب عليها ، عاود الاهتمام بأمر الحجاز ، حتى تستقر لاوضاع في هذا القطر الاسلامي المقدس الذي شهد مشرق أنوار الاسلام اومهبط الوحي ، والذي تتجه اليه انظار المسلمين جميعاً في مشارق الارض ومغاربها . وكانت الانباء تتواتر الى المنصور باتساع الدعوة لمحمد النفس الزكية(٤) .

وفي خضم هذه الاحداث ، رأى المنصور ان يقف على أمر النفس الزكية ، ولذا نراه في موسم الحج سنة ١٣٨ هـ يعهد الى أمير الحج الفضل بن صالح بن علي العباسي بالوقوف على أمر النفس الزكية وأخيه ابراهيم دون ان يثير اضطراباً فقال المنصور له : « ان وقعت عيناك على محمد ، وابراهيم ابني عبد الله بن

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ١٥٦ الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٤٩ .

(٣) الطبري جـ ٦ ص ١٥٦ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ٢٧٠ .

(٤) ابن نشوان : الحور العين ص ٢٧١ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ٢٧٠ .

حسن فلا يفارقك، وان لم ترهما فلا تسأل عنهما » وقدم الفضل الى المدينة فتلقاه أهلها جميعاً ، عدا محمداً وابراهيم فتوجه لعبدالله بالسؤال عن ولديه ، فقال : ما منع ابنيك ان يلقياني مع اهلهما ؟ فأجاب عبدالله : ما منعهما من ذلك ريبة ولا سوء . ولكنهما مهومان بالصيد واتباعه لا يشهدان مع أهليهما خيراً ولا شرا. وسكت الفضل، وما لبث ان عاد الى العراق بعد نهاية موسم الحج(١) .

وفي عام ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) خرج المنصور الى بلاد الحجاز حاجاً ورأى ان يولي أمر الدعوة العلوية الاهتمام . وجمع المنصور بني هاشم وفيهم العلويون فاغدق عليهم الصلات والاعطيات ، ثم اختلى بكل منهم على حدة ، فكان المنصور يسأل عن محمد النفس الزكية . فكان كل منهم يقول : « يا أمير المؤمنين قد علم انك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ، فهو يخافك على نفسه ، وهو لا يريد لك خلافاً ، ولا يحب لك معصية(٢) .

ولم يحد عن هذا القول من بني هاشم غير حسن بن زيد بن حسن بن علي الذي قال للمنصور : « والله ما آمن وثوبه عليك ، فانه للذي لا ينام عنك ، فر رأيك » .

ورأى المنصور ان يعاود الكرة مع عبدالله بن الحسن ، ولعله يظفر منه بمكان ابنيه محمد النفس الزكية وابراهيم . فدعا المنصور الى مائدته بني العباس وفيهم عبدالله بن الحسن . وتوجه المنصور اليه فقال : يا أبا محمد ، محمد وابراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي ، واني لأحب ان يأنسا بي ويأتياني ، فأصلهما وأزوجهما واخلطهما بنفسي واطرق عبدالله طويلا ثم قال : وحقك

(١) الطبري جـ ٦ ص ١٥٨ - كان علماء آل أبي طالب يقولون عن النفس الزكية (المقتول باحجار الزيت) وهي احجار قرب المسجد عند السوق بالمدينة قرب الزورواء وهي ثلاثة احجار كان يضع الزياتون عليها زيتهم (الشعراني : مختصر تذكرة القرطبي ص ٢٣١ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ١٣٣) .

(٢) الطبري جـ ٦ ص ١٥٦ .

يا أمير المؤمنين ما لي بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ، ولقد خرجا عن يدي(١) » .

ورأى المنصور ان يتمالك نفسه ويصبر على عبدالله ، فروى الاصفهاني(٢) انه امتنع عن غذائه ذلك اليوم ليتفرغ للترحيب بعبدالله بن الحسن ومحادثته في أمر ابنيه ، واستمر المنصور يلح على عبدالله في السؤال عن مكان اختفاء ابنيه ، واستمر عبدالله يقسم بأنه لا يعرف موضعهما ، فيقول المنصور : لا تفعل يا أبا محمد لا تفعل يا أبا محمد .

وطلب عبدالله بن الحسن من المنصور امهاله ، ثم خرج سراً الى سليمان ابن علي العباسي ، فقال له : يا أخي ، بيننا من الصهر والرحم ، فما قولك فيما نحن فيه مع أبي جعفر ؟ فقال سليمان : ان أخي عبدالله بن علي في محبسه لأنه ثار عليه والموت بيننا وبينه في كل ساعة ، ولو كان المنصور عافياً عن ابنك لعفونا عن عمه قبله(٣) .

والتقى عبدالله بالمنصور ثانية ، ثم كانت القشة التي قصمت ظهر البعير . فقد كان المنصور مع ابنه المهدي يطلعان على كتاب ورد عليهما ، وتكلم المهدي مع أبيه فلحن في الكلام . فقال عبدالله : يا أمير المؤمنين الا تأمر بهذا من يعدل لسانه فانه يفعل كما تفعل الأمة ؟ وأبدى المنصور غضبه فصاح في عبدالله : أين ابنك ؟ فأجاب لا ادري فقال المنصور : لتأتيني به ، فقال عبدالله : لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، فأمر المنصور من فوره بالقبض على عبدالله وأسرته وسجنهم(٤) .

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ١٦٠. الاصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٢١٣ – ٢١٤ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٤ .
(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٧٠ .
(٤) الطبري جـ ٦ ص ١٦١ ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ٢١٥ .

روى الطبري(١)ان انصار محمد النفس الزكية وابراهيم أرادوا اغتيال أبي جعفر المنصور حينما حج في سنة ١٤٠ وتعهد الاشتر عبدالله بن محمد بن عبدالله بالقيام بالاغتيال ، ولكن النفس الزكية رفض هذا المشروع ، وقال: والله لا أقتله أبداً غيلة حتى ادعوه وكان قد انضم الى هؤلاء المتآمرين قائد من قواد الخليفة يدعى خالد بن حسان ، وهو من أهالي خراسان . وعلم المنصور بأمر هذا القائد وحاول القبض عليه ولكنه اخفق في ذلك . ووجه النفس الزكية هذا القائد الى خراسان للدعوة اليه ، وانتقم المنصور من هذا القائد بأن قتل كثيراً من رجاله .

اضطهاد العلويين بالمدينة :

سجن عبدالله بن الحسن في دار مروان بالمدينة حيث ظل حبيساً ثلاث سنوات(٢) وابدى محمد النفس الزكية ألمه لما نال أباه واسرته من اضطهاد وما يعانونه في سجنهم ، فقدم مع أمه هند سراً ، وطلب منها ان تتوجه الى أبيه عبدالله في سجنه لتقول له : « يقول لك محمد بأنه يقتل رجل من آل محمد خير من أن يقتل بضعة عشر رجلا » . ونقلت هند الى زوجها مقالة ابنها ، فقال عبدالله : « حفظ الله محمداً ، لا ولكن قولي له فليأخذ في الأرض مذهباً ، فوالله ما يحتج عند الله غداً الا أنا خلقنا وفينا من يطلب هذا الأمر(٣) . وكانت هذه العبارات كافية ليمضي محمد النفس الزكية في طريقه وفي دعوته ساعياً الى تولي الخلافة ومواجهة الدولة العباسية وخليفتها المنصور .

وأدرك المنصور ان ارهاب العلويين وسجن عبدالله بن الحسن واسرته لم تجد نفعاً ، ورأى ان يتخذ طريق الحيلة والدهاء للكشف عن مكان اختفاء محمد النفس الزكية ، فكتب رسالة على لسان الشيعة موجهة الى محمد النفس الزكية ،

---

(١) الطبري ج ٦ ص ١٦١ — ١٦٢ .
(٢) ابن نشوان : الحور العين ص ٢٧٢ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٥ — ٢١٦ .

يذكرون فيها طاعتهم له ويطالبونه بالمسارعة في اعلان ثورته . وارفق المنصور الرسالة بكثير من الاموال والهدايا وتوجه هذا الرجل الى عبدالله بن الحسن في سجنه فاطلعه على الرسالة . فقال عبدالله للرجل ان ابنه النفس الزكية مختف في جبل جهينة وطلب منه ان يقصد علي بن حسن ليدله على مكان النفس الزكية . وكادت حيلة المنصور ان تنجح ، لولا ان كاتباً للمنصور كان يعتنق مذهب الشيعة ، كتب الى عبدالله بن الحسن يطلعه على خبر هذا الرسول المزيف الذي بعثه المنصور ، فبعث عبدالله ببعض رجاله يحذرون علي بن حسن ومحمداً النفس الزكية من رسول المنصور ، وعاد هذا الرسول الى المنصور خائباً (١) .

كان والي المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي قد تعهد للخليفة المنصور قبل رحيله الى العراق ، بالبحث عن مكان اختفاء محمد النفس الزكية . ولكنه تعاون في البحث عنه ، فقد كان يدرك ان المنصور يقتل محمداً اذا قبض عليه ولم يشأ هذا الوالي أن يلقي دمه على عاتقه . وتوالت كتب المنصور على واليه يستحثه على البحث عن مكان محمد . وحدث ان قدم محمد الى المدينة فاستقبله زياد مرحباً واعطاه الامان ، وتواعدا على مواجهة الناس في سوق المدينة(٢) . ووقف زياد يقول : أيها الناس ، هذا محمد النفس الزكية وتصايح أهل المدينة « المهدي المهدي » ثم وجه زياد الحديث الى محمد فقال له : الحق بأي بلاد الله شئت (٣) ، وتوجه محمد الى عدن ثم الى السند فالكوفة ، وعاد اخيراً الى المدينة .

علم أبو جعفر المنصور بموقف زياد من محمد النفس الزكية فغضب لذلك غضباً شديداً اذ عصا أوامر الخليفة ، وخرج على ولائه للدولة العباسية ، فكتب الى قاضي المدينة عبد العزيز بن عبد المطلب بن عبد الله بالقبض على زياد ومصادرة

(١) الطبري ج ٦ ص ١٦٣ — ١٦٤ .
(٢) تقع هذه السوق عند الزووراء وعلى مقربة من المسجد (معجم البلدان ج ١ ص ١٣٣) .
(٣) الطبري ج ٦ ص ١٦٤ — ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

أمواله وعزل رجاله وانصاره . ونفذ القاضي أوامر الخليفة ، فقبض على ابن زياد وكبله بالاغلال ووجد في بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار . وقال زياد : « والله ما أعرف لي عند أمير المؤمنين ذنباً ، غير أني أحسبه وجد علي في ابني عبدالله ووجد دماء بني فاطمة علي عزيزة(١) » ثم انشد زياد :

أكلف ذنب قوم لست منهـــم وما جنت الشمال على اليمـــين

ولى الخليفة المنصور على المدينة والياً جديداً ، هو محمد بن خالد بن عبدالله القسري ، وأمره بالجد في طلب محمد النفس الزكية ، وبسط يده في النفقة ، فقدم الى المدينة في أول رجب سنة ١٤١ هـ . ومضت الايام دون ان ينجح محمد بن خالد في مهمته التي وكلها المنصور اليه واستبطأه الخليفة ، وكتب اليه يأمره بكشف المدينة وأعراضها(٢) . ولكن الوالي الجديد كان كسلفه في امتناعه عن اراقة دماء بني الحسن ، فكتب الى المنصور يعلمه بأن النفس الزكية قد غادر المدينة قبل قدومه اليها ، وتنقل في كثير من الأمصار الاسلامية ، فعزله المنصور من ولاية المدينة .

استشار الخليفة المنصور أحد خاصته وهو أبو العلاء ، فيمن يوليه عـــلى المدينة ويوكل اليه أمر محمد النفس الزكية ، فأشار عليه الرجل بتولية رجل من آل الزبير بن العوام أو من آل طلحة بن عبيد الله ، فهم يعلمون جميعاً عداءهم لعلي بن أبي طالب ، وانه قد وقف الزبير وطلحة من علي بن أبي طالب موقفاً عدائياً في حرب الجمل(٣) كما بايع عبدالله بن الزبير نفسه خليفة في الحجاز

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ١٦٦ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٥٥ .

(٢) الطبري جـ ٦ ص ١٦٦ ، الشريف تاج الدين غاية الاختصار ص ١٥ .

(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ١ ص ٦٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

واضطهد آل علي بن أبي طالب وخاصة ابنه محمد بن الحنفية(١) ، كما قضى على المختار الثقفي نصير آل علي(٢) .

رفض أبو جعفر المنصور هذا الاقتراح ، وقال : قاتلك الله ، ما أجـــود رأياً جئت به ، والله ما غبي هذا علي ، ولكني أعاهد الله ان لا أثأر من أهل بيتي بعدوي وعدوهم ، ولكني أبعث عليهم صعلوكاً من العرب فيفعل ما قلت .

ولى الخليفة المنصور على المدينة رباح بن عثمان بن حيان ، وهو ابن عم مسلم بن عقبة ، قائد الخليفة الاموي يزيد بن معاوية ، الذي حاصر المدينة ، وقاتل اهلها في موقعة الحرة ، وقتل كثيراً من أهلها وأباح المدينة لجنده أياماً أعملوا فيها القتل والسلب وانتهاك الاعراض(٣) .

استدعى المنصور رباح بن عثمان اليه ، وأخبره باختياره والياً على المدينة وأمره بأن يتكتم هذا الاختيار ، وشرح له مهمته وحدثه بأعمال زياد وابن القسري في البحث عن محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، وأمره بالاسراع في الرحيل الى المدينة .

قدم رباح الى المدينة في أواخر شهر رمضان سنة ١٤٤ هـ وقصد من فوره الى دار مروان ، وكان عبدالله بن الحسن محبوساً في قبة الدار منذ عهد زياد

(١) اضطهد ابن الزبير بعض الهاشميين لامتناعهم عن البيعة له بالخلافة ، ومنهم محمد بن الحنفية الذي غادر مكة الى ناحية رضوى ، ومنهم عبد الله بن العباس الذي خرج الى الطائف (المسعودي مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٤) .

(٢) قضى مصعب بن الزبير ، والي أخيه عبد الله بالعراق ، على حركة المختار في موقعة حروراء (ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ١١١ – المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٤٣) .

(٣) أباح مسلم بن عقبة المدينة لجنده ثلاثة أيام ، احرقوا فيها معظم احياء المدينة وقتلوا النساء والاطفال ويذكر ابن قتيبة (الامامة والسياسة جـ ١ ص ١٥٢) ان مسلم قتل ثمانية من صحابة الرسول ، وانه افنى البدريين وقتل من القرشيين والانصار سبعمائة فضلاً عن عشرة آلاف من سائر الناس – ثم زحف مسلم نحو مكة لقتال ابن الزبير ، ولكنه مات في الطريق (ابن الاثير : الكامل جـ ٤ ص ٥١) .

ابن عبيد الله . وبعث رباح بأحد العلويين ، وهو الحسن بن زيد ، الى السجين يطلب منه الكشف عن مكان اختفاء ابنه محمد . فقال عبدالله : « يا بن أخي ، والله لبليتي أعظم من بلية ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، وان الله عز وجل أمر ابراهيم ان يذبح ابنه ، وهو لله طاعة ، قال ابراهيم (ان هذا لهو البلاء المبين) وانكم جئتموني في ان آتي بابني هذا الرجل فيقتلهما ، وهو لله جل وعز معصية »(١) .

ثم دخل رباح على عبدالله بن الحسن في سجنه ، فقال له : أيها الشيخ ان أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة ، ولا يد سلفت اليه ، والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد وابن القسري ، والله لأزهقن نفسك ، أو لتأتيني بابنيك محمد وابراهيم(٢) ، ولم يظفر رباح من السجين بجواب .

وبدأ رباح ينزل سخطه على سلفه محمد بن خالد القسري فقبض عليه وكبله بالاغلال وأمر بضربه بالسياط ضرباً مبرحاً .

وقف رباح على منبر المدينة ، فخطب في أهلها خطبة تذكرنا بالخطبة التي ألقاها الحجاج بن يوسف الثقفي في مسجد الكوفة (٣) وجاء في خطبة رباح :

« يا أهل المدينة ، أنا الافعى ابن الافعى ، عثمان بن حيان ، وابن عم مسلم بن عقبة المبيد خضراكم ، المغني رجالكم ، والله لادعنها بلقعاً لا ينبح فيها كلب (٤)» .

زادت كلمات رباح أهل المدينة سخطاً ، فاستشاطوا غضباً ، فما زالت وقعة الحرة وما صحبها من فظائع ماثلة في اذهان أهالي المدينة ، فصاحوا في وجه رباح : « يا ابن المجلود حدين ، لتكفن او لنكفنك عن أنفسنا » .

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٦ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ١٦٨ .
(٣) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ٣١ .
(٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٢ .

وتناهى الى اسماع رباح ان محمد النفس الزكية مختف في شعب من شعاب رضوى (١) ، فعهد الى عمرو بن عثمان بن مالك الجهني ، وهو من بني جشم، بالخروج في خيل ورجال ، للبحث عن محمد النفس الزكية والقبض عليه . وعلم محمد بقدوم رجال رباح فأسرع الى الفرار ، ولكن ولداً من أولاده ، هوى من فوق الجبل فلقي حتفه ، فأنشد محمد(٢) :

منخرق السربال يشكو الوجـى تنكبه اطراف مور حـداد
شرده الخوف فأزرى بـه كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت له راحـة والموت حتم في رقاب العباد

نجا محمد النفس الزكية بنفسه ، وظل ينتقل من مكان الى آخر ، ولم يجد رباح من ينزل به سخطه غير أهل المدينة ، فصعد على المنبر يسب محمداً وأخاه ابراهيم ووصفهما بالفاسقين الخالعين الطاعة ، ثم هجا أمهما هند ابنة أبي عبيدة هجاء فاحشاً مما اثار سخط أهل المدينة ، فاحتجوا عليه ، فقال مهدداً :

« الصق الله بوجوهكم الذل والهوان ، أما والله لاكتبن الى خليفتكم فلأعلمنه غشكم وقلة نصحكم » . فثار الناس عليه وصاحوا في وجهه « الناس لا تسمع منك يا ابن المحدود » ورجموه بالحصى ، فأسرع بالفرار والالتجاء الى دار مروان ، واحتشد الناس حول الدار يوجهون اليه اقذع الشتائم والسباب(٣) .

طلائع الثورة في المدينة :

كتب رباح الى الخليفة يشرح له عصيان أهل المدينة ويفوض له أمرهم ،

---

(١) ويسمى جبل جهينة وهو من عمل ينبع .
(٢) الطبري ج ٦ ص ١٧١ – ١٧٢ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥٨ .
(٣) الطبري ج ٦ ص ١٧١ – ١٧٢ .

فكتب المنصور رسالة وجهها الى أهالي المدينة ، وطلب من رباح ان يقرأها عليهم من فوق المنبر وجاء في هذه الرسالة :

« يا أهل المدينة ، فان واليكم كتب الي يذكركم غشكم وخلافكم وسوء رأيكم واستمالتكم على بيعة أمير المؤمنين . وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا ليبدلنكم بعد أمنكم خوفاً ، وليقطعن البر والبحر عنكم ، وليبعثن عليكم رجالا غلاظ الأكباد بعاد الارحام (١) » .

وقد قصد المنصور بهؤلاء الرجال بعاد الارحام ان يبعث الى المدينة جيشاً من أهالي فارس وخراسان وهم شيعة العباسيين لانزال العقاب بأهل المدينة .

لم تفلح رسالة المنصور في تهدئة النفوس الثائرة في المدينة ، فلم ير المنصور بداً من الرحيل الى الحجاز في موسم الحج سنة ١٤٤ هـ ورأى المنصور الا يدخل المدينة وهي تضطرم بنار السخط والثورة عليه ، فنزل موضعاً خارجها يسمى (الربذة)(٢) وقدم والي المدينة رباح على الخليفة ، يصف له ما عاناه من عصيان أهل المدينة وأمر الخليفة واليه باحضار المسجونين من بني الحسن ، لعله يظفر منهم بمكان اختفاء محمد النفس الزكية .

حمل رباح المسجونين الى الخليفة ، وهم مكبلون بالاغلال وألقوا بهم في الموضع الذي أقام المنصور فيه . وشعر عبدالله بن الحسن بالعطش الشديد فصاح يا معشر الناس « من يسقي ابن رسول الله شربة ماء ، فلم يجد مجيباً . ومثل المسجونون بين يدي المنصور ، فقال عبدالله للخليفة : يا أبا جعفر والله ما هكذا فعلنا باسرائكم يوم بدر ، كتفل المنصور عليه(٣) .

---

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٥٢ .

(٢) الربذة : من قرى المدينة على بعد ثلاثة أميال منها وبها قبر أبي ذر الغفاري (ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٢٢) .

(٣) الطبري جـ٩ ص ١٧٦ — يذكره بوقوع العباس بن عبد المطلب أسيراً يوم بدر .

سأل المنصور بني الحسن عن مكان محمد النفس الزكية فلم يظفر منهم بجواب فأخذ يعنفهم ونكل ببعضهم(١) . ثم أمر المنصور بانفاذهم الى الكوفة على ظهور ابل بدون وطاء(٢) . وهناك أنزلوا في سجن قصر ابن هبيرة . قرب الهاشمية وكان السجن سرداباً تحت الأرض ، حيث لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل(٣) . ولقي كثير من المسجونين حتفهم في هذا السجن المظلم ، فكان منهم محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، فاحتزوا رأسه وبعثوا بها مع جماعة من الشيعة الى خراسان فطافوا بالرأس في مدن خراسان ، وهم يزعمون انه رأس محمد النفس الزكية(٤) .

أفاض الجاحظ في وصف ما لحق ببني الحسن ، فقال : ومضى المنصور ببني حسن الى الكوفة فسجنهم بقصر ابن هبيرة ، وأحضر محمد بن ابراهيم ابن حسن واقامه ، ثم بنى عليه اسطوانة وهو حي وتركه حتى مات جوعاً وعطشاً ثم قتل أكثر من معه من بني حسن . وكان ابراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب فيمن حمل مصفداً بالحديد من المدينة الى الأنبار ، وكان يقول لاخويه عبدالله والحسن : تمنينا ذهاب سلطان بني أمية ، واستبشرنا بسلطان بني العباس ، ولم يكن قد انتهت بنا الحال الى ما نحن عليه(٥) .

أدرك المنصور خطورة ما أقدم عليه من سجن كثير من آل علي بن أبي طالب وكان يعرف تشيع كثير من أهل فارس وخراسان ، وتقديرهم الكبير لعلي وآل بيته . ولذا كان عليه ان يبرر موقفه من هؤلاء العلويين فصعد على المنبر بالهاشمية وألقى خطبة طويلة(٦) بدأها بقوله :

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٠ .

(٢) اي بدون غطاء .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٦ .

(٤) الطبري ج ٦ ص ١٨٣ ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ٢٢٦ .

(٥) الجاحظ : النزاع والتخاصم ص ٧٤ .

(٦) انظر نص الخطبة في مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٣١١ .

« يا أهل خراسان ، انتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دعوتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا خيراً منا . ان ولد ابن أبي طالب تركناهم والذي لا اله الا هو والخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير » .

ثم استعرض المنصور تاريخ العلويين فتحدث عن موقف الحكمين من علي ابن أبي طالب وانقسام جنده ، وما كان من مصرعه . ثم تحدث المنصور عن تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم أشار الى خذلان أهل الكوفة للحسين بن علي مما أدى الى مصرعه . ثم تحدث المنصور عن ثورة زيد بن علي وتحذير محمد بن علي العباسي ، والد المنصور ، وداود بن علي ، عمه ، لزيد من خذلان أهل الكوفة(١) ، ثم أشار المنصور الى ما لاقاه بنو العباس من اضطهاد الامويين لهم نتيجة ثورات العلويين(٢) ثم تحدث عن موقف العلويين من الدولة العباسية فقال : « فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله وحكمه العدل وثبوا علينا ، حسداً منهم لنا وبغياً عليهم ، بما فضلنا الله به عليهم ، واكرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه ، وجبناً من بني أمية وجرأة علينا . واني والله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر من جهالة ولا عن ظنة .

البيعة لمحمد النفس الزكية بالخلافة :

فطن المنصور الى انه قد اخفق تماماً في التوصل الى مكان محمد النفس الزكية . وكان عليه الانتظار حتى يقوم محمد بالثورة . وما لبث محمد حتى ظهر في المدينة سنة ١٤٥ هـ وأخذ البيعة من الناس بالخلافة ، وتلقب بأمير المؤمنين . وقد نتساءل ما الذي دفع محمد النفس الزكية الى اعلان الثورة في هذه السنة ؟

---

(١) قال داود بن علي لزيد : « اني لخائف ان رجعت معهم – أي الشيعة – ان لا يكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم » (الطبري جـ ٨ ص ٢٦٥ ، المسعودي مروج الذهب جـ ٣ ص ١٣٩-١٤٠) .

(٢) بعد اخفاق ثورة زيد بن علي اضطهد الوالي الاموي يوسف بن عمر الثقفي بني هاشم عامة (ابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ٢ ص ١٣٠) .

ذكر المؤرخون روايات كثيرة تعدد أسباباً مختلفة دفعت محمداً الى المبادرة باعلان ثورته ، فيرى الطبري(١) ان ملاحقة رباح لمحمد وتتبعه له دفعه الى الظهور ، فيقول : لما انحدر أبو جعفر ببني حسن ، رجع رباح الى المدينة ، فالح في الطلب ، وأخرج محمداً ، حتى عزم على الظهور « أما المسعودي (٢) فيرى ان ما لحق ببني الحسن على يد المنصور كان هو الدافع الى ثورة محمد فقال : « كان أي محمد – مستخفياً من المنصور ، ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعدلهم وعدتهم » ويرى ابن طباطبا مثل هذا الرأي فيقول « كان عبدالله المحض يقول للناس عن ابنه محمد هذا هو المهدي الذي بشر به هذا محمد بن عبدالله ، ثم ألقى الله محبته على الناس فمالوا اليه كافة ، ثم عضد ذلك ان اشراف بني هاشم بايعوه ورشحوه للأمر ، فقدموه على نفوسهم فزادت رغبته في طلب الأمر وزادت رغبة الناس فيه ، وما زال متغرباً منذ أفضت الدولة الى بني العباس خوفاً منهم على نفسه ، فلما علم بما جرى لوالده ، ولقومه ظهر بالمدينة وأظهر أمره»(٣). أما الاصفهاني (٤) فيرى ان ما هدد موسى أخا محمد كان سبب التعجيل بثورته فيقول : « وكان سبب عجلته بالخروج قبل ان يتم أمر دعاته الذين انفذهم الى الآفاق(٥) ، انفاذ عبدالله بن الحسن اليه موسى أخاه ليصير الى أبي جعفر ، ويزول عما كان عليه فيما أظهر له ، وأسر الى موسى غير ذلك ، فصار الى المدينة فأقام بها حولاً يدافع رباح بن عثمان ، ثم استبطأه ، وكتب الى ابي جعفر

---

(١) الطبري ج ٦ ص ١٨٣ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٤ .
(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٦ .
(٣) الفخري ص ١٤٨ .
(٤) مقاتل الطالبيين ص ٢٦٠ .
(٥) بعث محمد ابنه الحسن الى اليمن واخاه موسى الى الجزيرة واخاه يحيى الى الري ثم الى طبرستان واخاه ادريس الى المغرب واخاه ابراهيم الى البصرة ، وابنه علياً الى مصر وسنرى مصير هؤلاء الدعاة في هذا الفصل (المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ ، المقريزي : الخطط ج ٤ ص ١٥٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٨٠) .

في امره يعلمه بتربصه ، فكتب اليه يامره بأن ينحدر الى العراق ففعل ذلك ، وقال للرسل : ان رأيتم احداً قد أقبل من المدينة في طلبكم فاضربوا عنق موسى ، وقد كان أحس بخبر محمد وبلغ ذلك محمداً فظهر » .

ولكننا نرى أن الحاح أنصار محمد النفس الزكية عليه في اظهار نفسه واعلان ثورته ، كان السبب في التعجيل بذلك ، قبل ان تتوفر لهذه الثورة كل مقومات النجاح .

فيروي الطبري(١) والمسعودي(٢) والاصفهاني(٣) ان جماعة من أنصار النفس الزكية(٤) ، دخلوا عليه فقالوا له : ما تنتظر الخروج ،والله ما تجد هذه الامة أحداً أشأم عليها منك ، ما يمنعك ان تخرج وحدك ؟

بدأ محمد النفس الزكية ثورته في المدينة في أول رجب سنة ١٤٥ هـ ، واقبل كثير من أهلها على البيعة له بالخلافة فقد كان محمد ، كما وصفه صاحب الفخري (٥) من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفاً وعلماً وشجاعة وفصاحة ورئاسة وكرامة ونبلا .

قام محمد النفس الزكية بثورته فجأة ، دون ان يكون رباح بن عثمان والي المدينة قد أخذ للأمر أهميته . وقدم محمد في رفقة مائتين وخمسين رجلا الى سجن المدينة(٦) ، فاقتحموه وأطلقوا سراح المسجونين فيه . وطاف الجميع بطرقات المدينة يكبرون ويصيحون فتردد صيحاتهم في جنبات مدينة الرسول تعلن قيام احد احفاده بالثورة ضد بني العباس وحرص محمد النفس الزكية ان

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ١٨٤ .
(٢) التنبيه والاشراف ص ٣٤٠ .
(٣) مقاتل الطالبيين ص ٢٦١ .
(٤) وهم عبيد الله بن عمر ، وابن ذئب وعبد الحميد بن جعفر .
(٥) الفخري ص ١٤٨ .
(٦) كانت السجن في دار هشام .

تكون ثورته بيضاء ، فنهى أصحابه عن اراقة الدماء فكان يقول لأصحابه لا تقتلوا ، لا تقتلوا(١) .

فوجىء والي المدينة رباح بقيام الثورة ، فلم يستطع ان يحرك ساكناً ، ولم يجد مفراً غير الاعتصام بدار مروان ، وهدم درج الدار حتى لا يصل الثوار اليه . ولم يجد رباح ما ينفس به عن حنقه وسخطه غير كلمات عنيفة وجهها الى مجالسيه ، حيث قال : يا أهل المدينة ، أمير المؤمنين يطلب بغيته في شرق الارض وغربها وهو ينتفق بين اظهركم ، اقسم بالله لئن خرج لا أترك منكم أحداً الا ضربت عنقه(٢) . ولم يجد رباح من يؤيده من أهالي المدينة غير بني زهرة فقدم بعضهم بسلاحه الى دار الامارة لحماية الوالي العباسي . بينما آثر بنو سلمة الانضمام الى محمد النفس الزكية .

قدم زعيم الثورة مع انصاره الى دار الامارة فاقتحموها واستولوا على بيت المال وقبضوا على رباح وعلى أخيه عباس بن عثمان وحبسوهما في دار مروان(٣).

وصعد محمد النفس الزكية منبر المدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فانه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ألم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه ، وتصغيراً للكعبة الحرام ، وانما أخذ الله فرعون حين قال أنا ربكم الأعلى . وأن أحق النـــاس بالقيام بهذا الدين ابناء المهاجرين الاولين والانصار المواسين ، اللهم انهم قد أحلوا حرامك وحرموا حلالك وآمنوا من أخفت واخافوا من آمنت ، اللهم فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً ، أيها الناس ، اني والله ما خرجت من بين اظهركم ، وانتم عندي أهل قوة ، ولا شدة ، ولكني

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٣ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ١٨٥ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢١٣ .

اخترتكم لنفسي ، والله ما جئت هذه وفي الارض مصر يعبد الله فيه الا وقد أخذ لي فيه البيعة(١) .

وصف النفس الزكية الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور بالطغيان وشبهه بفرعون وعيره ببناء القبة الخضراء في عاصمته الجديدة بغداد ، وذكر محمد انه أحق أبناء المهاجرين في تولي الخلافة فلم يقصر الأمر على آل علي بن أبي طالب أو على بني هاشم ، كما انه كان يعرف ان المدينة هي موطن انصار الرسول ، ولذا لم تفته الاشارة اليهم . ثم أشار محمد الى ان جميع الامصار الاسلامية قد بايعت ، ولا نعلم اذا كان محمد قد ذكر ذلك لأهل المدينة تأبيداً لحقه ولحثهم على البيعة له أم انه كان موقناً فعلا ان البيعة قد أخذت له في سائر الامصار وان كنا نرجح الرأي الأول .

يعلق الدكتور حسن ابراهيم(٢) على خطبة محمد النفس الزكية ، فيقول ان الناظر في هذه الخطبة ليقف على ان محمداً كان مدفوعاً في خروجه بعدة عوامل : فقد كان ينشد الخلافة ويرى انه احق الناس بها . كما كان يحقد على المنصور لاعتلائه عرش الخلافة وتعذيبه أهل بيته حتى مات أكثرهم في السجن. وساعد على ذلك موالاة الناس له ، ولا سيما بعد ان افتى مالك بجواز بيعته واعتقاده انه قد أصبح أقوى من المنصور .

قدم كثير من أهالي المدينة على الامام مالك بن أنس يستفتونه في الخروج مع محمد النفس الزكية ، وقالوا له : ان في اعناقنا بيعة لأبي جعفر فقال مالك لهم : انما بايعتم مكرهين وليس على كل مكره يمين . وكان للامام قدر عظيم ومنزلة كبيرة في المدينة ، ولذا كانت لفتواه اثرها في اقبال أهالي المدينة على البيعة للنفس الزكية(٣) .

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ١٨٨ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٥٥ .
(٢) تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ١١٥ .
(٣) الطبري جـ ١ ص ١٩٠ ، ابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ٣ ص ٨١ .

بايع وجوه المدينة محمداً عدا نفر قليل ، منهم أبو سلمة بن عبيد الله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وحبيب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ، وعبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (١) . كما انضم الى محمد النفس الزكية فقيه المدينة محمد بن عجلان ، وكان موضع تقدير أهالي المدينة ، فكان له حلقة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يفتي فيها الناس ويحدثهم حتى اذا قامت الثورة شارك فيها(٢) ، وانضم اليه أيضاً عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن ابن المسور بن مخرمة ، وكان من أبرز علماء المدينة في الفقه والحديث والفتوى(٣) .

وأطلق محمد النفس الزكية سراح محمد بن خالد القسري(٤) ، والي المدينة السابق الذي كان قد سجنه رباح بن عثمان بن حيان . وخطب القسري أهالي المدينة قائلا : «هذه دعوة حق والله لأبلين الله فيها بلاء حسناً» ولكن القسري لم يستمر على تأييده للنفس الزكية ، فكتب سراً الى الخليفة المنصور يعلمه بقلة جند النفس الزكية وانصاره وعلم النفس الزكية بالأمر ، فسجنه . وظل القسري حبيساً ، حتى أطلق عيسى بن موسى سراحه بعد قتل النفس الزكية(٥) .

الدعوة للنفس الزكية في الأمصار الإسلامية :

بدأ محمد النفس الزكية يمارس سلطاته كخليفة ، **فاختار ولاته وعماله :** فولى الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر على مكة ، كما ولى القاسم بن

---

(١) الطبري ج ٦ ص ١٩٠ ، ابن الاثير الكامل : ج ٥ ص ٢٥٧ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٨٩ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٩١ .
(٤) كان أبوه خالد القسري والياً على العراق في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك وقد أحسن معاملة بني هاشم (الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٣٩) .
(٥) الطبري ج ٦ ص ١٩١ ، ابن الاثير ج ٥ ص ٢٥٧ .

اسحق على اليمن وموسى بن عبدالله على الشام ، ولكن الواليين لم يتسن لهما ممارسة الحكم ، فقد قتل محمد النفس الزكية قبل ان يصلا الى ولايتهما(١) .

وجه محمد النفس الزكية بعض اخوته وأولاده الى الامصار الاسلامية يدعون اليه فوجه ابنه علياً الى مصر ، وبعث ابنه عبدالله الى خراسان فلاحقه العباسيون فهرب الى السند حيث لقي حتفه . كما بعث محمد ابنه الحسن الى اليمن ، حيث قبض عليه وسجن ، وما لبث ان مات في سجنه . وبعث محمد أيضاً أيضاً أخاه موسى الى الجزيرة(٢) ، كما وجه أخاه يحيى الى الري ثم الى طبرستان وسنرى في الفصول القادمة من هذا البحث ماذا يكون الموقف بين يحيى والخليفة هارون الرشيد . كما وجه محمد أخاه ادريس الى المغرب حيث التف حوله كثير من أهلها ، وكان رحيله نواة قيام دولة الادارسة في هذه البلاد ، كما بعث محمد النفس الزكية أيضاً أخاه ابراهيم الى البصرة ، فأخذ البيعة من أهالي فارس والاهواز وغيرهما من الامصار ، ثم أعلن الثورة في البصرة حيث لقي حتفه كما سنرى في الفصل التالي (٣) .

قدم علي بن محمد النفس الزكية الى مصر ، فكان أول علوي يقدم اليها(٤) وتحدد الاستاذة الدكتورة سيدة كاشف(٥) بداية الدعوة العلوية في مصر بقدوم هذا العلوي ، في عهد المنصور ، وفي امارة حميد بن قحطبة (١٤٣–١٤٤ هـ) ، حيث دعا لأبيه وعمه . وقام بأمر الدعوة العلوية خالد بن محمد بن أبي طالب وشيعته . ولكن جهود هذا العلوي ما لبثت ان انتهت بنهاية حركتي النفس الزكية وأخيه ابراهيم . وركنت

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ١٩١ .
(٢) لم يخبرنا المسعودي الذي ننقل عنه هذا النص مصير موسى .
(٣) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٠٨ .
(٤) محمد الحسين المظفري : تاريخ الشيعة ص ١٧٥ .
(٥) سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ص ٨٨ .

الشيعة في مصر الى الهدوء طوال العصر العباسي الأول ، حتى كان عهد الخليفة العباسي المتوكل ، الذي شن حرباً شعواء على آل علي بن أبي طالب ، فكتب الى واليه بمصر يأمره باخراج العلويين من مصر الى العراق سنة ٢٣٦هـ(١).

واختلفت الروايات حول مصير علي بن محمد النفس الزكية ، فقيل انه قبض عليه وأرسل الى الخليفة المنصور ، وتذكر روايات أخرى انه اختفى عن الانظار في مصر حتى ادركته منيته . وترجح الاستاذة الدكتورة سيدة كلشف(٢) الرأي الثاني .

ومما يلفت النظر ، ان بعض الامويين الذين كانوا يعيشون في مصر ، قد بايعوا علي بن محمد ، رغم ما نعرفه من عداء تقليدي قديم بين الامويين والعلويين ، ومن هؤلاء الامويين مصعب ومنصور وزيد أبناء الاصبق بن عبد العزيز بن مروان(٣) .

اختلف موقف القبائل في بلاد الحجاز من ثورة محمد النفس الزكية ، وكانت أولى القبائل التي والته هي قبيلة جهينة التي آوته وأخفته وحمته ، كما أعلنت قبيلة مزينة ولاءها للنفس الزكية . ولكن موقف هاتين القبيلتين من الزعيم العلوي جر عليهما سخط الخليفة المنصور ، فقد أمر بالقبض عل اربعمائة من ابناء القبيلتين وتعذيبهم في (الربذة) قرب المدينة في قيظ الشمس ، بعد أن قبض على آل عبد الله عبد الحسن(٤) .

ومن القبائل التي انضمت الى محمد النفس الزكية واصبح أبناؤها عدة قواته العسكرية ، قبائل : بنو سليم وبنو بكر وأسلم وغفار . وقد اشتركت قوات

---

(١) المقريزي : الخطط ج ٤ ص ١٥٣ .
(٢) سيدة كلشف : مصر في عصر الولاة ص ٨٨ .
(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٨٠ .
(٤) الطبري ج ٦ ص ١٩٠ .

من مهينة ومزينة في السيطرة على الطائف وانتزاعها من الوالي العباسي (١) وكان بنو شجاع من جهينة أكثر جنود النفس الزكية حماسة واستبسالا .

ولكن كانت هناك قبائل اعلنت ولاءها للخليفة العباسي ولم تنضم الى محمد النفس الزكية ، وهم بنو زهرة ، وبنو عمرو وبنو غفار . وقد ساعد بنو غفار العباسيين على طعن قوات محمد النفس الزكية من الخلف حين غزت القوات العسكرية العباسية المدينة(٢) .

جزع الخليفة المنصور ووسائله في مواجهة الثورة :

ولنترك المدينة حيث أعلن محمد النفس الزكية ثورته ، وبايع لنفسه خليفة ، ولنرحل الى بلاد العراق ، لنرى **موقف الخليفة أبي جعفر المنصور من هذه الثورة العلوية .**

خرج رسول من المدينة يدعى أوس العامري ، يسرع الرحال الى الخليفة المنصور لينبئه بأمر ثورة النفس الزكية ، فقطع المسافة في تسعة أيام فقط ، فوصل الى دار المنصور ليلا ، وكانت هذه الدار على شاطىء دجلة ، حيث كان يشرف على بناء عاصمته الجديدة بغداد(٣) والح الرسول في لقاء الخليفة الحاحاً شديداً ، حتى اذا ادخله الحاجب الربيع بن يونس على الخليفة انبأه بالثورة وأبدى المنصور سروره لوصول الرسول في أيام قليلة ومنحه تسعة آلاف درهم ، ألفاً عن كل ليلة قضاها في السفر(٤) .

كان المنصور قد بدأ بناء عاصمته الجديدة بغداد فبدأ بناءها بالقصب وبلغ

---

(١) الاصفهاني : الاغاني ج ١٠ ص ٣٠١ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ١٩٥ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ .
(٤) الفخري ص ١٤٨ — ١٤٩ .

ارتفاع السور عند قيام ثورة النفس الزكية قامة . ورأى المنصور ان يتوقف عن البناء حتى يتفرغ للقضاء على الثورة وخرج المنصور الى الكوفة(١) .

ويرجع سبب خروج المنصور الى الكوفة الى انه كان قد بعث بعض خاصته الى عمه عبدالله بن علي في سجنه يستشيرونه في هذا الامر الخطير ، وكان عبد الله قد اشتهر بين العباسيين بالرأي السديد فتوجه عبدالله الى المنصور بالنصيحة فقال : ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة ، فاجثم على اكبادهم فانهم شيعة هـذا البيت وانصارهم ثم احففها بالمسالح فمن خرج منها الى وجه من الوجوه او اتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه وابعث الى سلم بن قتيبة ينحدر عليك(٢) واكتب الى اهل الشام فمرهم ان يحملوا اليك اهل البأس والنجدة ما يحمل البريد فاحسن جوائزهم ووجههم مع سلم (٣) .

وكان المنصور معروفاً بالشح والتقتير(٤) ، ولذا توجه عبدالله بن علي الى خاصة المنصور بنصيحة أخرى فقال : ان البخل قد قتله ، فمروه فليخرج الاموال فليعط الاجناد ، فان غلب فما اوشك ان يعود اليه ماله وان غلب لم يقدم صاحبه على درهم واحد(٥) .

استشار المنصور كثيراً من خاصته ومن بينهم منجمه الحارث(٦) الذي قال للمنصور : يا أمير المؤمنين ، ما يجزعك منه ، فوالله لو ملك الارض ما لبث الا تسعين يوماً(٧) .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ١٩٢ .

(٢) كان سلم بن قتيبة حينئذ بالري .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٦٤ .

(٤) اشتهر المنصور باسم (الدوانيقي) لانه كان حريصاً على الدانق . وقيمته أقل من المليم .

(٥) الطبري ج ٦ ص ١٦٤ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٦ .

(٦) كان المنصور يستعين بالمنجمين ، وقد اعتمد عليهم في تحديد اليوم الذي وضع فيه حجر الأساس لمدينته بغداد فقد استشار ابن نوبخت ، ابراهيم بن محمد الغزازي (ابن كثير : البداية والنهاية ج ٩ ص ٩٨ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٨) .

(٧) الطبري ج ٦ ص ١٦٤ .

تراسل المنصور والنفس الزكية :

رأى المنصور ان يكتب رسالة الى محمد النفس الزكية . ولم يذكر المؤرخون تعليلا لذلك ، ولكننا نرى انه أراد ان يبذل آخر محاولة سلمية لاثناء النفس الزكية عن عزمه ، وحتى يبرر لعامة الناس ما هو مقدم عليه من انفاذ الجيوش، وحتى يبدو محمد أمام الناس كثائر على الدولة العباسية اذا أبى الرجوع عما انتواه.

بدأ المنصور رسالته بآيات كريمة تحمل التحذير والوعيد(١) ، ثم تقدم بعروض كثيرة . اذا رأى محمد النفس الزكية العدول عن ثورته ، فكتب المنصور ولك علي عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ان تبت ورجعت من قبل ان أقدر عليك ان أؤمنك وجميع ولدك وأخوتك وأهل بيتك ، ومن اتبعكم على دمائكم واموالكم وأسوغك ما أصبت من دم او مال واعطيك ألف ألف درهم ، وما سألت من الحوائج وأنزلك من البلاد حيث شئت وان اطلق من في حبس من أهل بيتك وان اؤمن كل من جاءك وما بعدك واتبعك او دخل معك في شيء من امرك ، ثم لا أتبع احداً منهم بشيء كان منه أبداً، فان أردت ان تتوثق لنفسك فوجه الي من أحببت يأخذ لك من الامان والعهد والميثاق ما تثق به » (٢) .

وبعث محمد النفس الزكية برد مسهب على رسالة المنصور ، فبدأها بآيات كريمة تتحدث عن طغيان فرعون(٣) ، ثم عرض محمد الامان على المنصور

---

(١) هذه الآيات هي هي : (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل) .

(٢) الطبري جـ ٧ ص ١٩٥ .

(٣) وهذه الآيات القرآنية هي : (طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، أن فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم، يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم ، انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) .

ان دخل في طاعته ، حيث انه صاحب الحق في الخلافة ، فقال : « ... وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذي عرضت علي ، فان الحق حقنا ، وانما ادعيتم هذا الامر بنا وخرجتم له بشيعتنا وحظيتم بفضلنا ، وان أبانا علينا كان الوصي وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده احياء ؟ ثم افتخر محمد على المنصور بانتسابه الى فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم والى السيدة خديجة زوج الرسول والى الحسن والحسين ابني علي ، ثم عيّر المنصور لأنه ابن أمة(١) ثم سخر النفس الزكية من الامان الذي عرضه المنصور عليه ، لما اشتهر المنصور به من نكثه لعهوده ، فكتب محمد : «... وأنا أولى بالأمر منه وأوفى بالعهد لأنك اعطيتني من العهد والامان ما اعطيته رجالا قبلي ، فأي الامانات تعطيني ؟ أمان ابن هبيرة ؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي ، أم أمان أبي مسلم ؟(٢) .

غضب المنصور غضباً شديداً ، حين قرأ رسالة النفس الزكية ، وأبى الا ان يجيب عليها بنفسه ، فقد عرض عليه وزيره أبو أيوب المورياني ان يتولى عنه ذلك ، فأصر على رأيه فكتب رسالة طويلة كلها فخر بالانساب والآباءوالامهات والاعمام ، ثم حاول ان يدفع عن نفسه ما عيره محمد به من ان أمه جارية(٣) ، فذكر له أسماء بعض زعماء العلويين الذين انحدروا من امهات اولاد(٤) . ونفى المنصور ما يذهب النفس الزكية اليه من انه ابن الرسول عليه الصلاة والسلام ، فنفى ذلك بذكر الآية الكريمة (ما كان محمداً أبا احد من رجالكم) ثم ذكر ان النفس الزكية انما هو ابن بنت الرسول ، ولكنها « لا تجوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الامامة » . ثم ذكر المنصور ان المسلمين اختاروا أبا بكر وعمر وعثمان خلفاء دون علي بن أبي طالب ، ثم عدد المنصور مواقف

---

(١) كانت ام المنصور أم ولد وهي سلامة البربرية ، ولذا تقدم عليه أبو العباس في الخلافة ، رغم ان المنصور كان أكبر منه سناً (تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٣٦) .

(٢) انظر نص الكتاب في تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٥ — ١٩٦ .

(٣) أم المنصور هي سلامة البربرية كما ذكرنا آنفاً .

(٤) ام ولد : هي الجارية التي تنجب لسيدها .

المسلمين من زعماء العلويين وكيف انتهى مصيرهم بالقتل ، وذكر المنصور النفس الزكية بأن العباسيين هم الذين طالبوا بثأر شهداء العلويين من الامويين ، ثم اشاد المنصور بجده الأكبر العباس بن عبد المطلب ، وامجاده في الجاهلية والاسلام ، وانه هو وريث الرسول حيث لم يبق من بني عبدالمطلب بعده على قيد الحياة غيره . وذكر المنصور النفس الزكية بأن العباس(١) كان ينفق على علي بن أبي طالب وأولاده خلال الازمة التي اصابتهم ، وان العباس فدى عقيل بن أبي طالب يوم بدر(٢) . ثم ختم المنصور رسالته بقوله : « ... فكيف تفخر علينا ، وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الاسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء وورثنا دونكم خاتم الانبياء ، وطلبنا بثأركم ، فأدركنا منه ما عجزتم عنه ، ولم تدركوا لانفسكم (٣) .

المواجهة العسكرية :

بعث المنصور الى ولي عهده عيسى بن موسى فعهد اليه بقيادة الجيش الذي يوجهه للقضاء على ثورة محمد النفس الزكية ، وقال له : « امض ايها الرجل فوالله ما يراد غيري وغيرك ، وما هو الا ان تشخص او أشخص » ويرجع سبب اختيار المنصور لعيسى بن موسى ، دون غيره ، لقيادة الجيش ، الى انه كان كارهاً لتوليته ولاية العهد ، وكان المنصور يأمل ان تؤول الخلافة الى ابنه محمد المهدي ، ولذا قال لاصحابه حينما بعث عيسى لقتال النفس الزكية : « لا أبالي ايهما قتل صاحبه » (٤) ، وكانت سياسة المنصور هي رمي خصمين ببعضهما ، كما فعل بين عمه عبدالله بن علي وابي مسلم الخراساني .

---

(١) كان العباس ثرياً ويمتلك عقارات وبساتين في الطائف .
(٢) كان العباس ايضاً ممن وقعوا في الاسر يوم بدر .
(٣) انظر نص الرسالة في تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٧ – ١٩٩ .
(٤) الطبري ج ٦ ص ٢٠٤ .

أعد المنصور جيشا من أربعة آلاف فارس بقيادة عيسى بن موسى ، ثم اردفه بجيش آخر من خمسة آلاف جندي بقيادة حميد بن قحطبة الطائي . وزود المنصور الجيش بالخيل والبغال والسلاح والمؤن (١) .

كان معظم جند الجيشين اللذين بعثهما المنصور للقضاء على ثورة محمد النفس الزكية من الخراسانية ، وكانت هذه سياسة رسمها المنصور ، فلم يختر الجند من بين العرب ، خوفاً من ان يتأثروا بحرمة المدينة ، ومكانة الثوار من آل البيت العلوي ، فتخفق الحملة وتكون العاقبة وخيمة . وكانت هذه سياسة المنصور منذ البداية ، يضرب المتمردين من العجم بالعرب ، حتى وطد أركان دولته وجمع شتاتها(٢) .

وقبل رحيل عيسى بن موسى الى بلاد الحجاز ، اجتمع الخليفة المنصور به وتحدث اليه ورسم له الطريق ، وأوصاه بأهل المدينة خيراً ، وذكره بما فعله الخليفة الاموي يزيد بن معاوية بأهل المدينة ، فقال المنصور : « يا ابا موسى ، إذا صرت الى المدينة فادع محمد بن عبدالله بن الحسن الى الطاعة ، والدخول في الجماعة ، فان اجابك فاقبل منه ، وان هرب منك فلا تتبعه وان ابى الا الحرب فناجزه ، واستعن بالله عليه . فان ظفرت به فلا تخيفن اهل المدينة واشملهم بالعفو فانهم الاصل والعشيرة وذرية المهاجرين والانصار ، وجيران قبر النبي صلى الله عليه وسلم فهذه وصيتي اياك لا كما أوصى يزيد بن معاوية قائده مسلم بن عقبة(٣) ، حين وجهه الى المدينة ، وامره ان يقتل من ظهر له الى ثنية الوداع ، وان يبيحها ثلاثة ايام ، ففعل » .

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ٢٠٥ ، المسعودي مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٠٧ .
(٢) الجومرد : أبو جعفر المنصور ص ١٨٨ .
(٣) ذكر ابن قتيبة وصية يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة حين وجهه لقتال ابن الزبير الذي اعلن الثورة في مكة (الامامة والسياسة جـ ١ ص ١٥٢) قال يزيد لمسلم « ... فانهض باسم الله الى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقاً اليك ،فان صدوك او قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم ،وانهبها ثلاثاً ، فاذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها ان نصب لك الحرب فالسيف السيف ، اجهز على جريحهم واقبل على مدبرهم ، واياك ان تبقي عليهم ... » .

وكان المنصور يعلم ان مكة يأتي دورها بعد المدينة ، فأوصى عيسى بن موسى بأهل مكة ، وذكره بما فعله الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، حينما حاصر عبدالله بن الزبير في الكعبة ، فقال : « ثم اكتب الى اهل مكة بالعفو عنهم والصفح ، فانهم آل الله وجيرانه ، وسكان حرمه وأمنه ، ومثبت القوم العشرة وعظم البيت والحرم ، لا تلحد فيه بظلم فانه حرم الله الذي بعث منه نبيه صلى الله عليه وسلم ، وشرف به آباءنا لتشريف الله ايانا . فهذه وصيتي لا كما اوصى به الذي وجه الحجاج الى مكة ، فأمره ان يضع المجانيق على الكعبة ، وان يلحد في الحرم بظلم ، ففعل ذلك(١).

وحين ودع المنصور قائده عيسى بن موسى ، اوصاه أيضاً فكان مما قال : يا عيسى اني ابعثك الى ما بين هذين — واشار الى جنبيه — فان ظفرت بالرجل فشم سيفك وابذل الامان وان تغيب فضمنهم اياه حتى يأتوك به فانهم يعرفون مذاهبه(٢) . فقال عيسى : « اوصيت داعياً ، ثم أنشد :

إني أنا السيف الحسام الهندي
أكلت جفني وفريت غمدي
فكل ما تطلب عندي (٣)

تقدم عيسى بن موسى على رأس جيشه نحو المدينة ، حتى اذا بلغ (فيد) كتب الى وجوه المدينة ورؤساء قريش رسائل على خرق الحرير ، يؤمنهم ويعدهم ان تخاوا عن محمد النفس الزكية فاستجاب كثير منهم الى دعوته ، وخرج بعضهم الى عيسى بن موسى ، وكان على مسيرة خمسة أيام من

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٥ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٥ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥٨ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٥ ص ٨٦ .

المدينة ، واستطاع محمد النفس الزكية ان يقبض على بعضهم قبل مغادرتهم المدينة وسجنهم(١) .

وبعث عيسى بن موسى برسالة الى محمد النفس الزكية ، يمنحه فيها الامان وقد حمل محمد بن يزيد كتب عيسى الى النفس الزكية ووجوه المدينة . ووقف محمد بن زيد في المدينة يخاطب أهلها ويقول : « يا أهل المدينة انا محمد بن زيد ، والله لقد تركت أمير المؤمنين حياً ، وهذا عيسى بن موسى قد أتاكم ، وهو يعرض عليكم الامان » ، فقال اهل المدينة له : « قد خلعنا ابا الدوانيق » . وكتب محمد النفس الزكية رسالة الى عيسى بن موسى يدعوه الى طاعته ، ويعطيه الامان(٢) .

اقترب عيسى بن موسى من المدينة ، وأدرك محمد النفس الزكية خطورة الموقف ، فجمع اصحابه وقال لهم : أشيروا علي في الخروج والمقام . فاختلفت الآراء ثم سأله أحد أصحابه وهو عبد الحميد بن جعفر : ألست تعلم انك في أقل بلاد الله فرساً وطعاماً وسلاحاً وأضعفها رجالا ؟ فأجاب محمد : بلى . فتوجه ابن جعفر اليه بالنصيحة فقال : فالرأي ان تسير بمن معك حتى تأتي مصر ، فالله لا يرد لك راد فتقاتل الرجل بمثل سلاحه وكراعه ورجاله وماله . ولم يعجب هذا الرأي احد أصحاب النفس الزكية وهو حسنين بن عبدالله ، فرأى ان يقيم محمد في المدينة ، وذكره بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام يوم أحد : « رأيتني ادخلت يدي في درع حصينة فأولها بالمدينة » . ورأى محمد النفس الزكية ان يستمر في اقامته بالمدينة دون ان يرحل الى غيرها من الامصار(٣).

انضمت قبائل جهينة ، ومزينة ، وسليم ، وبنو بكر ، وأسلم ، وفقار ،

---

(١) الطبري ج ٥ ص ٢٠٦ ، ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٥٨ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٧ – اشتهر المنصور باسم (ابو الدوانيق) او(الدوانيقي) لشحه وتقتيره .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨ .

الى محمد النفس الزكية ، ولكنه كان يقدم جهينة مما أثار العصبية القبلية فغضبت لذلك قبائل قيس (١) .

رأى محمد النفس الزكية ان يلجأ الى الوسيلة التي لجأ اليها الرسول صلى ا عليه وسلم حينما غزت الاحزاب المدينة وهي حفر خندق حول المدينة يحميها من المغيرين. وبدأ النفس الزكية حفر الخندق، فأخرج لبنة من خندق الرسول ، فكبر وكبر الناس معه وقالوا : ابشر بالنصر ، هذا خندق جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) .

نهاية الثورة :

تقدم عيسى بن موسى حتى وصل الى (الجرف) فنزل قصر سليمان بن عبد الملك صبيحة يوم ١٢ رمضان سنة ١٤٥ هـ ، وأراد ان يؤخر القتال حتى ينتهي شهر رمضان ، ولكنه علم ان محمداً النفس الزكية قال : « ان اهل خراسان على بيعتي ، وحميد بن قحطبة قد بايعني ، ولو قدر ان ينفلت فلت » . فرأى عيسى بن موسى ان يعاجل محمداً بالقتال فتقدم نحو المدينة(٣) .

حاصر عيسى بن موسى المدينة من جميع جهاتها ، عدا جهة واحدة من ناحية مسجد أبي الجراح ، فقد تركها ليخرج منها من أراد مفارقة محمد النفس الزكية . وخاطب عيسى أهل المدينة يدعوهم الى التسليم ، فقال : « يا أهل المدينة ان الله قد حرم دماء بعضنا على بعض ، فهلموا الى الامان فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن ، خلوا بيننا وبين صاحبنا ، فاما لنا ، أو له » . فوجه أهل المدينة اليه اقذع الشتائم

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ٢٠٧ .

(٢) الطبري جـ ٦ ص ٢٠٨ كان صاحب فكرة حفر الخندق في عهد الرسول هو الصحابي سلمان الفارسي .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨ .

والسباب ، فعاد من يومه ، ثم عاد في اليوم التالي ، فألقى مثل هذه الخطبة فواجهوه بنفس الشتائم ، فانصرف الى معسكره أيضاً ثم خرج في اليوم الثالث في اعداد كبيرة من الفرسان المزودين بالاسلحة وبدأت المعركة(١) .

رمى جند خراسان أهالي المدينة بالنشاب ، فقتلوا وجرحوا عدداً كبيراً منهم ، مما آثار الرعب فأسرع بعضهم الى الفرار ، وأبلى محمد النفس الزكية ورجاله بلاء حسناً ، واستبسلوا في القتال . وصاح عيسى بن موسى يعاود عرض الامان على النفس الزكية وبذل له كثيراً من الوعود ، ولكن محمداً رفض دعوته وأصر على القتال وقال : « لا يثنيني عنكم فزع ، ولا يقربني منكم طمع » . وأبدى محمد شجاعة نادرة حتى انه قتل من اعدائه في ذلك اليوم سبعين رجلا(٢) . وكان محمد متقلداً سيف الرسول (ذي الفقار) (٣) ، وكان شعاره « أحد ، أحد » ، وهو شعار الرسول عليه الصلاة والسلام يوم حنين (٤) .

هدم الجند العباسيون جدار الخندق كما ألقوا بقتائب(٥) الابل في الخندق فنجحت الخيل في اجتيازه ، وبدأ القتال في طرقات المدينة ، ودب الخوف في قلب كثير من أهلها ، ورأوا ان لا جدوى من القتال ، فكفوا عنه ، وغادر بعضهم المدينة الى اطرافها ، والى الجبال المحيطة بها . وأدرك محمد النفس الزكية حرج الموقف ، فخرج الى دار مروان ، فاغتسل وتحنط . وتقدم احد

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢١١ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢١١ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٧١ ، لما شعر النفس الزكية بقرب منيته ، اعطى سيفه الى رجل من التجار كان محمد مديناً له باربعمائة دينار فقال له : « خذ هذا السيف فانك لا تلقى به احداً من آل ابي طالب الا أخذه واعطاك حقه » . واستمر السيف عند هذا التاجر حتى اشتراه منه والي المدينة جعفر بن سليمان : ثم اخذه منه الخليفة المهدي . الطبري (ج ٦ ص ٢١٩) .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٢١٣ ، ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٤ .

(٥) وهي الاغطية والبراذع التي كانت على ظهور الابل .

خاصته وهو عبد الله بن جعفر ، ينصحه بالخروج الى مكة حيث الحسن بن معاوية ، فرفض محمد الفكرة ، وقال : « يا أبا جعفر والله لو خرجت لقتل أهل المدينة ، والله لا أرجع حتى أقتل ، كما تقدم ابن خضير اليه يشير عليه بالخروج الى البصرة فرفض محمد هذا الاقتراح ايضاً . ولكن محمداً سمح لاصحابه بالخروج من المدينة والنجاة بأنفسهم . واستمر محمد النفس الزكية يناضل ويقاتل ، حاملا سيفه حتى لقي حتفه لاربع عشرة ليلة خلت من رمضان ، بيد حميد بن قحطبة(١) .

ارتفعت الرايات السوداء على منارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، تعلن استيلاء العباسيين على المدينة واحتز حميد بن قحطبة رأس محمد وحملها الى عيسى بن موسى . ووضع القوم الرأس بين يدي عيسى ، فسألهم : ما تقولون في هذا ؟ فحاول بعضهم الاساءة الى محمد النفس الزكية ، فنهاهم عيسى عن ذلك وقال : كذبتم والله وقلتم باطلا ، لما على هذا قاتلناه ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصا المسلمين وانه كان لصواماً قواماً(٢) . وحملت الرأس الى الخليفة المنصور بالكوفة فأمر بأن يطاف بها في طبق أبيض . وتقدمت اخت محمد النفس الزكية ، زينب وابنته فاطمة الى عيسى بن عيسى تطلبان منه الاذن بدفن الشهيد ، فسمح لهما بذلك ، فدفن في البقيع ، وكان قبره في مواجهة زقاق دار علي بن أبي طالب . ونصب عيسى عدة الوية على ابواب دور بعض أنصار العباسيين بالمدينة ، وصاح مناديه في طريق المدينة : « من دخل تحت لواء منها او دخل داراً من هذه الدور فهو آمن (٣) » . وهدأت

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢١٦ ، كانت سن محمد النفس الزكية عند مصرعه ٦٣ سنة وقد توفي كل من الرسول عليه الصلاة والسلام وعلي بن ابي طالب وهما في نفس السن .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٢٠ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٢٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٧٥ .

الامور في المدينة وأسدل الستار على هذه الثورة بعد ان استمرت شهرين وسبعة عشر يوماً ، وغادر المنصور الكوفة الى بغداد ليتم بناءها .

أمن عيسى بن موسى أهل المدينة ، وصادر أموال بني الحسن ، وقتل كثيراً من أنصار النفس الزكية ، وصلبت جثثهم ما بين ثنية الوداع الى دار عمر بن عبد العزيز ، فاستمر ذلك ثلاثة أيام حتى ضج الناس بالشكوى، حتى أمر عيسى بالقاء الجثث في مقبرة لليهود(١) . ثم استعد لمغادرة المدينة ، فولى عليها كثير بن حصين فاستمر حكمه شهراً حتى بعث الخليفة والياً آخر هو عبدالله بن الربيع الحارثي(٢) . وخرج عيسى الى مكة .

وكان قد انضم الى محمد النفس الزكية كثير من آل الزبير وولي بعضهم المناصب ، كما آزره بعض احفاد عمر بن الخطاب ، فعفا المنصور عن أحفاد عمر بينما عاقب آل الزبير عقاباً شديداً وقتل كثيراً منهم ، وقال : « أما والله لعن غير مودة بهما له — اي لمحمد — النفس الزكية — ولا محبة له،ولا لاهل بيته » . ثم قال: « لو وجدت ألفاً من آل الزبير كلهم محسن وفيهم مسيء واحد لقتلتهم جميعاً ، ولو وجدت ألفاً من آل عمر كلهم مسيء وفيهم محسن واحد ، لأعفيتهم جميعاً(٣) ، كما انضم الى النفس الزكية ابنا زيد بن علي وأبدى المنصور عجبه من اشتراكهما في الثورة ، فقال: « واعجباً لخروج ابني زيد بن علي ، وقد قتلنا قاتل أبيهما ، كما قتله وصلبناه كما صلبه وأحرقناه كما أحرقه» (٤) .

كان محمد النفس الزكية قد ولى على مكة الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وبعد مصرع النفس الزكية ، اختفى الحسن بن معاوية

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٢٣ ، كان لبني الحسن كثير من الضياع في المدينة وفي ضاحية الفرع القريبة منها . (٢) الطبري ج ٦ ص ٢٣٠ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٢٧ — انضم الى النفس الزكية أيضاً بعض خاصة الباقر ومنهم عبدالله بن عطاء .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٢٦٦ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٥٢ وابنا زيد هما الحسن وعيسى .

عن الانظار ، ثم حاول مع جماعة من آل أبي طالب ان يثوروا على والي مكة العباسي جعفر بن سليمان ، ولكن جعفراً قبض عليه ، وضربه ربعمائة سوطاً، وحبسه ، واستمر في سجنه حتى مات الخليفة المنصور ، وتولى المهدي الخلافة فأطلق سراحه(١) .

وبعد اخماد ثورة محمد النفس الزكية ، رأى المنصور ان يزيد من الترابط بين عاصمة الخلافة العباسية وبلاد الحجاز ، فأصبحت مدة حكم الولاة قصيرة كما كان الولاة يكتبون الى الخليفة بكل الاخبار السياسية والاجراءات الادارية مهما كانت كبيرة أو صغيرة(٢) ، كما عمل المنصور على عزل كل من يتهم بالتشيع من المناصب الحكومية (٣) .

وسيطر الجيش العباسي على المدينة بعد القضاء على الثورة العلوية ، ولكن الجند العباسيين أساءوا معاملة الاهالي ، مما أدى الى قلق واضطراب في المدينة فقد أعلن العباسيون نوعاً من الاحكام العرفية او النظام العسكري ، كما سطا بعض الجند العباسيين على الاسواق فأخذوا سلعاً من التجار دون اداء اثمانها(٤)، وتجمعت طائفة من الارقاء سود البشرة ، ويطلق عليهم(السودان) واعلنت العصيان ، وهاجمت بعض الجند العباسيين وهم في طريقهم الى صلاة الجمعة وقتلوا معظمهم وهجموا على دار الوالي ومخازن الطعام المخصصة للجيش العباسي فنهبوها(٥) ، ثم اقتحموا السجن واطلقوا سراح من فيه من مسجونين وخاصة من انصار العلويين ومنهم محمد بن أبي سيرة ، الذي عمل هـــو وقاضي المدينة محمد بن عمران الطلحي على تهدئة ثورتهم ، وبدأ الولاة العباسيون سياسة تحسين احوال هؤلاء الرقيق ، حتى اذا قامت حركة الحسين ابن علي في الحجاز في عهد الخليفة الهادي انضم عبيد مكة اليه (٦) .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٦٧ .
(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٩٧ ، ابن حيان : اخبار القضاة ج ١ ص ٢٥٦ .
(٣) القيرواني : زهر الآداب ج ١ ص ٨٨ – أمر المنصور الوالي زياد بن عبيد الله بعزل كاتبه وكان متشيعاً . (٤) الطبري ج ٦ ص ٢٧٠ . (٥) مؤلف مجهول : العيون والحدائق في معرفة الحقائق ص ٢٤٩ . (٦) الطبري ج ٦ ص ٢٧١ وما بعدها .

٢ ـ ثورة إبراهيم بن عبد الله في البصرة

شهد عهد المنصور حركة شيعية كبرى ، شغلت كثيراً من الامصار الاسلامية واتخذت الحركة مركزين ثوريين : أولهما في المدينة حيث ثار محمد النفس الزكية وبعث دعاته الى مدن الحجاز ، واليمن ومصر والشام وغيرها ، وثانيهما في البصرة ، حيث ثار أخوه ابراهيم بن عبدالله ، ونجح في السيطرة على الاهواز وفارس وانتشر نفوذه في واسط والمدائن وأرض السواد . وقد شهدنا نهاية ثورة النفس الزكية في بلاد الحجاز وسنشهد في نهاية هذا الفصل نهاية ثورة أخيه ابراهيم في البصرة .

ابراهيم بن عبدالله :

كان ابراهيم يكنى بأبي الحسن ، وقد تحدث الاصفهاني(١) عنه ، فقال « وكان ابراهيم بن عبدالله جارياً على شاكلة أخيه محمد في الدين والعلم والشجاعة والشدة وكان يقول شيئاً من الشعر .

بعد القبض على عبدالله بن الحسن غادر ابنه ابراهيم الحجاز ناجياً بنفسه ، وتنقل بين كثير من الامصار والمدن (٢) . فقد رحل الى عدن ، والسند والكوفة والموصل والأنبار وبغداد والمدائن وواسط . ثم استقر في البصرة مختفياً في أول سنة ١٤٣ هـ (٣) .

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٣١٥ .

(٢) ابن نشوان : الحور العين ص ٢٧٢ .

(٣) الطبري جـ ٦ ص ٢٤١ الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣١٧ .

وقد روى الطبري كثيراً من الروايات حول ما قام به ابراهيم من **مغامرات خلال** تنقله بين الأمصار ، ففي الموصل كان ابراهيم يرتاد الموائد التي كان الخليفة المنصور يمدها لعامة الناس . وقد نزل ابراهيم في الموضع الذي كان المنصور يقيم فيه عاصمته الجديدة بغداد ، وكان المنصور يحتفل ببناء **قنطرة** الصراة العتيقة ، فوقع نظره على ابراهيم وعرفه ، ولكن ابراهيم أسرع الى الاختفاء ، وبحث المنصور عنه طويلا دون ان يصل اليه واختفى ابراهيم فترة على شاطىء دجيل في ناحية مدينة الأهواز وأخبر المنجمون الخليفة المنصور بوجود ابراهيم في الاهواز ، فبعث الى عماله يحثهم على البحث عنه ، ولكنه أسرع الى الفرار فلم يصلوا اليه (١) .

وروى اليعقوبي(٢) رواية طريفة حول طريقة وصول ابراهيم الى البصره تدل على دهائه وذكائه . فقد بعث ابراهيم برجل من انصاره ، يدعى سفيان ابن يزيد الى الخليفة المنصور ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، تؤمنني وأدلك على ابراهيم بعد ان أدفعه اليك ، فقال المنصور : أنت آمن ، وأين هو ؟ فأجاب : بالبصرة ، فوجه معي برجل تثق به واحملني على دواب البريد ، واكتب الى عامل البصرة حتى أدله عليه ، فيقبض عليه ، ووجه المنصور معه أبا سويد . وخرج سفيان بن زيد ومعه غلام عليه جبة من الصوف ، وعلى عنقه سفرة فيها طعام ، فركبا مع أبي سويد على خيل البريد . حتى اذا وصلوا جميعاً الى البصرة ، قال أبو سفيان لأبي سويد : انتظرني حتى أعرف خبر الرجل . ثم مضى ولم يعد . وكان ذلك الغلام الذي عليه الجبة الصوف هو ابراهيم بن عبد الله بن الحسن ، ثم بدأ ابراهيم نشر دعوته لأخيه محمد النفس الزكية في البصرة .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤١ ، ٢٤٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٤٥٣ – ٤٥٤ .

عوامل اختيار البصرة مركزاً ثورياً :

نزل ابراهيم في البصرة في دار ، تدعى دار أبي فروة ، اتخذها مركـزاً للدعوة وأقبل عليه كثير من وجوه البصرة يبايعون اخاه محمداً ، كما اجابـه « فتيان من العرب » واحصى ديوانه أربعة آلاف . ثم انتقل ابراهيم الى دار أخرى في وسط البصرة تدعى دار أبي مروان ، واستمر في دعوته لأخيه .

ثم فوجىء ابراهيم برسالة تقدم عليه تحمل اليه اعلان أخيه محمد النفس الزكية الثورة . ويبدو ان ابراهيم كان يشعر أن الدعوة لم تنضج بعد ، وان أخاه محمداً قام بالثورة قبل اوانها ، ولذا كانت الرسالة مفاجأة له ، فيروي كل من الطبري(١) والاصفهاني(٢) عن سفيان ، أحد انصار ابراهيم انه قال : أتينا ابراهيم يوماً وهو مرعوب ، فأخبرني ان كتاب أخيه محمد جاءه ، يخبره انه قد ظهر ويأمره بالخروج ، فوجم من ذلك ، واغتم له فجعلت أسهل الأمر عليه. وقلت : قد اجتمع لك أمرك ، ومحلها المضاء والطهوى والمغيرة ، وانما ء وجماعة ، فنخرج بالليل فنقصد الحصن فنفتحه ، فتصبح حين تصبح ومعك عالم من الناس فطابـت نفسه »(٣) .

لم يكن اختيار ابراهيم لمدينة البصرة ليقيم فيها الدعوة لأخيه محمد النفس الزكية اختياراً عفوياً ، بل نتيجة الظروف السياسية ، فكانت المدينة الوحيدة التي يمكن ان تصبح مركزاً للدعوة ، وان لم تكن المدينة المثلى او المركز الافضل لقيام الثورة ويتضح ذلك في رواية للمسعودي(٤) ، اذ قال : لما ظهر محمد بن عبدالله بالمدينة دعا المنصور اسحاق بن مسلم العقيلي ، وكان شيخاً ذا رأي وتجربة ، فقال له : أشر علي في خارجي خرج علي ، قال : صف لي الرجل . قال : رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو علم

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤٦ .
(٢) مقاتل الطالبيين ص ٣١٩ .
(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٤٦ .
(٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٦ .

وزهد وورع . قال : فمن تبعه ؟ قال : ولد علي وولد جعفر وعقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير بن العوام وسائر قريش وأولاد الانصار . قال له : صف لي البلد الذي قام به . قال : بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة، ففكر ساعة ثم قال: اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال . فقال المنصور في نفسه : قد خرف الرجل ، اسأله عن خارجي خرج بالمدينة يقول لي اشحن البصرة بالرجال . فقال له : انصرف يا شيخ ثم لم يكن الا يسير حتى ورد الخبر ان ابراهيم قد ظهر بالبصرة ، فقال المنصور : علي بالعقيلي . فلما دخل عليه ادناه ثم قال له : اني كنت قد شاورتك في أمر خارجي خرج بالمدينة فأشرت علي أن أشحن البصرة بالرجال ، اوكان عندك من البصرة علم قال : لا ، ذكرت لي خروج رجل اذا خرج مثله لم يتخلف عنه احد ، ثم ذكرت لي البلد الذي هو فيه ، فاذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش ، فقلت : انه رجل سيطلب غير موضعه ، ففكرت في مصر فوجدتها مضبوطة ، والشام والكوفة كذلك، وفكرت في البصرة فخفت عليها منه لخلوها، فأشرت بشحنها، فقال له المنصور احسنت ، وقد خرج بها أخوه . »

لم يكن أمام ابراهيم سوى مدينة البصرة يعلن فيها ثورته مما حتمته الاوضاع السياسية في الامصار الاسلامية ، وان كانت مدينة الكوفة هي أصلح المدن لهذه الدعوة الشيعية، فهي موطن الشيعة منذ عصر الخلفاء الراشدين وهي المدينة التي اتخذها علي بن أبي طالب حاضرة للدولة الاسلامية(١)، وشهدت الكوفة أمجاد علي ثم البيعة لأبنه الحسن(٢). ثم دعت الكوفة الحسين بن علي ليقدم اليها من الحجاز للقيام بثورة علوية شيعية ضد الدولة الاموية (٣) . وسارعت الكوفة الى تأييد المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي أعلن انه وزير وداعية محمد بن علي ابن أبي طالب المعروف بابن الحنفية(٤). ثم شهدت الكوفة كثيراً من ثورات

---

(١) الطبري ج ٥ ص ١٧٢ — كان علي بن أبي طالب يقول : « الكوفة فيها رجال العرب وبيوتاتهم » . (٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤ .
(٣) ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٩ .
(٤) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٠٠ ، البلاذري : أنساب الاشراف ج ٥ ص ٢١٨ .

الشيعة ، أشهرها ثورة زيد بن علي ، وساهمت الكوفة في أواخر العصر الأموي في الدعوة العباسية التي استترت وراء الدعوة لتولية آل محمد الخلافة ، ثم كان اعلان قيام الخلافة العباسية في الكوفة (١) . ولكن ابراهيم ، رغم ادراكه لصلاحية الكوفة التامة لدعوته الشيعية ،الا انه لم يكن يستطيع اتخاذها مركزاً لهذه الدعوة ، فقد كان المنصور مقيماً في الهاشمية على مقربة من الكوفة(٢) . وقد اتخذ من الأمر عدته، بحيث يستطيع القضاء على دعوة ابراهيم في مهدها .

أما بلاد الشام ، فلم تكن تصلح بأي حال لتكون مركزاً لدعوة شيعية فأهلها رغم قيام الدولة العباسية ما زالوا على ولائهم لبني أمية ، فقد ارتبطت بلاد الشام بالأمويين ارتباطاً وثيقاً ، ووقف أهالي الشام وراء معاوية بن أبي سفيان في صراعه لعلي بن أبي طالب واستعان الخلفاء الامويون بجند الشام في اخماد جميع ثورات الشيعة .

أما مصر ، فقد استقرت احوالها السياسية تماماً في عهد المنصور ، ولم تشارك في مجريات الاحداث في الدولة العباسية مشاركة ايجابية فعالة ، كما لم تكن مصر أرضاً صالحة لبذر المذهب الشيعي فيها ، فكانت الغالبية العظمى من أهلها من أهل السنة(٣) .

أما خراسان فهي موطن شيعة بني العباس فقد شهدت أرضها مواد الدعوة العباسية وتطورها ونموها، حتى اينعت وكانت ثمارها قيام دولة بني العباس وحرص الخلفاء العباسيون على الارتباط بأهالي خراسان ارتباطاً وثيقاً فكانوا يتملقونهم ويمتدحونهم ويحسنون اليهم ، وقد شهدنا في الفصل السابق كيف تألف معظم جند الجيش العباسي الذي بعثه المنصور لقتال النفس الزكية من الخراسانية ، كما رأينا الخطب التي ألقاها الخليفة المنصور ووجهها الى أهالي

---

(١) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦٥ .
(٢) اليعقوبي : كتاب البلدان ص ٢٣٧ .
(٣) قال صاحب الفخري (ص ١٢٨) عن اتجاهات وميول أهالي الشام ومصر : « وأما أهل الشام ومصر فهواهم في بني أمية ، وحب بني أمية رسخ في قلوبهم » .

خراسان ، يبرر لهم ما آقدم عليه من سجن عبدالله بن الحسن وأسرته ، ثم اقدامه على قتل محمد النفس الزكية(١) .

ويتضح سر اختيار ابراهيم للبصرة ، في رواية للطبري(٢) ، فقد أشـــار أحد خاصة المنصور ، وهو جعفر بن حنظلة البهراني ، على الخليفة بالاهتمام بالبصرة، فلما سأله المنصور عن سبب ذلك أجاب : «لأن محمد ظهر بالمدينة وليسوا بأهل حرب فحسبهم ان يقيموا شأن انفسهم وأهل الكوفة تحت قدمك وأهل الشام أعداء آل أبي طالب **فلم يبق الا البصرة** » وكان الجميع يعرفون عداء أهالي الشام لآل علي بن أبي طالب ، ولذا نصح أحد خاصة المنصور باستقدام جند من أهل الشام(٣) .

وإن كانت الظروف السياسية هي التي حتمت على ابراهيم اختيار البصرة مركزاً لثورته ، فانها لم تكن صالحة تماماً لذلك ، فقد وصف الاصمعي احوال الامصار الاسلامية واتجاهاتها فقال : « البصرة كلها عثمانية ، والكوفة كلها علوية ، والشام كلها أموية ، والجزيرة خارجية والحجاز سنية(٤) . وكان تعرض البصرة لاغارات الخوارج في العصر الاموي وما لحق بها من تخريب وتدمير ، دافعاً لأهلها على الجنوح الى السلام والهدوء والابتعاد عن السياسة التي افسدت العلاقات بين الكوفة ودمشق ، فقد اصبحت الكوفة مركزاً للمعارضة وهدفاً للاضطهاد السياسي وموضع الرقابة الحكومية(٥) .

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ١٨٣ .
(٢) الطبري جـ ٦ ص ٢٤٦ .
(٣) الطبري جـ ٦ ص ٢٤٧ .
(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٥٩ .
(٥) دكتور جابر الحيني : حركات الشيعة المتطرفين واثرهم في الحياة الاجتماعية والادبية لمدن العراق ص ١٨٥ .

وكان المنصور يدرك ميول أهالي الكوفة منذ أمد بعيد نحو آل علي بن أبي طالب ، فرأى ان يأخذ للأمر اهبته ويقبض على الكوفة بقبضة من حديد . فنزل المنصور الرصافة في ظهر الكوفة ، يحيط به ألف وخمسمائة من جنده . وأجل المنصور بناء عاصمته بغداد حتى يتفرغ للقضاء على ثورة العلويين ، وقد كان حينئذ مقيماً في دير في شرقي نهر دجلة يشرف على أعمال البناء ، فتوجه اليه أحد خاصته فنصحه بالخروج الى الكوفة فقال له : « ان أهل الكوفة لمحمد شيعة ، والكوفة قدر يفور انت طبقها ، فاخرج حتى تنزلها(١) ووصف الطبري(٢) اجراءات المنصور التي اتخذها في الكوفة ، فقال : « وكان المسيب ابن زهير على حرسه فجزأ الجند ثلاثة اجزاء خمسمائة خمسمائة ، فكان يطوف الكوفة كلها في كل ليلة ، وأمر منادياً فنادى : من أخذناه بعد عتمة فقد أحل دمه بنفسه ، فكان اذا أخذ رجلا بعد عتمة لفه في عباءة وحمله فبيته عنده فاذا أصبح سأل عنه فان علم براءته اطلقه والا حبسه » .

وكان المنصور اذا علم بميل أحد أهالي الكوفة الى ابراهيم ، بعث برجاله الى بيته ليلا ، حتى اذا غسق الليل وهدأ الناس ، تسلق هؤلاء الرجال سلمـاً وتسللوا الى داره فقتلوه وحملوا خاتمه الى الخليفة(٣) .

ولما كان المنصور يعلم بميل أهالي الكوفة الى مذهب الشيعة ، فقد أمرهم جميعاً بأن يلبسوا السواد وهو شعار العباسيين ، وهدد من يمتنع منهم عن ذلك بالعقاب ، فسارع الجميع الى صبغ ملابسهم باللون الاسود ، ولم تتمكن محال الصباغة من القيام بصبغ ملابس جميع الأهالي ، فكان البقالون يبيعون المداد لهم ليسودوا به ملابسهم (٤) .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤٧ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٤٨ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣١٩ .

اتساع الدعوة :

اتسعت دعوة ابراهيم في البصرة وخرج اليه كثير من أهالي المدن . فقدم عليه كثير من أهالي الأهواز ، ووجه رجال المنصور انظاره الى ذلك فاتخذ اجراءات لمنع خروجهم . كما خرج كثير من أهالي الكوفة الى البصرة ، رغم تشديد المنصور في مراقبتهم ومنعهم من الخروج ، فكانوا يتسللون متخذين طرقاً ملتوية الى القادسية ثم العذيب ، ثم وادي السباع ، ثم ينعطفون براً نحو اليسار حتى يقدموا البصرة . ونجح المنصور في قتل بعض هؤلاء الذين خرجوا الى ابراهيم ، واحتز رؤوسهم فنصبها في بعض طرقات الكوفة لارهاب أهلها(١) . وأقام المنصور المسالح على الطرق الرئيسية بين المدن ، فكان الجند يرغمون كل مار بهم ان يقسم بالطلاق والعتاق ، والحلال والحرام، انه ليس لابراهيم شيعة ، ولا يهوى هواه ، ولا يضمر الا مثل ما اظهر (٢) .

امتدت دعوة ابراهيم الى فارس ، وقدم عليه في البصرة قوم من(الدهجرانية) أصحاب الضياع ، فقالوا لابراهيم : يا بن رسول الله ، انا قوم لسنا من العرب ، وليس لأحد علينا عقد ولا ولاء ، وقد اتيناك بمال فاستعن به، فقال ابراهيم لهم : من كان عنده مال فليعن به أخاه ، فأما ان آخذه فلا (٣) .

أدرك الخليفة المنصور خطورة دعوة ابراهيم، ورأى ان يحشد الجند استعداداً لمواجهة الثورة فبعث الى قائد الجيش العباسي الذي كان يقاتل الخوارج في الجزيرة يأمره بالعودة ، وفي الطريق اعترض اهالي (باحمشا) طريق الجند، وكان عددهم نحو ألفين ، وقالوا للقائد العباسي داود بن سليمان : لا ندعك

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٤٩ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٣٧ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٣٣ .

تجوزنا لتنصر أبا جعفر على ابراهيم . واشتبك الاهالي مع الجند العباسيين وانتهى القتال بقتل خمسمائة من الاهالي(١) .

ذكر الطبري ان ابراهيم قدم الى البصرة في أول سنة ١٤٣ ، ﻫ فأقام بها مختفياً يدعو أهلها في السر الى البيعة لأخيه محمد. ويتفق الطبري(٢) والاصفهاني(٣) بأن أول خروج ابراهيم بالبصرة كان في غرة شهر رمضان سنة ١٤٥ ﻫ .

خرج ابراهيم في ليلة أول رمضان في أربعة عشر فارساً قاصدين ناحية بني يشكر ، وقدم اليه هناك بعض أنصاره من بني تميم . وقصدوا جميعاً الى دار الامارة حيث يقيم الوالي العباسي سفيان بن معاوية فحاصروا الدار . وقدم أبو حماد الابرص لنجدة الوالي على رأس الفين من الجند ، فنجح ابراهيم وانصاره في الانتصار عليهم ، واستولوا على دوابهم واستخدموها في القتال . واشعل ابراهيم النيران في رحبة القصر فاضطر سفيان ومن معه من رجاله الى طلب الامان فأمنهم ابراهيم على أرواحهم وأمر بحبس سفيان في القصر . وقدم جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي العباسي وكانا في البصرة يومئذ على رأس ستمائة جندي لنجدة الوالي العباسي ، ولكن احد أنصاره ابراهيم قاد ثمانية وأربعين رجلا ونجح في هزيمة الاخوين العباسيين واستولى ابراهيم على بيت المال فوجد فيه مليوني درهم ففرض لكل رجل من رجاله خمسين درهماً ، فكان الناس يقولون : خمسون والجنة(٤) .

ثم اتجه ابراهيم الى السيطرة على الاهواز وفارس ، فبعث الى كل مصر منهما جماعة من رجاله ، ونجحوا في السيطرة عليهما ، وفي هزيمة اعداد كبيرة

(١) المصدر السابق .
(٢) الطبري ج ١ ص ٢٥١ .
(٣) مقاتل الطالبيين ص ٣٢١ .
(٤) الطبري ج ٦ ص ٢٥١ – ٢٥٢ الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٢٣ .

من جند العباسيين « فصارت البصرة والاهواز وفارس في سلطان ابراهيم(١)». ثم استطاع ابراهيم ان يمد نفوذه الى مدينة واسط أيضاً بعد اشتباكات حربية عنيفة بين أنصاره وأنصار العباسيين « ولم يزل ابراهيم مقيماً بالبصرة بعد ظهوره يفرق العمال في النواحي ، ويوجه الجيوش الى البلدان حتى اتاه نعي أخيه محمد » (٢).

ويحدث المسعودي(٣) عن اتساع دعوة ابراهيم فقال : « ومضى ابراهيم الى البصرة ، فأجابه اهل فارس والاهواز وغيرهما من الامصار ، وسار من البصرة في عساكر كثيرة من الزيدية ، وجماعة ممن يذهب الى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم ومعه عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب » . وكان عيسى هذا زعيم الشيعة الزيدية في ذلك الحين ، وقد حاول الخليفة المنصور استمالته ليصرفه عن تأييد ابراهيم ، دون جدوى ، فقد استمر عيسى على اخلاصه لابراهيم حتى قتل ، فتوارى عيسى الى ان مات(٤).

انضم الى ابراهيم كثير من اصحاب زيد بن علي ، وفي مقدمتهم سلام بن أبي واصل الحذاء وحمزة بن عطاء البرني ، وخليفة بن حسان الكيال .

وأعلن الامام أبو حنيفة النعمان تأييده لابراهيم فيقول الاصفهاني « كان أبو حنيفة يجهر في أمر ابراهيم جهراً شديداً ، ويفتي الناس بالخروج معه » . وقد سبق ان شهدنا تأييد الامام مالك بن أنس لحركة محمد النفس الزكية في بلاد الحجاز . وكان لموقف هذين الامامين من ثورة الاخوين ، اثره في انضمام كثير من الناس الى الثورة(٥) .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٥٢ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٥٤ .
(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٥٧ .
(٥) مقاتل الطالبيين ص ٣٦١ ، الحصري : زهر الآداب ج ٢ ص ٧١٠ .

كتب الامام أبو حنيفة الى ابراهيم يشير عليه ان يقصد الكوفة حيث تؤيده الزيدية فكتب اليه : «ائتها سرا فان من ها هنا من شيعتكم يبيتون(١) أبا جعفر فيقتلونه ، أو يأخذون برقبته فيأتونك به (٢) » وادى موقف أبي حنيفة من ابراهيم إلى غضب الخليفة المنصور عليه ، حتى قيل ان المنصور وضع له السم في شربة عسل فمات .

انضم الفقهاء إلى ثورة ابراهيم ، فيقول الاصفهاني : « ولم يتخلف أحد من الفقهاء ومن هولاء الفقهاء عباد بن العوام ، وأبو العوام القطان ، وكان الأخير من جملة محدثي البصرة ، وهو من أصحاب الحسن البصري » (٢) .

الموقف في البصرة بعد استشهاد محمد النفس الزكية :

وبينما كان ابراهيم يمضي من نجاح إلى فوز جاءه نبأ استشهاد أخيه محمد النفس الزكية في المدينة قبل عيد الفطر بأيام ثلاثة ، فكان لهذا النبأ اسوأ الأثر في نفسه فبكى أخاه طويلاً ، وخرج يوم عيد الفطر يصلي بالناس « وهم يعرفون فيه الانكسار وأخبر الناس بقتل محمد فازدادوا في قتال أبي جعفر بصيرة » (٣) .

وقف ابراهيم على المنبر يرثي أخاه بهذه الابيات (٤) :

أبـا المنـازل يا خير الفوارس   يفجع بمثلك في الدنيا قـد فجعا
الله يعلم أني لـو خسيتهـم   وأوجس القلب من خول لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخي لهـم   حتى نموت جميعاً أو نعيش معا

---

(١) يبيتونه : اي يهاجمونه ليلا .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٦٦ ، الحصري : زهر الآداب ج ٢ ص ٧١٠ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٧١ .
(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٢٢ .

ثم ألقى ابراهيم خطبة موجزة ، كان يتخللها ، بكاء حار ، فقال : « اللهم انك تعلم أن محمداً انما خرج غاضبا لك ، ونفياً لهذه المسودة (١) وايثاراً لحقك ، فارحمه واغفر له ، واجعل الآخرة خير مرد له ، ومنقلب من الدنيا » (٢) .

ولم يزد مقتل محمد النفس الزكية أخاه ابراهيم وانصاره الا حماسة واستبسالاً فعزموا جميعاً على الأخذ بثأر الشهيد من العباسيين وانطلقت ثورة ابراهيم في عنف تكتسح أمامها كل مقاومة من الدولة العباسية . وخرج ابراهيم من فوره إلى (الساجور) حيث عسكر بجيشه ، وبدأ استعداداته للزحف نحو الكوفة لقتال الخليفة المنصور ، واستنفر الناس للمعركة القريبة ، وأقبلت الرايات من كل صوب ، واحتشدت الشيعة في البصرة والأهواز وبعث ابراهيم كتائب تسيطر على البلاد المجاورة .

وكان موقف الخليفة المنصور حرجاً . فما زال الجيش الذي يتولى عيسى ابن موسى قيادته في بلاد الحجاز ، كما فرق المنصور جيوشه في الامصار المختلفة . وقدم جعفر ومحمد ابنا سلمان على المنصور ، من البصرة ، يرويان له مشاهداتهما في البصرة ، ويتحدثان عن قوة ابراهيم وكثرة جنده وشيعته . واعترف المنصور بقلة جنده وحرج موقفه فقال لهما : « والله ما أدري كيف اصنع والله ما في عسكري الا ألفا رجل ، فرقت جندي ، فمع المهدي بالري ثلاثون ألفا ، ومع محمد بن الاشعث بافريقية أربعون ألفاً ، والباقون مع عيسى بن موسى ، والله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً»(٣).

لم يكن مع الخليفة المنصور غير ألفي جندي ، معظمهم من السودان . وأراد المنصور خداع أهالي الكوفة بأيهامهم بكثرة جنده حتى لا يشجعهم على الثورة

(١) المسودة : اي العباسيون اذ اتخذوا اللون الاسود شعاراً لهم .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٣ .
(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٥٤ .

عليه فكان « يأمر بالحطب فيحزم ثم يوقد بالليل ، فيراه بالليل ، فيراه الرائي فيحسب ان هناك ناساً وما هي الا نار تضرم وليس عندها أحد (١) .

كتب المنصور إلى عيسى بن موسى بالمدينة يستحثه على الرجوع ، فسرعان ما قدم عليه ثم قدم مسلم بن قتيبة من الري ، فضم المنصور جيشه إلى جيش عيسى ، رغم ما كان بين القائدين من تحاسد وبغضاء (٢) . وراسل مسلم قبيلة بالبصرة ، فأعلنت ولاءها للعباسيين وكتب الخليفة المنصور إلى ابنه وولي عهده المهدي ، وكان بالري ، يأمره بتوجيه حازم بن خزيمة إلى الاهواز ، فأنفذه المهدي في أربعمائة ألف جندي (٣) .

شهدت الأهواز أول صدام حربي بين جند العباسيين وقوات ابراهيم . فقد قدم حازم على رأس الجيش العباسي إلى الاهواز ، حيث كان المغيرة مسيطراً عليها باسم ابراهيم ، وقام حازم بقطع الجسر ، واستولى على السفن . وبدأ الصدام بين القوتين ، ورغم ان اتجاه هبوب الرياح كان لصالح الجيش العباسي ، الا ان حازماً نجح في الحاق الهزيمة في أول الأمر بالعباسيين . ولكن توافدت الامدادات على حازم ونجح في الانتصار على المغيرة الذي آثر الانسحاب إلى البصرة ، وفقد ابراهيم بذلك الأهواز (٤) .

قضى الخليفة المنصور فترة قلقة ينتظر فيها عودة جيش عيسى بن موسى من بلاد الحجاز ، حتى يعهد اليه بالقضاء على ثورة ابراهيم بالبصرة . وكان المنصور مقدراً خطورة الموقف ، شاعراً بالحرج حتى انه خرج من قصره فأقام في معسكره وسط جنده ، وظل يقيم فوق مصلى أكثر من خمسين ليلة ،

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ٢٥٥ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٤ .
(٣) الطبري : جـ ٦ ص ٢٥٥ .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٢٧ — ٣٢٩ .

فكان عليه مجلسه ونومه ، ولم يغير الجبة حتى اتسخت . وكان إذا حاول أحد خاصته تهدئة خاطره ، أنشد : (١) .

ونصبت نفسي للرماح دريـــة ان الرئيس لمثل ذاك فعــــــول

قدم عيسى بن موسى على الخليفة المنصور ، فتنفس الصعداء ، فعهــد اليه بقتال ابراهيم . ويبدو مدى تقدير المنصور لمقدرة عيسى في هذه العبارات التي قالها لأحد خاصته : (ان ابراهيم قد عرف وعورة جانبي ، وصعوبة ناصيتي ، وخشونة قرني ، وانما جرأه على المسير إلي من البصرة ، اجتماع هذه الكور المطلة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية وقد رميت كل كورة بحجرها ، وكل ناحية بسهمها ووجهت اليهم الشهم النجد الميمون المظفر عيسى بن موسى ، في كثرة من العدد والعدة ، واستعنت بالله عليه ، واستكفيته اياه فانه لا حول ولا قوة لأمير المؤمنين الا به) (٢).

الصدام العسكري :

وجه الخليفة المنصور عيسى بن موسى لقتال ابراهيم فتقدم على رأس جيش عدته خمسة عشر ألفاً ، وجعل المنصور على مقدمة الجيش حميد بن قحطبة على ثلاثة آلاف جندي وصحب المنصور الجيش العباسي حتى بلغ نهر البصريين ثم عاد إلى الكوفة . وتقدم ابراهيم على رأس جيشه ، وكان يتألف من نحو عشرة آلاف جندي ورغم ان ديوان ابراهيم كان يضم اسماء مائة الف من أهل البصرة . وبدأ ابراهيم زحفه من خريبة البصرة نحو الكوفة (٣) .

تقدم أحد رجال ابراهيم بالنصيحة اليه ، فأشار عليه الا يتوجه لقتال عيسى ابن موسى بل يسلك طريقاً آخر يوصله إلى الكوفة حيث يفاجيء أبا جعفر

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٥٥ — ٢٥٦ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٥٨ . الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٢٧ — ٣٢٨ .

المنصور وأنهى نصيحته لابراهيم بقوله : « انك غير ظافر على هذا الرجل حتّى تأخذ الكوفة فان صارت لك مع تحصنه بها لم تقم له بعدها قائمة (١) . واشارت الزيدية (٢) على ابراهيم برفض هذه الفكرة واعتبرت هذه الخطة » من فعال السراق . تقدم رجل آخر إلى ابراهيم يدعى عبد الواحد بن زياد باقتراح آخر ، فقال : «فارجع إلى البصرة، ودعنا نقاتل عيسى فان هزمنا أمددتنا بالامداد ». واعترضت الزيدية أيضاً على هذا الاقتراح وقالت : « اترجع عن عدوك وقد رأيته ؟ » فعاود الرجل النصيحة فاقترح على ابراهيم حفر خندق حول معسكره فاعترضت الزيدية أيضاً على الاقتراح وقالت : أتجعل بينك وبين الله جنة » « فتقدم الرجل باقتراح أخير ، فقال لابراهيم « إجعل عسكرك كراديس، إذا هزم منهم كردوس ثبت كردوس » فرفضت الزيدية هذا الاقتراح أيضاً ، وقالت «لا نكون الا صفاً واحداً كما قال الله تعالى(كأنهم بنيان مرصوص)(٣).»

التقى الجيشان في (باخمرى) وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة ودارت معركة رهيبة ولحقت الهزيمة بقوات حميد بن قحطبة ، وكان على مقدمة جيش عيسى بن موسى ، وسارع الجند العباسيون الى الفرار فعرض لهم عيسى ابن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوون عليه ، ومروا منهزمين ، وأقبل حميد بن قحطبة منهزماً ، فقال له عيسى بن موسى : يا حميد ، الله الله والطاعة فقال : لا طاعة في الهزيمة(٤) ، وسمع الخليفة المنصور بنبأ الهزيمة التّي لحقت بجيشه ، فأمر باعداد الابل والدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها .

صمد عيسى بن موسى في موضعه ، رغم فرار جنده حتّى انه بقي في مائة رجل من خاصته وحشمه ونصحه البعض بالانسحاب والنجاة بنفسه ، فقال :

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ٢٥٨ .
(٢) انصار عيسى بن زيد الذي كان منضماً الى ابراهيم .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٤ ، ابن الاثير ، الكامل جـ ٥ ص ٢٢٩ .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٦ .

لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أقتل او يفتح الله على يدي ولا يقال انهزم(١). كما صمد أيضاً جعفر ومحمد ابنا سليمان وقد نجحا في انقاذ الجيش العباسي من مصيره المؤلم الذي كان قاب قوسين او أدنى .

تقدم ابراهيم في جنده ليقاتل عيسى بن موسى الذي ظل صامدا في ميدان القتال ونجح حميد بن قحطبة في جمع أشتات جنده المنهزمين ، وانضم الى عيسى وحدث ان أصيب عيسى بسهم ، فاضطر الى الانسحاب مع جنده وتبعهم جند ابراهيم ، فنادى منادي ابراهيم : الا لا تتبعوا مدبراً فعاد هؤلاء الجند وظن جند عيسى ان الهزيمة قد لحقت بجند ابراهيم المنسحبين ، فكروا في آثارهم ونجحوا في الحاق الهزيمة بهم وأصيب ابراهيم بسهم قاتل .

وطلب ابراهيم من خاصته ان ينزلوه من فوق فرسه ، وهو يقول : «وكان أمر الله قدراً مقدوراً» (أردنا أمراً وأراد الله غيره) واجتمع حوله بعض أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه . وشدد حميد بن قحطبة ورجاله الهجوم عليهم حتى اضطروهم للانسحاب . وتقدم مولى لعيسى بن موسى فاحتز رأس ابراهيم وحملها الى سيده(٢) .

شهيد باخمرى :

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لحياة ابراهيم بن عبد الله ، في ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٤٥ هـ ، وكان عمره حينئذ ثماني وأربعين سنة ، واستمرت ثورته منذ خرج الى ان استشهد ثلاثة أشهر الا خمسة أيام(٣) .

وظلت موقعة باخمرى ماثلة في الاذهان ، تروي للاجيال قصة استشهاد أحد

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٦٠ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٦١ – ٢٦٢ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٧ – ٣٤٩ .
(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٦٢ .

زعماء العلويين ، وخبر خلقة من حلقات سلسلة مقاتل الطالبيين ، وأطلق الناس على هذه الموقعة اسم (بدر الصغرى)(١) .

حملت رأس ابراهيم الى الخليفة المنصور ، فنظر اليها ثم تمثل بقول الشاعر :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى   كما قرّ عينا بالاياب المسافر(٢)

ويروي الطبري (٣) ان المنصور بكى حتى قطرت دموعه على خد ابراهيم ثم خاطب الرأس : أما والله اني كنت لهذا لكارها ، ولكنك ابتليت بي ، وابتليت بك وعقد المنصور مجلساً عاماً وأذن للناس بالدخول عليه ، فكان بعضهم يتملق الخليفة فيهجو ابراهيم ، فيبدي المنصور استياءه ، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فقال للخليفة : عظم الله اجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك ، وغفر له ، ما افرط فيه من حقك فأبدى المنصور رضاه على هذا القول مما جعل سائر القوم الذين دخلوا على المنصور يقولون مثله .

نهى ابراهيم جنده عن ان يتبعوا المدبرين من الجند العباسيين ، مما أدى الى هزيمة جنده ومصرعه . رغم ان الامام أبا حنيفة كان قد بعث برسالة الى ابراهيم جاء فيها : « اذا اظفرك الله بعيسى وأصحابه فلا تسر فيهم مسيرة أبيك في أهل الجمل فانه لم يقتل المنهزم ، ولم يأخذ الاموال ، ولم يتبع مدبراً ولم يذفف على جريح ، لان القوم لم يكن لهم فئة ، ولكن سر فيهم بسيرة يوم صفين ، فانه سبى الذرية ، وذفف على الجريح وقسم الغنيمة لأن أهل الشام كانت لهم فئة وكانوا في بلادهم(٤) .

غادر الزعماء العلويون المدينة والبصرة بعد مقتل محمد وأخيه ابراهيم ورحلوا الى الكوفة حيث اختفوا شهراً ، ولكن الربيع بن يونس حاجب المنصور فطن

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٦٥ .
(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٦ .
(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٦٣ — وقد بكى المنصور أيضاً عند سماعه نبأ موت الامام جعفر الصادق (تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١١٧) ، كما سيبكي الخليفة الهادي حينما يعلم بمصرع الحسين ابن علي (المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٣٧) .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٦٧ .

الى مكانهم وقدم بهم ليمثلوا بين يدي الخليفة المنصور . ودخل اثنان منهم ، وهما جعفر بن محمد والحسن بن زيد على المنصور ، فسألهما المنصور : أتدرون لم دعوتكم ؟ فأجاب جعفر بن محمد : لا .. فقال المنصور : أردت أن أهدم رباعكم وأروع قلوبكم واعقر نخلكم ، وأترككم بالسراة لا يغريكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق فانهم لكم مفسدة . فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ان سليمان أعطي فشكر ، وان أيوب ابتلي فصبر ، وان يوسف ظلم فغفر ، وأنت من ذلك النسل ، فعفا المنصور عنهم ، وطلب منهم ان يختاروا مدينة يقيمون بها ، فاختاروا المدينة المنورة(١) .

كان قد انضم كثير من الفقهاء والعلماء الى ابراهيم ، وفي مقدمتهم الفقيه عبادة بن العوام الذي أيد ابراهيم وشاركه حروبه وبحث المنصور عنه بعد مقتل ابراهيم فتوسط المهدي له عند أبيه ليعفو عنه ، فوهبه له واشترط عليه الا يظهر والا يحدث فظل متوارياً حتى مات المنصور فأذن له المهدي بعد توليه الخلافة بالظهور والحديث(٢) .

غضب المنصور على الامام أبي حنيفة لمناصرته لابراهيم في ثورته ، فكتب المنصور لعيسى بن موسى وهو على الكوفة يأمره بانفاذ أبي حنيفة الى بغداد(٣). ويتحدث الاصفهاني(٤) عن مصير أبي حنيفة فيقول : دعا أبو جعفر أبا حنيفة الى الطعام فأكل منه ثم استقى فسقي شربة عسل مجدوحة ، وكانت مسمومة فمات من غد ، ودفن في بغداد في المقابر المعروفة بمقابر الخيزران (٥) .

وكان عبدالله بن الحسن وآله لا يزالون في سجن المنصور ، بعد مقتل محمد النفس الزكية وابراهيم ، وقد تناقص عددهم اذ مات كثير منهم في ذلك السجن

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥١ – جعفر بن محمد : هو الامام جعفر الصادق .
(٢) المصدر السابق ص ٣٦٧ .
(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣١ – ٣٣٣ .
(٤) مقاتل الطالبيين ص ٣٦٨ .
(٥) الخيزران هي زوجة المهدي وأم الهادي والرشيد .

المظلم غير الصحي فبلغ عدد من بقي منهم خمسة . وأمر الخليفة المنصور حاجبه الربيع بن يونس بحمل رأس ابراهيم الى أبيه عبدالله في سجنه . فأخذ عبد الله رأس ابنه فوضعه في حجره وقال له: أهلاً وسهلا يا أبا القاسم. والله لقد كنت من الذين قال الله عز وجل فيهم (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل) ثم قال عبد الله للربيع قـل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام ، والملتقى يوم القيامة ونقل الربيع هذا القول إلى المنصور ، ويصف الربيع وقع هذه الكلمات في نفس المنصور فيقول : فما رأيت المنصور قط أشد انكساراً منه في الوقت الـذي بلغته فيه هذه الرسالة (١) .

وكان الجدير بالمنصور ، بعد الذي حدث ، أن يمن على من بقي من بني الحسن ويخفف عنهم كربتهم ويطلق سراح المسجونين منهم ، ولكنه لم يفعل ، فمات عبد الله بن الحسن في سجنه وجماعة آخرون معه ، وبقي طوال مدة خلافته غير راض عنهم وعمن شهر السيف معهم ، ومن أفتى لهم من الأئمة بالخروج عليه ، ومنهم الامام أبو حنيفة والفقيه عبد الحميد بن جعفر ، وابن عجلان في البصرة والامام مالك بن أنس في المدينة وقد أصيب هؤلاء كلهم بأذى منه (٢).

وكان مصرع ابراهيم ايذاناً بنهاية نفوذه في الامصار الاسلامية . وكان ابراهيم قد بعث عمرو بن شداد ومعه ثلاثون رجلاً من أنصاره إلى فارس فطردوا عنها والي الخليفة المنصور وسيطروا على البلاد حتى إذا علم عمرو بمصرع أبيه سارع إلى الفرار إلى كرمان ثم إلى البصرة ، حيث اختفى هو وأصحابه . وما لبث المنصور ان قبض عليه فقطع يديه ثم رجليه ثم ضرب عنقه (٣) .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٠ – ٣١١ .
(٢) الجومرد : ابو جعفر المنصور ص ١٩٢ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٣١ .

واستمر اهل واسط على ولائهم حتى لقي ابراهيم حتفه وكان ابراهيم قد ولّى عليها هارون بن سعد ، فأسرع إلى الفرار إلى البصرة (١) .

عوامل إخفاق ثورتي النفس الزكية وإبراهيم :

انتهت حركتا محمد النفس الزكية وابراهيم بالاخفاق ، واستشهد الزعيمان ولنا أن نتساءل عن عوامل اخفاق هاتين الحركتين الشيعيتين الثوريتين ، رغم قوتهما وخطورتهما ، واتساع انتشارهما في كثير من الأمصار الاسلامية ، واقبال كثير من المسلمين على تأييدهما ومؤازرتهما . فقد انتشرت الدعـــوة للاخوين في الحجاز والعراق وخراسان ومصر ، وبلغ جند محمد النفس الزكية مائة ألف ، كما أحصى ديوان ابراهيم بالبصرة مائة ألف أخرى (٢) . كما قامت الحركتان في فترة حرجه من فترات حكم الدولة العباسية فقد واجه الخليفة المنصور كثيراً من الفتن والاضطرابات الداخلية في مقدمتها محاولات ابي سلمة الخلال لتحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين وعداء أبي مسلم الخراساني ، كما واجه المنصور أيضاً الفتنة التي أثارها عمه عبد الله بن علي وانضم اليها كثير من المناوئين لخلافة المنصور . كما ثارت في عهد المنصور حركات الزنادقة التي كانت تهدد كيان الدولة العباسية ، فضلاً عن تهديدها للاسلام والعروبة والنظم الاجتماعية (٣) . إلى جانب استمرار خطورة الخوارج وترقب بني أميه الفرصة للانتقام والثأر ، فضلاً عن المشاكل الخارجية مع الدولة البيزنطية .

يمكننا ان نصنف العوامل التي أدت إلى اخفاق حركتي محمد النفس الزكية

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣٢ .
(٢) الاشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٩ .
(٣) انظر كتابنا (الزندقة والشعوبية) تجد كثيراً من التفاصيل حول حركات الزنادقة في عصر المنصور (طبعة مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٨) .

وأخيه ابراهيم إلى عوامل سياسية وعوامل اقتصادية وعوامل عسكرية وعوامل اجتماعية .

اولا : العوامل السياسية :

كان أول هذه العوامل السياسية التي أدت إلى اخفاق حركتي الاخوين ، هو ما أبداه الخليفة المنصور من شجاعة ورباطة جأش وما اتخذه من استعدادات ومقومات الانتصار وما اتصف به من دهاء وذكاء ، وما اشتهر به من عبقرية سياسية وحربية . فقد استطاعت هذه الصفات كلها ان تتجمع وتتبلور لتواجه تلك الحركتين الخطيرتين ، مما حقق للمنصور الفوز والانتصار .

لم يستبد المنصور برأيه حينما واجه الثورة ، بل لجأ إلى المشورة دائماً في كل موقف ، فكان يستشير خاصته ورجاله على اختلاف مراكزهم وخبراتهم بل قد رأينا أنه يبعث إلى عمه عبد الله بن علي في سجنه ، يستشيره. وتعددت المشورات ، فكان المنصور يناقش أصحابها ويقارن بينها ويقيسها بمقاييس العقل والمنطق والظروف ويأخذ بأكثرها صلاحية ونفعاً وإيجابية . بينما لا نجد في الروايات التي نقلها المؤرخون الينا لجوء محمد النفس الزكية وابراهيم إلى الاعتماد على أهل المشورة والرأي الصائب . بل كثيراً ما قبلا مشورة غير أهل الرأي ، مما أدى إلى أوخم العواقب . فقد رضخ محمد النفس الزكية إلى رأي بعض أصحابه الذين حثوه على التعجل باعلان ثورته ، رغم انه لم تكن قد توفرت لها بعد جميع مقومات النجاح والفوز ، حتى أن أخاه ابراهيم أبدى وجله وألمه حينما وصله كتاب أخيه محمد يعلن له فيه بنبأ خروجه كما استجاب محمد لنصيحة من أشاروا عليه بالاستمرار في الاقامة في المدينة وعدم الخروج إلى مصر ، رغم حرج موقفه في المدينة ، مما ضيع عليه فرصة ذهبية كانت تكتب له النجاة من مصيره المؤلم (١). كما كان لرضوخ ابراهيم لمشورة بعض أصحابه

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ .

حول الخطط الحربية وتنظيم الجيش . كما سيتضح بعد قليل ، من عوامــل هزيمته في موقعه (باخمرى) بعد أن حاز في أول الأمر انتصارات رائعة(١) .

تفوق محمد النفس الزكية وابراهيم على المنصور ، من عدة نواح فقد كان انتسابهما إلى بيت علي بن أبي طالب (٢) . وما اتصفا به من تدين وتقوى ، وعلم وفقه (٣) وسجايا كريمة ، من عوامل انتشار دعوتهما ، واتجاه قلوب ومشاعر الناس نحوهما فتفوق الأخوان على المنصور في اقبال الناس على تأييدهما دونه ، وفي غزو القلوب والنفوس وفي حشد الجيوش والقوات الكثيفة . ولكن المنصور تغلب عليهما بدهائه وبوسائله السياسية فانتصر عليهما ، في ميادين السياسة ، قبل ان ينتصر عليهما في ميادين الحرب ، بل كان الانتصار السياسي ، تمهيداً للنصر العسكري وشهدنا صوراً لهذه الانتصارات السياسية التي اضعفت من شأن اتساع دعوة محمد وابراهيم . وقللت من أهمية كثرة انصارهما وحدت من نشاطهما السياسي والحربي .

اختفى محمد النفس الزكية عن أنظار المنصور عدة سنوات ، وحاول المنصور الوقوف على مكان اختفائه . وسلك في سبيل ذلك كل المسالك ، فبذل الوعود والمهود وجرب الوعيد والتهديد وغير الولاة والعمال ورحل الى الحجاز عدة مرات ، وقبض على عبد الله بن الحسن وآله ، واضطهدهم وعذبهم فلــم يجد ذلك فتيلا وكان المنصور يعلم انه كلما طالت مدة اختفاء محمد . زاد قوة ، وزادت دعوته انتشاراً . ولذا رأى المنصور ان من مصالحه ان يعجل بظهور محمد وباعلان ثورته ، قبل ان تتضح وتأتي أكلها كما أراد المنصور ان يشعر محمد بقوته واتساع نفوذه حتى يظهر على الملأ ، فيمكن للمنصور مواجهته والقضاء على حركته وهي لا تزال في المهد وفي أول الطريق .

---

(١) ابن الجوزي : صفوة الصفوة جـ ٢ ص ٩٧ .

(٢) ينتسبان الى الحسن بن علي بن أبي طالب .

(٣) الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ١٢ — ١٤ .

وتحقيقاً لهذه السياسة . اتخذ المنصور الدهاء والحيلة سبيلا ، فكان المنصور يزيف كتباً يزعم انها واردة من قواده وانصاره ، وقد كتبوها إلى محمد النفس الزكية يدعونه فيها للظهور ، وانهم ينبذون طاعة المنصور ويعدون محمداً بالولاء والطاعة ان هو أعلن ثورته (١) مما جعل محمداً يظن انه ان اظهر أمره سارع قواد المنصور ورجاله بالانضمام اليه . فروى الطبري(٢): كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ، ويخبرونه انهم معه ، فكان محمد يقول : لو التقينا مال إلي القواد كلهم .

بل أوعز المنصور إلى قائده الكبير حميد بن قحطبة ان يخدع محمد النفس الزكية فيتظاهر بطاعته والولاء له ، وقام حميد بدور بارز في الصراع الذي دار بين محمد والمنصور فقد تولى قيادة أحد الجيشين اللذين بعثهما المنصور إلى المدينة لقتال محمد وكان محمد يعتمد على ما أبداه حميد من ولاء . ولذا أبدى محمد تعجبه من استمرار حميد في طاعة المنصور وفي استبساله في قتال أهل المدينة . فقال محمد لحميد : ألم تبايعني ، فما هذا ؟ فقال حميد : هكذا نفعل بمن يفشي سره إلى الصبيان (٣) ، ومن سخرية الاقدار ان يكون مصرع محمد النفس الزكية على يد حميد بن قحطبة وقد قام حميد باحتزاز رأس الشهيد وحملها إلى عيسى بن موسى ثم إلى المنصور .

وأبدى المنصور ثباتاً ورباطة جأش في أحرج المواقف ، فلم يستسلم لليأس والقنوط فبعث يستدعي جيوشه المتفرقة في أرجاء الدولة العباسية كما استدعى الامداد من بلاد الشام ، فكان يقدم عليه في كل يوم نفر قليل لا يزيد عددهم على عشرة نفر ، ولكن المنصور رسم طريقة دخولهم إلى الكوفة بحيث يشعر أهلها ان الامدادات تتدفق على المنصور من كل صوب ، فكان هؤلاء

---

(١) الطبري ج ٦ ص ١٦٣ - ١٦٤ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ١٨٩ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٧٠ .

النفر يدخلون من آحد أبواب الكوفة حتى إذا اجتازوا طرقاتها عادوا للدخول مرة أخرى من باب آخر . وظل المنصور حتى اللحظة الاخيرة متمسكاً بحقه في الخلافة ، يصور نفسه على انه صاحب الحق الشرعي وان محمداً النفس الزكية ثائر خارج على الطاعة . بينما دب اليأس في قلب محمد حين اقتحمت الجيوش العباسية عليه المدينة ، فأسرع يحلل انصاره من البيعة له ، فقد خطب : يـا أيها الناس ان هذا الرجل — أي عيسى بن موسى — قد قرب منكم في عدد وعدة وقد حللتكم من بيعتي ، فمن أحب المقام فليقم ، ومن أحب الانصراف فلينصرف (١) .

ومن أبرز عوامل اخفاق حركة محمد النفس الزكية ثم حركة أخيه أبراهيم تعجل محمد في الظهور وقيامه بالثورة قبل ان تتوفر لها امكانيات النجاح ، وقبل ارساء دعائم وطيدة تحقق لها النصر . ويبدو ان عبد الله بن الحسن كان يعلم رغبة ولديه محمد وابراهيم في التعجل بقيام الثورة ، فكان ينصحهما دائماً بالصبر والتريث ، فروى الاصفهاني (٢) : « ان محمداً وابراهيم كانا يأتيان أباهما مقيمين في هيئة الاعراب فيستأذنانه في الخروج ، فيقول : لا تعجلا حتى تملكا » .

وكان محمد النفس الزكية نفسه حينما أعلن ثورته ، يدرك انه لم يحن بعد الأوان ولكنه رضخ لالحاح خاصته وأصحابه الذين دفعوه دفعاً إلى اظهـار أمره ، فقالوا له : ما تنتظر بالخروج ، والله ما تجد هذه الأمة احداً أشأم منك عليها ، وما يمنعك ان تخرج ولو وحدك (٣) » ويشير الطبري (٤) إلى خروج محمد قبل ان يأخذ للأمر أهبته ، فيقول : « ان محمداً أخرج ، فخرج قبل وقته

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٣٠٨ .
(٢) مقاتل الطالبيين ص ٣٣٠ .
(٣) مقاتل الطالبيين ص ٣٣٠ .
(٤) الطبري ج ٦ ص ٢٠٦ .

الذي فارق عليه اخوه ابراهيم كما يقول الاصفهاني في أول الفصل الذي عقده للحديث عن حركة محمد وقتله: «وكان سبب عجلته بالخروج قبل ان يتم أمر دعاته الذين انفذهم إلى الآفاق . . الخ » .

اعتمد محمد النفس الزكية على محبة الناس لآل علي بن أبي طالب ، واعتقادهم ان بني العباس قد اغتصبوا حقهم في الخلافة ، إلى جانب بيعة بني هاشم لمحمد في أواخر العصر الأموي (١) ، وما كان يتصف به من ورع وتقوى واخلاق حميدة . ولكن محمداً لم يهتم الاهتمام الكافي ببث دعوته في الامصار الاسلامية ، ولم يضع تنظيماً دقيقاً لنشر الدعوة وتهيئة سبل النجاح لها . وإذا قارنا بين وسائل محمد النفس الزكية في دعوته بالأمصار بوسائل العباسيين حينما نشروا دعوتهم في أواخر العصر الأموي لأدركنا ان بني العباس كانوا أوفر نشاطاً ، وأكثر دقة ، وأحكم تنظيماً . فقد بدأت الدعوة العباسية سنة ١٠٠ هـ ، واستمرت ٣٢ عاماً حتى أينعت وأتت ثمارها سنة ١٣٢ هـ حين قامت الدولة العباسية . ووضع العباسيون لدعوتهم نظماً دقيقة ثابتة ، فنظموا الخلايا السرية وبعثوا الدعاة والنقباء إلى كل مكان ، ورسموا لهم سبل الدعوة وأعدوا الجيوش واهتموا بمدها بالاسلحة وبتدريب الجند مما حقق الفوز والانتصار للجيوش العباسية حين التقت بالجيوش الاموية (٢) . بينما اكتفى محمد النفس الزكية بانفاذ بعض اخوته وأبنائه إلى بعض الامصار الاسلامية (٣) ، ظاناً ان الناس يقبلون عليهم مبايعين له ، حتى إذا اعلن الثورة في الحجاز ، قدموا عليه مناصرين مؤازرين . وأحصت دواوين هؤلاء الدعاة من إخوته وأبنائه الألوف من الناس ، ولكنهم حينما قامت الثورة لم يحركوا ساكناً . كما لم يهتم هؤلاء الاخوة والابناء باعداد القوات العسكرية التي يمكن لها السيطرة على الأمصار حينما يحين الأوان . بل اخفق

(١) تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٣٤٩ ، الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ١٢ .
(٢) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٦٥ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٠٨ .

بعض هؤلاء الدعاة في الوصول الى الأمصار التي بعثهم محمد اليها (١) . وكان جديراً بمحمد النفس الزكية ان يسير في نفس الطريق الذي انتهجه العباسيون حينما بدأوا دعوتهم ، وهو الطريق الذي اثبت نجاحه ، وأوصلهم إلى الخلافة ولكن محمداً اتبع السبيل الذي سلكه الثوار العلويون الذين أعلنوا ثوراتهم في العصر الأموي (٢) ، فكان مصيرهم الاخفاق والاستشهاد .

أرسل محمد النفس الزكية ابنه عليا إلى مصر ، فقتل بها « وبعث ابنه عبد الله إلى خراسان فاضطر إلى الفرار الى السند حيث لقي حتفه . ووجه محمد ابنه الحسن إلى اليمن ، فسجنه العباسيون ، ومات في سجنه ، كما بعث اخاه موسى إلى الجزيرة وأخاه يحيى إلى الري وطبرستان ، فلم يحققا نجاحاً كبيراً . كما وجه أخاه ادريس إلى المغرب وانتهت حياته باغتياله بالسم (٣) . وكان جديراً بمحمد ان يعتمد على دعاة آخرين من غير آل بيته ، كما كان عليه الاعتماد على دعاة من أهالي الأمصار .فقد اعتمد العباسيون على الموالي. فكان منهم معظم دعاتهم ، وأصبح أبو مسلم الخراساني ، وهو من الموالي ، حامل لواء الدعوة العباسية . وظل العباسيون مختفين ، حتى اكتملت للدعوة العباسية مقومات النجاح ، وتخلص أبو مسلم من مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فظهر العباسيون في الكوفة ، وأعلنوا قيام دولتهم وبايعوا لأبي العباس بالخلافة وخير ما يثبت رأينا ، ما انتهجه العلويون فيما بعد ، حينما مهدوا لقيام الدولة الفاطمية فقد ساروا على النهج الذي اختطه العباسيون وأثبت نجاحه ، فأقاموا مركزاً في بلاد اليمن لتخريج الدعاة ، واعتمدوا على دعاة من غير آل أبي طالب ، مثل ابن حوشب والسفياني والحلواني ، وحمل أبو عبد الله الشيعي لواء الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب (٤) مثلما حمل أبو مسلم الخراساني لواء الدعوة العباسية في

---

(١) اخفق عبدالله في الوصول الى خراسان ، كما مات محمد في السجن في اليمن .
(٢) مثل زيد بن علي وابنه يحيى وعبدالله بن معاوية .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٧ — ٣٠٨ .
(٤) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٧٥ .

خراسان ، ولذا نجحت الدعوة الفاطمية وقامت خلافة علوية فاطمية في بلاد المغرب (١) ما لبثت أن انتقلت إلى مصر (٢) واتسعت رقعة نفـوذها ونافست خلافة بني العباس .

ومن عـوامل اخفاق ثورة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ان الخليفة المنصور حال بينهما وبين خراسان والكوفة . أما خراسان ، فقد كانت أرضاً خصبة يستطيع محمد النفس الزكية ان يجد فيها انصاراً وشيعة . فقد بايع كثير من أهلها الدعاة العباسيين في أواخر العصر الأموي حينما كانوا يدعون إلى «الرضا من آل محمد » ، وكانوا يظنون انهم انما يبايعون آل أبي طالب. كما أصيب كثير من أهالي خراسان بخيبة أمل حينما تولى بنو العباس الخلافة . وكان موالي خراسان وفارس أكثر تهيؤاً واستعداداً لقبول مذهب الشيعة . وادرك المنصور هذه الحقيقة ، فرأى ان تصبح خراسان دائرة مغلقة وفرض عليها ستاراً حديديا ، يصد دعاة محمد النفس الزكية ، ويمنع خروج أهالي خراسان الى المدينة . كما كان المنصور يدرك مشاعر أهالي خراسان نحو آل أبي طالب ، ولذا حرص — كما رأينا — على تبرير موقفه منهم ، وخاصة حينما سجن عبد الله بن الحسن وآله وحين قتل قواده محمداً النفس الزكية .

ومن وسائل المنصور في الحيلولة دون تأييد أهالي خراسان لمحمد النفس الزكية ، ما لجأ اليه لتثبيط هممهم فيروي الطبري (٣) انه حينما مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان في سجن المنصور « أخذ رأسه ، فبعث به مع جماعة من الشيعة إلى خراسان ، فطافوا في كور خراسان وجعلوا يحلفون بالله ان هذا رأس محمد بن عبـد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) قامت الدولة الفاطمية في القيروان بالمغرب سنة ٢٩٧ هـ وكان عبيدالله المهدي اول الخلفـاء الفاطميين .

(٢) فتح جوهر الصقلي قائد رابع الخلفاء الفاطميين المعز لدين الله ، مصر سنة ٣٥٨ هـ .

(٣) الطبري جـ ٦ ص ١٨٣ .

يوهمون الناس انه رأس محمد بن عبد الله بن حسن ، الذي كانوا يعدون خروجه علي أبي جعفر » .

وأراد المنصور ان يوهم محمداً ان أهل خراسان على ولاء وطاعة له، وانهم يلبون النداء إذا اعلن ثورته ، فكان يزيف كتباً يبعثها على السنة زعماء خراسان ، يعلنون فيها ولاءهم . ونجح حميد بن قحطبة ، قائد المنصور ان يوهم محمداً بأنه مؤيد له ، ولكنه لا يستطيع ان يتحرر من ربقة المنصور ويتضح من هذا كله من الخطبة التي ألقاها محمد في المدينة في ١٢ رمضان سنة ١٤٥ هـ ، قبيل المعركة الفاصلة بأيام قليلة ، إذ قال : « ان أهل خراسان علي بيعتي وحميد ابن قحطبة قد بايعني ، ولو قدر ان ينفلت فعل (١) .

وكما سد المنصور أبواب خراسان أمام دعوة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم فقد قطع المنصور أيضاً وشائج أي صلة قد تقوم بين الزعيمين العلويين وشيعة علي بالكوفـــة وقد كانت الكوفة دائماً معقل الشيعة وحصن العلويين الحصين ، منذ عهد علي بن أبي طالب . وكانت موطناً دائماً للمذهب الشيعي ، وموئلاً للعلويين، وشهدت معظم ثوراتهم في العصر الأموي (٢) . ولكن اختلف الحال بعد قيام الدولة العباسية ، فقد كان الخلفاء الأمويون يقيمون في دمشق بالشام بعيدين عن الكوفة بالعراق ، أما اليوم فالمنصور يعيش على أطراف الكوفة ، ويقبض عليها بيد قوية . فقد كتم المنصور نبأ ظهور محمد واعلان الثورة عن أهالي الكوفة ، وأغلق أبواب الكوفة فلم يسمح لأحد بدخولها أو مغادرتها ، وتتبع شيعة محمد وابراهيم بالقتل والسجن وأرغم أهلها على خلع اللون الأبيض شعار العلويين ، واتخاذ السواد شعار العباسيين .

ومن عوامل اخفاق حركتي محمد وابراهيم ما يشير اليه المؤرخون المحدثون من اخفاق الاخوين في تنسيق جهودهما ، بحيث تقوم الثورتان في وقت واحد ،

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨ .

(٢) مثل ثورات الحسين بن علي ، والتوابين والمختار الثقفي وزيد بن علي .

مما يجعل موقف الخليفة المنصور حرجاً. وينسب هؤلاء المؤرخون المحدثون عدم قيام ابراهيم بالثورة في البصرة في نفس الوقت الذي أعلن فيه محمد النفس الزكية ثورته في الحجاز إلى مرض ابراهيم حيث أصيب بالجدري (١) . ولكننا نرى ان المرض لم يكن الحائل بين قيام ابراهيم بالثورة في الموعد المتفق عليه ، بل كان تعجل محمد النفس الزكية بالظهور واعلان الثورة قبل هذا الموعد : هو سبب عدم قيام الثورتين في وقت واحد ، فاستطاع المنصور ان يتفرغ للقضاء على كل ثورة على حدة . وقد سبق لنا ان ذكرنا كثيراً من النصوص تثبت عجلة محمد في القيام بثورته .

ثانياً : العوامل الاقتصادية :

وأول هذه العوامل اعلان النفس الزكية ثورته في المدينة المنورة وهي مدينة تشتهر بقدسيتها وتاريخها الاسلامي المجيد ولكنها بلدة محدودة الموارد الاقتصادية بحيث لا تصلح لأن تكون مركزاً ثورياً ، وقاعدة حربية. وقد أثبت التاريخ ذلك فقد رفض الزبير بن العوام وحليفه طلحة بن عبيد الله اتخاذ المدينة مركزاً لثورتهما ضد علي بن أبي طالب ، فأعلنا الثورة في البصرة (٢) وفقدت المدينة صلاحياتها لتكون حاضرة للدولة الاسلامية ، فاتخذ علي بن أبي طالب الكوفة عاصمة له بدلاً من المدينة (٣) ثم قامت الدولة الاموية في الشام ، وقامت الدولة العباسية في العراق . وابتعد كل من الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير عن القيام بثورتيهما في المدينة ، فخرج الحسين إلى الكوفة كما أعلن ابن الزبير ثورته في

---

(١) الخضري : تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ٦٣ حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٣٥ الجومرد : أبو جعفر المنصور ص ١٨٨ .

(٢) كان بالمدينة أيضاً كثير من أنصار علي بن أبي طالب (تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٦٧) .

(٣) كان علي بن أبي طالب يقول ان الأموال والرجال بالعراق (الدينوري : الاخبار الطوال ص ١٥٢) .

مكة ، رغم عدم صلاحيتها أيضاً لتقوم بها ثورة (١) ، ولم يستطع أهل المدينة الصمود طويلاً للجيوش الاموية في عهد الخليفة الاموي يزيد بن معاوية ، فكانت موقعة الحرة ، التي أدت إلى هلاك كثير من أهالي المدينة (٢) .

وأدرك كثير من الناس أن مصير ثورة محمد النفس الزكية الاخفاق منذ ظهر بالمدينة وأعلن فيها ثورته . وكان قبل مختفياً ، ينتقل بين الامصار المختلفة ولا يعلم الخليفة المنصور في أي أقليم يعلن محمد ثورته . وربما لم يكن المنصور يتوقع ان تقوم الثورة في المدينة ، فقد رأينا الاجراءات الحازمة التي اتخذها في مدن العراق وخاصة الكوفة وفي بلاد خراسان ، كما شهدنا تتبع المنصور دعاة محمد ، من اخوته وابنائه ، والقتل والسجن في الامصار المختلفة .

وهناك نصوص كثيرة تثبت عدم صلاحية المدينة ليقوم محمد النفس الزكية بثورته في ربوعها فقد وصف المنصور المدينة حين أعلن محمد الثورة بأنها « بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة (٣) . وقد امتنع نافع بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير عن الانضمام إلى محمد ، وكان محمد قد ألح عليه في البيعة له ، فقال محمد ألبس السلاح تيأس بك غيرك . فقال نافع : « اني والله ما أراك في شيء ، خرجت في بلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح ، وما أنا بمهلك نفسي معك ، ولا معين على دمي (٤) » وقال جعفر بن حنظلة البيراني للخليفة المنصور حينما انبأه المنصور بقيام ثورة محمد في المدينة : « فاحمد الله ، ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع » (٥) .

---

(١) قام ابن الزبير بثورته في مكة على أساس الالتجاء الى الكعبة وسمى نفسه (العائذ بالبيت) — (ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٧) .

(٢) هلك معظم البدريين كما هلك من أهالي المدينة نحو عشرة آلاف (ابن قتيبة الامامة والسياسة ج ١ ص ١٥٣) .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٦ رسم الامويون دائماً سياسة اضعاف اقتصاديات الحجاز .

(٤) الطبري ج ٦ ص ٢٠٠ .

(٥) الطبري ج ٦ ص ٢٠٤ .

كان المنصور يعلم ان المدينة عاجزة عن أن تفي لمحمد النفس الزكية بحاجاته من المال والرجال والسلاح والمؤن . بينما كان المنصور مقيماً في بلاد العراق وهي البلاد التي وصفها علي بن أبي طالب بأنها « موطن الرجال والأموال » . ولذا نجح المنصور في توفير الجند والاسلحة والامدادات اللازمة لجيوشه ، واستعان بما كان في بيوت أمواله العامرة بالأموال ، فقد اشتهر المنصـــور بالشح والتقتير والاقتصاد في النفقات وأدى ذلك إلى توفر الاموال في خزائن الدولة ، فأنفقها المنصور في نضال ثورة محمد ، وانفاذ الجيوش الكثيفة للقضاء على ثورته (١) .

وقد رأينا كيف نصح عبد الله بن علي ، ابن أخيه المنصور ، وهو في سجنه بأن يدع شحه وتقتيره جانباً ويتوسع في الانفاق ويغدق الأموال ، حتى يكتب له النصرة وقد أمدنا الطبري (٢) بكثير من التفاصيل حول اهتمام المنصور بإعداد جيوشه وكيف جهزهم بالخيل والبغال والسلاح والميرة .

وأراد المنصور ان يحكم الحلقات حول محمد النفس الزكية وان يزيد الطين بلة وان يشن عليه حرباً اقتصادية شعواء ، قد تكون أكثر اثراً ووطأة من الحرب العسكرية وعلم ان بلاد الحجاز تعيش طوال العام على الغلات والمحصولات التي ترد اليها من الشام ومصر . ولذا أمر بمنع ورودها إلى بلاد الحجاز ، حتى يضيق على أهلها ، فيزداد الضغط الاقتصادي عليهم فيتمنون بدافع الجوع والحرمان الخلاص من هذه الثورة التي قامت في ربوعهم . وقد أدرك احد خاصة المنصور هذه الحقيقة ، فتوجه اليه بالنصيحة ، فقال : ابعث مولى لك

---

(١) استنفذ المنصور كثيراً من الأموال التي رصدها لبناء بغداد في اعداد الجيوش التي قضت على الثورتين العلويتين حتى اذا عاود البناء اضطر الى الاقتصاد في النفقات ببناء بغداد حتى انه جلب أبوابها من الشام ووسط الكوفة (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٧١ — ٧٢ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦٨٣) ، كوك : بغداد ص ٢٢ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٥ .

تثق به ، فليسر حتى ينزل بوادي القرى ، فيمنعه ميرة (١) الشام . فيموت مكانه جوعاً (٢) .

كما أصدر المنصور أوامره بمنع الغلات التي كانت ترد من مصر إلى الحجاز فقال المنصور لحاجبه الربيع : « نكتب الساعة إلى مصر ان يقطع عن الحرمين الطريق انما هم في مثل حرجه ، إذا انقطعت عنهم المادة والميرة من مصر (٣) .

وأدرك أصحاب محمد النفس الزكية حقيقة عدم صلاحية المدينة المنورة للثورة فنصحوه بأن يغادر بلاد الحجاز ، إلى بلاد أكثر موارد اقتصادية بحيث تكفي حاجاته المادية ، وحتى يستطيع ان يقف على قدم المساواة مع الخليفة المنصور الذي يعتمد على موارد بلاد العراق . ولذا أشار أصحاب محمد عليه أن يرحل إلى مصر . فقالوا له : « انت في أقل بلاد الله فرساً وطعاماً ، وأضعفه رجلاً ، وأقله مالاً وسلاحاً ، تريد ان تقاتل أكثر الناس مالاً ، وأشده رجالاً ، وأكثره سلاحاً ، وأقدره على الطعام ؟ الرأي ان تسير بمن اتبعك إلى مصر ، فوالله لا يردك راد ، فتقاتل بمثل سلاحه وكراعه ورجاله وماله (٤) .

ونعتقد ان هذه النصيحة كانت عن رأي صائب مخلص . ولكن محمداً لم يستجب لها واستمع إلى نصيحة أخرى توجه بها اليه أحد اصحابه وهو جبير بن عبد الله مدفوعاً فيها بعاطفة دينية اذ قال له : اعيذك بالله ان تخرج من المدينة ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عام أحد (رأيتني ادخلت يدي في درع حصينة فأولها المدينة »(٥) ولكن ولا شك كانت الظروف في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام تختلف تماماً عن الظروف السائدة وقت قيام محمد النفس

---

(١) الميرة : القوافل التي تحمل المؤن .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠٤ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٣٩ .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٦٨ .

(٥) نفس المصدر .

الزكية بثورته « فقد فكر الرسول قبل هجرته إلى المدينة في الهجرة إلى الطائف لما اشتهرت به من خصوبة ورخاء اقتصادي ولقربها من مكة ولوجودها على مرتفع من الأرض . وبعد الهجرة ، ظل نفوذ الرسول عدة سنوات مقتصراً على المدينة في حين كانت مكة في أيدي القرشيين الشركيين بينما سيطرت قبيلة ثقيف الوثنية على الطائف (١) . بل ان الرسول اتبع يوم أحد (٢) رأي المسلمين الذين اشاروا عليه بقتال مشركي قريش خارج المدينة ولم يكن ما لحق بالمسلمين في أحد نتيجة خروجهم من المدينة ، بل نتيجة عصيان الرماة لأوامر الرسول وتتبعهم المشركين الفارين ، بجمع الغنائم التي تركوها عند فرارهم» (٣).

ثالثا : العوامل العسكرية :

من عوامل اخفاق حركتي محمد النفس الزكية وابراهيم فشل الخطط الحربية التي اتبعاها في قتالهما لجيوش المنصور . فقد اهتم العباسيون بجيوشهم ويرجع هذا الاهتمام إلى سنة ١٠٠ هـ ، حين بدأت الدعوة العباسية ومضى التنظيم الحربي جنباً الى جنب مع التنظيم السياسي واثبتت الجيوش العباسية مقدرتها وتفوقها خلال حروبها مع الجيوش الاموية . وزاد الاهتمام بالقوات العسكرية في عهد المنصور فقد جند الافاً من أهالي خراسان وفارس الذين اشتهروا بصحة الابدان وجمال المظهر والقدرة على القتال وأصبح للمنصور عـــدة جيوش يوجهها إلى ميادين عدة ، في الداخل والخارج .

وقد انتصر بها على عمه عبد الله بن علي (٤) ، وعلى حركات الزنادقة

---

(١) كانت ثقيف منافسة لقبيلة قريش ، وكانت تحاول جذب الحجاج العرب الى وثنها اللات بدلا من حجهم الى الكعبة بمكة ، وأقامت حول الوثن حرمها على مثيل حرم الكعبة (الخربوطلي : عبد المطلب جد الرسول ص ٧٦) .

(٢) احد جبل قرب المدينة ودارت عنده ثاني المعارك بين المسلمين وقريش .

(٣) هاجم القرشيون بقيادة خالد بن الوليد المسلمين من الخلف .

(٤) اعلن عبدالله بن علي الثورة ضد الخليفة المنصور لطمعه في الخلافة وانضمت اليه العناصر العربية الساخطة على العباسيين لاعتمادهم على العناصر الفارسية ، ونجح الجيش العباسي بقيادة أبي مسلم الخراساني في اخماد الثورة سنة ١٣٦ هـ (المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢٢ ، الفخري ص ١٤٤) .

وغيرها من الحركات السياسية . واستعان المنصور بقواد مهرة على جانب كبير من الكفاءة الحربية . بل لم يجد المنصور حرجاً في الاستعانة ببعض قادة الجيوش الاموية ، مثل معن بن زائد الشيباني (١) .

ولذا كان جديراً بمحمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ان يضعا من الخطط الحربية ما يحقق لثورتها النجاح والفوز ، ولكن أثبتت سير المعارك ونتائجها عكس ذلك ، أعلن محمد النفس الزكية ثورته فجأة ، دون ان يضع خطة سياسية وحربية ينتهجها وتوصله إلى ما كان يأمل هو وأنصاره من انتصار . فلم يكن محمد يملك جيشاً مستعداً مدرباً مزوداً بحاجته من السلاح . وظل مقيماً في المدينة حتى قدمت عليه الجيوش العباسية بقيادة عيسى بن موسى وحميد بن قحطبة ، فاتخذ سياسة الدفاع ، بدلاً من سياسة الهجوم رغم ان السياسة الاخيرة أكثر جدوى وفعالية . وخاصة ان عيسى بن موسى كان قد أجل الهجوم أياماً حتى ينتهي شهر رمضان ، وعسكر خارج المدينة وكان يمكن لمحمد النفس الزكية ان يبادره بالهجوم ، ولكنه ظل مقيماً في المدينة مما شجع عيسى على ان يحيد عن الانتظار لما بعد رمضان ويسارع بالهجوم على المدينة .

جعل محمد النفس الزكية حفر خندق حول المدينة (٢) ، أساساً لخطته الحربية الدفاعية ، متشبهاً في ذلك بما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام حينما غزت الاحزاب المدينة وان كانت خطة الرسول الكريم قـد نجحت وكان الفوز للمسلمين ، الا أن الظروف كانت مختلفة كما ان العناية الالهية كانت تظلل رسول الله وأصحابه وتعينهم على المشركين .

كانت فكرة حفر الخندق حول المدينة لا تجدي شيئاً ، ولا تحول دون اجتياز

---

(١) كان لمعن الفضل في انقاذ المنصور من تعرضه للقتل على أيدي الراوندية احدى فرق الزنادقة (الطبري جـ ٦ ص ١٧٠ وما بعدها) .

(٢) لم يعرف العرب قبل الاسلام حفر الخنادق ، وصاحب فكرة الخندق هو الصحابي سلمان الفارسي .

الجند العباسيين الخندق . فقد كان معظم هؤلاء الجند من الفرسان وتستطيع خيولهم اقتحام الخندق والوصول إلى المدينة بينما كان معظم جند محمد النفس الزكية من الرجالة وقد فطن بعض أصحاب النفس الزكية إلى هذه الحقيقة وأشاروا عليه بالعدول عن حفر الخندق ، فقال أحدهم : « لا تخندق الخندق فان رسول الله خندق خندقه لما الله أعلم به ، فانك ان خندقته لم يحسن القتال رجاله ، ولم يوجه لنا الخيل بين الأزقة ، وان الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها ، وان الذين يخندق عليهم يحول الخندق دونهم » وأصر النفس الزكية على رأيه ، وقال : « انما اتبعنا في الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يردني عنه أحد (١) ، فاست بتاركه» (٢) .

ونجح العباسيون في اجتياز الخندق ، ودارت المعارك في طرقات المدينة واختلط الحابل بالنابل ، ودب الذعر في القلوب ، وانشغل جند محمد بحماية ذراريهم ، وخرجوا بهم إلى الجبال ، وأمر محمد أحد أصحابه بإعادتهم ، فرد من قدر عليه منهم ، فأعجز كثير منهم فتركهم (٣) .

وكان جديراً بمحمد النفس الزكية في هذا الموقف الحرج ، أن يجمع أشتات جنده ، ويبث الحمية في قلوبهم ويعيد تنظيم صفوفهم ويحثهم على الصمود والاستمرار في النضال ، ولكنه ألقى خطبة يائسة سمح فيها لجنده بالتفرق والنجاة بأنفسهم فخطب : « يا أيها الناس ، انا قد جمعناكم للقتال وأخذنا المناقب ، وان هذا العدو منكم قريب ، وهو في عدد كثير ، والنصر من الله ،

---

(١) كان محمد النفس الزكية يعتز بأن اسمه محمد وان اسم أبيه هو عبدالله ، تشبهاً بالرسول عليه الصلاة والسلام ، كما كان محمد النفس الزكية خالصاً نقياً من قريش أباً وأماً (الشريف تاج الدين : غاية الاختصار ص ١٢) .

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٠٩ .

والأمر بيده ، وانه قد بدا الي ان آذن لكم وأخرج عنكم المناقب ، فمن أحب أن يقيم أقام ، ومن أحب ان يظعن ظعن » (١) .

لم يحكم محمد النفس الزكية خطته الحربية ، فكان جديراً به ان ينظم طريقه الانسحاب إذا كانت نتيجة القتـــال في غير صالحه . وكان الطريق الطبيعي للانسحاب هو الطريق إلى مكة ، فكان عليه ان يؤمنه. وقد أدرك القائد العباسي عيسى بن موسى هذه الحقيقة ، فرأى ان يسبق محمداً النفس الزكية في السيطرة على طريق مكة ، فأصدر أوامره لاحد قواده فقال : جاءتني العيون تخبرني ان هذا الرجل – أي النفس الزكية– في ضعف، وانا أخاف ان ينكشف، وقد ظننت الا مسلك له الا إلى مكة ، فأضم اليك خمسمائة رجل فامض بها معانداً عن الطريق حتى تأتي الشجرة فتقيم بها (٢) .

وتحالفت العوامل الطبيعية مع الجيش العباسي وتخلت عن جيش محمد النفس الزكية – فقد هطلت الأمطار مدرارا ، مما جعل مهمة جند النفس الزكية عسيرة قال محمد لأخته قبيل المعركة الفاصلة : « اني في هذا اليوم على قتال القوم ، فان زالت الشمس ، وامطرت السماء فاني أقتل ، وان زالت الشمس ولم تمطر السماء ، وهبت الريح ، فاني اظفر بالقوم»(٣) . وبعد سقوط الأمطار أمر عيسى بن موسى جنده بألا يبيتوا في المدينة وان يعودوا إلى معسكرهم خارج المدينة (٤) .

ومن عوامل اخفاق محمد النفس الزكية ، استعانة المنصور بجند من خراسان وقد كانوا جفاة غلاظ الأكباد، أثارت قسوتهم وغلظتهم الرعب بين أهالي المدينة ويتضح ذلك في رواية للطبري ، فقد وصف أحد أصحاب النفس الزكية قسوة

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ٢٠٨ .
(٢) الطبري جـ ٦ ص ٢٠٩ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٧١ .
(٤) الطبري : جـ ٦ ص ٢٢٢ – الاعاريب : اي البدو .

هؤلاء الجند الخراسانيين فقال : انا لعلى ظهر سلع ننظر وعليه أعاريب جهينة ، اذ صعد الينا رجل بيده رمح قد نصب عليه رأس رجل متصلاً بحلقومه وكبده وأعفاج بطنه فرأيت منه منظراً هائلاً وتطيرت منه الأعاريب وأجفلت هاربة ، حتى أسهلت وعلا الرجل الجبل ونادى على الجبل رطانة لاصحابه بالفارسية (كوهيان) فصعد اليه أصحابه ، حتى علوا سلعاً فنصبوا عليه راية سوداء ثم انصبوا إلى المدينة فدخلوها (١) .

كان المنصور قد وزع قواه الحربية إلى فرق اغلبيتها عربية ، من ربيعة واليمن ومضر (٢) ، وبعضها من الفرق الخراسانية عليها قادة من العرب وبعض الموالي المقربين اليه ولكن المنصور شاء ان يوجه بفرقة الخراسانية لقتال محمد النفس الزكية ، وقد حققت النجاح المنشود .

وكما أدى اخفاق الخطط الحربية التي انتهجها محمد النفس الزكية إلى نهايته المؤلمة ، كان الحال كذلك بالنسبة لأخيه ابراهيم . فقد أصر ابراهيم على الخروج بنفسه لقتال الجيوش العباسية ، ونصحه بعض خاصته بالبقاء في البصرة ، وانفاذ جيوشه لقتال العباسيين ، فقالوا له : « أصلحك الله انك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط فأقم بمكانك ، ووجه الأجناد ، فان هزم لك جند أمددتهم بجند وان هزم لك قائد امددته بقائد فخيف مكانك واتقاك عدوك ، وجبيت الأموال وثبتت وطأتك » ولكن أهل الكوفة نصحوه نصيحة أخرى ، فحثوه على الخروج الى الكوفة ، فقالوا : أصلحك الله ان بالكوفة رجالا لو قد رأوك ماتوا دونك والا يروك تعقد بهم أسباب شيء فلا يأتوك وأخذ ابراهيم بالنصيحة الثانية ، ونسي ما كان من وعود الكوفة للزعماء العلويين طوال العمر

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٥١٧ .

(٢) ربيعة ومضر هما الفرعان الكبيران لعرب الحجاز وكانت هناك عصبية دائمة بين العرب الحجازيين والعرب اليمنيين وفضلا عن العصبية بين ربيعة ومضر .

الأموي (١) تلك الوعود التي تبخرت وتبددت مما أدى إلى ان يلقى هؤلاء الزعماء حتفهم على أيدي الجيوش الاموية .

ولم تكن البصرة في الحقيقة هي المدينة المثلى التي تقوم فيها حركة علوية شيعية ، فقد اشتهرت تلك المدينة طوال تاريخها بأنها عثمانية احياناً ، وأموية أحياناً أخرى ولعل البصرة وجدت في حركة ابراهيم متنفسا لها تعبر بها عن سخطها على الحكم الهاشمي العباسي ، واعتبرتها حركة مضادة للدولة العباسية (٢) .

وبدأ ابراهيم زحفه نحو الكوفة ، فاقترح عليه أحد أصحابه ويدعى هريم ان يبعث برجاله إلى الكوفة لإعلام أهلها بقدومه ولدعوتهم إلى الثورة ، فواجه المنصور الذي كان مقيماً على اطراف الكوفة ثورة داخلية ، ثم يواجه جيوش ابراهيم . وسأل ابراهيم رجلاً آخر من أصحابه ، وهو بشير الرجال عن رأيه ، فرفض الفكرة . وقال: «إنا لو وثقنا بالذي تصف لكان رأياً ، ولكنا لا نأمن ان تجيبك منهم طائفة. فيرسل اليهم أبو جعفر خيلاً فيطأ البريء والنطف والصغير والكبير ، فتكون قد تعرضت لما تم ذلك ولم تبلغ منه ما أملت » فقال هريم : « أخرجت حين خرجت لقتال أبي جعفر وأصحابه وانت تتوقى قتل الضعيف والصغير والمرأة والرجل ، أو ليس قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه السرية ، فيكون في ذلك نحو ما كرهت ؟ » فدافع بشير عن رأيه وقال : « ان اولئك كانوا مشركين كلهم ، وهؤلاء أهل ملتنا ودعوتنا وقبلتنا حكمهم غير حكم اولئك » . واتبع ابراهيم مشورة بشير الرجال ، ونبذ الاقتراح الأول ، وقد كان أكثر نفعاً وجدوى (٣) » .

---

(١) وخاصة وعود أهل الكوفة للحسين بن علي (ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١٨) ووعودهم لزيد بن علي (الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٣٧) .

(٢) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٧٩ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٥٩ .

نزل الفريقان في (باخمرى) وبدأت الاستعدادات لخوض معركة فاصلة وعرض أحد قواد ابراهيم عليه ان يهاجم الجيش العباسي ليلاً (١) ، فيفاجئه ويلحق به الهزيمة فقال : « ان هؤلاء القوم مصبحوك بما يسد عليك مضرب الشمس من السلاح والكراع ، وانما معك رجال عراة من أهل البصرة فدعني أبيته (١) ، فوالله لأشتتن جموعه » ورفض ابراهيم هذا الاقتراح وقال : « اني اكره القتل » فقال القائد : تريد الملك وتكره القتل (٢) ؟ .

وكان تنظيم جيش ابراهيم من عوامل اخفاقه وعزيمته في معركة « باخمرى » فقد جعل ابراهيم جيشه صفاً واحداً . وأشار بعض أصحاب ابراهيم عليه بنبذ هذا التنظيم فقالوا له : « ان الصف اذا انهزم بعضه تداعى فلم يكن لهم نظام . فاجعلهم كراديس فان انهزم كردوس ثبت كردوس » ولكن فريقاً رفض هذا الاقتراح وصاحوا : لا نكون الا صفاً واحداً ، كما قال الله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) (٣) .

لحقت الهزيمة بجيش ابراهيم في موقعة (باخمرى) وأراد الجند الانسحاب ولكن « اعترض لهم نهر ذو ثنيتين مرتفعتين ، فحالتا بينهم وبين الوثوب ولم يجدوا مخاضة فكروا راجعين بأجمعهم » ويروي الطبري (٤) ان ابراهيم هو الذي جعل الماء خلف جيشه حتى اذا انهزم جنده « منعهم الماء من الفرار » .

رابعا : العوامل الاجتماعية :

قامت العصبية بدورها في اخفاق حركتي محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم

(١) أي أهاجمه ليلا .
(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٥٩ .
(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٥٩ ، الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ٣٤٥ نص الآية هو : (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) سورة الصف (رقم ٦١ آية ٤).
(٤) الطبري ج ٦ ص ٢٦١ .

سواء أكانت عصبية قبلية ، أو عصبية مذهبية . فقد انضم الى محمد كثير من القبائل ، منها قبائل جهينة فآثرها على سائر القبائل مما أثار حنقها وغضبها . واتضحت هذه العصبية في عدة مواقف ، فقد عارض بنو سليم فكرة حفر خندق المدينة ، وأبدوا عيوبها ، وأصر بنو شجاع على حث محمد على القيام بحفر هذا الخندق (١) .

كما ثارت العصبية أيضاً بين اصحاب محمد وابراهيم وبين الزيدية من أصحاب عيسى بن زيد الذي كان يرى ان تكون الخلافة له بعد قتل محمد النفس الزكية ، ورفض ابراهيم وأصحابه هذا الرأي ، مما أثار الخلاف فروى الاصفهاني (٢) : « قدم عيسى بن زيد (٣) بعد قتل محمد فذكر ان محمداً جعل الأمر اليه ، ودعا الزيدية إلى نفسه فأجابوه وأبى البصريون ذلك حتى قالوا لابراهيم ان شئت اخرجناهم عنك من بلادنا فالأمر لك وما نعرف غيرك ، حتى كادت تقع فرقة ، فسفروا بينهم وقالوا : انا ان اختلفنا ظهر علينا ابو جعفر ، ولكن نقاتله جميعاً والأمر لابراهيم ، فان ظهرنا عليه نظرنا في أمرنا بعد فأجمعوا على ذلك » .

ويشير الاصفهاني إلى ما حدث من خلاف بين ابراهيم وعيسى بن زيد ، فقد صلى ابراهيم على جنازة بالبصرة وكبر عليها أربعاً ، فقال له عيسى بن زيد : لم نقصت واحدة وقد عرفت تكبير أهل بيتك ؟ فقال ابراهيم : هذا اجمع لهم ، ونحن إلى اجتماعهم محتاجون وليس في تكبيرة تركتها ضرر ان شاء الله ، ففارقه عيسى واعتزل وعلم الخليفة المنصور بأمر هذا الخلاف ، فأرسل إلى عيسى يبذل له الوعود حتى يخذل الزيدية عن ابراهيم ورفض عيسى كل عروض المنصور حتى اذا قتل ابراهيم توارى عيسى عن الانظار

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٠٧ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٣٧٠ .

(٣) وهو عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

فقيل للمنصور : الا تطلبن ؟ فقال المنصور : لا والله لا أطاب منهم رجلاً أبداً بعد محمد وابراهيم ، أنا اجعل لهم بعدها ذكر (١) .

ويستنتج الدكتور النشار من هذا الحدث ان الزيدية كانت فئة قليلة في البصرة وان ابراهيم أراد ان يجذب اليه أهلها،وكانوا أهل سنة وجماعة فكبر أربعاً، وهي عادة السنة فاعترض عليه عيسى بن زيد ، وهذا ما فت في عضد الزيدية ، ولا شك ان خذلان هذا البعض من الزيدية لابراهيم كان عاملاً من عوامل هزيمته (٢) .

وعارضت جماعة عيسى بن زيد كثيراً من الاقتراحات البناءة التي ارتآها قواد ابراهيم فقد رفضت ان يهاجم ابراهيم جيش عيسى بن موسى ليلاً واعتبرت ذلك (من فعال السراق) ورفضت الاقتراح الذي تقدم به أحد أصحاب ابراهيم يشير عليه بالبقاء في البصرة وقالوا : اترجع عن عدوك وقد رأيته ؟ كما عارضت أيضاً فكرة حفر خندق حول معسكر ابراهيم ، وقالوا له : اتجعل بينك وبين الله جنة ؟ (٣) . ولكننا انصافاً للحق نقول ان هذه الجماعة استبسلت في قتال الجيش العباسي ، واستشهد منهم نحو خمسمائة رجل (٤) ولكن هذه الدماء لم تحول الهزيمة إلى نصر.

* * *

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٠٦ .
(٢) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ١٨٠ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٤ .
(٤) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٠٨ .

٣ ـ موقف الامام

جعفر الصادق والشيعة الامامية من الخليفة المنصور

كان مولد الامام جعفر بن محمد الصادق بالمدينة في سنة ٨٠ هـ (١) . وأبوه هو الامام محمد الباقر (٢) ابن الامام علي زين العابدين (٣) . وأمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (٤) . وقد عاش جعفر في حياة أبيه محمد الباقر نحو ثلاثين سنة، وأخذ عنه زهده واقباله على العلم(٥). وقد عهد الباقر بوصيته إلى ابنه عندما أدرك قرب وفاته .

وكان الامامان علي زين العابدين ومحمد الباقر قد انصرفا إلى الامامة الروحية ولم يخوضا ميادين السياسة ، وظهرت غلبة الامامة الروحية عند زين العابدين حتى تكاد تقترب تعاليمه من التصوف ، بينما غلب على الباقر طابع العلم — ولاسيما رواية الحديث — وطابع التشيع ، حيث تبرز عقائد الشيعة في الامامة

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ١ ص ٢٩١ — وهي نفس السنة التي شهدت مولد عمه زيد بن علي والامام أبو حنيفة النعمان وواصل بن عطاء رأس المعتزلة .

(٢) وصف شمس الدين بن طولون (الشذرات الذهبية ص ٨١) الباقر بأنه كان « عالماً سيداً كبيراً ، تأثر الباقر بأبيه زين العابدين فأصبح مثيله في تدينه وتقواه وعلمه» (ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ١ ص ٢٩١ ، ابن الجوزي : صفوة الصفوة جـ ٢ ص ٦١) .

(٣) وهو علي زين العابدين ابن الامام الحسين بن علي بن أبي طالب وقد توفي حوالي سنة ٩٤ هـ ، وقد تزوج من فاطمة بنت عمه الحسن بن علي وانجب منها ابنه محمد الباقر (ابن الصباغ : الفصول المهمة ص ١٩٢) .

(٤) كان الامام جعفر يفتخر بانتسابه الى أبي بكر الصديق (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٨) .

(٥) ابن قتيبة : المعارف ص ؛

والولاية والرجعة وان نسب شيء من ذلك لزين العابدين ، فان معظم العقيدة المذهبية للشيعة الاثني عشرية تنسب للباقر ثم للصادق من بعده (١) .

ويذهب البعض الى ان الصادق قد اطلق هذا الاسم عليه لصدقه او لان أمه من حفيدات أبي بكر الصديق (٢) . بينما يذهب البعض إلى ان أبا جعفر المنصور هو الذي أطلق عليه هذا الاسم (٣) . ويذكر السيوطي (٤) ان نسبة الامام جعفر الى أبي بكر ، كانت سبباً في تقديره الدائم له ولعمر بن الخطاب ، على غير ما كان يفعله كثير من زعماء الشيعة ، فكان الامام جعفر يقول : «أنا بريء ممن ذكر أبا بكر وعمر إلا بخير » .

وأقبل الامام جعفر على العلم والمعرفة ، واتسعت دائرة نشاطه العلمي فشملت علوم القرآن والحديث وأبواب الفقه المختلفة ، وعلم الكونيات ، وقد بلغت رسائله العلمية التي جمعها تلميذه جابر بن حيان الصوفي الطرطوسي ، خمسمائة رسالة (٥) واشتهر برواية الاحاديث ، وبلغ عدد الاحاديث المروية عنه أربعة آلاف حديث ، ولم تقتصر الرواية عنه على الشيعة فحسب ، بل روت عنه سائر الفرق . واكتسب جعفر محبة المسلمين وتقديرهم ورحلت الشيعة اليه لتنهل من علمه وفضله (٦) .

---

(١) دكتور احمد صبحي : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ٣٥٨ .

(٢) الكليني : الكافي ص ٩٣ ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠٥ .

(٣) يذكر الحسيني (اعيان الشيعة ج ٤ القسم الثاني ص ٩١) ان ابا مسلم كان قد طلب من الامام جعفر ان يهديه الى مكان قبر علي بن أبي طالب وكان مخفياً ، فقال جعفر ان القبر انما يظهر في أيام رجل هاشمي يقال له أبو جعفر المنصور فاطلق المنصور عليه لقب (الصادق) .

(٤) تاريخ الخلفاء ص ١٢٥ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٠٥ .

(٦) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ١٤٧ — كان جد الامام جعفر الصادق لأمه هو القاسم بن محمد وهو واحد من فقهاء المدينة السبعة الذين يعتبرون مصدراً للفقه المدني ، وهم الذين نقلوا علم الصحابة ورواياتهم وخاصة السيدة عائشة (الشيخ أبو زهرة : الامام الصادق ص ٨٩) .

انتقلت الامامة الروحية للشيعة الامامية من الامام محمد الباقر الى الامام جعفر الصادق ، فأصبح الامام السادس . ويهمنا في هذا الفصل دراسة التاريخ السياسي للامام جعفر ، كما سندرس عقائد وآراء الشيعة الامامية .

جهاد الإمام جعفر الصادق في العصر الأموي :

عاصر الامام جعفر الصادق حركة زيد بن علي التي قامت بالعراق في عصر الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك . ولم يبد احدهما عداء نحو الآخر ، وان لم يشارك الامام جعفر في الثورة ، ولا شك انه كان ساخطاً على الدولة الاموية التي قتلت جده الحسين بن علي ، ولم ير بأساً في ان يثأر زيد بن علي لقتله ، فقد تحدث زيد عن أسباب اعلانه الثورة على الامويين فقال : « خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة (١) ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار (٢) » وقال الامام زيد عن نفسه وعن الامام جعفر : « من أراد الجهاد فالي ، ومن أراد العلم فالى ابن أخي » . كما قال الامام جعفر : « القائم امام سيف والقاعد امام علم » . ويرى المستشرق رونلدسن (٣) ان ركون أئمة الشيعة الامامية إلى الهدوء دفع الشيعة عامة والشيعة الكيسانية إلى تأييد الزيدية .

تعرض الامام جعفر الصادق لكثير من المحن في عهود الخلفاء الامويين هشام والوليد وابراهيم ومروان بن محمد ، فقد تتبع هؤلاء أهل بيته بالقتل

---

(١) وقد أغار على الحرة الجيش الأموي بقيادة مسلم بن عقبة حينما كان في طريقه الى مكة لقتال ابن الزبير في عهد الخليفة الاموي يزيد بن معاوية (ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ٤٨ وما بعدها) .

(٢) قذف الجيش الاموي بقيادة الحجاج بن يوسف مكة والكعبة بالاحجار خلال حصاره لعبدالله ابن الزبير في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (ابن الاثير : الكامل ج ٤ ص ١١٤ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٥) .

(٣) عقيدة الشيعة ص ١٣٠ .

الذريع ، وامتحن الرجل أشد امتحان ، وصبر الامام جعفر على كل ما نزل به من محن واضطهاد وتضييق وتشديد ومهانة (١) . ولذا رأى الامام جعفر ان ينصرف إلى العلم انصرافاً كلياً فلم يشغل نفسه بدعوة الخلافة ، ولا قيادة لاتباعه ، ليقضوا على سلطان الامويين أو سلطان العباسيين ، كما فعل أولاد عمومته محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم بن عبد الله . ولم يذكر اسمه في الاحداث التي وقعت في عهده إلا اذا كانت ألماً أو أسفاً على الذين يقتلون من ذوي قرباه . وسواء أكان انصرافه عن الامرة وشدائدها كما تقول الامامية أم كان رغبة في العلم كسائر أئمة العلم كما يقول الجمهور ، فقد عكف الامام جعفر على العلم وعلى العبادة (٢) .

موقف الصادق من ثورة النفس الزكية :

لم يشهد الامام جعفر الصادق ، ذلك الاجتماع الشهير الذي عقد في أواخر العصر الأموي ، وشهده كثير من بني هاشم ، وبايعوا فيه محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية وكان معظم هؤلاء الهاشميين من بيت العباس بن عبد المطلب وبيت الحسن بن علي . ومن العباسيين اشترك الامام ابراهيم بن محمد ابن علي وأبو جعفر المنصور وصالح بن علي ، واشترك من بيت الحسن ، عبد الله بن الحسن وابناه محمد وابراهيم . كما شهد الاجتماع بعض بني عثمان . وقد بدأ صالح بن علي الحديث فطلب من الحاضرين عقد البيعة لأحد الهاشميين وتقدم عبد الله بن الحسن يرشح ابنه محمد النفس الزكية ، وبايعه الجميع ومنهم أبو جعفر المنصور ، بل انه غادر الاجتماع وهو ممسك برحال محمد ويقول للناس : هذا محمد بن عبد الله ، هذا مهدينا أهل البيت (٣) .

ولا شك ان عبد الله بن الحسن لم يرتح لغياب الامام جعفر الصادق عن

---

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ص ٢١٤ .
(٢) الشيخ محمد أبو زهرة : الامام الصادق ص ٩٤ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٠٩ .

هذا الاجتماع التاريخي ، فقد كان جعفر يمثل بيت الحسين بن علي ، كما كان سيد بني هاشم جميعاً في زمانه (١) . وأراد عبد الله بن الحسن الوقوف على رأي جعفر فيما دار في هذا الاجتماع ، ورأيه في البيعة التي تمت لابنه محمد النفس الزكية الذي وصفوه بالمهدي ، فبعث إلى الامام جعفر يستدعيه اليه واستجاب الامام جعفر لدعوة عبد الله بن الحسن ، الذي كان متقدماً في السن وموضع احترام العلويين والعباسيين وقص عبد الله بن الحسن على الامام جعفر تفاصيل أحداث الاجتماع ، فأنكر جعفر عليهم كل ما أقدموا عليه وقال : « ان ابنك لا ينالها – يعني الخلافة – ولن ينالها الا صاحب القباء الاصغر ويقصد بذلك المنصور (٢) .

وهكذا لم يبد الامام جعفر اقتناعه او ارتياحه للبيعة لمحمد النفس الزكية فهو إمام الشيعة الامامية التي ترى ان الخلافة مقصورة على أحفاد الحسين بن علي . وعلى الرغم من ذلك ، فان الامام جعفر لم يتطلع الى الخلافة ، مكتفياً بالامامة الروحية منكباً على العلم والتدين ، فيقول الشهرستاني (٣) « وهو ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع قام عن الشهوات. وقد أقام بالمدينة مرة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم . ثم دخل العراق وأقام بها مدة ما تعرض للامامة قط ، ولا نازع أحداً في الخلافة ، ثم غرق في بحر المعرفة ، لم يطمع في شطط » . كما كان الامام جعفر –كما يذكر الشهرستاني أيضاً– معتدلاً في آرائه فقد أعلن براءته من القول بالرجعة والبداء والتناسخ والغلو والحلول والتشبيه .

ثم كانت رسالة أبي سلمة الخلال ، الوزير العباسي ، إلى الامام جعفر الصادق ، يدعوه فيها إلى الامامة وكان أبو سلمة – كما ذكرنا – قد وجه

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠ .

(٢) الفخري ص ١٤٧ . وروى صاحب الفخري ايضاً ان المنصور قال : فرتبت العمال في نفسي من تلك الساعة .

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٢٧ .

برسائل ثلاث إلى ثلاثة من العلويين اما العلويان الآخران فهما عبد الله بن الحسن وعمر بن زين العابدين . ويبدو تركيز أبي سلمة على البيعة للامام جعفر ، بأنه طلب من رسوله ان يقصده اولاً ، فان أجاب أبطل الكتابين الآخرين ، فان لم يجب قصد عبد الله بن الحسن (١) .

وخيب الامام جعفر الصادق آمال أبي سلمة الخلال فيه ، اذ رفض دعوته وأحرق الخطاب (٢) . وتلقى عبد الله بن الحسن الخطاب بسرور وحبور ، ولكنه رشح ابنه محمد النفس الزكية ، إذ كان عبد الله قد تقدمت به السنون ، ويبدو تقدير عبد الله للامام جعفر ، في خروجه اليه لاستشارته في الأمر ، وهو يعرف زهد الامام جعفر في الخلافة . ونصحه جعفر بعدم الاستماع إلى دعوة أبي سلمة ، فهو وزير بني العباس وداعيتهم في خراسان ثم قال جعفر : أيها الشيخ، لا تسفك دم ابنك، فاني أخاف أن يكون المقتول بأحجار الزيت (٣) . وغضب عبد الله بن الحسن ، وقال للامام جعفر : والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد (٤) .

وكان رأي الامام جعفر الا يلج عبد الله بن الحسن وولداه هذا الباب فلن يفتحوا الرتاج ، وان أصر عبد الله وتمسك برأيه في ابنه فان اقطع الرد انه ليس في وصية علي بن ابي طالب ان يكون أحد من أبناء الحسن اماماً ، وان كان عبد الله يرى الامامة لولديه محمد وابراهيم ، احدهما بعد الآخر ، فانه ليس في وصية علي كذلك ان يلي الامامة غير الحسن والحسين . ذلك أمر امامة الدين عند جعفر ، اما إذا كان عبد الله يريد لولديه خلافة الدنيا فان البيت العباسي قد صار له فيها أعلى صوت وأقوى دعوة (٥) .

---

(١) الفخري ص ١٣٨ .
(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٨ .
(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٤٩ وهي الاحجار التي يضع عليها الزياتون زيوتهم في المدينة المنورة .
(٤) المسعودي مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٩ .
(٥) عبد العزيز سيد الأهل : جعفر بن محمد ص ١٣٥ .

وشاع بين الناس في المدينة ان الامام جعفر الصادق قد تنبأ بمقتل محمد بن عبدالله بن الحسن . وقدم عليه الكثيرون يسألونه ومنهم أم الحسن بنت عبد الله ابن محمد الباقر ، فقال لها : «يقتل محمد عند بيت رومة (١) ، ويقتل أخوه — لأمه وأبيه — وحوافر فرسه في الماء »(٢) . وكان كثير من الشيعة يؤمن بأن الامام جعفر يعلم الغيب ويتنبأ بالاحداث ، ولكن الحقيقة التاريخية ان جعفرا نفى عنه ذلك وقال انه لا يعلم الغيب الا الله (٣) .

تطور العلاقات بين الإمام الصادق والخليفة المنصور :

وكان أبو جعفر المنصور يخشى على خلافته مما وصل اليه الامام جعفر الصادق من علو منزلة وسمو مكانة بين المسلمين عامة والشيعة خاصة ، حتى ان المنصور كان يصفه بأنه الشجى المعترض حلقه (٤) ولكن موقف المنصور كان ضعيفاً ازاء ما التزمه جعفر الصادق من خط سياسي ، إذ انه لم يعلن العصيان ، ولم يدع لنفسه . واكتفى المنصور باستدعاء جعفر الصادق عدة مرات إلى بلاد العراق ، ليوقفه بين يديه ، يريد بذلك استنقاصه أمام الناس ، والتصغير من شأنه (٥) .

كانت أول زيارة للامام جعفر الصادق للعراق ، في عهد الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح ، وقد توصل خلال هذه الزيارة إلى معرفة مكان قبر علي بن أبي طالب في النجف (٦) . ويرى الشيخ أبو زهرة (٧) ان هذه

---

(١) رومة : أرض بالمدينة (ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٣٦) .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٤٨ .
(٣) الكليني : الكافي ص ٥٧ — ذهبت الشيعة الى ان الامام الصادق يعلم بكل الأحداث حتى يوم القيامة ، واطلقوا على ذلك (علم الجفر) — مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٤ .
(٤) تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ١١٧ .
(٥) المظفري : تاريخ الشيعة ص ٤٥ .
(٦) المظفري : الصادق جـ ١ ص ١٣٧ — كان العلويون يعرفون مكان قبر علي ولكنهم أخفوه عن بني أمية .
(٧) أبو زهرة الامام الصادق ص ٦١ .

الدعوة كانت تكريماً واكباراً للامام جعفر ، وذلك لأن الخلاف بين العلويين والعباسيين لم يكن قد ثار ووضح . وقد عقد جعفر عدة اجتماعات بأنصاره من الشيعة ، وحثهم على الابتعاد عن الغلو والآراء المتطرفة كما عقد عدة مناظرات مع أهل الفرق الاخرى . ولا شك ان اقبال الناس على الامام جعفر قد أثار حسد أو مخاوف العباسيين .

أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور يستدعي اليه الامام جعفر ، ليروعه ويقمع معه بيت الحسين ، فقد كان المنصور يعلم ان جعفراً انما يمنع محمد النفس الزكية من ان يدعي انه المهدي ، ولكنه في نفس الوقت لا يمنعه ان يغضب لله ، وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (١) .

وكان المنصور قد رحل إلى الحجاز واستقر بالربذة قرب المدينة ، وأمر بالقبض على بني الحسن ، كما أمر بسجن عبد الله بن الحسن وآله في قصر ابن هبيرة شرقي الكوفة وفي الربذة قال المنصور لحاجبه الربيع بن يونس (٢) : ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً . وتلكأ الربيع في تحقيق أمر الخليفة ؛ فألح عليه المنصور الطلب في اليوم التالي . وقدم الامام جعفر إلى الربذة فاستقبله الربيع وقال له : يا أبا عبد الله ، اذكر الله تعالى ، فانه قد أرسل لك من لا يدفع شره الا بالله ، واني أتخوف عليك ، فقال الامام جعفر : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وتم اللقاء بين الخليفة المنصور والامام الصادق واغلظ المنصور له القول ثم سمح له بالعودة إلى المدينة (٣) .

وروى الكليني (٤) ان جعفر الصادق رفض مرة ان يستجيب إلى دعوة الخليفة المنصور بالرحيل إلى العراق ليمثل بين يديه ، فأمر المنصور والي المدينة

---

(١) سيد الأهل : جعفر بن محمد ص ١٤١ .
(٢) أصبح ابنه الفضل بن الربيع وزيراً في عهد الخليفة الرشيد .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٢٥ وما بعدها .
(٤) الكليني : الكافي ص ١٩٤ .

بأن يحرق دار جعفر ، ونجح الامام في تخطي النار والنجاة بنفسه ، وهو يقول : أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن ابراهيم خليل الله . وهو يشير بذلك إلى ابراهيم عليه السلام الذي انجاه الله عز وجل من النار ، وروى ابن خلكان (١) « ان الخليفة المنصور استدعى الرجال البارزين إلى العراق فاستعفاه جعفر وأراد البقاء في المدينة فلم يقبل فاستأذنه ان يتأخر قليلاً ريثما يدبر أمره ، فرفض المنصور فقال الامام للمنصور: «لقد سمعت أبي عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (من خرج في طلب الرزق رزقه الله ، ومن بقي مع عياله مد الله في أجله) . قال المنصور : اسمعت ذلك حقاً عن أبيك عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أشهد الله بذلك . فأعفاه المنصور من الذهاب الى العراق ، وسمح له بالبقاء في المدينة مع أهله » (٢) .

ورغم ابتعاد الامام جعفر الصادق عن خوض السياسة ، ورغم عدم مطالبته بالخلافة ورغم عدم رضاه عن ثورة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، فقد سمح لابنيه موسى وعبد الله بالانضمام إلى هذه الثورة. فقد روى الاصفهاني(٣) ان محمدا النفس الزكية أراد اعفاء موسى وعبد الله ابني جعفر من مشاركتهما لثورته ، ولكن جعفراً قال لهما : ارجعا فما كنت بالذي ابخل بنفسي وبكما عنه . واستمر ابناه إلى جانب النفس الزكية حتى لقي حتفه .

ولا شك ان المنصور قد غضب على الامام جعفر الصادق لانضمام ابنيه إلى ثورة النفس الزكية ، وزاد من غضبه ايواء جعفر للحسن بن زيد بعد اخفاق الثورة .وقد كان الحسن ربيباً لجعفر بعد مصرع أبيه زيد بن علي ، وما

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١١٢ .

(٢) لا شك ان المنصور قد صدق رواية الامام جعفر الصادق لهذا الحديث النبوي الشريف فقد كان جعفر من كبار رواة الاحاديث (ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢٠ والشبلنجي : نور الابصار ص ١٤٥) .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٧٧ وما بعدها .

لبث ان تفاقم الغضب ، حينما ضم الامام جعفر اليه يحيى بن عبد الله بعد مصرع أخويه النفس الزكية وابراهيم (١)

وبعد القضاء على ثورة محمد النفس الزكية ، قدم المنصور الى بلاد الحجاز سنة ١٤٦ هـ ، واستدعى اليه الامام جعفر الصادق . وتم اللقاء في الربذة (٢) . وقد ذكر الامام جعفر ما دار في هذا اللقاء فقال : « لما رفعت إلى أبي جعفر المنصور بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن ، نهرني وكلمني بكلام غليظ ، ثم قال : يا جعفر قد علمت بفعل محمد بن عبد الله الذي تسمونه النفس الزكية وما نزل به ، وانما انتظر الآن ان يتحرك منكم أحد فألحق الصغير بالكبير » (٣).

وكان المنصور قد أمر بمصادرة أموال وضياع بني الحسن وكثير من العلويين وبني هاشم (٤) . ولذا طلب الامام جعفر الصادق من الخليفة المنصور ان يرد اليه ضيعته (٥) حتى يقتات منها ، وكان عيسى بن موسى قد أمر بمصادرتها . وغضب المنصور من جعفر إذ طالبه بذلك وصاح فيه : اياي تكلم بهذا الكلام ؟ .

ثم قال : قد رأيت اطباق أهل المدينة على حبي ، وقد هممت أن أبعث اليهم من يغور عليهم ويحجر نخلهم . وواجه الامام جعفر هذا التهديد والوعيد بالهدوء والحلم ، وتوجه بالنصيحة الى المنصور ، فقال : يا أمير المؤمنين ان سليمان أعطي فشكر ، وان أيوب ابتلي فصبر ، وان يوسف قدر فغفر ، فاقتد بأيهم شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون(٦) .

---

(١) المصدر السابق .
(٢) الربذة — كما ذكرنا آنفاً — تقع على مقربة من المدينة على بعد ثلاثة أميال وبها قبر أبي ذر الغفاري (ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٢٢) .
(٣) الشبلنجي : نور الابصار ص ٢٤٧ .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٧٣ .
(٥) كانت هذه الضيعة تدعى (عين أبي زياد) وتقع في (الفرع) وهي قرية بنواحي الربذة قرب المدينة ، وتشتهر هذه القرية بالنخيل وعيون الماء (ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٢٦٣) .
(٦) الحصري : زهر الآداب جـ ١ ص ١٢٣ .

لقد كان الامام جعفر الصادق ، شجاعاً في الحق ، لا يتملق ، ولا يداهن فلم يفعل ما كان يفعله غيره من التردد على الخليفة المنصور ، فاستدعاه المنصور اليه يوماً وعاتبه على قطيعته له وقال : لم لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟ فأجاب جعفر : ليس لنا من أمر الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوه منك ، ولا أنت في نعمة نهنئك بها ، ولا في نقمة فنعزيك . فقال المنصور : تصحبنا لتصلحنا . فقال جعفر : من يريد الدنيا لا ينصحك ، ومن يريد الآخرة لا يصحبك(١) .

وبعد اخفاق ثورة ابراهيم بن عبد الله في البصرة ، وبعد مصرعه ، أمر المنصور بترحيل بني الحسن الى العراق ، كما أمر بأن يصحبهم الامام جعفر الصادق ، وروى جعفر هذه الاحداث فقال : « لما قتل ابراهيم بن عبدالله بباخمرى صرنا عن المدينة ، ولم يترك فيها منا محتلم ، حتى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل ، ثم خرج الينا الربيع الحاجب فقال : أين هؤلاء العلوية ؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجا . فدخلنا اليه أنا والحسن بن زيد ، فلما صرت بين يديه قال لي : أنت الذي تعلم الغيب ؟ قلت : لا يعلم الغيب الا الله ، قال : انت الذي يجبى اليك هذا الخراج ؟ قلت : اليك يجبى يا أمير المؤمنين الخراج . قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا . قال : « أردت أن أهدم رباعكم وأروع قلوبكم ... » ، وعفا المنصور عن الامام جعفر ومنحه الهدايا النفيسة واعاده الى المدينة(٢) .

وعاد الامام جعفر الى المدينة حيث اقام فيها منصرفاً الى العلم والدين»(٣) ، وفي سنة ١٤٨ هـ كانت وفاته(٤) . وتتهم كتب الشيعة المنصور بانه حرض

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ص ١١٢ — ١١٣ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٥١ ، الشبلنجي ، نور الابصار ص ١٤٦ ، ابن الجوزي : صفوة الصفوة جـ ٢ ص ٩٧ .
(٣) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ ص ٩٥ .
(٤) وهي السنة العاشرة من عهد الخليفة العباسي المنصور .

من دس للصادق سماً في عنب ، فمات مسموماً وان كنا لا نستطيع تأكيد ذلك(١) . ولم يذكر الاصفهاني جعفر الصادق ضمن الطالبيين الذين لقوا حتفهم على أيدي العباسيين ، كما ان اليعقوبي(٢) يذكر ان المنصور قد أبدى ألماً شديداً حين علم بوفاة الامام جعفر الصادق ، وبكى طويلا حتى اخضلت لحيته بالدموع ، ووصف جعفراً بأنه « كان ممن اصطفى الله ، وكان من السابقين بالخيرات » .

وينفي الشيخ أبو زهرة(٤) عن الخليفة المنصور اتهامه بقتل الامام الصادق بالسم ، ويذكر ان المنصور وان كان حريصاً على تثبيت ملكه ومنع من يعارضه فقد تبين له ان الصادق لا يعارضه ، وكانت مجالس لقائه في حالة التظنن والاتهام تنتهي بالثقة والاطمئنان ، كما كانت وفاة الصادق بعد ان استقرت الأمور للمنصور تماماً ، وأمن أن تخرج عليه خارجة من جانب العلويين وانه وقد استقرت الأمور لا يحاول اثارة أحقاد دفينة فيقدم على ما اتهمته به مصادر الشيعة . وينسب المستشرق (رونلدسن)(٥) هذه الاتهامات الشيعية للمنصور الى عقيدة الشيعة التي تذهب الى ان جميع الائمة ، فيما عدا علي والحسين والمهدي ماتوا مسمومين ، وذلك حسب الاحاديث الواردة في أن الامام لا يموت ميتة طبيعية ، لا كما تقتضيه سنة الاحتمال .

هذا هو التاريخ السياسي للامام جعفر الصادق ، وموقفه من الخليفتين العباسيين أبي العباس والمنصور ، ومن حركتي الزيدية التي تزعمها محمد النفس الزكية وأخوه ابراهيم .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٢٩٧ .
(٢) مقاتل الطالبيين ص ٢٧٥ وما بعدها .
(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١١٧ .
(٤) أبو زهرة : الامام الصادق ص ٦٤ .
(٥) عقيدة الشيعة ص ١٤٨ .

الآراء السياسية للشيعة الامامية :

كانت فرقتا الامامية والزيدية أبرز فرق الشيعة نشاطاً في العصر العباسي الأول وقد حملتا لواء المعارضة السياسية للدولة العباسية . وقد كان ظهور الفرقتين في العصر الأموي ، ثم تطورت آراؤهما في العصر العباسي ، ويهمنا في بحثنا هذا الاشارة الى الآراء السياسية .

ظهرت الشيعة الامامية في العصر الأموي ، وقد اتفقت على ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد نص على امامة علي « باسمه ويمينه ونصبه للناس اماماً واستخلفه وأظهر الأمر في ذلك الى غيره ، وان الأمة خلت وكفرت بصرفها الأمر الى غيره »(١) ، ورأت الامامية ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القائم بها بتعينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ، ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى الامة ، بل يجب عليه تعيين الامام لهم ، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر وان علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم(٢) .

وسمي الامامية بهذا الاسم نسبة الى « الامام »(٣) ، أي الخليفة ، لأنهم ركزوا تعاليمهم حول « الامام » فكانوا يرون ان علي بن أبي طالب يستحق الخلافة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام ، لا عن طريق صلاحيته وكفاءته ولا عن طريق ما أشار اليه الرسول من صفات لا تنطبق الا عليه ، بل عن طريق

---

(١) ابن نشوان : الحور العين ص ١٥٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ١٣٨ .

(٣) ترى الغالبية العظمى من الفرق الاسلامية « وجوب الامامة » عدا فرقة الخوارج النجدية واتباع هشام الفوطي من المعتزلة (الشهرستاني : نهاية الاقدام في علم الكلام ص ٤٨٢) . وترى الشيعة الاثنا عشرية والاسماعيلية وجوب الامامة عقلا على الله (الرازي : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ١٧٦) .

النص عليه بالاسم . ثم يرون ان الأئمة هم علي وأبناؤه من فاطمة على التعيين واحداً بعد واحد ، وأن معرفة الامام وتعيينه أصل من أصول الايمان(١) .

وترى الشيعة ان الرسول عليه الصلاة والسلام بايع علي بن أبي طالب يوم غدير خم ، وروى اليعقوبي(٢) ان الرسول بعد عودته من حجة الوداع نزل مكانا يعرف بغدير خم (١٨ ذو الحجة) ، وقام خطيباً وأخذ بيد علي فقال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه (٣) . ثم قال عليه الصلاة والسلام : أيها الناس ، اني فرطكم وانتم واردون علي الحوض ، واني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما . فقالوا : وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم ، فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي (٤) .

والامامة عند الشيعة الامامية اذاً عقيدة دينية ، وليست أمراً دنيوياً أو مصلحياً

---

(١) تسوق الشيعة كثيراً من الادلة على آرائهم ، فهناك أولا أدلة نقلية فتشير الشيعة الى آيات قرآنية كريمة مقتضاها انه لا يجوز للناس اختيار الامام ومن هذه الآيات الكريمة :(وربك يخلق ما يشاء ما كان لهم الخيرة) (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً) سورة الاحزاب آية ٣٦ ، (يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل ان الأمر كله لله) سورة آل عمران آية ١٥٤ . وهناك أدلة عقلية : فان الله يوجب الوصية ، وقد قال الرسول (من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية) ولذا لا يمكن ان يغفل الرسول الوصية . وتعيين الامام يجنب المسلمين الاختلاف والانقسام . (محمد الكاظمي القزويني : المناظرات ص ٤ ، الحلى الالفين بين الصدق والمين ص ٢٧ وص ٤١) .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٥ ، المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٥٥ .

(٣) أورد الامام احمد بن حنبل هذا الحديث عدة مرات في مسنده .

(٤) ذهب (الملا محمد الباقر المجلسي) في كتابه (حياة القلوب) ج ٢ ص ٣٣٩ ، الى ان سبب نزول الرسول في غدير خم هو ما أنزل عليه في القرآن بلزوم نصب علي بن أبي طالب خليفة بعده ، وقد أنزل عليه في ذلك عدة مرات ولم يعين الوقت لتبليغ ذلك ، وقد رأى الرسول التبليغ يوم غدير خم لأن المسلمين لو تجاوزوا هذا المكان لتفرق الناس وذهبت كل قبيلة الى ناحية أما ما نزل من القرآن فهو (يا أيها النبي بلغ ما أنزل اليك من ربك ، فان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس) سورة المائدة الآية ٦٧ .

والائمة الذين يتولون هذه الامامة انما يتولونها بوصية من الرسول . وقد أوصى الرسول الى علي ، وعلي أوصى الى الحسن ، والحسن أوصى الى الحسين ، وهكذا حتى يصل الأمر الى الامام جعفر الصادق ، ومن بعده يكون الاختلاف بين الاثني عشرية وبين الاسماعيلية ، فهؤلاء يقولون انها لاسماعيل ، وأولئك يقولون انها لموسى الكاظم ، ومن بعد موسى الكاظم لعلي الرضا ، ومن بعده لمحمد الجواد ، ثم علي الهادي ، ثم للحسن العسكري ، ومن بعده لابنه محمد ، وهو الامام الثاني عشر ، وهو المغيب بسر من رأى الذي ينتظر شيعته ظهوره(١) .

وتنادي الشيعة الامامية بعصمة الأئمة(٢) . ويعرف أحد علماء الشيعة (٣) العصمة بانها الامتناع بالاختيار عن اقتراف الذنوب والخطايا نتيجة لطف الله به ، وهو لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية ولا يمنعه على وجه القهر ، أي انه لا يكون هناك مبرر لارتكاب المعصية وترك الطاعة رغم وجود القدرة عليهما . وما دام الامام هو الوصي ، فلا بد أن يكون معصوماً عن الخطأ والنسيان ، فضلا عن المعاصي (٤) وهذه العصمة تكون في الظاهر والباطن ، وخلال توليه الامامة ، وقبل امامته ، فهي عصمة تصحبه منذ مولده(٥) .

واذا ربطنا بين تعاليم الشيعة وتاريخهم السياسي ، نرى المستشرق (رونلدسن)(٦) يرى ان فكرة عصمة الانبياء في الاسلام مدينة في أصلها وأهميتها التي بلغتها بعد ذلك ، الى تطور علم الكلام عند الشيعة ، وانهم أول من تطرق الى بحث

---

(١) محمد الحسين آل الكاشف : أصل الشيعة وأصولها ص ٧٣ وما بعدها ، أبو زهرة : الامام الصادق ص ١٨٨ – ١٨٩ .

(٢) العصمة لغوياً (المنع) جاء في القرآن الكريم (سآوي الى جبل يعصمني من الماء) أي يمنعني ويقال ان أصل العصمة (الحبل) وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه كقول الله عز وجل (اعتصموا بحبل الله) سورة آل عمران آية ١٠٣ – ابن منظور : لسان العرب ج ١٥ ص ٢٩٦ .

(٣) الشيخ المفيد : شرح عقائد الصدوق ص ١١٤ ، الجيلاني : توفيق التطبيق ص ١٦ .

(٤) المرتضى : الشافي ص ٤٠ .

(٥) الطوسي : تلخيص الشافي ص ٣١٩ .

(٦) عقيدة الشيعة ص ٣٢٨ .

هذه العقيدة ووصف أئمتهم بها ، ويرى (روندلسن) أيضاً انه من الاحتمال ان تكون هـذه الفكرة قد ظهرت في عهـد الامام جعفر الصادق ، أي في النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، اذ أرادت الشيعة ان تثبت دعوى الائمة تجاه الخلفاء السنيين ، ولذا أظهرت عقيدة عصمة الرسول بوصفهم أئمة او هداة .

وتعليل هذا المستشرق يكشف عن حقيقة هامة هي أن البحث في العصمة كان رد فعل او معارضة من جانب الشيعة للخلفاء المغتصبين في نظرهم ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان فكرة العصمة التي تبدو من صميم أبحاث الدين ذات صلة وثيقة بالسياسة ان لم يكن منشأها سياسياً ، وان متكلمي الشيعة قد بدأوا في اثبات وجوب عصمة الأئمة قبل الكلام عن عصمة الانبياء ، ثم اضفوا العصمة على الانبياء ، باعتبارهم في درجة أسمى . ومن ناحية أخرى فان موقف كل فرقة سياسية في الاسلام من موضوع العصمة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموقفها من الامامة أكثر من ارتباطها بالنبوة ، والامامة موضوع سياسة قبل ان تكون موضوع دين(١) .

وترى الشيعة الامامية ، ان أئمتهم ورثوا علم النبي وعلوم الانبياء جميعاً ، وقد ظهرت هذه العقيدة واضحة في عهد الامام جعفر الصادق (٢) . ولا توافق الشيعة الامامية على امامة المفضول مع وجود الافضل(٣) ، اذ ان ذلك مخالف للقرآن الكريم(٤) واذا كان الامام اماماً لرعيته في أحكام الدين وعلومه ومبادئه وجب أن يكون أفضل منهم وأكثرهم علماً وعبادة(٥) .

---

(١) دكتور احمد صبحي : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ١٣٤ – ١٣٥ .

(٢) العاملي : الفصول المهمة ص ١٩٥ ، محمد بن طلحة : مطالب السؤول ص ٥١ ، الكليني : الكافي ص ٥٦ وما بعدها .

(٣) الرازي : نهاية العقول في دراية الاصول (مخطوط) جـ ٢ ص ٢٤٠ – ٢٤٢ .

(٤) قال الله تعالى : (أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أمن لا يهدي الا ان يهدى) – سورة يونس آية ٣٥ .

(٥) احمد صبحي : نظرية الامامة ص ١٥٧ .

أبرز أفكار الإمام جعفر الصادق :

تبلورت الآراء والتعاليم السياسية للشيعة الامامية بعد قيام الدولة العباسية ، وفي عهد الامام جعفر الصادق . وكان جعفر يرى ان الدولة انما تقوم على العصبية ببني العم ، فيقول : «ما تثبت الدنيا الا على بني العم ، المتعاطفين بالبر ، المتعلقين بالأدب ، المجتمعين على التناصر ، الحاضرين بالاتفاق ، الغائبين بلا اغتياب ، بمثل هؤلاء تطول أعمار الدول ، وتدعم الممالك. وما ذل قوم بعد العز حتى ضعفوا وما ضعفوا حتى تفرقوا ، وما تفرقوا حتى تباغضوا ، وما تباغضوا حتى تحاسدوا ، وما تحاسدوا حتى استأثر بعضهم على بعض(١) . ولا شك ان هذه العبارات كانت لها معناها ومغزاها ، فهي موجهة الى الخلفاء العباسيين الذين أقدموا على قتال أبناء عمهم العلويين وقتلهم ، فقد قتل الخليفة المنصور محمد النفس الزكية وأخاه ابراهيم .

وان كان جعفر الصادق لم يعلن الثورة ، كما فعل علي زين العابدين ومحمد الباقر ، وان كان قد نهى ولدي عمه ، النفس الزكية وابراهيم ، عن الثورة(٢) ، الا ان الصادق في نفس الوقت ـــ كان لا يقر الحكم الظالم او المغتصب ، وقد صرح بأن حكم بني أمية كان مغتصباً ، والحكم العباسي كان قريباً منه ، ولم يوجد ما يدل على أن رأيه فيهم مغاير لرأيه في الحكم الأموي ، وانما معنى سكوته انه يرى ان الضرر في الخروج من غير تدبير محكم ، وكل عمل ائمة أكبر من نفعه يكون محرماً شرعاً ، ويرى جعفر أيضاً ان الحكم المغتصب يفني نفسه ، وانه يجب ان يترك المغتصب وهو في قوته ، حتى يأفل نجمه ويثب مريد العدل الى الحكم فيستولي عليه بقوة الحق والشورى والبيعة الصحيحة وقد بدت هذه الآراء في حديث جعفر مع آل عبدالله عبد الحسن . كما يرى الامام جعفر ان الطاعة واجبة بحكم الفقه حتى يتم التغيير من غير قيام فتنة ، ولا خروج

(١) العاملي : الفصول المهمة ص ٢٠٧ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٤٨ .

غير ناجح يؤدي الى مظالم أشد واعنف ، فالانتصار يزيد المغتصب قوة : ويزيد مناوئه ضعفاً(١) .

وقد اتبع جعفر الصادق سيرة آبائه في عـدم الطعن في أبي بكر وعمـر وعثمان(٢) وخاصة ان الامام جعفر كان ينحدر من ناحية أمه الى أبي بكر الصديق ، ولذا افتخر بهذا الانتساب(٣) واستنكر جعفر ما كان يفعله أهالي العراق من الاساءة الى أبي بكر وعمر(٤) .

وتمسك الامام جعفر الصادق بعقيدة التقية(٥) نتيجة ما شهده من اضطهاد الخليفتين العباسيين أبي العباس والمنصور للعلويين وشيعتهم . واكتفت الشيعة بلعن خصومها وأعدائها(٦) . وقال الامام الصادق : « التقية ديني ودين

---

(١) الشيخ أبو زهرة : الامام الصادق ص ٢٠٦ .

(٢) استنكر أحد الجالسين لمحمد الباقر ان يمتدح الباقر الصديق ، فقال الامام : انه صدق جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من لم يقل الصديق فلا صدق الله قوله ديناً ولا آخرة . (ابن الجوزي : صفوة الصفوة ص ٦١) . كما قال الباقر عن أبي بكر وعمر : انهما كانا إمامي هدى رضي الله عنهما (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ص ٩) .

(٣) كان جعفر الصادق يقول : ولدني الصديق مرتين وأنا ابن الصديق مرتين (اعيان الشيعة ج ٤ ص ٨٩) .

(٤) قال جعفر الصادق لجابر الجعفي وهو من الشيعة الجعفرية « يا جابر بلغني ان قوماً بالعراق يزعمون انهم يحبوننا ويتناول أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويزعمون اني أمرتهم بذلك ، فابلغهم اني الى الله منهم بريء ، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم لانالتني شفاعة محمد ، ان لم أكن استغفر لهما وأترحم عليهما ، ان اعداء الله لغافلون عنهم » ، (حلية الاولياء ج ٣ ص ١٣٧) .

(٥) تعرف الشيعة (التقية) بأنها الحيطة والحذر من الظالم القوي ، ويستدلون على تشريع التقية بالآية ١٠٦ من سورة النحل (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر الذي تظاهر بالكفر خوفاً من أعداء الاسلام .

(٦) الكليني : أصول الكافي ص ١٠٥ — قال الامام جعفر لأحد شيعته : « روى لي أبي عن أبيه الذي أخذه عن سمعه عن النبي (من اشتد ضعفه حتى عجز عن معاونتنا نحن آل البيت وعن نصرتنا ولكنه وهو في بيته يصب اللعنات على اعدائنا تحييه الملائكة لأنه من الأبرار ...) .

آبائي » كما قال « من لا تقية له لا دين الله » ويرى كتاب الشيعة ان التقية كانت شعاراً لآل البيت عليهم السلام، دفعاً للضرر عنهم وعن أتباعهم وحقناً لدمائهم واستصلاحاً لحال المسلمين وجمعاً لكلمتهم(١) .

***

(١) محمد رضا المظفر : عقائد الامامية ص ٨٤ وتستند الشيعة في التقية على الآية الكريمة (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) سورة المؤمن آية ٢٨ .

٤ ـ الصراع الفكري بين الشيعة والعباسيين ومو قف الامامين أبي حنيفة ومالك من حركات الشيعة

أسس الجهاد الفكري :

سار البيتان العباسي والعلوي جنباً الى جنب في عصر الخلفاء الراشدين وفي العصر الأموي ، حتى سنة ٩٨ هـ حين أفضى الامام العلوي أبو هاشم بوصيته الى الامام العباسي محمد بن علي(١) ، فبدأ كل بيت يخط طريقه بنفسه ، وهدف كل بيت القضاء على الدولة الأموية ، للوصول الى الخلافة . ثم كان قيام الدولة العباسية واستئثار البيت العباسي بالخلافة(٢) ، فبدأ صراع عنيف مستمر بين العباسيين وأرباب دولتهم من جانب ، والعلويين وشيعتهم من جهة أخرى .

واتخذ الصراع شكلين متميزين ، أما الشكل الأول فهو شكل الحركة الثورية المسلحة ، حيث قام أئمة علويون بثورات ضد الخلفاء العباسيين(٣) والتقت الجيوش العباسية بقوات العلويين وشيعتهم في ساحات قتال عديدة في عديد من الأمصار الاسلامية(٤). وهذا الشكل هو شكل المواجهة العسكرية والصدام الحربي.

أما الشكل الثاني ، فهو صراع فكري ، اعتمد على الفكر واللسان بدلا من شهر السيف ، فكان هذا الجهاد الفكري من صور الصراع بين العباسيين

---

(١) الدينوري : الأخبار الطوال ص ٣٣٤ .
(٢) الفخري ص ١٢٩ – ١٣٠ .
(٣) في عهود المنصور والمهدي ، والهادي ، وهارون الرشيد والمأمون والمعتصم .
(٤) قامت حركات الشيعة في الحجاز والبصرة وبلاد الديلم ، والمغرب ، وخراسان واليمن .

والعلويين ومن وسائل الحركات الشيعية ومن نتاجها أيضاً . كما كان هـذا الجهاد الفكري . إما من وسائل الاعلام ، أو من وسائل اعداد العقول والنفوس للمشاركة في الصراع الايجابي والحركات المسلحة .

والعرب أهل فصاحة وبلاغة ، يعتزون بلغتهم ، اذ هي لغة القرآن الكريم ولذا كان لا بد أن تشارك اللغة العربية وآدابها في ذلك الصراع الذي دار بين العباسيين والعلويين . وأصبح الأدب يصور عاطفتين بارزتين عند الشيعة ، وهما عاطفة الغضب وعاطفة الحزن . أما الغضب فهو لاستئثار العباسيين بالخلافة دون العلويين ، أما الحزن فهو لموقف العباسيين العنيف من الشيعة واسرافهم في التنكيل بهم وفي سفك دماء الزعماء العلويين(١) .

وأصبح الأدب الشيعي مرآة انعكست عليها « محن آل البيت » فقد نسبوا الى الرسول عليه الصلاة والسلام أحاديث بها نبوءات عن النكبات التي سيتعرض لها آل بيته ، وهي امتحان لهم . وقد صورت الشيعة تاريخ آل البيت تصويراً أخاذاً نزعوا فيه نزعة مسرحية ونجد ان تاريخهم منذ كارثة كربلاء عبارة عن سلسلة لا تنقطع من التعذيب والاضطهاد ، ورورت الشيعة اخبارها شعراً ونثراً في مؤلفات كثيرة زاخرة بتراجم هؤلاء الشهداء وكتب المقاتل هذه هي احدى خصائص الشيعة(٢) .

ومما أنعش الصراع الفكري بين العلويين والعباسيين ما اشتهر به البيتـان الهاشميان من بلاغة وفصاحة . والمؤرخون دائماً يصفون خلفاء العصر العباسي الأول بالعلم والأدب وطلاقة اللسان . فكان أبو العباس يحب الجلوس الى العلماء ويشجع الادباء ويغدق على الشعراء(٣) . وكان المنصور كما وصفه صاحب

---

(١) احمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٣٠١ .
(٢) جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٢٠٠ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣١٧ .

الفخري(١) من العقلاء العلماء ذوي الآراء الصائبة . أما المهدي فقد كان استاذه المفضل الضبي أحد أعلام عصره ، وقد لقنه ثقافة عربية رفيعة، ولذا اشتهر المهدي بأنه شاعر مجيد ، وراوية للاحاديث كما كان فصيح اللسان قوي البيان(٢) . ورغم شراسة الهادي فقد كان – كما وصفه المسعودي(٣) – كثير الأدب محباً له وشهدت بغداد في عهد الرشيد نهضة أدبية وفكرية عظيمة فلم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب ما اجتمع على باب الرشيد(٤) ورغم ما أخذه المؤرخون على الخليفة الأمين ، الا انه كان له فصاحة وبلاغة وأدب (٥) . أما عصر المأمون فهو عصر ارتقاء العلوم والآداب والمصادر حافلة بصور عديدة للنهضة الفكرية في عهده(٦) .

وفي نفس الوقت ، كانت الغالبية العظمى من الائمة العلويين ، إماميين او زيديين ، من المشتغلين بالدراسات العلمية والأدبية والدينية والفقهية بل انهم جميعاً تفوقوا على الخلفاء العباسيين ويرجع ذلك الى سببين اولهما ان الخلفاء العباسيين قد انشغلوا بمشاكل السياسة والادارة ، فضلا عن متاع الحياة الدنيا وترف العيش . والسبب الثاني ان العباسيين كانوا بيتاً حاكماً ، ولم يكونوا فرقة او حزباً أو جماعة لها تعاليمها وآراؤها السياسية والدينية ولها فقهها مثلما كان العلويون وشيعتهم وقد اشتهر بيت أبي طالب بالعلم والأدب منذ العصر الجاهلي واستمر ذلك في العصر الاسلامي(٧) .

---

(١) الفخري ص ١٤١ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ١٥ ، الفخري ص ١٤٢ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣١٨ .
(٤) الفخري ص ١٧٥ .
(٥) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٩ .
(٦) للدكتور فريد رفاعي كتاب قيم عن عصر المأمون اهتم فيه بتدوين صور النهضة الفكرية .
(٧) انظر كتاب الائمة الاثنا عشر لابن طولون (ص ٥٠) تجد كثيراً من التفاصيل .

لقد اعتبر الائمة العلويون انفسهم وارثين لعلم الرسول وعلي بن أبي طالب(١) وخاصة اذا علمنا ان هؤلاء الأئمة معصومون، فيقول الجيلاني عن الامام: «فلو لم يكن بين الناس معصوماً أصلا، لا يحصل في شيء من العلوم رسوخ يقيناً»(٢) وللشيعة الامامية عقيدة تحدد صفات الامام وعلمه . فيقول المظفر وهو احد علماء الشيعة : ونعتقد ان الامام كالنبي يجب ان يكون أفضل الناس في صفات الكمال ، أما علمه فهو يتلقى المعارف والاحكام الالهية وجميع المعلومات من طريق النبي او الامام من قبله واذا استجد شيء لا بد ان يعلمه من طريقة الالهام بالقوة القدسية التي أوردها الله تعالى فيه فان توجه الى شيء وشاء ان يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطىء فيه ولا يشتبه ولا يحتاج في كل ذلك الى البراهين العقلية ولا الى تلقينات المعلمين ، وان كان علمه قابلا للزيادة والاشتداد ، ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله في دعائه (رب زدني علماً) ... (٣) .

وهكذا فان كان الخلفاء العباسيون قد حازوا الحكم والجاه والنفوذ ، الا ان الزعماء العلويين قد نالوا تقدير المسلمين واحترامهم لما وصلوا اليه من تفوق علمي وفقهي وأدبي ، حتى أصبحوا مقصد المسلمين من كل مكان(٤) وبذلك عوض هؤلاء الأئمة ما فقدوه من خلافة وسلطة . كما كان أحياناً اشتغال الأئمة العلويين بالعلم والمعرفة ستاراً يختفي وراءه نشاط بعضهم السياسي .

كان عند الأئمة العلويين علم آل البيت العلوي ، وهذه العلوم في الحقيقة لم تكن منفصلة تمام الانفصال عن علم السنة . فقد كان علي أخص الصحابة ، ولازم الرسول مدة طويلة ، اذ تربى في بيته وظل علم علي في بيته نتيجة

---

(١) الكليني : الكافي ص ٥٧ – ترى الشيعة ان انقطاع الوحي بعد انقطاع نزول جبريل عليه السلام لا يعني انقطاع نزول علم الله على الائمة (العاملي : الفصول المهمة ص ١٥١) .

(٢) الجيلاني : توفيق التطبيق ص ٢٦ وما بعدها .

(٣) المظفر : عقائد الامامية ص ٦٧ – ٦٨ .

(٤) انظر ترجمة الامام جعفر الصادق في وفيات الاعيان لابن خلكان ج ١ ص ١٠٥ .

اضطهاد الامويين للعلويين واقتصار الامويين على نقل احكام أبي بكر وقضاء عمر دون نقل احكام واقضية علي ، مما جعلها بعيدة عن اهتمام علماء السنة ولذا توارث العلويون تراث علي (١) .

ورغم ما كان بين الخلفاء العباسيين والأئمة العلويين من عداء سياسي ، الا انهم كانوا يعترفون بافضال وبتقوى وعبقرية الأئمة العلويين . بل ان الخلفاء العباسيين كانوا يبكون على العلويين الذين سقطوا صرعى في ميادين القتال بسيوف الجند العباسيين مثلما بكى المنصور محمداً النفس الزكية وأخاه ابراهيم بعد مصرعهما(٢) ، ومثلما بكى الهادي الحسين بن علي حينما قدم جنده عليه برأس هذا الثائر العلوي(٣) ، وقد شهد المنصور للامام جعفر الصادق بالفضل والنبوغ وبكى طويلا حين علم بوفاته حتى اخضلت لحيته بالدموع (٤) رغم ما كان بينهما من عداء سياسي ومناظرات وحوار وجدال . كما كان عبدالله ابن لحسن الامام الزيدي محدثاً ثقة(٥) .

صور الصراع الفكري :

واتخذ الصراع الفكري بين الخلفاء العباسيين والأئمة العلويين كثيراً من الصور ومنها الخطابات المتبادلة ، ومن أشهرها تلك الكتب التي تبادلها الخليفة المنصور ومحمد النفس الزكية قبل اعلان الامام العلوي ثورته في المدينة(٦) . كما عقد بعض الخلفاء العباسيين كثيراً من مجالس المناظرة حضرها بعض الزعماء العلويين ، ومن هؤلاء هارون الرشيد والمأمون .

---

(١) الشيخ أبو زهرة : الامام الصادق ص ٩١ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٦٣ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٧ ، الفخري ص ١٧٣ .
(٤) ابن الجوزي : صفوة الصفوة ج ٢ ص ١٠٤ .
(٥) روى عبدالله عن التابعين وعن علي زين العابدين وروى المحدثون عنه ومنهم سفيان الثوري ومالك .
(٦) انظر نصوص هذه الرسائل في تاريخ الطبري ج ٦ ص ١٩٥ ، وقد أوردناها أيضاً في ملاحق هذه الرسالة .

الكتاب(١) . وهذا يتصل بفقه جده علي بن أبي طالب ، فقد أفتى أن المجوس كانوا أمة لهم كتاب يقرءونه(٢) .

ومن صور الصراع الفكري بين العباسيين والعلويين الاستعانة بالشعراء في الدفاع عن آراء كل فريق ، وهجاء الفريق الآخر . وكان لكل من الفريقين شعراؤهم ، وكان الشعر من أمضى الاسلحة في ذلك العصر ، ومن أبرز وسائل الاعلام ومخاطبة العقول والنفوس .

شعراء العلويين :

كان للعلويين شعراؤهم الذين آثروا ان يوجهوا ولاءهم نحوهم ، ويعبرون عن آرائهم وانصرفوا عن الخلفاء العباسيين رغم أنهم أصحاب الجاه والسلطان، ومن أشهر شعراء العلويين في العصر العباسي الأول السيد الحميري ، ودعبل بن علي الخزاعي .

أما السيد الحميري (٣) (١٠٥ — ١٧٣ هـ) . فهو شاعر مخضرم ، عاصر الدولتين الأموية والعباسية ، وكان شاعراً مكثراً مجيداً ، وقد سلك طريقاً ماكراً أمن به ايقاع العباسيين وتنكيلهم ، فيمدحهم لأنهم من بني هاشم ، فبلغ ما أراد ولم ينتقم منه العباسيون ، بل نال جوائزهم(٤) . فكان السيد الحميري مع اسرافه في حب العلويين لا يتورع عن مدح خصومهم العباسيين مدفوعاً في ذلك بخوفه من بطش العباسيين ورغبته في الحصول على أموالهم(٥) .

---

(١) أبو يوسف : الخراج ص ١٣٠ .

(٢) سيد الأهل : جعفر بن محمد ص ٥٨ .

(٣) هو اسماعيل بن محمد ، وينتهي نسبه الى ابن مفرغ الحميري ، وأمه من الأزد وجده يزيد بن ربيعة الذي هجا زياد بن أبيه ونفى انتسابه الى أبي سفيان .

(٤) احمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٣١٠ .

(٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ١٣٣ .

وتأثرت حركة تدوين الحديث في العصر العباسي بحركات الشيعة ، ويرى المستشرق (رونلدسن) (١) — وهو من أكثر المستشرقين اهتماماً بالشيعة — أن بعض من اهتموا بجمع الحديث قد وقعوا تحت تأثير الخلفاء العباسيين ، ويرى المستشرق أيضاً أن (الموطأ) للامام مالك بن انس لا يعتبر من الصحاح الستة بالنظر لغايته المحدودة ، فقد كان من اللازم عليه أن يراعي رغبات السلطة السياسية . ويرى (رونلدسن) أيضاً أن احمد بن حنبل ، والبخاري ، ومسلم ، لم يهتموا بارضاء الخلفاء فأوردوا الاحاديث التي تشيد ببني أمية أو تؤيد ما تدعو الشيعة اليه . كما ان الترمذي خصص الفصل الأخير من صحيحه لذكر «فضائل أهل البيت » ، وقد حوت الصحاح الستة كثيراً من الاحاديث التي تمدح علي بن أبي طالب ، وقد أقبل الناس في العصر العباسي الأول على سماع هذه الاحاديث وكانت عاطفتهم قد أثيرت لما نزل من تنكيل بالأئمة العلويين على أيدي الخلفاء العباسيين .

ورأى الأئمة العلويون المشاركة في حركة تدوين الحديث ، وفي مقدمتهم الامام جعفر الصادق ، الذي لم يرو الا عن أهل بيته(٢) . وأدى علو مكانة الامام جعفر بين المسلمين ، ودقته وأمانته في رواية الاحاديث واسنادها الى اقبال أهل السنة على الاحاديث المروية عنه(٣) . وبذلك قامت حركتان لتدوين الاحاديث وروايتها : حركة عباسية وحركة علوية واستفاد العباسيون ورجالهم من بعض الاحاديث التي رواها العلويون مثل استفادة أبي يوسف في كتابه (الخراج) من الحديث الذي رواه الامام جعفر الصادق عن أبيه عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ان يسن بالمجوس سنة أهـل

(١) عقيدة الشيعة ص ٢٨٠ — ٢٨١ .
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢/ص ٩ .
(٣) الشبلنجي : نور الابصار ص ١٤٥ .

ويصف صاحب الاربعاء (١) السيد الحميري ، بأنه كان علوياً متطرفاً وعباسياً معتدلا في وقت واحد ، فكان من أشد الناس اخلاصاً لآل علي ، يجهر بذلك ويعلنه ولا يتحرج منه . وكان في الوقت نفسه مسروراً بفوز بني العباس ، لا لأنهم فازوا على العلويين ، بل لأنهم يمثلون بني هاشم الذين فازوا على الأمويين . وكان يعلن هذا الفرح ، وينتظر أن يأتي يوم آل علي ، وهو لا ينتظر هادئاً ولا صامتاً ، وانما كان يبث الدعوة لآل علي ويبذل في ذلك من الجهد والقوة ما استطاع . ثم لم يكن فرحه بسقوط الأمويين وحده هو الذي يدنيه من بني العباس ، وانما كان هناك شيء آخر يدنيه منهم وهو الرغبة والرهبة ، فكان يطمع في أموال بني العباس ، ويفيد منها غير قليل ، وكان يخشى بطشهم. والى جانب القصيدة التي يمدح بها آل العباس ، نجد القصائد الطوال الكثيرة التي يشيد فيها بآل علي .

لم يعترض الخلفاء العباسيون على ما ساقه السيد الحميري من مديح الى العلويين حتى لاينطلق ويقتصر على مديحهم ، وهجاء العباسيين . وعاصر السيد الحميري الخلفاء أبا العباس ، والمنصور ، والمهدي وقد كان في أول الأمر على مذهب الكيسانية ثم تحول الى مذهب الشيعة الامامية ، ومدح الامام جعفر الصادق ، ولكن المسلمين أخذوا على السيد الحميري هجاءه لبعض الصحابة الذين وقفوا موقفاً عدائياً من بني هاشم وخاصة علي بن أبي طالب، وفي مقدمة هؤلاء الصحابة أبو بكر وعمر بن الخطاب(٢) .

مدح السيد الحميري الامام جعفر الصادق ، ومدح أيضاً الخليفة المنصور ، ولكن الامام جعفر غفر للشاعر مديحه للخليفة العباسي (٣) ونحمد للسيد الحميري

---

(١) طه حسين : حديث الاربعاء ج ٢ ص ٢٢٨ .

(٢) الاصفهاني : الاغاني ج ٧ ص ٣ – ٧ – حرض السيد الحميري الخليفة المهدي على حرمان آل أبي بكر وعمر من العطاء اذ يعتقد انهما اغتصبا حق علي المشروع في الخلافة .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ ، ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ١ ص ٢٦٣ .

رغم تقلبه بين العلويين والعباسيين انه لم يكن شعوبياً فهو رجل عربي خالص ، لأمه وأبيه وهو من عرب اليمن ، وليس له صلة بالفرس ولم يكن تشيعه طلاء سياسياً كاذباً ، يستر الشعوبية ويبغض العرب»(١) .

ومن شعراء الشيعة في العصر العباسي الأول أيضاً دعبل بن علي الخزاعي ، وقد اختلف في منهجه واتجاهاته عن السيد الحميري ، فقد كان كل ولائه موجهاً نحو العلويين حتى انه جهر بعدائه الشديد للخلفاء العباسيين ، وهجاهم هجاء صريحاً عنيفاً . وللشاعر قصائد عصماء في رثاء محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم اللذين لقيا حتفهما في عهد الخليفة المنصور ، وفي رثاء الحسين بن علي الذي استشهد في عهد الخليفة الهادي(٢) . وأبدى دعبل حبوره لبيعة المأمون للامام العلوي الرضا بولاية العهد .

لم ينج الخلفاء العباسيون من هجاء دعبل ، فقد هجا المنصور والرشيد والمأمون ثم أسرف في هجاء المعتصم ، وخاصة بعد اعتماده على العناصر التركية ، وأراد المعتصم قتله ، فهرب الشاعر الى بلاد المغرب واستمر في هجاء العباسيين ، فهجا آخر خلفاء العصر العباسي الأول الواثق بالله(٣) . وكان هجاؤه دائماً عنيفاً قاسياً(٤) .

شعراء العباسيين :

وشارك الخلفاء العباسيون في هذا الجهاد الفكري مع العلويين ، فكان للخلفاء شعراء أصبحوا السنة ناطقة تلهج بمديحهم وهجاء خصومهم العلويين . وفي مقدمة هؤلاء الشعراء مروان بن أبي حفصة . وهو شاعر مخضرم ، عاصر أواخر

---

(١) طه حسين : حديث الاربعاء ج ٢ ص ٢٣٩ .
(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ .
(٣) الاصفهاني : الأغاني ج ١٨ ص ٢٩ .
(٤) المصدر السابق .

الدولة الأموية ومطلع الدولة العباسية ، وكان ولاؤه موجهاً نحو الخلفاء الأمويين ، ولم يجد بأساً في تحول هذا الولاء الى الخلفاء العباسيين بعد قيام دولتهم .واعتبرهم أصحاب الحق الشرعي في الخلافة ، لأنهم سلالة العباس بن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو أحق بوراثة ابن أخيه من علي بن أبي طالب وآله . وأثار مروان مشاعر الشيعة حتى لقي حتفه على أيديهم(١) .

ويرى صاحب حديث الاربعاء(٢) ان مروان بن أبي حفصة كان يعبد المال ويقدسه تقديساً، وكان فيما بينه وبين نفسه يزدري الأمويين والعباسيين والعلويين وانما أراد ان يفوز بأموال العباسيين ، ولو أدال الله منهم للامويين أو للعلويين لسار مع الدولة الجديدة سيرته مع الدولة القديمة ، فلم يكن مروان اذن عباسياً مخلصاً ولم يكن شاعراً من شعراء الاحزاب بالمعنى الصحيح .

وكان العباسيون في حاجة الى من ينصرهم على العلويين وشيعتهم ولم يكن هجاء العلويين بالأمر اليسير ، اذ يثير مشاعر المسلمين . والعلويون والعباسيون يجمعهم البيت الهاشمي . ولذلك كان هجاء الشعراء العباسيين خالياً من الشتم والقذف(٣) .

ومن الشعراء الذين خاضوا الجهاد الفكري بين العباسيين والعلويين ، الشاعر أبان بن عبد الحميد . وكان شغوفاً بالمال ، الى حد جعله يتغاضى عن آرائه في سبيل المال . وكانت قصائده تدور حول أحقية العباسيين في الخلافة دون العلويين .

وخلاصة القول ، اغنت الشيعة الأدب ، لا من الناحية العقلية فحسب ، بل من الناحية السياسية والعاطفية ايضاً ، فظلوا يقولون في الحق وطلبه ، والإرث

---

(١) الأغاني ج ٩ ص ٢٨ .
(٢) طه حسين : حديث الأربعاء ج ٢ ص ٢٣ .
(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٣٤ .

وغصبه ثم يبكون على حق ضاع ، ودم أريق ، وحرمات انتهكت وبيوت دمرت ، وجثث صلبت وذريت ، فكان لنا مع الأدبين جميعاً فكر وعاطفة وعقل وقلب ، وكلاهما لا بد منه في الأدب(١) .

وخاض الامامان أبو حنيفة ومالك بن أنس ذلك الصراع الذي قام بين العلويين والعباسيين ، وكان لهما موقفهما من الائمة العلويين والخلفاء العباسيين .

موقف أبي حنيفة من العلويين والعباسيين :

ولنرى الآن مدى العلاقة بين الامام أبي حنيفة(٢) والشيعة في العصر العباسي الأول . وقد اختلف المؤرخون والكتاب في تحديد أبعاد هذه العلاقة ، فنرى بعض المصادر الشيعية ان أبا حنيفة كان من الشيعة ، بينما تنفي المصادر السنية ذلك ، وتقف بعض المصادر موقفاً وسطاً ، فتبرر موقف أبي حنيفة من الائمة العلويين بأنه ولاء منه لآل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسخط على العباسيين .

كان مولد أبي حنيفة في سنة ٨٠ هـ ، في عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وعاش الى سنة ١٥٠ هـ ، فهو قد أدرك العصر الأموي في عنفوانه وقوته ، ثم في تحدره وانهوائه ، وأدرك الدولة العباسية في نشأتها قوية ظافرة(٣).

عاش أبو حنيفة في العصرين الأموي والعباسي . وكان أبو حنيفة ساخطاً على الدولة الأموية ، ميالا الى العلويين وكان يرى جواز الخروج على الحكم الأموي ،

---

(١) احمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٣١٥ .

(٢) وهو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان . تذهب معظم المصادر الى أن مولد أبي حنيفة كان سنة ٨٠ هـ (بعض المصادر تذكر ان مولده كان سنة ٦١ هـ) وتذهب معظم المصادر الى انه فارسي الأصل (المكي : مناقب أبي حنيفة ص ٦ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٣٣١) .

(٣) أبو زهرة : أبو حنيفة ص ٧٨ .

وان لم يشترك عملياً في الثورات التي واجهت الدولة الأموية . وأفتى أبو حنيفة بأن خروج زيد بن علي على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١٢١ هـ خروج شرعي يجب ان يعاضده جميع المسلمين(١) . وكان لزيد مكانة عالية في نفس أبي حنيفة، كما كان لأبي حنيفة صلات وثيقة بالامامين: محمد الباقر(٢) وجعفر الصادق (٣) وغيرهما من ابناء الأسرة العلوية (٤) . وقد عبر أبو حنيفة عن كراهيته للدولة الأموية برفضه تولي قضاء الكوفة حينما عرضه عليه يزيد ابن عمر بن هبيرة والي العراق في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، فضربه يزيد مائة وعشرة سياط(٥) .

ثم قامت الدولة العباسية ، وهي دولة هاشمية ، فماذا كان موقف أبي حنيفة منها؟ لا شك أن أبا حنيفة أبدى ارتياحه إذ آلت الخلافة الى البيت الهاشمي ـ آل الرسول عليه الصلاة والسلام ـ ولكن لم يعجبه موقف الخلفاء العباسيين من العلويين واسرافهم في التنكيل بهم وسفك دمائهم، فهم أيضاً من آل الرسول الكريم .

وفي عهد الخليفة المنصور ، أراد الخليفة أن يستعين بأبي حنيفة باعتباره اماماً فقيهاً بارزاً ، لمواجهة ما اشتهر به الامام العلوي جعفر الصادق من علم وفقه .

---

(١) اليعقوبي ج ٣ ص ٦٥ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ١٣٥ .

(٢) رغم نشأة أبي حنيفة في الكوفة ، فقد كان يتردد على المدينة باستمرار ويزور الامام محمد الباقر وقامت مناظرات كثيرة بينهما (الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ١ ص ٢٤ — ٢٧) .

(٣) كان أبو حنيفة والامام جعفر الصادق في عمر واحد ، وقال أبو حنيفة : « والله ما رأيت أفقه من جعفر الصادق » . وكان جعفر من شيوخ أبي حنيفة (الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ١ ص ٢٧) .

(٤) الشرباصي : الائمة الاربعة ص ٥٤ .

(٥) ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٦ وما بعدها .

فقد استدعى المنصور أبا حنيفة اليه ، وقال له : « يا أبا حنيفة ، ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد ، فهيء له من المسائل الشداد » واستجاب أبو حنيفة لطلب الخليفة المنصور ، وهيأ للامام الصادق أربعين مسألة من مسائل الدين والفقه . ويصف أبو حنيفة لقاءه بالامام الصادق في مجلس المنصور فيقول : « أتيته فدخلت عليه – أي المنصور – وجعفر بن محمد عن يمينه ، فلما بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخلني لأبي جعفر ... »، وبدأت المناظرة بين أبي حنيفة وجعفر الصادق ويتحدث أبو حنيفة عن نتيجة المناظرة فيقول : « حتى أتيت على الاربعين مسألة ، فما أخل منها بمسألة»(١) .

وكان عبدالله بن الحسن ، شيخ الزيديين ، من اخطر العلويين على خلافة أبي جعفر المنصور . وكان أبو حنيفة من تلاميذه (٢) . وكان القبض على عبدالله ابن الحسن وآل بيته وسجنهم ، وما نالوه من اضطهاد وتعذيب ، مما أثار عطف أبي حنيفة على العلويين وسخطه على الخليفة المنصور ، وخاصة أن أبا حنيفة كانت تربطه بعبد الله بن الحسن صلات ودية وثيقة(٣) .

ووقف أبو حنيفة من خلافة المنصور موقف المعارضة ، واتخذت معارضته شكلا سلبياً أحياناً ، وشكلا ايجابياً أحياناً أخرى . أما الشكل السلبي فيبدو في انتقاده الدائم للعباسيين والتعليق على سياستهم خلال دروسه ، ونقده أعمال القضاء ، ورفضه العمل للدولة ، مما أوغر صدر المنصور عليه(٤) . أما الشكل الايجابي ، فهو موقفه الحازم من ثورتي محمد النفس الزكية وابراهيم ، وقد

---

(١) الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ١ ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) كان عبدالله بن الحسن أكبر سناً من أبي حنيفة بعشر سنوات ، اذ كان مولده سنة ٧٠ هـ بينما كان مولد أبي حنيفة سنة ٨٠ هـ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ١٨٣ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٦٠ .

(٤) الشرباصي : الائمة الاربعة ص ٥٤ .

تحدثنا عن هذا الموقف الايجابي عند دراستنا لهاتين الثورتين في الباب الثاني من هذا البحث(١) .

ولنا أن نتساءل : هل كان موقف أبي حنيفة من العلويين نتيجة تشيعه واعتناقه تعاليم الشيعة ؟ أم هو ميل الى البيت العلوي ؟ أم هو عطف على العلويين لما نالهم على أيدي العباسيين ؟

نرى ان أبا حنيفة لم يكن من الشيعة ، ولم يتشيع ، ولكنه كان متعاطفاً مع العلويين ، مقدراً لمكانة أئمتهم بين المسلمين وما هم عليه من تدين وورع وفقه ، والعالم الفقيه خير من يقدر العلماء الفقهاء . فضلا عن انتساب العلويين الى آل الرسول عليه الصلاة والسلام. كما كان أبو حنيفة راثياً للعلويين ما لاقوه من اضطهاد العباسيين لهم .

وخير دليل نسوقه ، هو رأي أبي حنيفة في أبي بكر وعمر ، فقد كان يضعهما في المكان قبل علي بن أبي طالب ، وكان أبو حنيفة يقدر أبا بكر تقديراً فائقاً ، بل أراد أن يتشبه به في سخائه وفي اشتغاله بالتجارة(٢) ، ويجعل أبو حنيفة عمر بعد أبي بكر . ولكنه يقدم علي بن أبي طالب على عثمان بن عفان ، وان كان يذكر عثمان دائماً بالخير ويترحم عليه ولا يذكره بسوء مطلقاً(٣) . ولم يرض كثير من الشيعة والعلويين ، وخاصة الامام محمد الباقر ، عن آراء أبي حنيفة في أبي بكر وعمر وعثمان(٤) . وان كانت الشيعة الزيدية أبدت رضاها عن هذه الآراء ، فهم ممن يعترفون بصحة خلافة أبي بكر وعمر . وفي الحقيقة ، لم يقصر أبو حنيفة اتصاله بفرق الشيعة على فرقة واحدة منها ،

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٦١ .

(٢) كان لأبي بكر حانوت بز في مكة ، وكان لأبي حنيفة حانوت بز أيضاً في الكوفة .

(٣) الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ١ ص ٨٢ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٣١ .

(٤) الموفق المكي : مناقب ابي حنيفة ج ٢ ص ١٦٥ .

بل كان على صلات ، ذات ابعاد مختلفة ، مع الشيعة الكيسانية ، والامامية ، والزيدية .

ولأبي حنيفة رأي خاص به في اختيار الخليفة ، يختلف عن آراء الشيعة وسائر الفرق ، وعبر الامام عن رأيه بصراحة في مواجهة الخليفة المنصور حين سأله عن رأيه في خلافته ، فقد قال أبو حنيفة(١) : « المسترشد لدينه يكون بعيد الغضب ان أنت نصحت لنفسك علمت أنك لم ترد الله باجتماعنا ، فانما أردت ان تعلم العامة أنا نقول فيك ما تهواه مخافة منك ، ولقد وليت الخلافة وما اجتمع عليك اثنان من أهل الفتوى ، والخلافة تكون باجتماع المؤمنين ومشورتهم » .

ويفسر الشيخ أبو زهرة(٢) ، في كتابه القيم عن أبي حنيفة ، هذه العبارة بأن أبا حنيفة كان يرى أن الاختيار العام للخليفة يجب أن يكون سابقاً على تولية سلطته ، أي أن الخلافة لا تتم الا باختيار سابق من المؤمنين ، وبيعة كاملة ، فالخلافة عنده ليست بوصاية ، ولا يكون خليفة من يفرض نفسه على المسلمين ، وان خضعوا بعد ذلك أو ارتضوه ، انما الخلافة باختيار حر سابق على تولي الحكم .

روى الاصفهاني كثيراً من الروايات حول تأييد أبي حنيفة لمحمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم خلال ثورتهما على الدولة العباسية في عهد المنصور . ولكن الاصفهاني لم يذكر صراحة اعتناق أبي حنيفة مذهب الشيعة . من هذه الروايات : « كان أبو حنيفة يجهر في أمر ابراهيم جهراً شديداً ، ويفتي الناس بالخروج معه »(٣) وقد كتب أبو حنيفة الى ابراهيم ينصحه بقصد الكوفة ، فقال :

(١) دعا الربيع بن يونس حاجب المنصور الامام مالك ، وابن أبي ذؤيب ، وأبا حنيفة للمثول بين يدي الخليفة المنصور ليسألهم عن آرائهم في خلافته .

(٢) ابو زهرة : أبوحنيفة ص ١٦٥ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٦١ .

« ائتها سراً فان من هاهنا من شيعتكم يبيتون أبا جعفر — المنصور — فيقتلونه ، أو يأخذون برقبته فيأتونك به » (١) .

فسر المرحوم الأستاذ أحمد أمين موقف أبي حنيفة من كل من العباسيين والعلويين ، فقال : استدل المنصور من إباء أبي حنيفة تولي القضاء (٢) على صحة ما اتهم به من التشيع وعدم رضائه عن دولتهم والغالب ان أبا حنيفة كان أميل في الفتنة التي قامت بين العلويين والعباسيين الى محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم وكان يرى أن محمداً أحق بالخلافة وكان ناقماً على العباسيين سطوتهم وشدتهم ، وكثير من العلماء في هذا العصر كانوا على هذا الرأي ، وكان امتحان العباسيين لهم ولميولهم مظهره عرض الوظائف عليهم والاستدلال بإبائهم أو قبولهم على ميولهم(٣) .

وذكر المستشرق (رونلدسن) (٤) ، وهو في مقدمة المستشرقين الذين تعمقوا في دراسة الشيعة ، أن الشيعة كانوا يحترمون ويجلون أبا حنيفة لصلاته الودية الوثيقة بالامام جعفر الصادق وقد ازداد اعجابهم به حينما قال عن العباسيين أنهم لو أرادوا بناء مسجد وأمروه باحصاء الآجر(٥) فانه لا يفعل

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦٦ .

(٢) استدعى المنصور أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد وطلب منه أن يلي القضاء ، فرفض فاقسم المنصور عليه أن يتولاه ، فاقسم أبو حنيفة الا يفعل وطلب الحاجب الربيع بن يونس من أبي حنيفة العدول عن قسمه ، فقال أبو حينفة له : أمير المؤمنين على كفارة ايمانه أقدر مني على كفارة ايماني (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٧١) .

(٣) احمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٨٤ .

(٤) عقيدة الشيعة ص ١٤٣ .

(٥) بعد رفض أبي حنيفة تولي القضاء وأقسم على ذلك أراد المنصور ان يرغمه على نكث قسمه بالا يتولى ذلك المنصب ، فعهد اليه ببعض أعمال بناء بغداد فكلفه بضرب اللبنات واحصائها ومراقبة العمال ، وابتكر أبو حنيفة طريقة جديدة في احصاء الآجر فكان يحصيها بالقصبة بدلا من طريقة العد المعتادة (الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٧١) .

لأنهم فاسقون والفاسق لا يتولى الامامة . ويرى (رونلدسن) ان هذا القول بلغ الخليفة المنصور فسجنه وظل في سجنه حتى مات ، كما يرى ان اضطهاد المنصور لأبي حنيفة جعل أبا حنيفة يكسب صداقة الشيعة .

وينفي أحد الكتاب الذين أفردوا كتاباً عن أبي حنيفة(١) اعتناق أبي حنيفة مذهب الشيعة ، ويدلل على ذلك بأن المنصور لو أدرك هذه الحقيقة لما ترك أبا حنيفة يلقي دروسه في الكوفة مركز الشيعة ، سنوات طويلة .

ونحن نرى أن أبا حنيفة كان بعيداً عن التأثر بآراء الشيعة وعقائدهم وان الأمر اقتصر على عطفه على العلويين(٢) ، وسخطه على مظالم العباسيين . فأبو حنيفة هو الامام الأعظم لأهل السنة ، أما الشيعة فلهم فقههم ومعتقداتهم الخاصة بهم ، ولم يعرف عن أبي حنيفة انه روج لفقه الشيعة أو تأثر به ، فقد اشتهر بالاستقلال في الرأي ، ولو كان أبو حنيفة على آراء الشيعة وتعاليمها ، لجهر بذلك اذ اشتهر بالشجاعة والجرأة ، وكان موقفه من ثورتي النفس الزكية وابراهيم صريحاً جريئاً . كما أن رفض أبي حنيفة تولي القضاء لم يكن نتيجة ميول الى الشيعة ، فقد رفض القضاء أيضاً في العصر الأموي اذ كان يرفض تولي القضاء للخلفاء يرى أنهم ظالمون ، وقد رفض كثير من العلماء والفقهاء تولي المناصب الحكومية ، وعاب على أبي يوسف صاحب كتاب الخراج تولي القضاء في عصر المهدي(٣) .

---

(١) عبدالحليم الجندي : أبو حنيفة ص ٢١٣ .

(٢) التقى أبو حنيفة بعلي بن أبي طالب وكان أبو حنيفة حينئذ صغير السن وكان يعتقد أن علياً على حق في قتال المخالفين له أمثال طلحة والزبير ، ولكنه لم يسب أو يطعن في هؤلاء المخالفين (الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ٢ ص ٨٣ — ٨٤) ويذكر الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٦ أن علي بن أبي طالب دعا لأبي حنيفة ولذريته بالبركة فيهم .

(٣) هو أبو يوسف الذي أصبح قاضي القضاة في عهد هارون الرشيد ولم يجد حرجاً في توجيه النصائح للرشيد في كتابه (الخراج) فقد كان جريئاً كاستاذه أبي حنيفة ولكنه اختلف عنه في توليه المناصب العامة في الدولة العباسية لفقره وحاجته (ابن النديم الفهرست ص ٢٨٦) .

رغم الصلة الوثيقة التي كانت تربط أبا حنيفة بالامام العلوي جعفر الصادق ، الا انهما كانا كثيراً ما يختلفان في الرأي . فقد عارض أبو حنيفة في أحد مجالسه بعض آراء الصادق ، مما دفع أحد الشيعة المتحمسين ، ويدعى بهلول ، الى أن ضرب رأس أبي حنيفة بلبنة، فاشتكاه أبو حنيفة للخليفة العباسي المنصور(١) .

وفي الحقيقة لم يكن الميل السياسي وحده هو الظاهر في صلة أبي حنيفة بآل البيت ، بل الاتصال العلمي كان واضحاً ، ولعله هو السبب في هذا الميل السياسي فقد وجدناه متصلا عملياً بالامام زيد بن علي ، وعد من شيوخه كما كان متصلا بعبد الله بن الحسن والد الشهيدين محمد وابراهيم ، وعد من شيوخه أيضاً ، ووجدنا أبا حنيفة يروي عن محمد الباقر وجعفر الصادق ، ومسنده شاهد بذلك(٢) .

وكان أبو حنيفة مقتنعاً بأن ابراهيم بن عبدالله بن الحسن كان على حق في خروجه على المنصور ،فقد سأله أحدهم: ايهما أحب اليك بعد حجة الاسلام: الخروج الى هذا ام الحج ؟ فقال أبو حنيفة : غزوة بعد حجة الاسلام أفضل من خمسين حجة(٣) .

موقف الإمام مالك من العلويين :

وماذا كانت علاقة الامام مالك بن أنس بالشيعة في العصر العباسي الأول ؟

كان مولد الامام مالك سنة ٩٣ هـ(٤) ، في المدينة المنورة ، التي كانت موطناً للعلم ، ومقراً لكثير من العلويين . وكانت وفاة مالك سنة ١٧٩ هـ ،

(١) انظر تفاصيل مناضرة أبي حنيفة والامام الصادق في كتاب تذكرة الائمة للمجلسي ص ٣٠)
(٢) أبو زهرة : أبو حنيفة ص ١٦٤ .
(٣) الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ج ٢ ص ٨٤ .
(٤) سنة مولد مالك مختلف عليها ، فقيل انه ولد سنة ٩٠ أو ٩٣ او ٩٤ او ٩٥ او ٩٦ ، ولكن معظم من أرخ لمالك يرجح سنة ٩٣ هـ (أبو زهرة : مالك ص ١١) وهو مالك بن أنس بن أبي عامر الاصبحي اليمني ، وينتسب الى قبيلة يمنية هي ذو أصبح .

فعاصر الدولتين الاموية والعباسية . وعاش مالك فترة شبابه المبكر في ظل خلافة عمر بن عبد العزيز ، وما اتصفت به من عدل وزهد ، فأصبح عمر لأبي حنيفة مثلا أعلى للحاكم العادل(١) . وفي خلال العصر الأموي ، لزم مالك الجماعة ، ولم يخرج عن الطاعة فلم يدع الى ثورة ، ولكنه في نفس الوقت لم يدع الى طاعة الخلفاء الامويين ولم يناصرهم ، بل التزم مالك الحياد من كل الثورات التي قامت في العصر الاموي ضد الخلفاء دون تحيز الى أحد الفريقين(٢) .

وتعرض الامام مالك في كهولته لمحنة كبرى ، فقد اضطهده الخليفة المنصور ثم ضربه والي المدينة سبعين سوطاً . فهل ترتبط هذه المحنة بموقفه من العلويين ؟

روى الاصفهاني(٣) ان الامام مالك لما خرج مع محمد النفس الزكية قال له رجل انه ضعيف لا يقوى على القتال ، فقال انه اراد ان يقتدي الناس به . كما روى الاصفهاني(٤) أيضاً ان الفتوى التي اصدرها مالك كانت من العوامل التي دفعت بكثير من المسلمين الى تأييد محمد النفس الزكية ، فقد قال لهم عن بيعتهم للمنصور : « انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين » . وروى ابن قتيبة(٥) ان أحد العلويين قدم على مالك يعرض عليه ما نالهم من ايذاء واضطهاد ، فقال مالك له : « اصبر حتى يجيء تأويل هذه الآية (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) » ، اي ان مالكاً كان يتوقع قيام دولة علوية .

---

(١) ابن عبد الحكم : سيرة عمر بن العزيز ص ١٧ .
(٢) ابو زهرة : مالك ص ٥٠ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٢٨٠ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٨٣ .
(٥) ابن قتيبة : الامامة والسياسة جـ ٢ ص ١٤٨ .

ونستطيع أن نقول أن مالكاً كان يعطف على العلويين ، ولكنه لم يتشيع أو يتأثر بتعاليم الشيعة . فقد كون مالك لنفسه آراء سياسية تخالف آراء الشيعة تماماً . فقد كان يعترف بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وكان مالك يضعهم في مقدمة الصحابة ، بينما كان ينظر الى علي بن أبي طالب على أنه صحابي مثله في ذلك مثل سائر الصحابة(١) وبذلك خالف الامام مالك الامام أبا حنيفة الذي يقدم علي بن أبي طالب على عثمان ، كما خالف الامام الشافعي الذي كان يشيد دائماً بعلي حتى اتهم بالتشيع .ونستطيع أن نستنبط من اعتراف أبي حنيفة بصحة خلافة هؤلاء الراشدين الثلاثة انه لا يرى حصر الخلافة في البيت العلوي أو الهاشمي .

ويرى الشيخ ابو زهرة(٢) ان مالكاً كان يحدث بحديث « ليس على مستكره طلاق » ، وصادف أن ذاع هذا الحديث وشاع في وقت ثورة محمد النفس الزكية بالمدينة واعتبره الناس تحريضاً على البيعة للتأثر ، والتحلل من بيعتهم للمنصور بل أن المنصور نفسه غضب على مالك ونهاه عن أن يحدث بهذا الحديث ، حتى اذا لم يستجب لأمره ، ضربه والي المدينة بالسياط . ويرى الشيخ أبو زهرة أيضاً ان سبب المحنة ليس هو الحديث بالحديث وحده ، بل التحديث به في وقت قيام هذه الثورة العلوية واستفادة الثوار من هذا الحديث لتحريض الناس على الخروج مستفيدين من مكانة مالك في العلم والافتاء .

أمر والي المدينة جعفر بن سليمان بن العباس بضرب الامام مالك بالسياط ، فهل كان ذلك بأمر الخليفة المنصور ؟ نستنبط من رواية لابن قتيبة ان المنصور غضب لما حاق بالامام مالك حتى انه عزل الوالي رغم صلة القرابة به ، ثم اعتذر

(١) القاضي عياض : ترتيب المدارك (مخطوط) القسم الأول من الجزء الأول ص ٣٤٥ ، سأل احد العلويين الامام مالك : « من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأجاب مالك : أبو بكر . فسأله : ثم من ، فقال مالك : ثم عمر فسأله العلوي : ثم من ، قال : الخليفة المقتول ظلماً عثمان .

(٢) أبو زهرة : مالك ص ٥٨ .

لمالك حين التقى به في موسم الحج بعد اعتذار مالك عن الرحيل الى بغداد (١) ويذكر الشيخ أبو زهرة(٢) انه لا يمكن ان ننفي ان ما لحق بمالك كان بعلم ورضا من المنصور الداهية الذي كان على علم بما يجري داخل دواته بل انـــه كان على علم بما كان يجري في بيت مالك حتى ان المنصور كان يعرف ان مالكاً كان يأمر خادمه بادارة الرحى حتى لا يسمع الجيران صوت ابنته تبكي معاناة من الجوع . ولكن المنصور اضطر الى الوقوف هذا الموقف من مالك، فأنكر انه أمر واليه بذلك لأنه لم يكن يتوقع روح السخط الشديدة التي شاعت فـــي المدينة على الوالي العباسي .

عاصر الامامان أبو حنيفة ومالك حركة تدوين الاحاديث في العصر العباسي (٣) وقد تأثر علم الحديث بذلك الصراع الناشب بين العباسيين والعلويين . ووضع أنصار الفريقين من الاحاديث ما تتمشى مع آراءهم ومصالحهم . فوضع العباسيون احاديث تضفي شرعية على توليهم الخلافة باعتبارهم سلالة العباس عم الرسول ، وتضع الشيعة أحاديث تنتهي بحصر الخلافة في البيت العلوي ، وأهل السنة يجعلون الامامة في قريش ، ويجعل الخوارج الخلافة حق لكل مسلم . ولما كان العباسيون أكثر مالا وسلطاناً ، كان وضع الأحاديث لهم أوفر(٤) . ويرى المستشرق

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٤٨ — ١٥١ .

(٢) مالك ص ٦٠ .

(٣) يرى علماء الشيعة الامامية ان علي بن أبي طالب هو أول من دون الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقام بتصنيف الاحاديث النبوية ، كما تعتمد الشيعة على الاحاديث التي رواها الصحابي سلمان الفارسي وكان مشايعاً لعلي ، وكان الائمة العلوية كعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق من رواة الاحاديث (السيد — حسن الصدر : تأسيس الشيعة ص ٢٧٩).

(٤) احمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٢٦ — مثل الحديث الذي رواه الترمذي عن ابن عباس فقال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : اذا كان غداة الاثنين فأتني انت وولدك حتى أدعو لك دعوة ينفعك الله بها وولدك ، فغدا وغدونا معه ، والبسنا كساء ، ثم قال : اللهم اغفر للعباس وولده مسخره ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً ، اللهم احفظه في ولده » .. ومن الاحاديث التي وضعتها الشيعة ما رواه الطبراني : قال رسول الله : « الخلافة في ولد وعمي وصنو أبي حتى يسلموها للمسيح » .

(رونلدسن)(١) أن بعض من اهتموا بجمع الحديث قد وقعوا تحت تأثير الخلفاء العباسيين ، في نفس الوقت حوت الصحاح الستة كثيراً من الاحاديث التي تمدح علي بن أبي طالب ، وقد أقبل الناس في العصر العباسي على سماع هذه الاحاديث وكانت عاطفتهم قد أثيرت لما نزل من تنكيل بالائمة العلويين على أيدي الخلفاء العباسيين .

---

(١) عقيدة الشيعة ص ٢٨٠ – ٢٨١ .

الباب الثالث

جهاد الشيعة
في عصري الخليفتين المهدي والهادي

١ ـ تطور فرقة الشيعة الإمامية وظهور فرقة الشيعة الإسماعيلية .

٢ ـ موقف الشيعة الزيدية والإمامية من خلافة المهدي .

٣ ـ تشيع الوزير العباسي يعقوب بن داود ومحاولته تحويل الخلافة الى العلويين .

٤ ـ ثورة الحسين بن علي في عهد الخليفة الهادي .

١ – تطور فرقة الشيعة الامامية
وظهور فرقة الشيعة الاسماعيلية

كانت **فرقة الكيسانية** أكثر فرق الشيعة نشاطاً في أواخر العصر الاموي ، بعد أن ركن أئمة الشيعة الامامية الى الهدوء ، نتيجة الضربات المتوالية التي أصابت العاويين ، وقد شهدنا الاحداث التي تطورت فأدت الى قيام الدولة العباسية على أساس وصية امام الشيعة الكيسانية أبي هاشم . وانتهى الامر بالكيسانية الى الاتجاه اتجاهاً آخر (١) ، فهناك فريق صغير منها لا يزال يدعو الى امامة محمد ابن الحنفية او الحسن بن علي بن محمد أو علي بن محمد ، وفريق آخر أكبر عدداً اتجهوا اتجاهاً متطرفاً ، فأصبحوا فرق الزنادقة الخطيرة(٢) التي بدأ ظهورها في عهد الخليفة العباسي الثاني المنصور(٣) .

أما **فرقة الشيعة الزيدية** ، فكانت أكثر فرق الشيعة نشاطاً في العصر العباسي الأول ، فقد اتجهت الى المقاومة الايجابية للدولة العباسية ، وأعلنت كثيراً من الثورات المسلحة ضد الخلفاء العباسيين ، وقد شهدنا ثورة محمد النفس الزكية

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٥١ – قال الشهرستاني « ثم اختلفت الكيسانية بعد انتقال محمد بن الحنفية في سوق الامامة وصار كل اختلاف مذهباً .

(٢) ذكر الشهرستاني الملل والنحل (ج ١ ص ١٥١ – ١٥٢) ان فرقة من فرق الكيسانية ذهبت الى ان أبا هاشم أوصى الى عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي فخرجت الامامة اليه وتحولت روح أبي هاشم اليه ، وعن هذه الفرقة ظهرت الخرمية والمزدكية أبرز فرق الزنادقة ، كما ظهرت فرق مغالية كالبيانية والرزامية .

(٣) كانت رسالتنا للماجستير عن (حركة الزنادقة في العصر العباسي الأول) وهي مطبوعة بمكتبة الانجلو المصرية .

وأخيه ابراهيم ، وسنشهد في عهد الخليفة الهادي حركة الحسين بن علي في الحجاز كما سنشهد في عهد هارون الرشيد حركتي يحيى وادريس ابني عبد الله بن الحسن . واستمرت حركات الشيعة الزيدية ، حتى نجح الزيديون في انشاء دولة زيدية في بلاد اليمن .

تطور فرقة الشيعة الإمامية :

أما **فرقة الشيعة الزيدية** ، فقد لجأ زعيمها الامام جعفر الصادق الى الزعامة الروحية ، دون القيام بدور سياسي ايجابي ، محتذياً بذلك سياسة الامامين السالفين . قال الصادق رضي الله عنه : سابعكم قائمكم(١) ، وقيل صاحبكم قائمكم ، الا وهو سمي صاحب التوراة . ولما رأت الشيعة ان اولاد الصادق على تفرق ، فمن ميت في حال حياة أبيه ولم يعقب ، ومن مختلف في موته ، ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ، ومن ميت غير معقب ، وكان موسى هو الذي تولى الأمر وقام به بعد موت أبيه ، رجعوا .

كان للامام جعفر الصادق ستة أبناء ذكور ، وهم محمد واسماعيل وعبدالله وموسى واسحق وعلي(٢) . وكان جعفر يعد ابنه اسماعيل ليتولى الامامة بعده . ثم حدثت احداث كثيرة ، نجدها مضطربة مختلفة في المصادر التاريخية ، وكتب الفرق والمذاهب ، فتذكر المصادر السنية ان اسماعيل شرب الخمر ، أو اتصل

---

(١) روت الموسوية عن الصادق انه قال لأحد اصحابه : عد الايام . فعدها من الأحد حتى بلغ السبت . فقال جعفر : كم عددت ، فأجاب : سبعة . فقال جعفر : سبت السبوت ، وشمس الدهور ، ونور الشهور ، من لا يلهو ولا يلعب ، وهو سابعكم قائمكم هذا . وأشار الى ولده موسى الكاظم . وقال فيه أيضاً : انه شبيه بعيسى عليه السلام (الملل والنحل ج ١ ص ١٦٨) — ويعتبر الرقم ٧ ذا أهمية قدسية عند الشيعة الاسماعيلية، والسبعية يقسمون ظواهر الكون وكثيراً من الأحداث التاريخية الى هذا العدد ويرى الدكتور فيليب حتي (تاريخ العرب ص ٥٦٧) أن نظريتهم تنطبق الى حد ما على الافلاطونية الحديثة .

(٢) الديار البكري : تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٨٧ — وكان لجعفر الصادق ابنة واحدة هي أم مزوق (ابن الصباغ : الفصول المهمة ص ٢١٢) .

بالشيعة الغلاة وخاصة فرقة الخطابية اتباع أبي الخطاب الأسدي(١) . مما ترتب عليه عدول جعفر الصادق عن امامة اسماعيل بعده(٢) . وأدى ذلك الى نتيجتين هامتين : الأولى ظهور القول بالبداء (٣) منسوباً الى جعفر الصادق ، اذ قال : بدا الله في اسماعيل ابني اذ اخترته قبلي ليعلم ذلك انه ليس بامام بعدي . أما النتيجة الثانية ، فهي الانشقاق الخطير في صفوف الامامية الى اثني عشرية ساقت الامامة الى موسى الكاظم ، ثم ذريته من بعده واسماعيلية ترى الامامة لا تكون الا في الأعقاب ، ولا تنتقل من الأخ الى أخيه بعد الحسن والحسين(٤) .

أما مصادر الشيعة ، فهي تنفي عن اسماعيل اتهامه بشرب الخمر ، أو عدول الامام جعفر الصادق عن العهد بالامامة بعده لاسماعيل ، بل ان جعفراً حزن لموته حزناً شديداً(٥) . ولكن مصادر الشيعة تختلف في الامامة بعد جعفر الصادق وأدى هذا الاختلاف الى آراء وتعاليم وعقائد عديدة شائكة ومتشابكة .

والبحث في ابعاد هذا الافتراق والاختلاف ، والظروف المحيطة بظهور فرقة الاسماعيلية ، عسير وشاق نتيجة الغموض الذي أحاط بهذه المسائل كلها ،

---

(١) قال الشهرستاني (الملل والنحل جـ ١ ص ١٧٩) عن هذه الفرقة : « أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الاجدع مولى بني أسد ، وهو الذي عزا نفسه الى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه . فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه ، وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك . فلما اعتزل منه ادعى الامامة لنفسه . زعم أبو الخطاب أن الائمة أنبياء ثم آلهة . وقال بالهية جعفر بن محمد ، والهية آبائه رضي الله عنهم ، وهم أبناء الله وأحباؤه ، والالهية نور في النبوة والنبوة نور في الامامة ... ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور علي خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقاً » — وهي فرق المعمرية ، والبزيفية ، والعجلية ، والمفضلية (الاشعري : مقالات الاسلاميين جـ ١ ص ١١ — ١٢) .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٥ ص ٩٠ .

(٣) كان المختار الثقفي أول من دعا الى القول بالبداء (ابن نشوان : الحور العين ص ١٨٣) .

(٤) احمد صبحي : نظرية الامامة ص ٣٧٨ .

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٦ — ٦٩ .

والأختلاف الشديد في الآراء ، وخاصة ان الدعوة الاسماعيلية كانت في تلك الفترة في مرحلة الستر والدعوة السرية ، ونحن دائماً في بحثنا هذا نلتزم سبيل الحياد التام ، فنعرض الآراء العلمية المختلفة ، ونناقشها ، ولكن بدون تحيز ، أو ميل وهوى .

أما **فرقة الشيعة الاثنا عشرية** فهم « الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وسموا قطعية ، وساقوا الامامة بعده في أولاده ، فقالوا : الامام بعد موسى الكاظم : ولده علي الرضا ومشهده بطوس(١) ، ثم بعده محمد التقي الجواد أيضاً ، وهو في مقابر قريش ببغداد . ثم بعده علي بن محمد التقي ومشهده بقم . وبعده الحسن العسكري الزكي . وبعده ابنه محمد القائم المنتظر الذي هو بسر من رأى وهو الثاني عشر» (٢) .

وقالوا « بانتقال الامامة من الصادق الى ابنه عبدالله الافطح(٣)، وهو أخو اسماعيل من أبيه وأمه ، وأمهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي ، وكان أسن أولاد الصادق زعموا انه قال : « الامامة في أكبر أولاد الامام . وقال : الامام من يجلس مجلسي . وهو — أي عبدالله — الذي جلس مجلسه ، والامام لا يغسله ولا يصلي عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه الا الامام . وهو — أي عبدالله — الذي تولى ذلك كله . ودفع الصادق وديعة الى بعض أصحابه وأمره ان يدفعها الى من يطلبها منه وان يتخذه اماماً . وما طلبها منه أحد الا عبدالله ، ومع ذلك ما عاش بعد أبيه الا سبعين يوماً ، ومات ولم يعقب ولداً ذكراً »(٤) .

---

(١) وهو الذي بايعه الخليفة العباس المأمون ولياً لعهده ، كما ستشهد في الباب الرابع من هذا البحث .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٩ .

(٣) أطلق عليه اسم الأفطح لوجود فطح في قدميه وتعتقد بعض الشيعة أنه من الضروري ان يكون الامام خالياً من أي عاهة .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧ .

وليست خطورة الانشقاق بين الاثني عشرية والاسماعيلية راجعة الى مجرد الخلاف حول الامامة بعد الصادق او في حياته ، وهل هي في اسماعيل أم في أخيه موسى ، ذلك ان الاختلاف بين الطائفتين في العقائد ليس مجرد خلاف حول شخصين او امامة احد الأخوين ، لأن من الخطأ نسبة الحركات الى اشخاص دون ادراك الاختلافات الجذرية وراء الاشخاص. وظهور طائفة الاسماعيلية يرجع الى عوامل كثيرة تتعدى كثيراً مجرد اتهام اسماعيل بشرب الخمر أو وفاته في حياة أبيه ، ويبدو انه لا يمكن الفصل بين ظهور طائفة الاسماعيلية وقيام الدولة العباسية التي قامت تحت ادعاء أحقية أهل البيت في الخلافة ، ثم تمكن أبناء العباس أن يستأثروا بالأمر دون العلويين . ولذا كان قيام الدولة العباسية صدمة كبرى بالنسبة للبيت العلوي(١) .

ظهور الدعوة الإسماعيلية :

تطورت الدعوة الاسماعيلية واتجهت الى السرية ، وقد بدأت الامامة باسماعيل ثم ابنه محمد الذي أصبح الامام السابع ، واستتر الأئمة الاسماعيليون ، بينما تولى دعاتهم الدعوة جهراً ، ويشير الشهرستاني(٢) الى تطور الشيعة الاسماعيلية فيقول : « قالوا : وبعد اسماعيل محمد بن اسماعيل السابع التام ، وانما تم دور السبعة به ، ثم ابتدىء منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون في البلاد سراً ، ويظهرون الدعاة جهراً. وقالوا ولن تخلو الأرض قط من امام حي قائم ، اما ظاهر مكشوف ، واما باطن مستور» .

لجأ أئمة الاسماعيلية الى نشر دعوتهم في الخفاء ، وفي بلاد بعيدة عن مركز الدولة العباسية ليتجنبوا اضطهاد العباسيين(٣) . واتخذ أئمة الاسماعيلية مدينة

---

(١) دكتور احمد صبحي : نظرية الامامة ص ٣٨١ .
(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٩٢ .
(٣) هرب محمد بن اسماعيل الى الري ومنها الى جبل دماوند قرب الري واستقر في قرية اتخذت اسمه ، فأصبح اسمها (محمد أباد) ، وظل مختفياً طوال عهود المهدي (١٥٨ — ١٦٩ ﻫ) والهادي (١٦٩ — ١٧٠ ﻫ) والرشيد (١٧٠ — ١٩٣ ﻫ) .

سلمية بالشام مركزاً لنشر هذه الدعوة ، وكانوا يبعثون من هذه المدينة الدعاة الى كافة الاقطار الاسلامية ويعهدون في تنظيم الدعوة الى كبار الدعاة الذين كان يطلق عليهم في هذا الدور ، وهو دور الستر ، نواب الأئمة أو الحجج ، وهؤلاء يبعثون دعاة لنشر المذهب الاسماعيلي في أرجاء العالم الاسلامي(١) .

دخلت قرية سلمية أبواب التاريخ ، وهي مدينة تاريخية قديمة (٢) ، وقد عاش فيها الأئمة الاربعة المستورون من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم الذين خططوا للدولة الفاطمية التي ظهرت فيما بعد في المغرب ومصر ، وأوجدوا الحركة الاسماعيلية القرمطية في الشام والعراق والبحرين وفارس واليمن ، وهي التي قامت بدور كبير في تاريخ الشرق الاسلامي نحو مائة وخمسة وعشرين عاماً(٣) .

وفكرة سرية الدعوة كانت فكرة قديمة ، استحدثها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد دعا الى الاسلام سراً في دار الأرقم بن الأرقم ، ثم اختفى في غمار ثور حين تتبعته قريش يوم الهجرة . ولما اشتد تشديد الخلفاء العباسيين في طلب آل البيت ، اتخذ دعاة الشيعة من الاسماعيلية بوجه خاص دور الهجرة في البلاد التي قاموا بها بنشر المذهب الشيعي(٤) .

وتختلف **الدعوة السرية** التي لجأت اليها الاسماعيلية عن (**التقية**) عند الشيعة الامامية في عدة وجوه . فقد فسر هؤلاء الشيعة ركون أئمتهم الى الهدوء ، أو الى

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٩ — ٤٠ .

(٢) يرجع تاريخها الى عهد السومريين ، وعاصرت الأموريين والآراميين والاشوريين واليونان والرومان ، ويرجع اسمها الى معركة (سلاميس) التي انتصر فيها اليونان على الفرس ٤٨٠ ق . م. قال ياقوت عنها في كتابه (معجم البلدان) « سلمية بليدة في ناحية البرية من أعمال حماه بينهما مسيرة يومين » .

(٣) عارف تامر : القرامطة ص ٥٦ .

(٤) حسن ابراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٣٤ .

ما نسميه بالامامة الروحية ، بأنه (تقية) ، وجعلوها تسعة أعشار الدين(١) والتقية تتخذ شكلا سلبياً غالباً فهي تعتمد على كتمان الدعوة وتوقف النشاط بينما الدعوة السرية في دور الستر هي نشاط ايجابي سري . قد دافع أحد كتاب الشيعة الامامية (٢) عن فكرة التقية عند هذه الفرقة ، فقال ان تعرض أئمتهم للاضطهاد والتنكيل دفعهم الى « استعمال التقية بمكاتمة المخالفين لهم وترك مظاهرتهم وستر اعتقاداتهم واعمالهم المختصة بهم عنهم ، لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا » ، ثم يستدرك الكاتب الشيعي فيقول : « وليس معنى التقية عند الامامية انها تجعل منهم جمعية سرية لغاية الهدم والتخريب ، كما انه ليس معناها انها تجعل الدين واحكامه سراً من الأسرار لا يجوز ان يذاع لمن لا يدين به » (٣) . ويرى الشيخ أبو زهرة (٤) ان موضوع التقية هو «اعلان التشيع » فكانت التقية الا يعلن المتشيع شيعته ولا يظهر من أعماله ما يدل على موالاته لآل علي موالاة ولاية ، ولا موالاة محبة .. فالمحبة كانت واضحة من بعض الشعراء والعلماء(٥) ، ولكنها في مظهرها محبة تقدير ، لا محبة ولاية ، وهي أيضاً ليست تشيعاً .

ويرى المستشرق (جولد تسيهر)(٦) ان عجز الشيعي عن المجاهرة بعقيدته الحقيقية التي يؤمن بها هو في نفس الوقت مدرسة للسخط الذي تكنه الشيعة لخصومهم الاقوياء ، وهو سخط مبعثه عاطفة من الغضب والثورة ، وكان من نتائجه ظهور تعاليم تخالف مبادىء الاسلام السني .

---

(١) الكليني : أصول الكافي ص ٤٠٠ .

(٢) المظفر : عقائد الامامية ص ٨٤ – ٨٥ .

(٣) تبلورت فكرة التقية في عهد الامام جعفر الصادق ، فكان يقول : « التقية ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له وان المذيع لأمرنا كالجاحد به » ، كما قال : « نفس المهموم لظلمنا تسبيح ، وهمه لنا عبادة ، وكتمانه سرنا جهاد في سبيل الله » .

(٤) أبو زهرة : الامام الصادق ص ٢٤٤ .

(٥) امثال : الفرزدق ، وكثير عزة ، والامام أبو حنيفة .

(٦) العقيدة : والشريعة في الاسلام ص ٢٠٢ .

بدأت الدعوة الاسماعيلية بجهود **ميمون القداح** وابنه عبدالله ، وكان ميمون مولى لامام الشيعة الامامية جعفر الصادق . وأخبار الوالد والابن مضطربة جداً في المصادر التاريخية ، السنية والشيعية ، والروايات حولهما متعددة مختلفة . فيرى البعض(١) ان ميموناً هو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . ويذكر ابن النديم والبغدادي(٢) ان ميموناً من نسل ديصان الثنوي(٣) الذي تنتسب اليه فرقة الديصانية والمجوسية . ولكننا ونحن نذكر مختلف الآراء ، ندرك مدى عداء كتب السُنّة للشيعة عامة ، وللفاطميين خاصة .

ودخلت الدعوة الاسماعيلية على يد **عبدالله بن ميمون** في دور جديد ، وأصبحت الاهواز(٤) مركزاً لنشاط عبدالله بن ميمون ، ومنها أرسل دعاته الى أماكن متفرقة ، وعادت عليه الدعوة بأموال طائلة ، وكان يخفي دعوته وراء ستار التشيع والعلم ، وحاول ان يتنبأ فلم يجد استجابة له ، وثارت ضده الشيعة والمعتزلة ، واقتحموا داره فهرب الى البصرة ، ومعه داعية من دعاته هو **الحسين الاهوازي**، ودعا الى محمد بن جعفر الصادق ، ولكنه ما لبث ان هرب هو وداعيته الحسين الاهوازي الى (سلمية) حيث رزق بابنه احمد ، الذي تولى

---

(١) مثل (Prince Memour) وبرنارد لويس-أنظر تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن ابراهيم ص ٤٠ ، ومثل : عارف تامر : القرامطة ص ٨٦ .

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٢٦٤ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٩٦ ، ويذكر البغدادي ان ميموناً كان مولى للامام جعفر الصادق .

(٣) كان المجوس يدعون الى وجود الهين ، احدهما اله الخير ورمزه النور ، والآخر اله الشر ورمزه الظلام ، واشهر فرقهم : الزرادشتية ، والمانوية والمزدكية ، والديصانية والمرقونية (الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٣٥ — ٥٨) .

(٤) الاهواز : سبع كور بين البصرة وفارس (ياقوت الحموي : معجم البلدان) .

الدعوة بعد أبيه ، وبعث الحسين الاهوازي داعية الى العراق وهناك التقى بحمد ابن الاشعث المعروف بقرمط(١) ، في سواد الكوفة(٢) .

وبعد موت أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ، خلفه في الدعوة ابنه الحسين حتى اذا مات خلفه أخوه محمد المعروف بابي الشلعلع ، الذي بعث داعيتين من دعاته الى المغرب ، وهما أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد وأخوه أبو العباس محمد فاستمالا قبيلتين من البربر(٣) . واستمرت الدعوة الاسماعيلية في طريقها حتى نجحت في تمهيد بلاد المغرب لقيام الدولة الفاطمية مما يخرج على نطاق هذا البحث .

ولا شك في أن الجهود التي بذلتها الشيعة لتأسيس خلافة علوية بالشام قد قضي عليها ، فلم ير الائمة بداً من الاستتار ليدرءوا عن أنفسهم ما أضمره لهم العباسيون من حنق ونقمة . ثم اتجهوا الى نشر دعوتهم في بلاد المغرب ، تمهيداً لاقامة دولة علوية ، أصبح اسمها (الدولة الفاطمية) .

مات محمد بن اسماعيل ، والعالم الاسلامي تنقدح فيه الآراء المتباينة ، فهناك فرق الاسماعيلية الأولى ، والمباركية والخطابية ، وتولى الامامة الاسماعيلية من بعده عبدالله بن محمد بن اسماعيل المعروف بالرضي او الناصر او العطار

---

(١) قرمط : هناك تفسيرات كثيرة لهذا اللفظ ، منها ان حمدان بن الاشعث أطلق عليه هذا الاسم لأنه كان يقرمط في سيره اذا مشى ، أي يقارب بين خطواته ، ومنها انه لقب بهذا اللقب لأنه كان احمر البشرة تشبيهاً له بالقرمد وهو الطوب الاحمر (الاجر) وأصل هذه الكلمة يوناني (Keramidi) ويرى البعض أن اللفظ مأخوذ من (اقرمط) أي غضب وعبس وممن يأخذون بهذا الرأي (دي لاسي) و(برنارد لويس) ويرى الأب انستاس ماري الكرملي ان اللفظة آرامية (نبطية) مشتقة من (قرمطونا) أي المدلس أو الخبيث أو المكار أو المحتال أو (قرمطا) وهي التدليس أو الخبث ، وهذه التسمية لم يتخذها الاسماعيليون ، بل أطلقها أعداؤهم عليهم في العهود المبكرة لدعوتهم (أنظر الحاشية في كتاب اتعاظ الحنفا ص ٢٦ وكتاب القرامطة لعارف تامر ص ٦١) .

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٢٥ — ٢٦ يذكر ابن النديم ان الذي خلف عبدالله بن ميمون في الدعوة هو ابنه محمد (الفهرست ص ٢٦٥) .

(٣) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ٢٦ .

(سنة ١٦٩هـ) وهي السنة التي مات فيها الخليفة العباسي المهدي ، وتولى فيها الخليفة الهادي . وقام بحجبته ميمون القداح فترة قصيرة ، ثم توفي بعد أن أوصى بها لابنه عبدالله بن ميمون . وتطورت العقيدة الاسماعيلية في عهد هذا الامام وصحبته ، وأخذت تجمع بين مختلف الآراء . وأخذت طريقها كدعوة مسلحة بالفلسفة اليونانية والغنوصية ، مكونة مزيجاً لامثيل له في تاريخ الاسلام الفكري)(١).

وبعد الامام عبدالله الرضي ، خلفه ابنه أحمد سنة ٢١٢ هـ في عهد الخليفة المأمون ، وسنتحدث عن الامامين في الأبواب التالية من هذا البحث ، ولكننا نشير هنا الى اتجاه الاسماعيلية الى الدعوة والحركات السرية . فلم يعرف عن الامام عبدالله علم ظاهر ، وظلت تعاليم الامام مقتصرة على حججه ، أي كبار الدعاة الذين اطلق عليهم أيضاً اسم أبواب(جمع باب) .

دافع أحد كتاب الشيعة الاسماعيلية(٢) عن اتجاه الاسماعيلية الى الحركات السرية فقال : للاسماعيلية سحر خاص ، وجاذبية قوية كانت تهفو بنفوس فريق من الناس ، وتبلغ منهم مبلغاً يدفعهم الى المخاطرة والمجازفة وقبول الطاعة العمياء والاستسلام المطلق . والواقع أن في الكتمان والسرية والخفاء والغموض ما يستهوي الخيال ويرغب النفوس ، وما الحركات السرية الا ممثلة بالولع البدائي المجهول . فهي تمثل قوة مصدرها جماعة من الأفراد اجتمعوا ليقوموا بعمل يعجز عنه الفرد بنفسه . ولا تقوم الحركات السرية او تزدهر الا حين تضطرب الحياة الاجتماعية ويسود الطغيان والاستبداد . فيثور البعض على هذه الأوضاع مدفوعين ببواعث مختلفة ، فمنهم من يريد السيطرة والسلطة ومنهم من يريد التحرر . والحركة الاسماعيلية لم يكن لها نظير في اجتذاب الناس من مختلفي الاتجاهات ، فكان منهم المخلصون والعلماء والفدائيون ، والاعزار المندفعون والمغامرون قساة القلوب . أما تنظيمات الاسماعيلية وأساليب دعايتها العجيبة فهي تقوم على ادراك عميق لنفسيات الشعوب .

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ٣٩٠ .
(٢) عارف تامر : القرامطة ص ٧٨ .

أصبح محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق الامام السابع الحقيقي ، ثم خلفه في الامامة اخلافه في سلسلة متصلة ، وكانوا ائمة مستترين متخفين ، اجتنبوا المجاهرة ، حتى ظهر الإمام عبدالله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب .

اهتم ائمة الاسماعيلية بتنظيم دعوتهم ، وباختيار الدعاة ممن يطيعون الأوامر وينفذونها باخلاص ودقة . ولم يكن **الدعاة الاسماعيليون** سواء ، بل كانت هناك مراتب متسلسلة، بلغت اثني عشر مرتبة وهي : امام ، حجة أو باب ، داعي دعاة ، داعي بلاغ ، داعي مطلق أو نقيب ، داعي مأذون ، داعي محصور ، جناح أيمن أو يد يمنى ، جناح أيسر أو يد يسرى ، مكاسر ، مطالب ، مستجيب .

أما الامام ، فهو أعلى سلطة ومصدر كل قانون أو تنظيم أو تشريع .والحجة أو الباب فهو نائب الامام وهو ابنه عادة.أما داعي الدعاة فهو الرئيس والمسؤول الأول امام الحجة عن الدعوة في الاقاليم المختلفة . أما داعي البلاغ فهو المسؤول عن تبليغ الأوامر التي يرسلها داعي الدعاة الى الاقاليم ، ويتولى أمر المراسلات. أما الداعي المطلق (أو النقيب) فهو الداعي الذي يصل الى مرتبة يصبح له من الصلاحيات ما يؤهله للسفر الى الاقاليم . أما الداعي المأذون ، فهو يتبع الداعي المطلق ويعاونه . أما الداعي المحصور ، فهو يتولى الدعوة في منطقة معينة لا يتعداها ، فهو محصور فيها حتى يأذن له داعي الدعاة بالانتقال الى غيرها . أما الجناح الأيمن ، والجناح الأيسر فيقدمان للداعي المطلق الخدمات أثناء جولاته في الأقاليم ، ويمدانه بالمعلومات . أما المكاسر فهو الداعية الذي كان في الأصل مطالباً ، ثم تفقه في الدعوة وتفوق فيها . أما المطالب فوظيفته التجسس ومعرفة الأخبار وجذب الناس الى الدعوة . أما المستجيب ، فهو المنتسب حديثاً الى الدعوة الاسماعيلية(١) .

---

(١) عارف تامر : القرامطة ص ٨١ — ٨٣ . وهذا الكاتب شيعي اسماعيلي ، وفي عرضه لتسلسل الدعاة على هذا النحو ، ذكر انها أول مرة تظهر تنظيمات الدعوة الاسماعيلية الحقيقية في كتاب منشور .

٢ ـ موقف الشيعة

الزيدية والامامية من خلافة المهدي

سياسة جديدة نحو الشيعة :

تولى محمد المهدي الخلافة بعد وفاة أبيه أبي جعفر المنصور في ذي الحجة سنة ١٥٨ ﻫ ، فبدأت صفحة جديدة من صفحات حركات الشيعة ، ومن صفحات علاقات البيت العلوي بالبيت العباسي . وكان الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح قد عهد بولاية العهد الى أخيه المنصور ، ثم لعيسى بن موسى . ثم رأى المنصور تقديم ابنه محمد المهدي على عيسى بن موسى في ولاية العهد ، وحاول المنصور اقناع عيسى بالتنازل عن حقه ، دون جدوى فبدأ نحوه سياسة اضطهاد وألحق به من الاهانات ، مما اضطره الى قبول تحقيق رغبة المنصور(١) .

ولا شك ان الشيعة قد قرت عيونهم بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد فقد كان القائد العباسي الذي قضى على حركتي محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم . وازداد حبورهم حين خلع المهدي عيسى بن موسى أيضاً من ولاية العهد وعهد بها الى ابنه الهادي .

مات المنصور قرب مكة(٢) ، وكان قد خرج اليها لاداء الحج ، وكان

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٧٢ ـ ٢٨٣ حرض المنصور الجند على اهانة عيسى . ويذكر الطبري (ج ٦ ص ٢٨٣) ان عيسى قبل التنازل مقابل عشرة ملايين درهم ويتهم صاحب الفخري (ص١٥٥) المنصور بمحاولة اغتيال عيسى بالسم .

(٢) مات المنصور عند بئر ميمون على بعد ستة أميال من مكة .

المهدي مقيماً في بغداد ، نائباً عن أبيه في تسيير دفة الدولة . ورأى الربيع بن يونس ، حاجب المنصور ، أن يكتم نبأ وفاة المنصور ، حتى يأخذ البيعة لابنه المهدي ، وخاصة من العباسيين والعلويين ، الذين دعاهم الى اجتماع عام ، حيث قرأ عهداً وجهه المنصور الى بني هاشم ، اوصاهم فيه بالاتحاد(١) .

ثم طلب الربيع بن يونس البيعة للمهدي من العلويين ، وكان موسى الهادي ، ابن المهدي يتلقى هذه البيعة . وكان ممن بايعوا الحسن بن زيد ، وكان المنصور قد أمر بضربه ومصادرة أمواله وحاول المهدي الوساطة بين الحسن والمنصور دون جدوى ، وعوضه للمهدي عن أمواله المصادرة من ماله الخاص ، ولذا أعلن الحسن بن زيد للحاضرين انه يبايع المهدي « بصدر منشرح ونفس طيبة وقلب ناصح »(٢) .

أراد المهدي ان يبدأ صفحة جديدة في السياسة العباسية ويبعث الأمن والطمأنينة في قلوب رعاياه على اختلاف مذاهبهم ، فبدأ عهده باطلاق سراح المسجونين السياسيين(٣) ، وتبدو هذه السياسة الجديدة التي انتهجها المهدي في نص للمسعودي(٤) ، فهو يقول : « وكان المهدي محبباً الى الخاص والعام ، لأنه افتتح أمره بالنظر في المظالم والكف عن القتل ، وأمن الخائف ، وأنصف المظلوم ، وبسط يده في الاعطاء » .

وكان العلويون في المدينة لا يزالون يضمدون جراحهم ، بعد التنكيل الذي نزل بهم بعد اخفاق ثورة محمد النفس الزكية . ورأى المهدي ان بلاد الحجاز

---

(١) جاء في هذا العهد : « وأسأل الله اي لا يفتنكم بعدي ، ولا يلبسكم شيعاً ولا يذيق بعضكم بأس بعض يا بني هاشم) ، (الطبري ج ٦ ص ٣٤٨ – ٣٤٩) .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ .

(٣) روى الطبري (ج ٦ ص ٣٥٣) أن المنصور أطلق سراح كل مسجون « الا من كان قبله تباعة من دم أو قتل ، ومن كان معروفاً بالسعي في الارض بالفساد » .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢١ .

قد اصبحت مركزاً رئيسياً من مراكز حركات الشيعة . ورأى المهدي أن يرحل الى الحجاز سنة ١٦٠ هـ ليستميل اليه اهلها حتى لا يشاركوا في حركات علوية أخرى ، فخرج ومعه أموال كثيرة(١) وثياب (٢) ليمنحها الى أهالي مكة والمدينة . وأعلن المهدي في الحجاز بداية سياسة جديدة من التسامح ، كما أعلن العفو العام ، وأعاد المفصولين من وظائفهم من أهل الحجاز في عهد المنصور الى ما كانوا يتولونه من قبل ، وبالغ المهدي في التقرب من الأهالي ، ومد الاسمطة الحافلة لهم(٣) . كما اهتم بالاماكن المقدسة الاسلامية(٤) . وقبل رحيله الى بغداد ، اختار خمسمائة من انصار المدينة ، وصحبهم معه الى العاصمة واتخذهم حرساً له وأغدق عليهم الاموال . بل بلغ من تقرب المهدي الى أهل المدينة ، انه تزوج بفتاة من أهلها وهي رقية بنت عمرو العثمانية(٥) .

وأراد المهدي أن يكون على علم دائم بتحركات العلويين في المدينة فربط بين الحجاز والعراق بالبريد ، وأقام المحطات على طول الطريق بين القطرين(٦) وكان المنصور يكتفي بالاستعانة بالعيون والارصاد لمعرفة نشاط العلويين(٧) .

هذه هي السياسة التي بدأ بها المهدي عهده . **فماذا كان موقف الشيعة من المهدي ؟** لقد اختلفت المواقف باختلاف فرق الشيعة . وكانت أبرز فرق الشيعة

---

(١) أخذ المهدي معه ثلاثين مليون درهم ، وبعث اليه والي مصر ثلاثمائة ألف دينار وبعث والي اليمن مائتي ألف دينار (الطبري ج ٦ ص ٣٦٦) .

(٢) بلغ عدد الثياب مائة وخمسين ألف ثوب (الطبري ج ٦ ص ٣٦٦) .

(٣) روى السيوطي (تاريخ الخلفاء ص ٢٧٣) ان المهدي جلب الثلج من الشام الى مكة ، وكان ذلك اول مرة يشهد فيها أهالي مكة الثلج ، ولا شك ان المهدي أراد اضفاء الهيبة على الخلافة العباسية .

(٤) أمر المهدي بنزع المقاصير ، وتقصير المنابر الى الحد الذي كان عليه منبر الرسول ، وزاد المهدي في المسجد الحرام ، وكسا الكعبة بكسوة جديدة (الطبري ج ٦ ص ٣٦٦ - ٣٦٨).

(٥) الطبري ج ٦ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٦) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٢٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٣ ، ابن الفقيه : البلدان ص ٢٢ .

(٧) العيون والحدائق ص ٢٤٣ .

في عهد المهدي **فرقة الزيدية** التي عاودت نشاطها وحركاتها . وفرقة **الشيعة الامامية** ، وقد لجأ امامها موسى الكاظم الى الزعامة الروحية . وفرقة **الشيعة الاسماعيلية** التي كانت في طريق التكوين وبلورة آرائها وتعاليمها ، كما شهدنا في الفصل السابق .

موقف الشيعة الزيدية من المهدي :

كانت فرقة الشيعة الزيدية أكثر فرق الشيعة نشاطاً في العصر العباسي الأول . وقد شهدنا حركتين علويتين خطيرتين في عصر الخليفة العباسي الثاني المنصور وهما حركتا النفس الزكية وابراهيم في الحجاز والبصرة . وسنشهد حركة شيعية زيدية أخرى يتزعمها الحسين بن علي ، في عهد الخليفة الرابع الهادي .

وبرز ، في عهد المهدي زعيمان من زعماء الشيعة الزيدية ، وهما عيسى ابن زيد بن علي بن الحسن بن علي ، وعلي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي ، وقام كل منهما بدور بارز في تاريخ حركات الشيعة في عصر المهدي .

أما **عيسى بن زيد** ، فقد كان أكثر اخوته تطلعاً الى اخوته . وقد شهدنا بيعة أخيه الحسن للمهدي في بلاد الحجاز بعد موت المنصور حينما طالبه الحاجب الربيع بن يونس بالبيعة(١) . أما أخوه محمد بن زيد ، فيقول عنه الاصفهاني(٢) انه كان « مع أبي جعفر — المنصور مسوداً » (٣) ، لم يشهد مع محمد وابراهيم حربهما ، فكان يكاتبه بما يسكن منه ثم ظهر ذلك بالمدينة ظهوراً تاماً ، الا انه كان لا يجالس أحداً ولا يدخل اليه الا من يثق به » .

أما الأخ الثالث الحسين بن زيد ، فقد انضم الى محمد النفس الزكية وابراهيم

(١) الطبري ج ٦ ص ٣٤٣ — ٣٤٤ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٨٧ .
(٣) أي متخذاً السواد شعار العباسيين .

في ثورتهما ، حتى اذا لقيا حتفهما ، اختفى الحسين طوال عهد المنصور ، ثم ظهر في عهد المهدي ، الذي أمنه على حياته(١) .

وكان عيسى بن زيد متطلعاً الى الخلافة ، طامعاً فيها ، بل كان يرى نفسه أجدر من ابني عبدالله بن الحسن ، أي النفس الزكية وابراهيم . فقد قدم الى البصرة بعد مصرع النفس الزكية وطلب ممن فيها من الشيعة الزيدية ان يبايعوه بالامامة وزعم ان محمداً جعل الأمر اليه فاستجابوا اليه . وأراد عيسى ان يوسع نطاق أنصاره ، فدعا أهل البصرة الى امامته ، ولكن أهل السنة(٢) والشيعة الامامية رفضوا موالاته . ولم يجد عيسى مفراً من الانضمام الى حركة ابراهيم ابن عبدالله ، وتوحيد جهودهما لمواجهة الخليفة العباسي المنصور ، حتى اذا تحقق النصر ، توليا تصفية حسابهما(٣) .

ولكن عيسى بن زيد وشيعته أصبحوا شوكة دائمة في جنب حركة ابراهيم ، وكانوا كما رأينا في الفصل الذي درسنا فيه عوامل اخفاق حركتي محمد وابراهيم من عوامل اخفاق حركة ابراهيم ، فقد عارضوا كثيراً من الاقتراحات البناءة التي ارتآها قواد ابراهيم(٤) .

وكان المنصور يدرك خطورة عيسى بن زيد ، وتطلعه الى الخلافة ، وكان قد حاول استمالته اليه ، ومناه بالوعود الكثيرة ، ولكن عيسى آثر الانضمام الى حركة محمد النفس الزكية ، ولذا كان لعيسى بن زيد نصيب في وصية

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٨٧ .
(٢) رفض شيخ السنة خالد بن عبدالله الواسطي المبايعة لابراهيم .
(٣) قال الاصفهاني (مقاتل الطالبيين ص ٣٧٠) : « قدم عيسى بن زيد بعد قتل محمد ، فذكر ان محمداً جعل الأمر اليه ، ودعا الزيدية الى نفسه فأجابوه وأبى البصريون ذلك حتى قالوا لابراهيم : ان شئت أخرجناهم عنك من بلادنا ، فالأمر لك ، وما نعرف غيرك . حتى كادت تقع فرقة ، فسفروا بينهم وقالوا : ان اختلفنا ظهر علينا أبو جعفر ، ولكن نقاتله جميعاً ، والأمر لابراهيم فان ظهرنا عليه نظرنا في أمرنا بعد » .
(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٨ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٣٤٤ .

المنصور لابنه ، وولي عهده المهدي قبيل وفاته ، فقد عبر المنصور للمهدي عن مخاوفه من عيسى فقال : « يا بني ، اني قد جمعت لك من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبلي ، وبنيت لك مدينة لم يكن في الاسلام مثلها ، ولست أخاف عليك الا أحد رجلين : عيسى بن موسى ، وعيسى بن زيد ، فأما عيسى بن موسى ، فقد أعطاني من العهود والمواثيق ما قبلته ، ووالله لو لم يكن الا ان يقول قولا لما خفته عليك ، فأخرجه من قلبك ، وأما عيسى بن زيد ، فأنفق هذه الأموال واقتل هؤلاء الموالي ، واهدم هذه المدينة ، حتى تظفر به ، ثم لا ألومك»(١) .

وبعد ان تولى المهدي الخلافة ، رأى مسالمة عيسى واستمالته ، فأرسل اليه من يؤمنه على حياته ، ويمنحه كثيراً من الأموال والصلات ، فقال عيسى لبعض أصحابه : « قد بذل لي من المال ما بذل ، والله ما أردت حين أتيت الكوفة الخروج عليه ، ولأن أبيت خائفاً ليلة واحدة أحب الي من جميع ما بذل لي ، ومن الدنيا بأسرها»(٢) .

اتخذ عيسى بن زيد الكوفة مركزاً لنشاطه السياسي ، ولكنه استتر وراءالاقبال على العلم ورواية الحديث(٣) ، وكان يخرج من وقت الى آخر الى الحجاز لاداء الحج ولقاء انصاره من الشيعة الزيدية واطلق هؤلاء الانصار عليه اسم (موتم الاشبال) لما كان يتصف به من قوة وبأس . وشعر المهدي بنشاط عيسى : فأمر والي الكوفة بمراقبة تحركاته وعلم الوالي باجتماع عيسى ببعض زعماء الزيدية ، فهاجم الدار ، وألقى القبض على بعض المجتمعين وبعثهم الى المهدي ، الذي أمر بسجن بعضهم فظلوا في السجن حتى مات عيسى (٤) .

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ٣٤٥ – يقصد بالمدينة التي بناها (بغداد) .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤١١ .
(٣) وصف الاصفهاني (مقاتل الطالبيين ص ٤٠٧) عيسى بن زيد ، فقال : « وكان عيسى افضل من بقي من أهله ديناً ، وعلماً وورعاً وزهداً وتقشفاً وأشدهم بصيرة في أمره ومذهبه ، مع علم كثير ، ورواية للحديث وطلب له » .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤١٨ .

وكان عيسى بن زيد، في الحقيقة ذكياً اذ اتخذ الكوفة مركزاً لنشاطه ، فقد كانت الكوفة دائماً موطن الشيعة . فقد كان اختيـــار ابراهيم البصرة مركزاً لحركته من عوامل اخفاقها ، كما اتضح لنا في دراستنا لعوامل اخفاق حركته وحركة أخيه محمد . وكان بالكوفة كثير من الشيعة الزيدية الذين رأى عيسى الاستفادة من ولائهم في طلب الامامة(١) .

ثم رأى بعض أنصار عيسى بن زيد ان ثمرة جهودهم قد نضجت وحان قطافها ، فطلبوا منه القيام بحركة شيعية جديدة ضد الخليفة المهدي . وكان الحسن ابن صالح من أكثر هؤلاء الشيعة حماسة كما كان من أبرز شخصيات الكوفة ، ولذا نزل عيسى في داره ، وعهد اليه بديوانه . فقال الحسن لعيسى : حتى متى تدافعنا بالخروج وقد اشتمل ديوانك على عشرة آلاف رجل ؟ ورغم تطلع عيسى الى الامامة ورغبته في الخروج ، فقد خشي من تخاذل شيعة الكوفة ، فأجاب على تساؤل الحسن بن صالح فقال : ويحك أتكثر علي العدد وأنا بهم عارف ، أما والله لو وجدت فيهم ثلثمائة رجل أعلم انهم يريدون الله عز وجل، ويبذلون انفسهم له ، ويصدقون للقاء عدوه في طاعته لخرجت قبل الصباح حتى أبلي عند الله عذراً في اعداء الله ، وأجري أمر المسلمين على سنته وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ، ولكن لا أعرف موضع ثقة يفي ببيعته لله عز وجل ، ويثبت عند اللقاء(٢) .

ومات عيسى بن زيد في عهد المهدي ، فكتم اصحابه وفي مقدمتهم الحسن بن صالح نبأ موته فترة ، وعلل الحسن ذلك بقوله : « لا يعلم موته أحد فيبلغ السلطان فيسره ذلك ولكن دعوه بخوفه ووجله منه وأسفه عليه حتى يموت ولا تسروه بوفاته فيأمن مكروهه »(٣) .

(١) وجه الامام أبو حنيفة انظار ابراهيم الى كثرة الشيعة الزيدية في الكوفة .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤١٨ . أحصى ديوان زيد بن علي الذي قام بحركة شيعية في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في الكوفة وحدها خمسة عشر ألفاً وحينما خرج في أول صفر سنة ١٢٢ هـ كان معه ٢١٨ رجلا فحسب (الفخري ص ٩٦) .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٢٤ .

ثم علم المهدي من أحد اصحاب عيسى بن زيد بموته فقال المهدي: «أعظم بها مصيبة ، رحمه الله فقد كان عابداً ورعاً(١) ، مجتهداً في طاعة الله ، غير خائف لومة لائم » (٢) . بل احتضن المهدي ولدي عيسى فشبا في كنفه(٣) .

حركة علي بن العباس :

شهدنا تولي عيسى بن زيد امامة الشيعة الزيدية وتطلعه الى الخروج على الخليفة المهدي وقد احصى ديوانه بالكوفة عشرة آلاف مناصر . كما شهدنا عدول عيسى عن القيام بحركة شيعية جديدة خوفاً من تخاذل اتباعه ، ثم شهدنا موته بعد فترة قصيرة .

وشهد عصر المهدي حركة شيعية اخرى ، استمرت في طريقها حتى بادرت باعلان الثورة على خلافة المهدي . بينما تخلفت حركة عيسى — كما رأينا — في منتصف الطريق ، وقام بهذه الحركة الشيعية الاخرى ، زعيم علوي آخر هو علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ويكاد يقتصر الاصفهاني على رواية أخبار تلك الحركة في كتابه (مقاتل الطالبيين) بينما اغفلت سائر المصادر التاريخية ذكرها .

اتخذ الثائر العلوي الجديد ، علي بن العباس ، بغداد مركزاً لحركته الشيعية الزيدية . وفي الحقيقة ، كان ذلك جرأة من هذا الزعيم العلوي فقد أراد ان يثور على الدولة العباسية في عقر دارها . وقد شهدنا ثورة النفس الزكية في المدينة حيث يعيش كثير من العلويين وأنصارهم ، وشهدنا ابراهيم يثور في البصرة حيث تعيش طائفة من الشيعة الزيدية وشهدنا أيضاً استعدادات عيسى بن زيد للثورة في الكوفة موطن الشيعة الأول .

---

(١) كان عيسى بن زيد من رواة الاحاديث وقد روى عن أبيه والامام جعفر الصادق وعن غيرهم من كبار المحدثين (الأشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٩) .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٢٧ .

(٣) ومنهما احمد بن عيسى الذي غضب الخليفة هارون الرشيد عليه لاتصاله بالشيعة الزيدية ، فسجنه ولكنه هرب واختفى عن الانظار .

قدم علي بن العباس الى بغداد ، ودعا الى نفسه سراً ، فاستجاب له جماعة من الشيعة الزيدية . وهذا يدل على اتساع نطاق الدعوة الزيدية حتى انها وصلت الى قلب الدولة العباسية ، اي الى حاضرتها . ونعتقد ان هؤلاء الشيعة الزيدية قد أقبلوا على سكنى بغداد نتيجة ما أبداه المهدي عند توليته الخلافة من تسامح، لأننا نعلم ان الخليفة المنصور كان يدقق في اختيار سكان العاصمة ، فضلا عن ان بغداد في عهد المنصور كانت لا تزال في مهدها فلم تتطور ولم يتضخم عدد سكانها بعد(١) .

علم الخليفة المهدي بأمر علي بن العباس ورأى ان يقضي على هذه الحركة الشيعية التي بدت بوادرها وهي لا تزال في المهد . فقبض المهدي على علي الزعيم العلوي وسجنه واستمر في سجنه حتى تشفع فيه الحسن بن علي وهو الذي يقوم بحركة شيعية في عهد الخليفة الهادي ، فقبل المهدي شفاعته واطلق سراحه . ولكن المهدي لجأ الى وسيلة أخرى للخلاص من علي بن العباس ، فقد «دس اليه شربة سم فعملت فيه فلم يزل ينتقض عليه في الأيام حتى قدم المدينة ، فتفسخ لحمه ، وتباينت أعضاؤه فمات بعد دخوله المدينة بثلاثة أيام»(٢) .

وهكذا أسدل الستار على فصل من فصول نشاط الشيعة الزيدية في العصر العباسي الأول ، ليرتفع عن فصل آخر ، حينما تقوم حركة الحسين بن علي في عهد الهادي ، وستتخذ الحركة الجديدة المدينة المنورة مركزاً لها(٣) .

موقف المهدي من الامام موسى الكاظم :

شهدنا موقف الشيعة الزيدية من خلافة المهدي. فماذا كان موقف فرقة الشيعة الامامية ؟ وما هو موقف امامها موسى الكاظم ؟

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٦٦ ، الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٨ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٠٣ .

(٣) اليعقوبي : ج ٣ ص ١٣٧ ، الطبري ج ٦ ص ٤١٠ — ٤١٢ .

تولى الامام موسى الكاظم امامة الشيعة الامامية الاثنا عشرية بعد وفاة أبيه الامام جعفر الصادق سنة ١٤٨ هـ . وقد شهدنا انقسام الشيعة الامامية على انفسهم وظهور فرقة الشيعة الاسماعيلية التي تدعو الى امامة الامام اسماعيل ابن جعفر الصادق ، ومضت كل من الفرقتين في طريقها الخاص المتميز .

اشتهر الامام موسى الكاظم بالتقوى والورع ، كما اشتهر بالصبر على الايذاء حتى سموه (الكاظم)(١) ، وفي عهده دخلت الامامة دورها السري ايضاً ودورها العبادي ، وانتهى دور الفقه ، فلا نعلم فقهاً خاصاً لموسى الكاظم ، كما لم يكن له دور كلامي في عقائد الامامة ، ولم يرد عنه روايات أحاديث تذكر(٢) .

اشتهر موسى الكاظم بالسخاء فكان «اذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث اليه بصرة دنانير»(٣). حتى أصبح يضرب به المثل في الكرم والاغداق(٤) . ويبدو ان هذا السخاء قد أثار شكوك الخليفة المهدي ، وظنه انه يجبي الخمس من شيعته ، وكان المنصور قد اتهم أباه الامام جعفر الصادق بنفس الاتهام . ولذا بعث المهدي الى الامام موسى يستدعيه الى بغداد حيث القى به في السجن ثم رأى المهدي في نومه علي بن أبي طالب يعاتبه على قطع صلات الرحم . فأطلق المهدي سراح الامام الكاظم وطلب منه ان يقسم له على الا يخرج عليه ولا على أحد من أولاده . فقال موسى : « لا والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني» . فقال المهدي : « صدقت » ومنحه المهدي ثلاثة آلاف دينار وسمح له بالعودة ثانية الى المدينة(٥) .

---

(١) طبقات الشعراني ص ٣٣ .
(٢) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ٢٨١ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٩٩ .
(٤) قال الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٢٧) : « فكانت صرار موسى مثلا » .
(٥) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٠٠ .

٣ـ تشيع الوزير العباسي يعقوب بن داود ومحاولته تحويل الخلافة الى العلويين

ميول الوزراء العباسيين العلوية :

اثرت حركات الشيعة التي شهدها العصر العباسي الأول في موقف الوزراء العباسيين من كل من البيت العلوي والدولة العباسية . كما أثرت بالتالي في موقف الخلفاء العباسيين من وزرائهم . . فقد أبدى كثير من الوزراء العباسيين ميولا صريحة او خفية نحو الزعماء العلويين مما أدى الى تنكيل الخلفاء بهم .

كان أبو سلمة الخلال اول الوزراء العباسيين ، كما ذكرنا في الباب الأول ، وقد ارتفع شأنه واطلق الخلفية أبو العباس عليه اسم (وزير آل محمد) (١) وقد رأينا كيف أبدى أبو مسلمة ميولا صريحة واضحة نحو البيت العلوي ، اذ بعث بثلاث رسائل الى ثلاثة من الزعماء العلويين يعرض عليهم الدعوة لهم ، ولكنهم رفضوا قبول دعوته . وقد وصف الدينوري(٢) أبا سلمة بأنه كان من كبار الشيعة . وانتهى الأمر ، كما شهدنا بمصرع أبي سلمة على يد أبي مسلم بأمر من الخليفة أبي العباس الذي أنشد (٣) :

الى النار فليذهب ومن كان مثله ‏ ‏ ‏ ‏ على اي شيء فاتنا منه نأسف

كان الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور يدقق في اختيار وزرائه ممن

---

(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٨٤ .
(٢) الاخبار الطوال : ص ٣٣٦ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ١٦٣ .

اشتهروا باخلاصهم وكفاءتهم، وممن لا يتهمون بالخيانة، او الميل الى العلويين وكان الخليفة ايضاً مستأثراً بأمور الدولة ، مما لا يعطي مجالا للوزراء للاستبداد او الاتجاه نحو العلويين ، فيقول صاحب الفخري(١) عن المنصور: لم تكن الوزارة في ايامه طائلة لاستبداده ، واستغنائه برأيه وكفاءته مع أنه كان يشاور في الأمور دائماً وانما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق .

ويبدو ان المنصور قد لمس تاريخ أخيه أبي العباس مع وزيره ابي سلمة الخلال فرأى تقييد سلطة الوزير ، بل كان المنصور يميل احياناً الى عدم تولية وزير خوفاً من ازدياد نفوذه(٢) .

كان معظم وزراء الخلفاء العباسيين من الفرس ، فأبو سلمة الخلال ، أول وزير عباسي مولى فارسي وأبو أيوب المورياني وزير المنصور فارسي من (موريان) وهي قرية من قرى الاهواز ، ويعقوب بن داود وزير المهدي مولى أيضاً ، وكذلك كان البرامكة والفضل بن سهل وزير المأمون من الفرس . ونحن نعرف ميول معظم الفرس نحو البيت العلوي .

تشيع الوزير يعقوب بن داود :

من الوزراء العباسيين الذين اتهمهم الخلفاء العباسيون بالتشيع والميل الى العلويين ، بعد أبي سلمة ، يعقوب بن داود بن طهمان مولى بني سليم ، وهو وزير المهدي ، ثالث الخلفاء العباسيين . وكان أبوه داود واخوته كتاباً لنصر بن سيار الوالي الأموي بخراسان .

---

(١) الفخري : ص ١٥٦ .

(٢) الدوري : النظم الاسلامية ص ٢١٩ — ويرى الدكتور الدوري ايضاً (٢٢١) ان الوزارة رسخت في عهد المهدي واتسع سلطانها حتى صارت عامة الدواوين تحت اشرافها ، وهذه السلطة الواسعة كان الخليفة يستطيع سحبها متى أراد .

وكان يعقوب في أول الأمر يعتنق مذهب الشيعة على مذهب الزيدية(١) مؤيداً للزعيم العلوي عبدالله بن الحسن بن الحسن ثم إن المهدي خاف من بني الحسن ان يحدثوا أمراً لا يتدارك ، فطلب رجلا ممن له أنس ببني الحسن ، ليستعين به على أمرهم فدله الربيع على يعقوب بن داود لصداقة كانت بين الربيع وبينه (٢) .

هذه هي رواية صاحب الفخري ، تنسب تولية المهدي ليعقوب بن داود الى رغبة الخليفة في تسكين خواطر الشيعة ، وقد شهد عهد المنصور ، أبـي المهدي ، حركتين علويتين كبيرتين ، قام بهما محمد النفس الزكية ، وأخوه ابراهيم وهما ابنا عبدالله بن الحسن . ولكننا مع تأييدنا لميول يعقوب الشيعية الا اننا لا نرى ان المهدي قد ولاه الوزارة لهذا الغرض الذي ذكره المؤرخ ، ونرى ان الربيع بن يونس حاجب المنصور ثم المهدي ، كان العامل الأول في اختيار يعقوب للوزارة ، نتيجة حقد الربيع على وزير المهدي معاوية بن يسار(٣) فقد كان معاوية متكبراً متعالياً وكان الربيع يحقد عليه ويبغضه لتكبره عليه وعدم اكتراثه به ، واقسم الربيع على ان يعمل على عزل الوزير ، فأخـذ يدس له عند الخليفة فأوغر صدره على ابن الوزير واتهمه بالزندقة ، حتى اذا اختبر الخليفة ابن الوزير في القرآن الكريم وأدرك جهله بالآيات القرآنية ، حجب الوزير عنه واضطر معاوية بن يسار الى اعتزال الوزارة ، ولزم داره حتى مات سنة ١٧٠ هـ (٤) .

ورأى الربيع أن يرشح للوزارة صديقاً حميماً له ، يثق فيه فكان يعقوب هو

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٤٤٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٤٧ .

(٢) الفخري ص ١٦٦ .

(٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٥٠ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ١٤ .

(٤) الطبري جـ ٦ ص ٣٧١ . علق الدكتور الدوري (العصر العباسي الأول ص ١٢١) على عزل معاوية بن يسار ، فقال : انها لبادرة خطرة فسح فيها الخلفاء المجال لذوي الدسائس والسعايات ليلعبوا دوراً هاماً في تعيين الوزراء وعزلهم .

هذا الصديق فيقول صاحب الفخري(١) ايضاً ان الربيع دل المهدي على يعقوب لصداقة كانت بين الربيع وبينه ، وليتفقا على ازالة دولة أبي عبيد الله معاوية الوزير » .

ويجمع المؤرخون على ان يعقوب بن داود كان شيعياً على مذهب الزيدية وانه ولى رجالا من الشيعة كثيراً من الولايات والمناصب الكبرى(٢) . وروى الطبري ان يعقوب كان قبل توليه الوزارة يأمل في قيام دولة علوية فقال : « اظهر يعقوب مقالة الزيدية ودنا من آل الحسن وطمع في أن يكون لهم دولة فيعيش بها قبل توليته الوزارة(٣) ، ويبدو ان يعقوب كان على جانب كبير من الذكاء واللباقة والمهارة ، حتى انه استطاع ان يستحوذ على محبة وتقدير الخليفة المهدي له مما أدى الى ازدياد نفوذه وسلطانه في الدولة فيروي صاحب الفخري(٤) عن معاملة المهدي ليعقوب فقال : « فقربه وأدناه فصار يعرض عليه من قبل فاستخصه وكتب كتاباً بانه اخوه في الله تعالى واستوزره وفوض اليه الأمور كلها ، وسلم اليه الدواوين وقدمه على جميع الناس ، حتى قال بشار يهجوه :

بني أمية هبوا طال نومكـــم ان الخليفة يعقوب بن داود

وكلما ازداد نفوذ الوزير يعقوب بن داود ازداد عدد حساده الحاقدين عليه ، وقد وجدوا في ميول الوزير نحو الشيعة خير وسيلة للخلاص منه . ويبدو ان يعقوب لم يتخل عن اخلاصه لمبادىء الشيعة . وانه بدأ يسعى لانشاء دولة علوية ، كما اتضح لنا في رواية للطبري أشرنا اليها آنفاً .

---

(١) الفخري ص ١٦٦ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٣٧١ ابن الاثير الكامل ج ٦ ص ٢٢ الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٥٧ ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٤٤٧ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٢٨٢ .

(٤) الفخري ص ١٦٦ – قال الجهشياري عن يعقوب « من أهل أدب وفهم» (الوزراء والكتاب ص ١٥٥) .

بدأت السعاية بيعقوب نتيجة ميله الى اسحاق بن الفضل وذهب الحاقدون على يعقوب انه يمهد الأمور ليتولى اسحاق الخلافة بدلا من المهدي وان ذلك من الأمور اليسيرة على يعقوب فقد أصبحت ولايات المشرق والمغرب في يده ويد أصحابه ، وانما يكفيه ان يكتب لهم فيثوروا جميعاً في وقت واحد ، ويتولى اسحاق الخلافة . وصدق المهدي هذه الوشايات ، ولم يزل مواليه يحرضونه عليه ويوحشونه منه حتى عزم على ازالة النعمة عنه(١) .

وحدث بعد ذلك ان طلب يعقوب من الخليفة المهدي ان يولي اسحاق بن الفضل حكم مصر مما أثار غضب المهدي وجعله يتأكد من صحة الوشايات . ثم دس المهدي الى وزيره جارية من جواريه ، وهبها له لتنقل اليه اخبار الوزير .

ثم أراد المهدي ان يختبر حقيقة ميول وزيره يعقوب الى العلويين ، فسلمه رجلا من العلويين لم تذكر المصادر التاريخية القديمة اسمه ، وقال المهدي لوزيره : هذا فلان بن فلان من ولد علي ، وأحب ان تكفيني مؤنته وتريحني منه . ووعده الوزير بتحقيق رغبته . فمنحه المهدي مائة ألف درهم . واستدعى الوزير الرجل العلوي الى مجلسه وسأله عن حاله ، فأخبره بها ، فوجده لبيباً شهماً ، وقال العلوي للوزير : ويحك يا يعقوب تلقى الله بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله (٢) .

طلق يعقوب سراح العلوي ، وأعطاه المائة ألف درهم التي كان الخليفة المهدي قد منحها له . ونقلت الجارية النبأ الى المهدي ، فبعث ببعض رجاله فقبضوا على العلوي . واستدعى المهدي وزيره اليه ، وسأله عن سجينه العلوي. فزعم انه مات فطلب منه ان يقسم على ذلك ، فأقسم . وأمر المهدي باحضار

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٢٨٣ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٢٣ ، مؤلف مجهول : العيون والحدائق ج ٣ ص ٢٧٧ .

(٢) الطبري : ج ٦ ص ٣٨٥ ، الفخري : ص ١٦٨ .

العلوي الى المجلس فلم يستطع يعقوب ان يدافع عن نفسه ، فأمر المهدي بسجنه في سجن مظلم ، فظل مسجوناً حتى اطلق هارون الرشيد سراحه ، وكان قد فقد بصره ثم أمر المهدي بعزل جميع أنصار يعقوب وولاته من الامصار الاسلامية ، وسجن بعض أهل بيته فكانت مدة وزارة يعقوب نحو خمس سنوات (١) .

واستفاد المهدي من موقف يعقوب بن داود درساً نافعاً ، فرأى ان يكون الوزير الجديد من صنائع العباسيين غير المعروفين بميولهم العلوية ، فولى الفيض ابن أبي صالح وهو من أهل نيسابور ، وكانوا نصارى فانتقلوا الى بني العباس وأسلموا وتربى الفيض في الدولة العباسية وتأدب وبرع (٢) واستمر الفيض يتولى الوزارة حتى مات المهدي ولم يستوزره أحد من الخلفاء بعده ، حتى مات في أول عهد هارون الرشيد سنة ١٧٣ هـ .

* * *

(١) الطبري جـ ٦ ص ٣٨٥ – ٣٨٦ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ٢٤ ، ٢٥ ، الفخري ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٦٠ – ١٦١ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٣٣٢ .

(٢) الفخري : ص ١٦٩ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٦٤ .

٤ ـ ثورة الحسين بن علي
في عهد الخليفة الهادي

شهد عصر الخليفة العباسي الرابع موسى الهادي(١٦٩ — ١٧٠ هـ) مأساة دامية من المآسي التي تنتهي بها حياة العلويين الذين خرجوا على الدولتين الأموية والعباسية . فقد قامت في عهد الهادي حركة أخرى من حركات الشيعة تزعمها الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وانتهت هذه الحركة بمصرع الحسين في (فخ) قرب مكة ، وباراقة دماء كثيرة من دماء آله وشيعته .

وهذه الحركة العلوية الجديدة ، هي حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية في العصر العباسي الأول . فقد كانت الزيدية — كما رأينا — أكثر نشاطاً وجرأة وطلباً للخلافة ، بينما مال أئمة الشيعة الامامية الى الامامة الروحية . وعاصر الامام جعفر الصادق حركتي محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم ، وحاول إثناءهما عن اعلان الثورة كما عاصر الامام موسى الكاظم حركة الحسين بن علي وحاول ايضاً صرفه عن القيام بهذه الحركة(١) .

شخصية الخليفة الهادي وأثرها في موقفه من العلويين :

واجه الخليفة المهدي صوراً لنشاط الشيعة والعلويين في عهده ، وقد واجه نشاطهم العدائي بحزم ، ولكنه لم يسرف في الاضطهاد او سفك الدماء ، فقد كان يعلم ان دماء العلويين هي خير وقود لنيران حركات الشيعة الثورية ،

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٣٠ .

وكانت طباع سجايا المهدي تنعكس دائماً على سياسته وتصرفاته . حتى اذا تغيرت شخصية الخليفة وتولى خليفة آخر ، تبدلت السياسة والاتجاهات . وفي الحقيقة كانت شخصية الهادي وطباعه ونفسيته هي التي بلورت سياسته نحو العلويين وشيعتهم ، وهي التي أدت الى حد كبير ، الى حركة شيعية جديدة .

كان موسى الهادي شخصية غريبة قلقة تجمع بين كثير من المتناقضات ، وكانت سياسته في فترة حكمه القصيرة صورة لأخلاقه ومزاجه الشخصي . وصف المسعودي(١) موسى الهادي ، فقال : « كان موسى قاسي القلب شرس الاخلاق ، صعب المرام كثير الأدب محباً له . وكان شديداً شجاعاً جواداً سخياً ، ووصفه ابن طباطبا(٢) فقال : كان الهادي متيقظاً غيوراً كريماً شماً أبداً ، شديد البطش جريء القلب ، مجتمع الحس ذا إقدام وعزم وحزم ، وتحدث السيوطي(٣) عن الهادي وقال : قال الذهبي : وكان يتناول السكر ويلعب، ويركب حماراً فارهاً ، ولا يقيم ابهة الخلافة وكان مع ذلك فصيحاً قادراً على الكلام أديباً تعلوه هيبة ، وله سطوة وشهامة . وقال غيره : كان جباراً وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والاعمدة والقسي الموترة فاتبعه عماله به في ذلك وكثر السلاح في عصره . ويبدو ان الهادي قد اكتسب هذه الصفات نتيجة قضائه اكثر ايامه في الغزو والحرب .

عمل المهدي على ان يعد ابنه موسى الهادي للخلافة ، كما اعده أبوه المنصور من قبل لهذا المنصب الخطير . وأراد المهدي أن يكون ابنه الهادي جديراً بأن يقدمه على عيسى بن موسى في ولاية العهد ، ولكن الهادي خيب ظن أبيه فيه فانصرف الى شرب الخمر ، وقضى معظم وقته مع الندماء مما أثار غضب المهدي عليه فبدأ يفكر في تقديم أخيه الاصغر هارون عليه في ولاية العهد ، لولا ان عاجلته منيته(٤) .

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٥ ، الفخري ص ١٧١ .
(٢) الفخري : ص ١٧١ .
(٣) تاريخ الخلفاء ص ٢٧٩ .
(٤) الخربوطلي : المهدي العباسي ص ٢٤٨ .

هذه هي صورة للخليفة التي قامت ضده حركة شيعية كبرى، ولنرى الطرف الآخر وهو زعيم الثورة الحسين بن علي. وقد وصفه صاحب الفخري(١) بقوله: «كان الحسين بن علي من رجال بني هاشم وسادتهم وفضلائهم، وروى الاصفهاني(٢) كثيراً من الروايات توضح ما اتصف به الحسين من علم وتقوى وورع وكرم.

الحسين بن علي:

كانت أم الحسين هي زينب بنت عبدالله بن الحسن وهي شقيقة محمد النفس الزكية وابراهيم اللذين ثارا في عهد الخليفة المنصور وقد شهدت زينب ما لحق بأبيها وإخوتها وأعمامها وزوجها. وقد قضت حياتها في حزن وبكاء، فكانت دائماً تلبس المسوح ولا تجعل بين جسدها وبينها شعاراً حتى لحقت بالله عز وجل. وكانت تندبهم وتبكي حتى يغشى عليها(٣) ولا شك انه كان لهذه الأم المثكولة أكبر الاثر فيما انطبع في نفس ابنها الحسين لآل العباسيين حتى بات يتطلع الثأر لقتلى آل علي بن أبي طالب.

عاش الحسين بن علي في المدينة(٤)، ونجح في ان يكسب محبة اهلها بكرمه وجوده. فروى الاصفهاني انه باع داراً له بأربعين الف دينار ففرقها كلها على فقراء المدينة في نفس اليوم وقبل ان يعود الى داره. كما روى الاصفهاني أيضاً انه اقترض أربعة آلاف درهم فأحسن بها على الفقراء ولما سأله سائل، ولم يجد معه مالا يحسن به اليه نزل له عن ردائه(٥).

---

(١) الفخري ص ١٧٢.
(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤٣٨ – ٤٣٩.
(٣) المصدر السابق ص ٤٣٣.
(٤) كانت المدينة قد اصبحت مركزاً لكثير من آل البيت عامة والبيت العلوي خاصة واصبحوا موضع احترام وتقدير من أهالي الحجاز وقصدهم الحجاج الوافدون في موسم الحج (ابن طولون: الائمة الاثنا عشر ص ٥٠).
(٥) الاصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٤٣٩.

وكان الحسين يتردد على بغداد في عهد الخليفة المهدي ، بين وقت وآخر وحدث ان تثاقلت على الحسين الديون نتيجة كرمه واحسانه فخرج الى بغداد قاصداً المهدي وأذن الخليفة للحسين بالدخول عليه على الفور ، حتى اذا دخل وثب المهدي فسلم عليه وعانقه وأجلسه الى جانبه ، وجعل يسأله عن أهلـه ثم قال : يا بن عم، ما جاء بك ؟ قال : ما جئت وورائي أحد يعطيني درهماً. فقال : أفلا كتبت الينا ؟ قال : أحببت ان احدث بك عهداً ومنح المهدي الحسين كثيراً من الدنانير والدراهم فأعطى الحسين دائنيه ديونهم مضاعفة ، ثم عاد الى المدينة خالي الوفاض(١) .

بدأ الصدام بين الخليفة الهادي وآل علي بن أبي طالب منذ توليه الخلافـة فقد علم الهادي ان علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قد تزوج رقية بنت عمرو العثمانية ، وكانت احدى زوجات الخليفة المهدي. وغضب الهادي لذلك وبعث الى علي بن الحسين فاستدعاه ولامه ووبخه وقال له : أعياك النساء الا امرأة أمير المؤمنين ، فقال علي : « ما حرم الله خلقه الا نساء جدي صلى الله عليه وسلم ، فأما غيرهن فلا » فأمر الهادي بضربه خمسمائة سوط(٢) .

بوادر الثورة العلوية الجديدة :

بدأت بوادر حركة الحسين بن علي منذ تولية الهادي الخلافة فقد كان يلي حكم المدينة في عهد المهدي اسحاق بن عيسى بن علي . فلما توفي المهدي خرج اسحاق الى بغداد للقاء الخليفة الجديد ، وطلب منه اعفاءه من منصبه فاستجاب الهادي لرغبته وولى بدله عمر بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب(٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٤٤٠ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ٤٣٣ .
(٣) الطبري ج ٦ ص ٤١٠ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٥٨ .

ولم يذكر المؤرخون سبب استعفاء هذا الوالي ، ولكننا نرجح انه أدرك ان العلويين لن يطول ركونهم الى الهدوء بعد وفاة المهدي وان سياسة الرفق بالعلويين التي اتبعها المهدي قد آذنت بالنهاية اذ تولى الهادي وهو معروف ببطشه وقسوته.

وبدأ الوالي الجديد ، عمر بن عبد العزيز سياسة اضطهاد وارهاب بالنسبة للعلويين وشيعتهم فحمل على الطالبيين واساء اليهم وافرط في التحامل عليهم وطالبهم بالعرض كل يوم وكانوا يعرضون في المقصورة وأخذ كل واحد منهم بكفالة قريبه ونسيبه فضمن الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله بن الحسن والحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن(١) .

وتبدو من هذه الرواية التي رواها الاصفهاني ان الوالي الجديد كان متحاملا على الحسن بن محمد حتى انه جعله في كفالة وضمان زعيمين علويين آخرين . وما لبث هذا الوالي ان اتهم الحسن بن محمد ومسلم بن جندب الشاعر الهذلي وعمر بن سلام مولى آل عمر بن الخطاب بشرب الخمر . فضرب الوالي الحسن ثمانين سوطاً ، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطاً ، وضرب مولى عمر سبعة اسواط ، ثم جعل في اعناقهم حبال وطيف بهم في المدينة مكشوفي الظهر(٢).

واحتجت جماعة الهاشمية التي كانت قد والت العباسيين خلال ثورة النفس الزكية على والي المدينة، لما انزله بالعلويين قالت : لا وكرامة ، لا تشهر احداً من بني هاشم وتشنع عليهم وانت ظالم(٣) .

وخرج الحسين بن علي الى والي المدينة ، ينفي عن العلويين اتهامهم بشرب الخمر ، ويطلب من الوالي اطلاق سراحهم . ولكن الوالي لم يجب الحسين الى طلبه ، وسجن العلويين يوماً وليلة . وعاود الحسين محادثة الوالي في شأنهم فأطلق

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤٣ .
(٢) الطبري ج ٦ ص ٤١٠ ، تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٣٦ .
(٣ الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤٤ .

سراحهم على ان يتكفل الحسين بالحسن ويضمنه وان يقدم الحسين في كل يوم ليقف على أمره(١) .

وعهد والي المدينة لمولى من الانصار وهو أبو بكر بن عيسى الحائك ، مهمة تفقد العلويين في كل يوم . وحدث ان الحسن بن محمد كان قد تزوج مؤخراً فتغيب عن العرض اليومي، ثلاثة أيام هي الاربعاء والخميس والجمعة وقدم العلويون الى مسجد المدينة يؤدون صلاة الجمعة حتى اذا انتهوا من أدائها حبسهم أبو بكر بن عيسى الحائك في المسجد حتى صلاة العصر ، ثم عرضهم ، ونادى اسماءهم ، فلم يجد الحسن بن محمد بينهم ، فسأل كفيليه الحسن بن علي ويحيى ابن عبدالله بن الحسن عن الحسن وطلب منهما احضاره ، وهددهما بالسجن ، وكان قد قدم الى المدينة في هذا الوقت سبعون من الشيعة في انتظار بداية موسم الحج فاشتبكوا في جدال عنيف مع ابن الحائك ، كما تبادل يحيى بن عبد الله وابن الحائك السباب . وخرج ابن الحائك الى الوالي غاضباً ينقل اليه ما حدث في المسجد . واستدعى الوالي الحسين بن علي ويحيى بن عبدالله فوبخهما وهددهما(٢) .

كان الحوار الذي دار في مجلس والي المدينة هو الشرارة التي أدت الى اندلاع ثورة الحسين بن علي(٣) ، فقد كتم الحسين غيظه وأراد ان يخفف من ثورة الوالي ، فقال له : أنت مغضب يا أبا حفص ؟ فأبدى الوالي غضبه وقال للحسين : أتهزأ بي وتخاطبني بكنيتي ؟ فقال الحسين : قد كان أبو بكر وعمر ، وهما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك ، وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية ، وازداد غضب الوالي فقال: آخر قولك شر من أوله، فقال الحسين : معاذ الله يأبى الله، لي ذلك ومن أنا منه؟ فقال الوالي أفأنا ادخلتك

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤ .
(٢) الطبري : ج ٦ ص ٤١١ .
(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٣٧ .

الي لتفاخرني وتؤذيني ؟ وتدخل يحيى بن عبدالله في الحديث ، فصاح غاضباً: فما تريد منا ؟ فأجاب الوالي : أريد أن تأتياني بالحسن بن محمد ، فقال يحيى ساخراً من الوالي : لا تقدر عليه ، هو في بعض ما يكون في الناس فابعث الى آل عمر بن الخطاب فاجمعهم كما جمعتنا ثم اعرضهم رجلا رجلا فان لم تجد فيهم من قد غاب اكثر من غيبة الحسن عنك فقد انصفتنا .

واستمرت ثورة غضب والي المدينة ، عمر بن عبد العزيز ، وأقسم على ان يحرق دار الحسين ويخربها ويضربه الف سوط ، ان لم يحضر الحسن اليه في يوم وليلة ، كما اقسم ان يقتل الحسن اذا وقعت عيناه عليه .

بعث الحسين بن علي ، الى الحسن بن محمد يخبره بما ينتظره على يد الوالي وطلب منه النجاة بنفسه . ولكن الحسن قال : لا والله يا بن عمي . بل أجيء معك الساعة حتى اضع يدي في يده . فقال الحسين له : ما كان الله ليطلع علي وأنا مقبل الى محمد صلى الله عليه وآله ، وهو خصمي وحجيجي في دمك ، ولكن اقيسك بنفسي لعل الله يقيني من النار(١) .

الثورة :

وبدأت الثورة منذ تلك الليلة التي شهدت ذلك اللقاء بين والي المدينة والزعيمين العلويين . وقدم الى دار الحسين ستة وعشرون من آل علي بن أبي طالب ، وفي مقدمتهم يحيى وسليمان وادريس ، ابناء عبدالله بن الحسن(٢) ، وبعثوا في استقدام فتيان من فتيانهم ومواليهم ، كما قدم عليهم عشرة من الحجاج الشيعة الذين أشرنا الى قدومهم من الكوفة الى المدينة لاداء فريضة الحج .

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤٥ – ٤٤٦ ، الفخري ص ١٧٢ وما بعدها .

(٢) قدم أيضاً عبد الله بن الحسن الافطس وابراهيم بن اسماعيل طباطبا وعمر بن الحسن بن علي ابن الحسن بن الحسين بن الحسن وعبد الله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي وعبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي .

استمر الاجتماع طوال الليل حتى اذا قرب من آخره خرج يحيى بن عبدالله في نفر منهم الى دار مروان وهي دار الامارة ، فلم يجد الوالي عمر بن عبد العزيز بها فاتجهوا الى دار عبدالله بن عمر فلم يجد الوالي بها أيضاً فقد كان قد علم باجتماع العلويين ، فأسرع الى الاختفاء(١) .

خرج الجميع الى مسجد المدينة قبيل الفجر ، وترددت صيحاتهم داخل المسجد (احد ، احد) وأمروا المؤذن بأن يؤذن بأذان الشيعة وهو حي على خير العمل(٢) ، وجلس الحسين على المنبر وعليه عمامة بيضاء وجعل الناس يأتون المسجد ، فاذا رأوهم رجعوا ولا يصلون ، فلما صلى الغداة جعل الناس يأتونه ويبايعونه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للمرتضى من آل محمد (٣) .

خطب الحسين بن علي في الناس فقال ، بعد أن حمد الله واثنى عليه : انا ابن رسول الله على منبر رسول الله ، وفي حرم رسول الله ادعوكم الى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله . أيها الناس : اتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود ، وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه(٤) .

وأقبل الناس على بيعة الحسين وهذا هو نص البيعة : أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله ، وعلى ان يطاع الله ولا يعصى وأدعوكم الى الرضا من آل محمد وعلى ان نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ، والعدل في الرعية والقسم بالسوية وعلى ان تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فان نحن وفينا لكم وفيتم لنا وان نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم(٥) .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٤١١ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤٦ – واللون الأبيض هو شعار العلويين .
(٣) الطبري ج ٦ ص ٤١١ – ٤١٢ .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤٨ ، الفخري ص ١٧٣ .
(٥) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٣٧ ، مقاتل الطالبيين ص ٤٥٠ الفخري ص ١٧٣ .

وتقدمت فرقة من الجند العباسيين تتألف من مائتي جندي ، بقيادة خالد البربري وكان يتولى الصوافي بالمدينة وتشجع والي المدينة عمر بن عبد العزيز فظهر بعد ان كان قد اختفى ، وانضم الى خالد البربري واتجهوا جميعاً نحو أحد ابواب المسجد وهو باب جبرائيل واقتحموا الرحبة شاهرين سيوفهم ، واتجه خالد نحو الحسين وهو يصيح في وجهه « قتلني الله ان لم اقتلك » واعترض يحيى ابن عبد الله طريق خالد لمنعه من الوصول الى الحسين ، وضربه يحيى بسيفه على انفه فقطعها وسالت دماؤه على وجهه وأراد خالد الاستمرار في المقاومة ، فضربه ادريس بسيفه ضربة قضت على حياته وارتاع اصحابه فحملوا جثته واسرعوا بالانسحاب . ثم هاجم الثوار بيت مال المدينة ، واستولوا على نحو سبعين الف دينار (١) .

وفي اليوم التالي وهو يوم السبت ، احتشد جماعة من أنصار العباسيين وكانوا يطلقون على انفسهم (المسودة) وواجههم شيعة العلويين (المبيضة) وتقاتل الفريقان فيما بين رحبة دار الفضل والزوراء ، وفشت الجراحات بين الفريقين جميعاً فاقتتلوا الى الظهر ثم افترقوا (٢) .

تولى امارة الحج في هذه السنة مبارك التركي ، فبدأ بزيارة المدينة ، وعلم هناك بأمر حركة الحسين فبعث في طلبه ليلا ، وقال له : إني والله ما أحب ان تبتلي بي ولا أبتلي بك فابعث الليلة الى نفر من اصحابك ولو عشرة يبيتون (٣) عسكري حتى انهزم واعتل بالبيانات ونفذ الحسين الخطة المرسومة فقدم عشرة من أصحابه الى معسكر مبارك فتظاهروا بالهجوم ليلا عليه وأخذوا يصيحون ويتوعدون وتظاهر مبارك أيضاً بالانسحاب الى مكة من فوره (٤) .

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٤١٢ — الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤٨ .
(٢) الطبري : ج ٦ ص ٤١٢ .
(٣) يبيتون : اي يهاجمون ليلا .
(٤) الا صفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤٩ .

قضى الحسين وأصحابه أياماً يتجهزون للرحيل الى مكة فكان مقامهم بالمدينة منذ أعلن الثورة احد عشر يوماً ثم خرج الحسين الى مكة يوم ٢٤ من ذي القعدة سنة ١٦٩ هـ في اهله ومواليه واصحابه فبلغ عددهم ثلثمائة نفر واستخلف على المدينة دينار الخزاعي(١) .

الشهيد :

علم الهادي بنبأ حركة الحسين بن علي ، فقد كتب اليه بأخبارها جماعة من أهل بيته ممن ادوا فريضة الحج في هذه السنة ومنهم محمد بن سليمان بن علي ، والعباس بن علي واقترح البعض على الهادي ان يعهد بأمر القتال الى عمه العباس بن محمد ، فرفض هذا الاقتراح وقال : « لا والله لا أخدع عن ملكي» وبعث الهادي بكتاب الى محمد بن سليمان يعهد فيه اليه بالقضاء على حركة الشيعة وكان محمد بن سليمان « في عدة من السلاح والرجال لأن الطريق كان مخيفاً معوراً من الاعراب (٢) » .

وتوافدت الكتب على موسى بن علي بن موسى ، والعباس بن محمد بن سليمان فخرجوا باصحابهم وانضموا الى محمد بن سليمان وعسكروا جميعاً في ذي طوى(٣) ، فانضم اليهم من وافى في تلك السنة من شيعة ولد العباس ومواليهم ، وكان الناس اختلفوا في تلك السنة في الحج وكثروا جداً(٤) وارسل الحسين بعض رسله للاتصال بعبيد مكة لينضموا اليـه ووعدوهم بتحريرهم ، فقدم عليه كثير منهم وانضموا الى اتباعه الآخرين(٥) .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٣٧ .
(٢) معورا من الاعراب : اي معرضاً لهجوم البدو .
(٣) تقع (ذي طوى) على مقربة من مكة .
(٤) الطبري ج ٦ ص ٤١٣ - ٤١٤ .
(٥) نادى رسل الحسين في مكة « ايا عبد أتانا فهو حر » - الطبري ج ٦ ص ٤١٤ .

نظم العباسيون قواتهم فقاد محمد بن سليمان ميمنة الجيش ، وقاد العباس بن محمد وموسى بن عيسى الميسرة ، وقاد معاذ بن مسلم قلب الجيش ، وبلغ عدد الجند العباسيين اربعة آلاف فارس وقبل طلوع الفجر قدم الحسين بن علي في اصحابه وشيعته واصبحت القوتان في مواجهة بعضهما عند (فخ) (١) واصبح الصدام وشيكاً(٢) .

ولما رأى الحسين بن علي الجند العباسيين اقعد رجلا من اصحابه على جمل يحمل سيفاً يلوح به وأخذ الحسين يملي عليه بعض العبارات فينادي بها فصاح : « يا معشر الناس يا معشر المسودة هذا الحسين بن رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمه يدعوكم الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله »(٣) ، ولكن هذه المقالة لم تجد من العباسيين شيئاً .

ودارت معركة رهيبة عند فخ ، قاتل فيها الحسين بن علي حتى استشهد(٤) ثم احتز العباسيون رأس الحسين ورؤوس اصحابه وبلغ عدد الرؤوس اكثر من مائة رأس ، وقدموا بها الى قواد الجيش العباسي ، وكان عندهم جماعة من ولد الحسن والحسين ، وسأل العباسيون موسى بن جعفر ان يشير الى رأس الحسين فأشار الى رأسه وقال : « انا لله وانا اليه راجعون ، مضى والله مسلماً صالحاً صواماً قواماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ما كان في أهل بيته مثله(٥). وظلت جثث القتلى ثلاثة ايام دون ان توارى حتى اكلتها الحيوانات الضارية والطيور الجارحة(٦) .

---

(١) تقع فخ على بعد ستة أميال من مكة .
(٢) المسعودي : مروج الذهب جـ ٤ ص ٣٣٦ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤٩ .
(٤) عرض العباسيون على الحسين الامان فلم يقبله واستمر يقاتل حتى لقي حتفه وكان مصرعه على يد حماد التركي فقد رماه بسهم فقتله وكافأه محمد بن سليمان بأن منحه مائة الف درهم ومائة ثوب (الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٥١) .
(٥) مقاتل الطالبيين ص ٤٥٣ ، الفخري ص ١٧٤ .
(٦) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٣٦ .

نجا بعض اصحاب الحسين بن علي بأنفسهم واختلطوا بالحجاج الذين قدموا الى مكة فلم يستطع العباسيون التوصل اليهم . ووقع بعض أصحاب الحسين في الاسر ، ومنهم اخته فاحتجزوها في بيت زينب بنت سليمان(١) . وأقدم العباسيون على قتل الأسرى من آل علي بن أبي طالب ، ومنهم سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي وعبدالله بن اسحاق بن ابراهيم بن الحسن ابن الحسن بن علي والحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وأخذ الامان لعبد الله بن الحسن بن علي وللحسن بن علي ، فحبسا عند جعفر البرمكي وقتلا بعد ذلك(٢) . وقدم موسى بن عيسى الى بغداد بستة من الاسرى منهم اربعة من أهل الكوفة . فطلب الخليفة الهادي من موسى ان يمثل الاسرى بين يديه فطلب موسى من الخليفة ان يعفو عنهم اذ قد تعهد لهم بذلك وأمنهم على أنفسهم . فأمر الهادي بقتل أسيرين منهم وعفا عن الباقين . وشفع موسى لأحد هؤلاء فقال للخليفة : يا أمير المؤمنين ، هذا أعلم الناس بآل أبي طالب فان استبقيته ذلك على كل بغيه لك . وأمر الخليفة بمصادرة أموال مبارك التركي لتساهله مع الحسين بن علي وعزله عن منصبه ، وجعله من ساسة الدواب كما أبدى الخليفة غضبه على موسى بن عيسى لاقدامه على قتل الحسن بن محمد وأمر بمصادرة أمواله(٣) .

روى المسعودي (٤) وصاحب الفخري(٥) ان الخليفة الهادي أبدى حزنه لمقتل الحسين بن علي ، وانزل سخطه على الذين دخلوا عليه مستبشرين وهم يحملون رأس الشهيد ، فقال لهم : اتيتموني مستبشرين كأنكم اتيتموني برأس

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٤١٥ .
(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٧ .
(٣) الطبري : ج ٦ ص ٤١٥ – ٤١٦ .
(٤) مروج الذهب : ج ٣ ص ٣٣٧ .
(٥) الفخري : ص ١٧٣ .

رجل من الترك او الديلم انه رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا ان اقل جزائكم عندي الا اثيبكم شيئاً .

وهكذا ذرف الهادي ، كما روى المؤرخان الدموع على الحسين بن علي ، وبالأمس أبدى الخليفة المنصور ألمه وحزنه لمقتل محمد النفس الزكية . فهل كان الخليفتان صادقين في مشاعرهما وحزنهما ؟ أم أنهما ، وقد أدركا ان الامر قد انتهى لصالحهما لم يجدا بأساً في التظاهر بالحزن والأسى ، حتى لا يظهرا بمظر الشامتين في اعدائهما القاطعين لصلة الرحم التي تربطهم بأبناء عمومتهم العلويين. أم أراد الخليفتان تسكين الخواطر الحزينة وتهدئة النفوس الثائرة ؟ وللاجابة عن هذه التساؤلات نقول ان الله وحده عز وجل اعلم بالسرائر والضمائر ، ولكننا نعتقد ان الهادي قد أراد ان يخفف من ثورة وسخط المسلمين عليه اذ اغضبهم مصرع حفيد للرسول ولعلي بن أبي طالب. ونرى هذا واضحاً فيما سبق ان اشرنا اليه فقد صادر الهادي أموال موسى بن عيسى لأنه أقدم على قتل الحسن بن محمد ، رغم ما أبداه موسى من الاخلاص للخليفة ومن استبسال في القتال . ولا نعتقد ان الهادي كان رقيق الاحساس مرهف الشعور بحيث يتألم لمقتل رجل يعتبره خصماً قوياً وعدواً لدوداً له . والمؤرخون جميعاً يجمعون على وصف الهادي بالقسوة والغلظة وقد اتضحت هذه الطباع في معاملته لعامة الناس وخاصتهم بل لأمه الخيزران (١) .

وعلم والي المدينة عمر بن عبد العزيز بمصير الحسين بن علي وأصحابه ،

---

(١) كان الهادي يبدي غيرة شديدة على أمه الخيزران وينهاها عن لقاء طلاب الحاجات الذين يقصدونها لتتوسط لدى ابنها الخليفة لقضائها ويتهم بعض المؤرخين الخيزران بأنها دبرت مقتل ابنها الهادي حينما اشتد في معاملتها (الطبري ج ٦ ص ٤٢٣ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٢٤) .

فأراد ان ينفس عن احقاده وسخطه فأحرق دور الحسين وأهله وصادر أموالهم واستولى على نخلهم وضمها الى بيت المال(١) .

وانسدل الستار على مأساة أخرى تضاف الى مآسي مقاتل الطالبيين وانتهت حركة الحسين بن علي وشيعته بالاخفاق وشهدت ضواحي مكة اراقة دماء علوية اخرى مثلما شهدت المدينة بالأمس اراقة دماء محمد النفس الزكية .

فلسفة أحداث الثورة :

هل كانت حركة الحسين بن علي حركة قامت نتيجة خطة مرسومة وتنظيم دقيق سابق لاعلان الثورة ؟

— وهل كان الحسين ينوي اعلان الثورة وانه اتخذ للأمر عدته ؟

— أم قامت الثورة نتيجة ظروف معينة وخضعت في ظهورها لتطور الأحداث تطوراً سريعاً ؟

— وهل كانت سياسة والي المدينة نحو العلويين واضطهاده لهم واستفزازه لمشاعرهم هو العامل الرئيسي في قيام هذه الحركة ؟

يرى بعض المؤرخين ان الحسن بن علي كان ينوي الخروج على الهادي واعلان الثورة قبل ذلك الحدث الذي كان بين العلويين ووالي المدينة عمر بن عبد العزيز وان ذلك النزاع الذي قام بين الفريقين هو الذي عجل بظهور الثورة.

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٥٢، الفخري ص ١٧٤ — وهذه هي الحلقة الثانية من حلقات (المصادرات العباسية) ، وقد كانت الحلقة الأولى في عهد المنصور حين صادر أموال وممتلكات آل عبد الله بن الحسن بعد ثورة محمد النفس الزكية .

فجاء في حديث الطبري(١) عن حركة الحسين بن علي « وكانوا قد تواعدوا على ان يخرجوا بمنى او مكة في الموسم (٢) فيما ذكروا .. » وذكر صاحب الفخري(٣) هذا الرأي بأكثر صراحة ووضوحاً من الطبري فقال : كان الحسين ابن علي من رجال بني هاشم وساداتهم وفضلائهم وكان قد عزم على الخروج واتفق معه جماعة من اعيان اهل بيته ، ثم وقع من عامل المدينة لبعض آل علي عليه السلام ، فثار آل ابي طالب بسبب ذلك واجتمع اليهم ناس كثيرون .

واذا اخذنا برأي هذين المؤرخين فعلينا ان نجزم بأن الثورة كانت مبيتة وأمراً مقضياً وان اضطهاد والي المدينة لآل علي كانت نقطة الانطلاق او ساعة الصفر بلغة عصرنا هذا . ولكننا نرى انه من العسير تأكيد هذا الرأي اذ لم تمدنا المصادر القديمة بأخبار الاعداد والتجهيز لهذه الثورة وهو ما لمسناه واضحاً في اخبار ثورة محمد النفس الزكية وابراهيم في هذه المصادر . فقد تحدثت هذه المصادر كما رأينا عن تشجيع عبدالله بن الحسن ابنه محمد النفس الزكية على المطالبة بالخلافة(٤) وتحمله الأذى والسجن في سبيل الحيلولة دون وصول أيدي المنصور الى ابنه(٥) . كما رأينا محمداً يبعث بدعاته الى الأمصار المختلفة وشهدنا جهود ابراهيم في نشر الدعوة في البصرة والأهواز وفارس(٦) .

أعلن الحسين بن علي ثورته في ذي القعدة سنة ١٦٩ هـ وكان الهادي قد تولى الخلافة في اواخر المحرم من هذه السنة . وقد اهتم الطبري(٧) بالاشارة الى الفترة ما بين تولية الهادي الخلافة وخروج الحسين فقال انها تسعة اشهر وثمانية

---

(١) الطبري : جـ ٦ ص ٤١١ .
(٢) الموسم : اي موسم الحج ، وكان مصرع الحسين بن علي في يوم التروية .
(٣) الفخري : ص ١٧٢ .
(٤) ابن نشوان : الحور العين ص ٢٧١ .
(٥) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٧٠ .
(٦) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٠٨ .
(٧) الطبري جـ ٦ ص ٤٠١ .

عشر يوماً ، وهي فترة قصيرة لا تكفي للاعداد لثورة علوية شيعية تقضي على خلافة عباسية نجحت في توطيد اركانها ، وتثبيت اقدامها في أرجـــاء العالم الاسلامي وخاصة ان المصادر القديمة لم تشر اطلاقاً الى تهيؤ العلويين للثورة في عصر المهدي وقد شهدنا الرقابة المحكمة التي فرضها على العلويين سواء من اقام منهم في بغداد او في المدينة، كما أشرنا الى قيام ولاته وعمال بريده بالمدينة بتفقد نشاط العلويين وتحركاتهم مما لم يوجد مجالا لأي اعداد لحركـــة شيعية .

ولذا يمكننا ان نقف موقفاً وسطاً فنقول ان الحسين بن علي كان مثله مثل سائر آل علي بن أبي طالب يتطلع الى الخلافة ويعتقد ان العباسيين قد اغتصبوا حقهم المشروع فيها ، وانه كان لا بأس لديه من ان يعلن الثورة اذا واتتـــه الظروف وكان النزاع بينه وبين والي المدينة هو الذي هيأ له تلك الظروف . ولكننا نقول أيضاً ان الحسين بن علي لم يهتم بتنظيم دعوته ولم يبعث دعاته الى الامصار ، ولم يهيء من القوات المسلحة ما يمكنه من مواجهة الجيوش ، كما نقول انه تعجل باعلان الثورة قبل توفر امكانيات النجاح لها مما مكن العباسيين من القضاء عليها في سهولة ويسر .

ويتضح ذلك في رواية للطبري(١) ، فقد تحدث عن قدوم محمد بن سليمان على رأس عدد كبير من الجند العباسيين ثم قال : ولم يحتشد لهم حسين فأتاه خبرهم فهم بصوبه ، فخرج بخدمه واخوانه وتحدث الاصفهاني (٢) عمن انضم الى الحسين حينما اعلن الثورة في المدينة فقال : « ووجهوا الى فتيان من فتيانهم ومواليهم ، فاجتمعوا ستة وعشرين رجلا من ولد علي ، وعشرة من الحجاج ونفر من الموالي (٣) . ولذا لم تستطع جماعة الحسين بن علي الصمود

(١) الطبري : جـ ٦ ص ٤١٤ .
(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤٤٦ .
(٣) لا شك ان انضمام العبيد إلى الحسين بن علي قد أثار مخاوف أسيادهم الذين اغضبتهم هـــذه الحركة لتحرير الرقيق وان لم يكن من اهداف حركة الحسين هذا التحرير فقد كانت طبقة الرقيق من عناصر المجتمع العباسي .

طويلا امام القوات العباسية الكثيرة العدد المزودة بالسلاح الوفير ، ونجح العباسيون بعد معركة قصيرة محدودة في قتل الحسين ومعظم اصحابه .

وصف الطبري(١) الجيش العباسي فقال : قدم محمد بن سليمان قدامه تسعون حافراً، ما بين فرس الى بغل وهو على نجيب عظيم وخلفه اربعون راكباً على النجائب عليها الرحال وخلفهم ما بين راكب على الحمير سوى من كان معهم من الرجالة وغيرهم وكثروا في أعين الناس جداً وملئوا فظنوا انها اضعافهم .

ومن عوامل اخفاق حركة الحسين بن علي أيضاً امتناع بعض أهل المدينة عن الانضمام الى حركته ووقوف بعضهم موقفاً عدائياً منه ، كما نستنتج من رواية للطبري ان بعض اهل المدينة لم يرضوا عن اتخاذ الحسين المسجد النبوي مركزاً لثورته وخاصة ان أصحاب الحسين لم يحترموا حرمة هذا المكان المقدس الطاهر (٢) .

ويبدو امتناع بعض أهل المدينة من مناصرة الحسين في تلك العبارة التي قالها لهم : أيا الناس اتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود ، وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه (٣) .

وتحدث الطبري(٤) ايضاً عن امتناع بعض اهالي المدينة عن الخروج مع الحسين بن علي رغم وعودهم السابقة فقال : ان الحسين بن علي بن حسن بن حسن قال يومئذ في قوم لم يخرجوا معه ، وكان قد وعدوه ان يوافوه فتخلفوا عنه متمثلا :

---

(١) الطبري : ج ٦ ص ٤١٣ — ٤١٤ .
(٢) روى الطبري (ج ٦ ص ٤١٣) أن اتباع الحسين كانوا يأكلون في المسجد النبوي ويتركون فيه فضلات طعامهم ، كما استولى بعضهم على ستور المسجد ، مما أثار مشاعر أهل المدينة .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤٨ .
(٤) الطبري : ج ٦ ص ٤١٩ .

من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجبا موتاً على عجل او عاش منتصفا
لا تقربوا السهل ان السهل يفسدكم لن تدركوا المجد حتّى تضربوا عنقا

وامتنع ايضاً بعض زعماء العلويين عن الخروج مع الحسين وفي مقدمتهم الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن وموسى بن جعفر بن محمد . وقد جاء موسى الى الحسين فقال له : أحب ان تجعلني في سعة وحل من تخلفي عنك فأطرق الحسين طويلا لا يجيبه ، ثم رفع رأسه اليه فقال : انت في سعة .

وعند تهيؤ الحسين لمغادرة المدينة ، طالب الحسين من موسى بن جعفر ان يصاحبه الى المدينة فأبى موسى ذلك ، وحذره من تظاهر القوم بمناصرته فقال : انك مقتول بأحد السيوف فان القوم فساق يظهرون ايماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً ، فانا لله وانا اليه راجعون وعند الله عز وجل احتسبكم من عصبة(١).

ومن عوامل اخفاق حركة الحسين بن علي امتناع وجوه مكة عن تأييد الحركة لتشجيع اصحاب الحسين الرقيق على الفرار من اسيادهم . فروى الطبري(٢) ونادى اصحاب الحسين بمكة : أيما عبد أتانا فهو حر . فأتاه العبيد وقال أحد وجوه مكة للحسين : عمدت الى مماليك لم تملكهم فأعتقتهم بم تحتل ذلك(٣) .

وكان قيام حركة الحسين بن علي في موسم الحج من عوامل اخفاقها ، فالهادي لم يبعث له بجيوش نظامية كبيرة العدد من العراق . انما اكتفى بالجند والحراس الذين كانوا يرافقون وجوه العباسيين الذين رحلوا الى ا لحجاز لاداء

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٤٧ .

(٢) الطبري : جـ ٦ ص ٤١٣ .

(٣) كان في مكة بقايا الاحابيش ، إلى جانب الرقيق الذين يجلبهم النخاسون وكان بعض الرقيق جنوداً في جيش الولاية ، وقد استخدمهم والي المدينة رباح بن عثمان في البحث عن محمد النفس الزكية (الاصفهاني : الاغاني جـ ٢ ص ٣٣٨ ، الصولي : ثمرات الأوزاق جـ ١ ص ٢٣٨ ، السمهودي : وفاء الوفا باخبار دار المصطفى جـ ٢ ص ١٩٧) .

فريضة الحج . وقد كانت قوافل الحجاج تخرج في حراسة عدد من الجند المسلمين لحمايتها من هجوم قطاع الطرق من البدو والاعراب وقد استعان الهادي بهؤلاء الجند في القضاء على حركة الحسين . ولو لم تقم حركة الحسين في موسم الحج ، لاضطر الحسين الى انفاذ جيوشه من العراق ولأصبح لدى الحسين متسع من الوقت يحشد فيه أصحابه ويوفر لهم الاسلحة وينظم صفوفه . بل ان الجند العباسيين قد بادروه وهو في طريقه من المدينة الى مكة وقاتلوه في منطقة عراء مكشوفة ومنعوا كل معونة قد يقدمها له اهالي مكة . كما قامت الثورة في شهر ذي القعدة ، وهي من الشهور الحرام التي يجد المسلمون حرجاً في القتال فيها ، كما ان موسم الحج هو الموسم الذي يعتمد عليه غالبية اهل الحجاز في معاشهم وموارد هم الاقتصادية ، حيث يقدم آلاف الحجاج من مشارق الارض ومغاربها ولذا انصرف كثير من أهالي مكة والمدينة الى اعمالهم وتجارتهم وكسب عيشتهم وقد كان من عوامل اخفاق حركة عبدالله بن الزبير ايضاً في عهد الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان حصار الحجاج بن يوسف الثقفي لابن الزبير في مكة في موسم الحج(١) ، والتاريخ دائماً يعيد نفسه وان اختلفت الصور والتفاصيل .

وانتهت صفحة اخرى من صفحات حركات الشيعة في العصر الاسلامي لتبدأ صفحة جديدة اخرى تقص علينا انباء حركة شيعية اخرى قام بها يحيى وادريس ابنا عبد الله في عهد الخليفة هارون الرشيد .

* * *

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٤ ص ١٤٦ .

الباب الرابع

جهاد الشيعة في عهد هارون الرشيد

١ ــ حركتا يحيى وادريس ابني عبدالله في عهد الخليفة هارون الرشيد .

٢ ــ سياسة الرشيد نحو الشيعة والامام موسى الكاظم .

٣ ــ موقف البرامكة من العلويين والشيعة .

١ - حركتا يحيى وادريس ابني عبدالله
في عهد الخليفة هارون الرشيد

شهد عهد الخليفة هارون الرشيد ايضاً حركتين شيعيتين قام بهما اخــوان هما يحيى وادريس ابنا عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فقام محمد بحركته في المشرق ، بينما ثارت حركة ادريس في بلاد المغرب ، والاخوان هما شقيقا محمد النفس الزكية وابراهيم اللذين اعلنا ثورتهما في عهد الخليفة المنصور ، وسالت دماؤهما في المدينة والبصرة .

انتهت حياة الخليفة الهادي سريعاً ، بعد شهور قليلة من مأساة فخ واستشهاد الحسين بن علي ، فارتاحت نفوس الشيعة بنهاية عهد هذا الخليفة الذي اشتهر بالغلظة والقسوة . كما بدت بوادر طمأنينتهم اذ تولى الخلافة هارون الرشيد ، وقد اشتهر في عهدي المهدي والهادي بسماحة الخلق ورقة الطباع حتى ان أباه المهدي كان قد شرع في تقديمه على الهادي في ولاية العهد لولا ان عاجلته الوفاة(١).

موقف الخليفة الجديد من العلويين :

انتهج الرشيد سياسة جديدة نحو العلويين(٢) . فقد رأى مسالمتهم والاحسان

---

(١) وصف صاحب الفخري (ص ١٧٤ - ١٧٥) الخليفة هارون الرشيد فقال عنه : كان الرشيد من افاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم كان يحج سنة ويغزو سنة كذلك مدة خلافته الا سنين قليلة . وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة وحج ماشياً ولم يحج خليفة ماشياً غيره ، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وابناؤهم وإذا لم يحج أحج ثلثمائة رجل بالنفقة السابقة والكسوة الظاهرة .

(٢) أوصى المهدي ابنه هارون الرشيد خيراً بأهل الحرمين وآل بيت الرسول (ابن قتيبة : الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٨٣) .

اليهم وشجعه وزيره جعفر بن يحيى البرمكي على انتهاج هذه السياسة وتحقيقاً لهذه السياسة فقد أمر بالافراج عن الطالبيين المسجونين في بغداد ، وسمح لهم بالعودة الى المدينة(١) .وتم الافراج عنهم جميعاً عدا احدهم هو العباس بن الحسن بن عبدالله بن علي بن أبي طالب (٢) وقد لاقت هذه السياسة الحكيمة استحساناً وثناء من جماعات كثيرة من الناس تمثل جانباً هاماً من جوانب الرأي العام .

وأمر الخليفة هارون الرشيد أيضاً بعزل عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة الذي اضطهد العلويين ، وكانت سياسته سبب انفجار ثورة الحسين بن علي . وقد شهدنا هذا الوالي بعد موقعة فخ يخرب دور العلوية ويقطع نخلهم ويصادر اموالهم(٣) .

وقرت عيون الشيعة لما لحق بمحمد بن سليمان الذي قاد الجيوش العباسية التي قضت على حركة الحسين بن علي في موقعة (فخ) سنة ١٦٩ هـ فقد مات سنة ١٧٣ هـ ، وصادر الرشيد كل املاكه وبلغت الاموال المصادرة ستين مليون درهم وزعها الرشيد على الندماء والمغنين ، كما اصطفى الرشيد ضياعــــه بالأهواز(٤) .

عاد المسجونون من آل ابي طالب من بغداد الى المدينة المنورة(٥) ، ولكن كان هناك اخوان علويان قد نجوا من القتل في موقعة فخ واصبحا بمنجاة من قبضة العباسيين وهما يحيى وادريس ابنا عبدالله بن الحسن .

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ٤٤٥ .
(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٥ ص ٨٥ .
(٣) الطبري جـ ٦ ص ٤٤٤ ، الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٥٥ .
(٤) الطبري جـ ٦ ص ٤٤٦ .
(٥) وكانت المدينة المنورة قد اصبحت مقراً لآل علي بن أبي طالب .

يحيى بن عبدالله :

وصف الاصفهاني (١) يحيى بن عبدالله فقال عنه : وكان حسن المذهب والمهدي مقدماً في اهل بيته بعيداً مما يعاب على مثله ، وقد روى الحديث كما روى الاصفهاني ايضاً ان يحيى كان موضع تقدير الامام مالك بن انس ، فكان الامام يقوم له عن مجلسه ويجلسه بجانبه(٢) .

بعد موقعة فخ توارى يحيى عن الانظار وظل يتنقل بين كثير من البلاد ، حتى استقر في بلاد الديلم . وروى الاصفهاني(٣) ان الفضل بن يحيى البرمكي كان عالماً بموضع يحيى بن عبدالله وانه أحسن معاملته وأمنه على نفسه ، فروى : ان يحيى بن عبد الله بن الحسن لما قتل اصحاب فخ كان في قبلهم فاستتر مدة يجول في البلدان ويطلب موضعاً يلجأ اليه وعلم الفضل بن يحيى بمكانه في بعض النواحي . فأمره بالانتقال عنه وقصد الديلم وكتب له منشوراً الا يتعرض له احد » .

ظهر يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم حيث كثر انصاره وقدم اليه كثير من الانصار من المناطق المجاورة(٤) وقد نتساءل : **لماذا اختار يحيى بن عبدالله بلاد** الديلم لتكون مركزاً لحركته ؟ ويوضح الاصفهاني سبب ذلك فيروي ان رجلا توجه الى يحيى بالسؤال فقال : كيف تخيرت الدخول الى الديلم من بين النواحي؟ فأجاب يحيى : ان للديلم معنا خرجة فطمعت ان تكون معي(٥) .

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٦٣ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٨٤ – كان الامام جعفر الصادق من أساتذة يحيى ابن عبد الله رغم اختلافهما في المذهب والتعاليم (ابن العماد : شذرات الذهب ج ١ ص ٢٢) .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٦٥ .
(٤) الفخري ص ١٧٦ .
(٥) الطبري ج ٦ ص ٤٥٠ .

علم هارون الرشيد بنشاط الزعيم العلوي فقد قدم عليه رجل وطلب منه ان يختلي به ليتحدث معه في امر من اسرار الخلافة ثم نقل اليه صورة لدعوة يحيى فقال : كنت في خان من خانات خلوان ، فاذا انا بيحيى بن عبدالله في دراعة صوف غليظة وكساء صوف احمر غليظ ، ومعه جماعة ينزلون اذا نزل ويرتحلون اذا رحل ويكونون معه ناحية فيوهمون من رآهم انهم لا يعرفونه وهم اعوانه مع كل واحد منهم منشور بياض يؤمن به ان عرض له . ومنح الرشيد هذا الرجل الف دينار مكافأة له(١) .

رأى الخليفة الرشيد ان يقف من دعوة يحيى موقفاً حازماً واستشار يحيى بن خالد البرمكي في امر هذا العلوي فأشار عليه بانفاذ ابنه الفضل لقتاله او ارغامه على طاعة الخليفة . ويروي الجهشياري (٢) ان يحيى البرمكي زود الزعيم العلوي بكثير من الاموال حتّى تستفحل دعوته ، ويظهر أمره فيضطر الخليفة الى توجيه اهتمامه اليه فعهد الى ابنه الفضل بأمره ، مما يرفع من مكانة الفضل عند الخليفة وكان هذا تدبيراً من يحيى البرمكي بدون علم الخليفة .

وادرك الخليفة الرشيد خطورة الدعوة العلوية حتى انه—كما يروي الطبري(٣)— قد ابدى المه وحزنه وامتنع عن شربِ النبيذ وعهد الرشيد الى الفضل بن يحيى بأمر الثائر العلوي وأمده بجيش عدته خمسون ألف جندي وتولى قيادته صناديد القواد ، وولى الرشيد الفضل على كور الجبال والري ، وجرجان وطبرستان وقومس ودنباوند ، والريان . وأمده الرشيد ايضاً بكثير من الاموال ، وولى الفضل قواده على الكور ، فولى المثنى ابن الحجاج بن قتيبة بن مسلم علــى طبرستان وولى علي بن الحجاج الخزاعي على جرجان ثم عسكر الفضل بالنهرين

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٦٧ .
(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧٠ .
(٣) الطبري ج ٦ ص ٤٥٠ ، الفخري ص ١٦٧ .

وأقبل الشعراء على الفضل يمتدحونه فأعطاهم فأكثر وتوسل اليه الناصر بالشعر ، ففرق فيهم اموالا كثيرة (١) وهكذا استطاع الفضل باغداق الاموال الكثيرة ان يشتري القلوب ويضمن الولاء وانطلقت السنة الشعراء بمديــح الخليفة والعباسيين والفضل ، وقد كان الشعر في هذا العصر من امضى وسائل الدعاية والاعلام .

نصح الخليفة الرشيد الفضل بأن يلجأ الى الوسائل السلمية قبل ان يلجــأ الى القتال ، فروى الاصفهاني(٢) : وولى الرشيد الفضل بن يحيى جميع كور المشرق وخراسان ، وأمره بقصد يحيى والخديعة به وبذل الاموال والصلة ان قبل ذلك .

خدعة الدبلوماسية العباسية :

بدأ الفضل بن يحيى تنفيذ المهمة التي عهد بها الخليفة اليه واتخذ في سبيــل ذلك وسيلتين ، فقد كتب الى يحيى بن عبدالله يستميله ويحذره ويخوفه ويرغبه(٣) كما كتب الى صاحب الديلم يحذره من معاونة الثائر العلوي ويهدده بالعقاب اذا لم يقنع الثائر بالعدول عن الثورة ، وأرفق الفضل رسالته بمليون درهم .

ادرك يحيى بن عبدالله خطورة الموقف ، اذ أقدم الفضل بن يحيى على رأس جيش كثيف ، وسد عليه المنافذ ، اذ نجح في ارغام صاحب الديلم على التخلي عن مناصرة الحركة العلوية . وروى الاصفهاني(٤) ان يحيى قال عندما علم بقدوم جيش الفضل : اللهم اشكر لك اخافتي قلوب الظالمين ، اللهم ان تقض لنا النصر عليهم ، فانما نريد اعزاز دينك وان تقض لهم النصر فإنما تختار لأوليائك وابناء اوليائك كريم المآب وسني الثواب . وعلم الفضل بمقالة يحيى فقال : يدعو الله ان يرزقه السلامة فقد رزقها .

---

(١) الطبري جـ ٦ ص ٤٥٠ — ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر جـ ٢ ص ١٦ .
(٢) مقاتل الطالبيين ص ٤٦٩ — ٤٧٠ الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٤٤ .
(٣) الفخري ص ١٧٦ — مؤلف مجهول : العيون والحدائق ص ٣٠٧ .
(٤) مقاتل الطالبيين : ص ٤٦٩ — ٤٧٠ .

رأى يحيى بن عبدالله الاستجابة لدعوة السلام التي وجهها الفضل بن يحيى اليه ، ولكنه اشترط ان يكتب الرشيد له ولسبعين رجلا من انصاره عهد امان يشهد عايه القضاء والفقهاء وشيوخ بني هاشم(١) .

وكتب الفضل الى الرشيد بهذا الشرط الذي شرطه الثائر العلوي فوافق وأبدى سروره وارتفعت مكانة الفضل لديه . وبعث الرشيد بعهد الامان وارفقه بالهدايا والجوائز (٢) .

وفي اوائل سنة ١٧٦ ه قدم الفضل بن يحيى في رفقة يحيى بن عبدالله الى بغداد فاستقبلهما الخليفة ورجاله بالحفاوة والترحاب. وانزل الخليفة يحيى العلوي في دار يحيى بن خالد البرمكي اياماً ، فكان البرمكي يقوم بنفسه بخدمة ضيفه العلوي ، ثم انتقل يحيى بن عبد الله الى قصر اعده الرشيد له(٣) . ومنح الرشيد يحيى اموالا كثيرة واجرى عليه الارزاق وسمح للناس بزيارته والتردد عليه . وأبدى الناس سرورهم اذ حقن الفضل الدماء وحال دون قتال مرير كان قد ينشب بين فريقي بني هاشم ، العلويين والعباسيين فوصل ما بين ابناء العمومة فأشاد الشاعر مروان بن أبي حفصة بجهود الفضل فأنشد (٤) :

ظفرت فلا شلت يد برمكيـــة رتقت بهـــا الفتق الذي بين هاشم
على حين ادعى الراتقين التئامة فكفوا وقالوا ليس بالملائـــــم

كما امتدح الشاعر ابو تمامة الخطيب الفضل بن يحيى وما قام به من توفيق بين بني هاشم فانشد :

سد الثغور ورد الفـــــة هاشم بعد الشتات فشعبها متـــــدان
عصمت حكومته جماعة هـــاشم مـــن ان يجرد بينها سيفـــان

---

(١) الفخري : ص ١٧٦ .
(٢) الطبري : ج ٦ ص ٤٥٠ شهد على هذا العهد عبد الصمد بن علي والعباس بن محمد ومحمد بن ابراهيم وموسى بن عيسى .
(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ١١٢ .
(٤) الطبري ج ٦ ص ٤٥١ .

وقد نتساءل ما الذي دفع يحيى بن عبدالله الى الكف عن المضي في ثورته ، حتى جنح الى معالمه الخليفة هارون الرشيد ؟

أدت عدة عوامل الى انتهاج الثائر العلوي هذه السياسة السلمية اولها عدم اطمئنانه الى صاحب الديلم بعد ان خضع لتهديد العباسيين وقبل صلاتهم ، اذ بعث الفضل اليه — كما رأينا — مليون درهم وقد كان يحيى يعتمد في ثورته على الديلم الذين كانوا ساخطين على الدولة العباسية ومهيئين للثورة عليها ، كما اتضح لنا من رواية الاصفهاني التي سبق الاشارة اليها .

ومن هذه العوامل ايضاً موقف احد كبار اصحاب يحيى وهو الحسن بن صالح بن حسن وهو من زعماء الشيعة الزيدية البترية(١) وقد اصبح الحسن شوكة في جنب حركة يحيى وكان من عوامل تفرق اصحابه عنه وضعف حركته. فروى الاصفهاني(٢) عن الحسن بن صالح انه كان يذهب مذهب الزيدية البترية في تفضيل ابي بكر وعمر وعثمان في ست سنين من امارته ويكفره في باقي عمره ويشرب النبيذ ويمسح على الخفين ، وكان يخالف في أمره ويفسد أصحابه. كما روى الاصفهاني (٣) أيضاً ان رجلا اهدى بعض الفاكهة الى يحيى بن عبدالله فدعا بعض اصحابه الى مشاركته في اكلها فغضب الحسن بن صالح وقال : هذه الاثرة أتأكله انت وبعض اصحابك دون بعض ؟ فقال يحيى : هذه هدية اهديت الي ، وليست من الفيء الذي لا يجوز هذا فيه ، فقال الحسن : لا ، ولكنك لو وليت هذا الامر لاستأثرت ولم تعدل .

---

(١) الزيدية البترية : نسبة إلى (بتر) هو لقب كان يتلقب به المغيرة بن سعد احد زعماء الشيعة الزيدية . وهم يعترفون بصحة خلافة أبي بكر وعمر وبصحة خلافة عثمان في السنوات الست الأولى من خلافته ، ويحكمون عليه بالتكفير بعد ذلك وقد جوزوا امامة المفضول وتأخير الفاضل والأفضل إذا كان الفاضل راضياً بذلك وقالوا : من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين وكان عالماً ، زاهداً شجاعاً فهو الامام (الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦١) .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٦٨ .

(٣) المصدر السابق .

ادرك يحيى بن عبدالله ان تلك الفرقة التي سادت بين اصحابه اصبحت تهدد حركته فرأى قبول ما عرضه عليه الفضل بن يحيى البرمكي من مسالمة(١) فقد روى الاصفهاني(٢) ان يحيى قبل أمان الفضل . لما رأى تفرق اصحابه ، وسوء رأيهم فيه ، وكثرة خلافهم عليه .

تساؤلان حول موقف الرشيد :

شهدنا ترحيب الرشيد بيحيى بن عبدالله وانزاله احد القصور واغداقه الأموال والهدايا عليه . ولكن سرعان ما تغيرت الاحوال ، وبدأ الرشيد يغير من معاملته للزعيم العلوي وما لبث ان أمر بسجنه(٣) . مما يجعلنا نتساءل **هل كان الخليفة الرشيد صادقاً فيما أبداه في أول الأمر من مشاعر طيبة نحو يحيى بن عبدالله؟ وما الذي جعل الخليفة يحيد عن سياسة اللين والتسامح ؟**

وللاجابة على السؤال الأول ، نقول اننا نعتقد ان الخليفة الرشيد كان راغباً في مسالمة الزعيم العلوي صادقاً في ترحيبه به واحاطته بمظاهر التكريم . مدفوعاً في ذلك بحرصه على مصلحة الدولة العباسية ورغبته في حماية خلافته .

فقد قامت هذه الحركة الشيعية الجديدة في الاطراف الشرقية من الدولة العباسية في بلاد الديلم . وهذه هي أول مرة في العصر العباسي نشهد قيام حركة علوية في هذه الارجاء فقد شهدنا قيام حركتي النفس الزكية والحسين بن علي في بلاد الحجاز وحركة ابراهيم في البصرة . وقد كان الخلفاء العباسيون يحرصون على ان تظل هذه الاطراف الشرقية على ولائها للعباسيين وبمنجاة من كل اضطراب وثورة . فقد شهدت هذه الاطراف الدعوة العباسية وأصبح اهلها شيعة بـني

---

(١) يرى الدكتور علي سامي النشار (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ١٨٥) ان يحيى بن عبد الله اضطر إلى مصالحة الرشيد نتيجة اختلافه مع الزيدية البترية .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٦٨ — ٤٦٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٧١ .

العباس وعماد دولتهم . وأدرك هارون الرشيد خطورة تواجد الزعيم العلوي في بلاد الديلم ، فقد كان اهلها – كما مر بنا – يتأهبون للخروج على طاعة الدولة العباسية ، وفي انتظار زعيم يلتفون حوله ويثور على الحكم العباسي (١) فأراد الرشيد ان يحرم الديلم من هذا الزعيم المنشود وان يعلم الديلم ان هذا الزعيم الذي استقر في بلادهم قد أصبح موالياً له مقيماً في عاصمته بغداد ، مما يخمد روح الثورة المضطرمة في نفوس الديلم فيركنون الى الهدوء والاستسلام.

كما كان هارون الرشيد يدرك عواقب الصراع الحربي بين العباسيين والعلويين فقد أبدى المسلمون دائماً استياءهم من وقوف فريقي بني هاشم في مواجهة بعضهما البعض وتمنوا أن يعيش بنو هاشم جميعاً في سلام وآمان وقد مر بنا ما أبداه الشعراء وعامة الناس من ابتهاج حينما حل السلام بين الخليفة الرشيد والثائر العلوي يحيى بن عبد الله (٢) .

وكان يحيى بن عبدالله من كبار شخصيات البيت العلوي وكان له منزلة كبيرة في قلوب الشيعة(٣) . وهو شقيق محمد النفس الزكية وابراهيم اللذين لقيا حتفهما بأيدي العباسيين . وكان يحيى ومن خلفه العلويون والشيعة يتطلعون للثأر لهما وللحسين بن علي شهيد فخ(٤) . كما كان كثير من المسلمين من غير الشيعة يبدون عطفهم وتقديرهم لآل علي ، ويسخطون على اراقة العباسيين لدمائهم ، فرأى الرشيد الا يشهد عهده مأساة دامية أخرى وان يتجنب اراقة دماء العلويين ، كما كانت اقامة يحيى بن عبدالله في بغداد تحت عينه وفي رقابته يحقق اهدافه فيخلصه من اقدام يحيى على الثورة ، ويضع الرشيد بذلك حائلا يحول بين يحيى وشيعته ويحرم الشيعة من زعيم هو ابرز ابناء البيت العلوي في عهده .

---

(١) الناصري : الاستقصا جـ ١ ص ١٥٢ .
(٢) الطبري جـ ٦ ص ٤٥١ .
(٣) الفخري ص ١٧٥ .
(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٧٠ .

هذا بينما يرى الاصفهاني(١) ان الرشيد لم يكن صادقاً فيما ابداه من مشاعر نحو يحيى بن عبد الله وانها كانت مداهنة وليست مسالمة وان الرشيد بات يترقب الفرص للتحلل من عهوده ووعوده فيقول الاصفهاني : فلما قدم يحيى ، اجازه الرشيد بجوائز سنية فأقام على ذلك مدة وفي نفسه الحيلة على يحيى والتفرغ له وطلب العلل عليه وعلى اصحابه .

ثم نرد على التساؤل الثاني : ما الذي جعل الخليفة الرشيد يحيد عن هذه السياسة السمحاء التي انتهجها نحو يحيى بن عبدالله ؟

قامت حاشية الرشيد بدورها في افساد العلاقات بين الرشيد ويحيى بن عبد الله(٢) . فقد سمح الرشيد للناس بالتردد على القصر الذي نزل فيه يحيى فتوافد الكثير على القصر ، يسلمون عليه ويرحبون به وقد زالت مخاوفهم اذ رأوا الرشيد يخرج الى ظاهر بغداد يستقبل يحيى ويرحب به وكان بعض خاصة الرشيد تحقد على العلويين او تستفيد من ذلك الصراع الناشب بين آل علي وآل العباس. فأقبلوا على الرشيد يحذرونه من اقبال الناس على زيارة الزعيم العلوي فيدخلون بذلك الشكوك والهواجس الى قلبه ويقولون له : انه قد افسد عليك اقرباءك ونجح هؤلاء في تحقيق هدفهم فبدأ الرشيد يغير من معـــاملته ليحيى تدريجياً فبدأ في وضع رقابة على قصر يحيى فكانت عيونه تنقل اليه اخبار الزوار والمترددين عليه . وكان كلما سأل الرشيد يحيى عن هؤلاء الزوار اجابه انهم من السبعين رجلا الذين منحهم الرشيد الامان في عهده الممنوح له . وكـــان العهد يمنح سبعين رجلا من انصار يحيى الامان دون تسميتهم . ودعا الرشيد

---

(١) مقاتل الطالبيين ص ٤٧١ .

(٢) كان الفضل بن الربيع بن يونس ، وزير الرشيد العربي وزعيم الحزب العربي في حاشية الخليفة من ابرز المحرضين لكراهيته للبرامكة وحسده للفضل بن يحيى البرمكي لدوره في انهاء ثورة يحيى العلوي (مقاتل الطالبيين ص ٤٧٣) .

يحيى اليه يوماً وقال له : اتق الله وعرفني اصحابك السبعين لئلا ينتقض امانك. ورفض يحيى الافشاء باسمائهم مما اثار غضب الرشيد وادرك ان حاشيته على حق اذ حذرته من الزعيم العلوي ، فقال الرشيد لخاصته : ان هذا لم يسم اصحابه فكلما اردت اخذ انسان بلغني عنه شيء اكرهه ذكر انه ممن امنت(١) وأصبح يحيى بن عبد الله تحت رقابة الرشيد واختباره(٢) .

واستمرت شكوك الرشيد وهواجسه وكأنه اراد ان يجعل الشك يقيناً ، فكان يستدعي يحيى من وقت لآخر الى مجلسه يحاوره ويناظره لعله يستشف من حديث يحيى ما يكشف عما يكنه في قلبه(٣) .

ويروي المؤرخون (٤) رواية مسهبة حول سعاية رجل من آل الزبير بن العوام بيحيى بن عبدالله ويجعلونها العامل الرئيسي في تحول الرشيد عن معاملته الطيبة ليحيى بن عبدالله ثم اقدامه على سجنه ونقض الامان الذي بذله له .

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٨٢ .

(٢) اصبح يحيى بن عبد الله تحت رقابة رجال الرشيد . وحدث ان قبضوا على رجل يدعى (فضالة) كان يدعو إلى يحيى . وأراد الرشيد ان يقف على نوايا يحيى فأمر فضالة ان يكتب رسالة بخطه إلى يحيى ينبئه فيها ان جماعة من أصحاب الرشيد وقواده موالون له . وبعث الرشيد برسالة فضالة مع رسول إلى قصر يحيى وقبض يحيى على الرسول وسلمه إلى يحيى بن خالد البرمكي ولكن الرشيد لم يقتنع بصدق نوايا يحيى فقبض على فضالة وأمر بحبسه . ويروي الاصفهاني انه كان هناك اتفاق سابق بين يحيى وفضالة حول هذه الرسالة فيذكر ان فضالة قال بعد حبسه : لقد كنت عهدت إلى يحيى ان جاءه مني كتاب الا يقبله وان يدفع الرسول إلى السلطان وعلمت انه سيحتال عليه بي (الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٧١) .

(٣) مقاتل الطالبيين ص ٤٧٣ .

(٤) الطبري : ج ٦ ص ٤٥٢ — ٤٥٤ المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠١ — ٣٥٣ الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٧٤ — ٤٧٦ الفخري ص ١٧٦ — ١٧٧ السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٨٧ .

قدم عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير على الخليفة هارون الرشيد فاتهم يحيى بانه دعاه الى البيعة له . ورأى الرشيد ان يواجه صاحب الاتهام بالمدعى عليه . ودار حوار وجدال عنيف بين الرجلين ، فنفى يحيى هـــذا الاتهام تماماً ، ثم أراد ان يحرج مصعباً فذكر الرشيد بموقف آل الزبير من بني هاشم عامة ومن بني العباس خاصة(١) ، ثم ذكر يحيى الرشيد بأن مصعباً هذا كان قد انضم الى ثورة اخيه محمد النفس الزكية ضد جده المنصور وانه هو الذي انشد :

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنـــــا ... ان الخلافة فيكم يا بني حسن

وتفاخر الرجلان بالاباء والانساب وتبادلا الشتائم والسباب ، ثم قال يحيى للرشيد « ليس سعايته يا أمير المؤمنين حباً لك ، ولا مراعاة لدولتك ، ولكن بغضاً لنا جميعاً اهل البيت ولو وجد من ينتصر به علينا جميعاً لكان معه وقد قال باطلا وانا مستحلفه فان حلف أني قلت ذلك فدمي لأمير المؤمنين حلالا(٢).

طلب يحيى من الرشيد ان يكون الفصل في الأمر هو أن يقسم مصعب الزبيري يمين البراءة(٣) ورفض مصعب ان يقسم بهذه اليمين فهدده الرشيد بالعقاب ان امتنع عن القسم فاضطر الى الاستجابة لامر الخليفة . وأبدى يحيى سروره بهذا القسم فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « ما حلف أحد هذه اليمين

---

(١) ادخل عبد الله بن الزبير بني هاشم في شعب مكة واضرم عليهم النار كما امتنع ابن الزبير في خطبه عن الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام مما أثار عليه مشاعر عامة المسلمين كما اضطهد ابن الزبير ايضاً محمد بن الحنفية فخرج إلى جبل رضوى واضطهد عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب فخرج الى الطائف(اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٠ ، ابن عساكر : التاريخ الكبير : ح ٧ ص ٤٠٨) .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠٢ .

(٣) يذكر الاصفهاني في مقاتل الطالبيين ص ٤٧٧ — نص هذا القسم،وهو: « برئت من حول الله وقوته ، واعتصمت بحولي وقوتي وتقدمت الحول والقوة من دون الله استكباراً على الله واستغناء عنه واستعلاء عليه » وقال صاحب الفخري ص ١٧٦ ان يمين البراءة هي « يمين عظمى صورتها ان يقول عن نفسه بريء من حول الله وقوته ودخل في حول نفسه وقوتها ان كان كذا وكذا» .

وهو كاذب الا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث » ، ولذا طلب يحيى من الرشيد ان يمهله ثلاثة أيام حتى يرى ما يحل بمصعب الزبيري فاذا لم يحدث له شيء ، كان دم يحيى للخليفة حلالاً(١) .

ويذكر المؤرخون ان الله عز وجل انزل سخطه على مصعب الزبيري في نفس اليوم فيذكر الطبري (٢) انه اصيب بالفالج فمات من ساعته بينما روى المسعودي(٣) والاصفهاني(٤) انه اصيب بالجذام فتورم جسمه فمات .

ويتفق المؤرخون جميعاً على انه حدث عند دفن مصعب ان انخسف قبره وانهم كلما هالوا التراب عليه تسرب هذا التراب الى باطن الارض فطرحوا على القبر الشوك والواحاً من الساج ، ويصف ابن طباطبا(٥) هذا الحدث بانه « آية سماوية » ثم يقول : ومع ظهور مثل هذه الآية العظيمة قتل يحيى في الحبس شر قتلة» .

يعتبر المؤرخون الاقدمون سعاية خاصة الرشيد بيحيى وتحريضهم للخليفة عليه ووشاية مصعب الزبيري بيحيى من عوامل تغير الرشيد على يحيى ونضيف الى ذلك عاملا آخر . فقد كانت هذه الاحداث في سنة ١٧٦ ه وكان ادريس ابن عبدالله لا يزال في بلاد المغرب معلناً ثورته ناشراً دعوته مهدداً للنفوذ العباسي في تلك البلاد(٦) وفي بغداد كان الرشيد يشهد اقبال عامة الناس على قصر يحيى ابن عبدالله وما زال انصار يحيى في بلاد الديلم يثيرون الفتنة وفي بلاد الحجاز كانت هناك جماعة من العلويين تترقب فرصة الثأر من العباسيين يناصرهم كثير من أهالي الحجاز .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٥٢ .
(٢) الطبري : ج ٦ ص ٤٥٣ .
(٣) مروج الذهب : ج ٣ ص ٣٥٢ .
(٤) مقاتل الطالبيين : ص ٤٧٨ .
(٥) الفخري ص ٢٧٧ .
(٦) الطبري ج ٦ ص ٤١٥ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٧ .

ولذا تساءل الرشيد فيما بين نفسه : كيف لو تضافرت هذه القوى العلوية الثلاث عليه في آن واحد ؟ ويبدو ان الرشيد كان يفكر في هذا كله أو بما يشبهه فوجد نفسه أمام أمرين : إما الاخذ بالشدة والقسوة او الصبر والحلم وفي ذلك ما فيه من خطر قد يقوض عرشه يوماً ما(١) .

اتخذ الرشيد الطريق الأول طريق الشدة والقسوة فأمر بسجن يحيى بن عبد الله ثم دعا اليه القضاة والفقهاء ليجدوا له مخرجاً ليتحلل من العهد الذي بذله ليحيى ، ولينقض الامان الذي منحه له . فقدم محمد بن الحسن صاحب أبي يوسف القاضي والحسن بن زياد اللؤلؤي وابو البحتري وهب بن وهب(٢) وبعث الرشيد في استدعاء يحيى بن عبدالله من سجنه ليشهد هذا المجلس(٣) .

وبدأ المجلس بأن قدم مسرور خادم الرشيد العهد لمحمد بن الحسن ليبدي رأيه فيه ، فقال : هذا أمان مؤكد لا حيلة فيه(٤) ، وأبدى الخليفة الرشيد غضبه وعارض الرأي ، فقال ابن الحسن للخليفة : ما تصنع بالامان ، لو كان محارباً ثم ولي كان أمناً ؟ وانتزع مسرور عهد الامان من يدي أبي الحسن واعطاه لأبي البحتري فنظر فيه لحظة ثم قال : هذا باطل منتقض قد شق عصا الطاعة وسفك الدم فاقتله ودمه في عنقي ، وأبدى الرشيد سروره وقال لأبي البحتري : انت قاضي القضاة وأنت أعلم بذلك . ومزق أبو البحتري الأمان . وأراد احد ممن حضروا المجلس من آل الزبير وهو بكار بن عبدالله بن صعب الزبيري ، تملق الخليفة ، فصاح في وجه يحيى بن عبدالله : شققت العصا وفارقت الجماعة وخالفت كلمتنا وأردت خليفتنا ثم أمر الرشيد باعادة يحيى الى سجنه(٥) .

---

(١) الجومرد : هارون الرشيد ص ١٧٥ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٧١ — اعتماد الخلفاء العباسيين نقض عهود الامان واصدار فتاوى من الفقهاء بجواز نقض العهود وخاصة الخليفة المنصور .

(٣) الطبري جـ ٦ ص ٤٥٤ — كانت حاشية الخلفاء العباسيين تضم كثيراً من الفقهاء وهي ظاهرة عباسية .

(٤) كان يحيى بن عبد الله قد عرض عهد الامان على مالك بن انس في المدينة وعلى ابن الدراوردي فأكدا صحته (الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٨٠) .

(٥) الطبري : جـ ٦ ص ٤٥٣ — ٤٥٤ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٧٩ — ٤٨٠ .

مصير السجين :

اختلف المؤرخون في **مصير يحيى بن عبدالله** فروى الطبري(١) «ان يحيى كان حين حضر هذا المجلس الذي اشرنا اليه عليلا ، وقد لاحظ الرشيد ذلك فقال لمجالسيه بعد انصراف يحيى : أما ترون به أثر علة ، هذا ان مات قال الناس سموه ، ثم يقول الطبري فما مكث يحيى بعد هذا الا شهراً حتى مات » ، أما المسعودي(٢) فقد روى رواية غريبة فقال : ان يحيى ألقي في بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله ولاذت بناحيته وهابت الدنو اليه ، فبني عليه ركن بالجص والحجر وهو حي ، ويرى الخطيب البغدادي(٣) ان يحيى مات مسموماً فيقول : انه سقي السم . فشكا ذلك الى الرشيد فدعا به الى مجلسه ، وقال : ان هذا يدعي بأني سقيته السم ، فوالله لو رأيت عليه القتل لضربت عنقه وعلي ايمان البيعة ان كنت سقيته السم ، ولا أمرت أحداً بسقيه .

واتفق اليعقوبي والاصفهاني ، في ان يحيى بن عبد الله مات جوعاً وعطشاً فروى اليعقوبي (٤) ان الموكل بسجن يحيى منعه من الطعام اياماً ، فمات جوعاً ، وروى الاصفهاني(٥) ان هارون الرشيد خرج الى سجن يحيى بن عبدالله فأمر بضربه مائة عصا ويحيى يناشده الله والرحم والقرابة من الرسول عليه الصلاة والسلام . ثم سأل عن جرايته فأخبروه انها اربعة ارغفة وثمانية ارطال ماء ، فأمر بتخفيضها الى النصف ثم عاد الرشيد بعد أيام فأمر بضرب يحيى مائة عصا أخرى ، ثم أمر بتخفيض الجراية الى النصف حتى هلك يحيى جوعاً وعطشاً .

وهكذا كانت نهاية حياة يحيى بن عبدالله ، وقد اختلف في هذه النهاية عن

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٤٥٤ .
(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٢ .
(٣) تاريخ بغداد : ج ١٤ ص ١١٠ .
(٤) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٢٢ .
(٥) مقاتل الطالبيين ص . ٤٤١ .

اسلافه الزعماء العلويين الذين ثاروا في وجه الدولة العباسية ، فقد استشهد هؤلاء الزعماء في ميادين القتال وهم شاهرو السيوف(١) . ولكن الاقدار شاءت ان تكون نهاية حياة يحيى في سجن الرشيد ، بعد أن اطمأن الى امانه وعهوده فترة ثم تلاحقت الاحداث سراعاً لتضيف حدثاً جديداً في سجل مقاتل الطالبيين .

أمر الرشيد بسجن ثلاثة من كبار اصحاب يحيى بن عبدالله وهم يحيى بن مساور وعبد ربه بن علقمة ، ومخول بن ابراهيم الهندي ، فظلوا مسجونين اثني عشرة سنة ، وبعد أربع سنوات من سجنهم دخل الرشيد عليهم في السجن وهددهم بالتعذيب والتنكيل ان لم يدلوه على بقية أصحاب يحيى فأعلموه انه قد مضت سنوات أربع وهم مسجونون ولا يعلمون عن هؤلاء الاصحاب شيئاً(٢) .

ثورة ادريس بن عبدالله :

شهد الجناح الغربي من الدولة العباسية ، حركة شيعية أخرى ، قام بها ادريس ابن عبدالله ، مثلما شهد الجانب الشرقي حركة أخيه يحيى . وقد قامتا في وقت واحد ، وكانت كل منهما تكمل الاخرى ، وتتكاتفان على اثارة قلق الخليفة الرشيد . وبذل الرشيد جهوده في القضاء على الحركتين ، وان اختلفت الوسائل التي انتهجها في سبيل ذلك . ولكن كانت خاتمة حياة الزعيمين العلويين على يد الرشيد في وقت متقارب .

نجا ادريس بن عبد الله في موقعة فخ ، فخرج مع مولى له يدعى راشد وانضما الى قافلة حجاج مصر والمغرب . وقدما الى مصر ، فمكثا فترة في دار مولى من

(١) مثل محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم والحسين بن علي .
(٢) الاصفهاني : الاغاني ج ٤ ص ٤٨٦ .

موالي بني العباس قبل ايوائهما والتستر عليهما حتى اذا علم ادريس بخروج البريد الى افريقية، صحبه واستطاع الافلات من المسالح الممتدة على الطريق حتى وصل الى المغرب الاقصى(١) والتف البربر حوله ، وقد كانوا ساخطين على الحكم العباسي ، ودعا ادريس لنفسه فاستجاب البربر لدعوته واستطاع التغلب على بلاد المغرب وتلمسان ، ونجح في سنة ١٧٢ هـ في اقامة دولة مستقلة عن الدولة العباسية وتلقب بامرة المؤمنين(٢) .

أدرك الخليفة الرشيد خطورة الموقف ، فقد كانت حركة ادريس تهدد النفوذ العباسي في شمال افريقية(٣) ، وخاصة انه قامت دولة أموية في بلاد الاندلس اعلنت عداءها للدولة العباسية . وقد كان من العسير انفاذ جيوش عباسية للقضاء على حركة ادريس التي تزداد قوة يوماً بعد يوم ، لبعد المسافة ووعورة الطرق ، ولذا عدل عن انتهاج الطريق الحربي ، وسلك طريقاً آخر ، هو اغتيال زعيم هذه الحركة ، إدريس بن عبدالله . ويروي الاصفهاني(٤) روايتين حول اغتيال ادريس . أما الرواية الأولى فتذهب الى ان الرشيد استشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي في أمر إدريس فتعهد بأن يكفيه الأمر ، ونجح يحيى البرمكي في اغراء احد زعماء الزيدية البترية ، وهو سليمان بن جرير الجزري ، بأن يغتال ادريس ابن عبد الله بالسم . فخرج سليمان الى بلاد المغرب ونجح في الفوز بثقة ادريس ثم اعطاه قارورة زعم ان بها عطراً من العراق ، فشم ادريس القارورة ، وكان بها سم شديد فمات ، وفطن انصاره الى المؤامرة فقتلوا سليمان .

---

(١) هرب ادريس أولا إلى مصر ، وكان يتولى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن منصور وكان متشيعاً لآل البيت ، فحمله واضح على بريد مصر إلى المغرب هو ومولاه راشد ، فنزل بمدينة وليلى سنة ١٧٢ هـ (الناصري : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى جـ ١ ص ١٥٢) .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٨٧ — ٤٨٨ .

(٣) ابن الفقيه : مختصر البلدان ص ٨١ .

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٤٨٩ — ٤٩٠ .

أما الرواية الثانية التي رواها الاصفهاني ، فتذهب الى ان الرشيد وجه اليه الشماخ ، مولى المهدي وكان طبيباً فتظاهر لادريس بأنه من الشيعة ، ثم نجح في قتاله بالسم .

تولى راشد ، مولى ادريس ، أمر الدعوة بعد وفاة الزعيم. وقد خلف ادريس امرأة له حاملا ، وما لبثت ان وضعت غلاماً سموه ادريساً أيضاً . وقام بأمر البربر حتى كبر ونشأ ، فولي أمرهم أحسن ولاية(١) .

نمت دولة الادارسة في بلاد المغرب ، واتسع نفوذها في شمال افريقية ، مما اثار مخاوف الخليفة الرشيد(٢) ، فاقطع ابراهيم بن الاغلب بلاد افريقية (تونس) حتى يواجه الاغالبة دولة الادارسة(٣) . وقد بدأ صراع بين الفريقين يخرج على نطاق بحثنا هذا فقد آثرنا ان نقصر دراستنا لحركات الشيعة على ما قام منها في الشرق الاسلامي .

ويهمنا في هذا البحث ، ان حركة ادريس بن عبدالله في بلاد المغرب كان لها اثرها في موقف الرشيد من يحيى بن عبدالله وقد أدت الى تغير معاملة الرشيد له ، وجعلته يلقي بيحيى في السجن ، ثم يعجل بقتله . كما اثارت حركتا يحيى وادريس مشاعر الرشيد ضد البيت العلوي ، مما جعله يحيد عن سياسة التسامح التي انتهجها في أول عهده الى سياسة الشدة والقمع ففرض رقابة شديدة على العلويين وقبض على بعضهم كما قتل بعض زعمائهم .

---

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٦٠ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٩١ .
(٣) استمال ابراهيم بن الاغلب البربر وحرضهم على قتل راشد مولى ادريس سنة ١٨٦ هـ وقام بكفالة ادريس بعد راشد أبو خالد يزيد بن الياس العبدي - (الناصري : الاستقصا ج ١ ص ١٦١) .

٢ - سياسة الرشيد نحو الشيعة
والامام موسى الكاظم

سياسة جديدة عنيفة :

نجح الرشيد في الخلاص من يحيى وادريس ابني عبدالله ، اللذين قاما بحركتين علويتين خطيرتين في عهده . ولكن الرشيد أصبح ينظر بعين القلق والتخوف الى ابناء البيت العلوي ، فقبض على رؤسائهم ، وكانت نهاية حياتهم على يديه . وفي مقدمة هؤلاء الزعماء : عبدالله بن الحسن ، ومحمد بن يحيى ، والعباس بن محمد . موسى بن جعفر .

كان **عبدالله بن الحسن** هو أول ضحايا السياسة الجديدة التي بدأها الرشيد نحو العلويين . وكان يطلق على عبدالله اسم « ابن الافطس » وقد استبسل في القتال في موقعة فخ ، حتى ان الحسين بن علي عهد اليه بوصيته(١) . وبعث الرشيد في استدعاء عبدالله من المدينة ، حتى اذا قدم عليه ، قال له : نشدتك يا أمير المؤمنين في دمي ، فوالله ما أنا من هذه الطبقة ولا لي فيهم ذكر ، وان أصحاب هذا الشأن بخلافي ، أنا غلام نشأت بالمدينة ، وفي صحاريها أسعى على قدمي ، واتصيد بالبواشيق ما هممت بغير ذلك قط(٢) .

ورأى الرشيد الا يعود عبدالله ثانية الى المدينة فعهد به الى أحد خاصته بأن يحبسه في داره ، وبعد فترة احتال عبدالله حتى بعث الى الرشيد برسالة « فيها

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٤١٥ — ٤١٦ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣٧ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٩٢ .

كل كلام قبيح وكل شتم شنيع » ، وقرأ الرشيد الرسالة واطلع وزيره جعفر بن يحيى البرمكي عليها ، وأمره بأن يحبس عبدالله في قصره . وأقدم جعفر على قتل عبدالله في عيد النيروز ، وجعل رأسه من ضمن الهدايا التي قدمها الى الرشيد في هذا العيد ولام الرشيد جعفر البرمكي على اقدامه على قتل العلوي بدون اذنه . ودارت الايام ونكب الرشيد البرامكة ، وأمر الرشيد خادمه مسرور ان يقول لجعفر ، حين أمره بقتله : هذا عبد الله بن الحسن ، ابن عمي ، الذي قتلته بغير أمري(١) .

اتضحت سياسة الرشيد الجديدة نحو الزعماء العلويين في تولية احد آل الزبير الحكم في المدينة حيث كان رؤساء العلويين يقيمون ، ونعرف صلة العداء التقليدية التي كانت بين العلويين والزبيريين(٢) ، وقد شهدنا بالأمس القريب سعاية مصعب الزبيري بيحيى بن عبدالله . ولى الرشيد على المدينة بكار بن عبدالله ابن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير ، وقد شهدناه يحضر المجلس الذي عقده الرشيد وضم القضاة والفقهاء لنقض الأمان الذي منحه ليحيى . وقد ادلى بكار بدلوه ووجه عبارات قاسية ليحيى ، وأثار مشاعر الرشيد عليه .

تحدث الطبري عن سياسة الرشيد نحو العلويين ، وعن عداء بكار للبيت العلوي فقال : « وكان بكار شديد البغض لآل أبي طالب ، وكان يبلغ هارون عنهم ويسعى بأخبارهم ، وكان الرشيد ولاه بعض المدينة وأمره بالتضييق عليهم(٣).

بدأ بكار الزبيري سياسة اضطهاد العلويين في المدينة ، فقبض على محمد بن

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٩٢ — ٤٩٤ — عيد النيروز من الاعياد الفارسية التي احتفل بها العباسيون .

(٢) اضطهد عبد الله بن الزبير ، حين بايع لنفسه بالخلافة في الحجاز في العصر الأموي ، العلويين وبني هاشم وخاصة محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ، وكان ابن الزبير من المحرضين لابيه الزبير بن العوام وخالته عائشة للقيام بفتنة الجمل ضد علي ابن أبي طالب (ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ٩١) .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٤٥٢ .

يحيى بن عبدالله في شهر رمضان ، وكبله بالأغلال وسجنه وظل مسجوناً حتى مات في سجنه . كما قبض بكار أيضاً على الحسين بن عبدالله بن اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وضربه ضرباً مبرحاً ، حتى لقي حتفه(١) .

وكانت نهاية حياة **العباس بن محمد** بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، على يد الخليفة هارون الرشيد . فقد استدعاه الخليفة الى بغداد وأخذ يحاوره ويناظره ، وثار غضب الرشيد عليه ، فصاح فيه : يا بن الفاعلة ، فعيره العباس بأمه الخيزران وقد كانت جارية قد تزوجها المهدي ، ، فقال العباس تلك أمك التي تواردها النخاسون . فأمر الرشيد بضرب العباس بعمود من حديد حتى هلك(٢) .

موقف الرشيد من الإمام موسى الكاظم :

وتجاء دور **موسى بن جعفر** بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(٣) ، وهو الامام السابع عند الشيعة الامامية وقد اشتهر باسم « **الامام الكاظم** » اذ كان يحسن الى كل من يسيء(٤) ، وقد اشتهر أيضاً بالزهد والورع والكرم ، وكان بعض خصومه وشوا به عند الخليفة المهدي ، ولكن الخليفة تهيبه على أثر حلم رآه في نومه فأطلق سراحه وأكرمه وأعاده الى المدينة(٥) .

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٩٥ – ٤٩٧ .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٩٨ .

(٣) ذكر أحد مؤرخي الشيعة (المظفري : تاريخ الشيعة ص ٤٦) ان موسى ولد عام ١٢٨ أو ١٢٩ ومات في رجب عام ١٨٣ ، وجاءته الامامة عام وفاة أبيه سنة ١٤٨ فكانت أيام إمامته خمساً وثلاثين سنة . وهو أول الائمة الاثني عشرية الذي كانت أمه جارية فارسية .

(٤) روى الاصفهاني في (مقاتل الطالبيين ص ٤٩٩) ان موسى كان إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث اليه بصرة دنانير « فكانت صرار موسى مثلا » (انظر أيضاً تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٢٧ » .

(٥) رأى المهدي في نومه علي بن أبي طالب يقول له « هل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم » (تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٨) .

كان موسى الكاظم(١) يكنى بأبي الحسن وبأبي ابراهيم وبغيرها من الكنى والألقاب . ويعلق أحد كتاب الشيعة ، على ذلك فيقول : قضى الامام موسى الكاظم عليه السلام أيام امامته بين سجنين ، سجن داره بعيداً عن الناس خوفاً من بني العباس وسجن بني العباس الشديد الظلمة والظلم ، حتى إن الراوي اذا روى الحديث عنه لا يسنده اليه بصريح اسمه ، بل بكناه مرة بأبي ابراهيم وأبي الحسن ، وبالقابه الأخرى كالعبد الصالح والعالم وأمثالهما ، وبالاشارة اليه تارة كقوله عن الرجل ، اذ قلما تجد اسمه الشريف صريحاً في حديث ، لشدة التقية في أيامه ولكثرة التضييق عليه ممن عاصره من العباسيين كالمنصور والمهدي والهادي ، وبقي سلام الله عليه يحمل الى السجن مرة ويطلق منه أخرى أربع عشرة سنة ، وهي مدة أيامه مع الرشيد .

لم يكن الكاظم الابن الأكبر للامام جعفر الصادق بل هو الابن الرابع ، ولذا تابعت بعض الشيعة أخاه اسماعيل او ابن أخيه ، كما تابعت بعضها عبدالله ، الذي مات بعد أبيه الصادق بنحو عام واحد(٢) .

روى الاصفهاني (٣) رواية طويلة عن أسباب القبض على الامام موسى الكاظم وجعل جعفر بن يحيى البرمكي هو الذي حرض الرشيد على ذلك .

---

(١) اطلق على الامام موسى اسم الكاظم لصبره الشديد على ما لحق به من ايذاء واضطهاد وسجن (عبد الوهاب الشعراني : الطبقات الكبرى في التصوف ص ٣٣) . وقد اشتهر موسى بقيامه الليل وكثرة صيامه ، ويرى المستشرق رونلدسن (عقيدة الشيعة ١٦٠) ان الائمة بعد مصرع الحسين اتجهوا إلى الدين والعبادة أكثر من السياسة .

(٢) ابن الصباغ : الفصول المهمة ص ٢١٢ ، ابن الجوزى : صفوة الصفوة ج ٢ ص — ٩٥ — لا ترى الشيعة الاثنا عشرية امامة عبد الله لأنه كان أفطح القدمين فالامامة تكون لمن هو سليم البدن خالياً من العاهات ، ويطلق على اتباعه اسم (الفطحية) — الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٣٢) .

(٣) مقاتل الطالبيين : ص ٥٠١ — ٥٠٢ .

فروى ان الرشيد كان قد عهد الى جعفر بن محمد بن الاشعث بتربية ابنه محمد الأمين ، مما أثار مخاوف جعفر البرمكي ورأى ان يتقرب الى الخليفة بأن يفضي اليه بأخبار العلويين ، ويثبت له اخلاصه للخليفة والبيت العباسي . ونجح جعفر البرمكي في اغراء احد ابناء البيت العلوي وهو علي بن اسماعيل بن جعفر ابن محمد لينقل اليه أخبار موسى بن جعفر فذهب هذا العلوي الى ان موسى يدعو لنفسه، فنقل يحيى جميع خبره وزاد عليه وتوجه يحيى البرمكي الى الرشيد، فحذره من موسى وقال له عنه : ان الأموال تحمل اليه من المشرق والمغرب وان له بيوت أموال. ورأى الرشيد أن يخرج الى بلاد الحجاز حاجاً ليقف بنفسه على أمر موسى بن جعفر .

وينسب صاحب الفخري(١) ما لحق بموسى الى حساده من العلويين فقال «كان بعض حساد موسى بن جعفر من اقاربه قد وشى به الى الرشيد وقال له ان الناس يحملون الى موسى خمس أموالهم ويعتقدون في امامته ، وانه عزم على الخروج عليك ، وكثر فيه القول ، فوقع ذلك عند الرشيد بموقع أهمه وأقلقه» .

ثم كانت حادثة أدت الى القبض على موسى وسجنه . فقد خرج الرشيد الى الحجاز حاجاً سنة ١٧٩ هـ (٢) . وقدم الى المدينة لزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام فوقف الرشيد وحوله وجوه القوم ، فسلم على صاحب القبر وقال : السلام عليك يا رسول الله ، يا ابن عمي» . وكان موسى واقفاً خلفه ، فسلم وقال : السلام عليك يا رسول الله ، يا أبتي » . وغضب الرشيد وقال : هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً ، وأمر الرشيد بالقبض على موسى وانفاذه مكبلا بالأغلال الى العراق . وأمر الرشيد بتسليم موسى الى عيسى بن جعفر بن

---

(١) الفخري ص ١٧٧ — ١٧٨ .

(٢) كان الرشيد يحج في سنة ويغزو في السنة التالية .

المنصور والي البصرة ، فظل موسى محبوساً عنده عاماً كاملا ، وكتب الوالي الى الرشيد « خذه مني وسلمه الى من شئت ، والا خليت سبيله ، فقد اجتهدت ان آخذ عليه حجة فما أقدر على ذلك ، حتى ان لا تسمع عليه اذا دعا ، لعله يدعو علي أو عليك ، فما أسمعه يدعو الا لنفسه يسأل الله المرحمة والمغفرة(١) .

وبعث الرشيد رسولا ، حمل موسى بن جعفر من البصرة الى بغداد ، حيث عهد الرشيد بموسى الى الفضل بن الربيع « وأراده الرشيد على شيء من أمره فأبى » فعهد الرشيد به الى الفضل بن يحيى البرمكي « وأراد ذلك منه فلم يفعله» ، وعلم الرشيد ان موسى يعيش في قصر الفضل في رفاهية وسعة ودعة ، فغضب الرشيد وأمر بضرب الفضل مائة سوط ، كما أمر الناس بلعنه ، ثم قام الرشيد بتسليم موسى الى السندي بن شاهك .

وصف الاصفهاني(٢) نهاية موسى في سجن السندي سنة ١٨٣ ، فروى ان السندي لفه ببساط ، وأمر بعض خدمه بأن يقعدوا على وجهه حتى مات ، وروى صاحب الفخري(٣) ان الرشيد أمر بقتله على هذا النحو حتى لا يتهمه الناس بقتله ، فقال « وكان الرشيد بالرقة ، فأمر بقتله ، فقتل قتلا خفياً ثم ادخله عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه واظهار انه مات حتف انفه » بينما يرى المسعودي(٤) ان موسى مات مسموماً .

بعث الرشيد في استدعاء من كان في بغداد من العلويين ، كما استدعى الفقهاء والقضاة ووجوه القوم ، فقدموا عليه واطلعهم على جثمان موسى وسألهم :

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٠٢ ، شمس الدين بن طولون : الشذرات الذهبية ص٩٦.
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ٥٠٣ – ٥٠٤ .
(٣) الفخري : ص ١٢٨ .
(٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٦٥ .

أتعرفون هذا ؟ فأجابوه بأنه موسى بن جعفر ، فسألهم عما اذا كانوا يرون على الجثمان اثر سم أو غير ذلك فأجابوه بالنفي(١) .

وروى الاصفهاني(٢) ان الجثمان وضع على الجسر في بغداد فنودي : هذا موسى بن جعفر قد مات ، فانظروا اليه «كما طاف مناد بطرقات بغداد يصيح : هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة انه لا يموت ، فانظروا اليه . ودفن موسى في مقابر قريش ، في الجانب الغربي من بغداد (٣) .

وهكذا انتهج الرشيد سياستين متغايرتين نحو العلويين وشيعتهم ، فبدأ عهده بسياسة التسامح والتساهل ، ثم انتهى الى سياسة الشدة والقمع . وهذه السياسة الأخيرة فضلا عن اختلافها عن السياسة السمحاء التي بدأ الرشيد بها عهده ، فانها لا تتفق مع ما نعرفه عن الرشيد من دماثة خلق وسماحة وورع وكرم ، وهي الصفات التي وصفه المؤرخون الاقدمون بها .

تساؤلات حول موقف الرشيد الجديد من العلويين :

ولذا لنا أن نتساءل : هل كان الرشيد مضطراً الى اتباع سياسة الشدة ، والاضطهاد مع العلويين ؟ وهل كانت هذه السياسة نابعة من نفسه وعقله ؟ أم موصى بها من غيره من رجال الدولة ؟ وهل اضطره العلويون الى انتهاج هذه السياسة ؟ وهل كانت الظروف تبرر ما ألحقه الرشيد بالعلويين ؟

أصبح وقوف الخلفاء العباسيين موقفاً حازماً صلباً ازاء البيت العلوي ، سياسة تقليدية متوارثة . وثبت في اذهان هؤلاء الخلفاء ان العلويين ما زالوا

---

(١) اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٩٩ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٣٠ .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٥٠٤ .

(٣) قبر الامام موسى الكاظم مزار مشهور عند الشيعة وتطلق الشيعة على القبر اسم (باب الحوائج) وقد ذهب بعض اتباع موسى إلى انه لم يمت وانه يعود ولكن غالبية الشيعة نقلت الامامة إلى ابنه علي الرضا (النوبختي : فرق الشيعة ص ٨٠ – ٨١) .

يتطلعون الى الخلافة ويؤمنون انها حقهم الذي اغتصبه البيت العباسي وان العلويين يترقبون الفرصة للظهور واعلان الثورة وانتزاع الخلافة . وقد رأى الرشيد عند توليته الخلافة ان ينهج سياسة تغاير سياسة اسلافه فرأى ان يهادن العلويين ويخطب ودهم بالأموال والصلات ، ولكن حركتي يحيى وادريس جعلته ـ كما رأينا ـ يحيد عن هذه السياسة .

حرص الرشيد دائماً على ان يعلن للرأي العام انه مضطر الى انتهاج هذه السياسة المتشددة الحديثة . فقد روى السيوطي (١) ان الرشيد قال في مجلس من مجالسه : بلغني ان العامة يظنون في بعض علي بن أبي طالب ، ووالله ما أحب أحداً حبي له ، ولكن هؤلاء أشد الناس بغضاً لنا وطعناً علينا وسعياً في فساد ملكنا ، بعد أخذنا بثأرهم ومساهمتنا اياهم ما حويناه ، حتى انهم لاميل الى بني أمية منهم الينا » . وروى الاصفهاني(٢) ان الرشيد وقف عند قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، قبيل القبض على موسى بن جعفر فقال : يا رسول الله اني اعتذر اليك من شيء أريد أن أفعله ، أريد ان أحبس موسى بن جعفر ، فانه يريد التشتت بين أمتك وسفك دمائها .

دافع احد الكتاب المحدثين(٣) عن موقف الخليفة هارون الرشيد فقال : قد يتبادر الى الذهن ان الرشيد كان رجلا سفاكاً او ان كل ما جرى للعلويين في عهده كان من صنع يده . والحقيقة غير ذلك ، فقد يكون الرجل خائفاً من انتفاضات العلويين على عرشه ، فيسجن من يرتاب به منهم او ينفيه كما يحدث عادة في كل صراع سياسي بين حاكم ومحكوم . ولكن ليس من الامانة العلمية ان نضع على عاتقه وحده دماء كل الذين توفوا في سجونه من الخصوم ، كما اننا لا نستطيع ان نبرىء ساحته من كل ما حدث في عهده . فقد كان الرشيد

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٩٣ ـ يقصد الرشيد ان العباسيين ثأروا لقتلى العلويين من الامويين .

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٥٠٦ .

(٣) الجومرد : هارون الرشيد ص ١٧٩ .

في الاعوام الأولى من حكمه مغلوباً على أمره من قبل أمه الخيزران ووزيره يحيى بن خالد . فلما ماتت الأم ، بقيت سلطة يحيى المطلقة في تدبير شئون الدولة الخطيرة حتى عام ١٨٧ هـ، يمارسها هو وولداه الفضل وجعفر مع الرشيد جنباً الى جنب .

وقد يكون هذا الرأي صائباً في بعض جوانبه وان الرشيد كان واقعاً تحت تأثير وتحريض البرامكة وقد مر بنا دور جعفر البرمكي ايضاً في الوشاية بموسى ابن جعفر العلوي ، مما أدى الى مصرعه (١) . كما لمسنا اصابع البرامكة تحرك الرشيد في جميع مواقفه من العلويين ، وقد ذكرنا دورهم في حركتي يحيى وادريس ابني عبدالله ، فقد عمل الفضل بن يحيى البرمكي على تشجيع يحيى على الثورة حتى استفحل امره ، ثم قام بدوره في اغراء يحيى على قبول امان الرشيد والرحيل الى بغداد حيث لقي حتفه(٢) . كما كان يحيى بن خالد البرمكي صاحب فكرة اغتيال ادريس بن عبدالله(٣) .

ومهما كان الرأي ، فقد كان هارون الرشيد أخف وطأة على العلويين من اسلافه الخلفاء العباسيين . وقد انفرد من بينهم بالاحسان الى بعض الزعماء العلويين واغداق الأموال والصلات عليهم . وكان الرشيد ينهى الشعراء اذا ذموا العلويين ، حتى يتقربوا اليه . فروى الاصفهاني(٤) ان الرشيد لام الشاعر منصور النمري على هجائه للعلويين وقال له : يا ابن اللخناء ، اتظن انك تتقرب الي بهجاء قوم أبوهم أبي ونسبهم نسبي وفرعهم وأصلهم فرعي وأصلي .

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٠١ — ٥٠٢ .
(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٧٠ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٨٧ — ٤٨٨ .
(٤) الاغاني جـ ٢ ص ١٨ .

كانت نهاية حياة الامام موسى الكاظم في سنة ١٨٣ ﻫ ، وركن العلويون بعدها الى الهدوء طوال السنوات العشر التي حكمها الخليفة هارون الرشيد ، اذ توفي سنة ١٩٣ ﻫ فتحول العلويون خلال هذه السنوات من النشاط العلني الى النشاط السري ، او ما يسمونه «التقية والكتمان» وكان حرمان العلويين من زعماء بارزين من عوامل انتهاجهم هذه السياسة .

تساءل احد كتاب الشيعة(١) هل كانت تلك الضربات المتتابعة على رؤوس الشيعة وشدة الضغط عليهم قد ذهبت بقواهم ؟ أو لأن التقية حملتهم على الاستسلام للقسوة ؟ او لأن الامام لا يرضى لهم الثورة لعلمه بأنها لا تصل بهم الى الغاية ؟ او لانهم بغير سائس وزعيم ينهض بهم ؟ ثم أجاب هذا الكاتب الشيعي على تساؤلاته فقال : احسب ان خلوهم من الرئيس الناهض هو الذي اسلمهم الى ذلك الخضوع ، ومن ثم تجد العراقين والحرمين واليمن قد تمردت على الحكم العباسي أيام المأمون عندما وجد الناس زعماء من العلويين يثبون بهم في وجوه بني العباس .

يستمد الكاظم مكانته لدى الشيعة من كثرة ما حاق به من الظلم . ورغم ان مدة امامته جاوزت خمسة وثلاثين عاماً ، فانه لم يبلغ في العلم ما بلغه أبوه الامام جعفر الصادق ويعتذر الشيعة عنه بما لقيه من اضطهاد ، فقد كان اما مسجوناً بسجن العباسيين او بسجنه نفسه بعيداً عن الناس خوفاً من بني العباس ، حتى ان الراوي لا يسند الحديث اليه بصريح اسمه اذا روى الحديث بل قلما نجد اسمه صريحاً في الحديث لشدة التقية في أيامه وعلى أية حال فقد تابع موسى منهاج آبائه في البعد عن السياسة او طلب الرئاسة(٢) .

وبامامة موسى الكاظم دخلت الامامة دورها السري ايضاً ، ودورها العبادي وانتهى دور الفقه فلا نسمع فقهاً خاصاً لموسى بن جعفر ، كما لا نسمع ان له دوراً كلامياً في عقائد الامامية(٣) .

---

(١) المظفري : تاريخ الشيعة ص ٤٨ — ٤٩ . (٢) احمد صبحي : نظرية الامامة ص ٣٨٥ .
(٣) النشـــــار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ج ٢ ص ٢٨١ .

٣ ـ موقف البرامكة من العلويين والشيعة

البرامكة بين العباسيين والعلويين :

لا توجد مسألة في التاريخ الاسلامي ، أثارت انتباه المؤرخين والكتاب والادباء فصالوا فيها وجالوا ، أكثر من نكبة البرامكة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد بعد ان وصلوا الى ذروة المجد السياسي ، وكانوا أصحاب السلطة والنفوذ على مدى عهود المنصور والمهدي والرشيد . ونحن في هذا الفصل سنقتصر في بحثنا على الاشارة الى اتهامات المؤرخين للبرامكة بميولهم نحو العلويين وبيان مدى أثر هذه الاتهامات في نكبتهم .

تحدث المؤرخ ابن طباطبا(١) عن أمجاد البرامكة ، فوصف يحيى البرمكي وأبناءه بأنهم « كالنجوم زاهرة والبحور زاخرة والسيول دافقة والغيوث ماطرة أسواق الآداب عندهم نافقة ومراتب ذوي الحرمات عندهم عالية ، والدنيا في أيامهم عامرة ، وأبهة المملكة غامرة» . وأصبحت الوزارة في عهد الرشيد « وزارة تفويض » (٢) اذ فوض الرشيد البرامكة في تسيير دفة الدولة(٣)

---

(١) الفخري ص ٤٠ .

(٢) قسم الماوردي (الاحكام السلطانية ص ٢٢ – ٢٣) وأبو يعلى (الاحكام السلطانية ص ١٣) الوزارة إلى نوعين : وزارة تنفيذ فتصبح الوزارة مجرد اداة تنفيذية لسياسة الخليفة ويكون الخليفة مصدر جميع السلطات ووزارة تفويض حيث يفوض الخليفة شخصية بارزة موضع ثقته في شئون الدولة .

(٣) كان يحيى البرمكي يتولى تربية الرشيد في حداثته وفوضه الرشيد تدبير الدولة فقال له : « يا أبت قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي اليك ، فاحكم بما ترى واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت فاني غير ناظر معك في شيء » (الفخري ص ١٤٠ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٧٧ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٤٣) .

وبرز جعفر بن يحيى البرمكي على سائر اخوته واصبح صاحب السلطة الحقيقية في عهد الرشيد(١) مما أدى الى تصادم بين سلطة الخليفة وسلطة الوزير ،ووضح ذلك في الصراع الذي قام بين الرشيد والبرامكة مما أدى الى نكبتهم(٢) .

أشار الجهشياري الى ميل يحيى البرمكي الى يحيى بن عبدالله العلوي ، حتى انه أمده بمئتي ألف دينار خلال ثورته في بلاد الديلم . وعلل يحيى البرمكي مساعدته للزعيم العلوي بأنه فعل ذلك لكي يقوي أمر العلوي ، فيكلف الخليفة أحد أولاد البرمكي للقضاء على الثورة فتعظم مكانته عند الخليفة . واستنكر الخليفة الرشيد هذا الغدر ، فقال ليحيى البرمكي : وما يؤمنك ان تقوى شوكته فتقتل ابنك الفضل وتقتلني ؟.. كما روى الجهشياري أيضاً ان يحيى البرمكي أمد أحمد بن عيسى بن زيد العلوي(٣) بسبعين ألف دينار ليتهيأ بها للثورة على الدولة العلوية .

ويتهم ابن الأثير (٤) موسى بن يحيى البرمكي بأنه « كان متهماً بتحريض أهل خراسان على نبذ الطاعة » . ويرى ابن كثير(٥) ان الرشيد نكب البرامكة « لأنهم أرادوا ابطال الخلافة » . ويصف ابن خلدون (٦) خالد بن برمك ، جد أسرة البرامكة بانه كان « من كبار الشيعة » . ويرى الدكتور فيليب حتي

---

(١) قال ابن خلكان (وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٩٢) : « كان جعفر بن يحيى بن خالد وزير هارون الرشيد من علو القدر ونفاذ الأمر ، وبعد الهمة وعظم المحل وجلالة المنزلة عند الرشيد بحالة انفرد بها ولم يشاركه فيها » .

(٢) Encycl. Bretanica, Part 3. P. 118.

(٣) كان المهدي قد احتضن احمد بن عيسى ، بعد موت أبيه ورباه في بيته ، ثم قبض عليه وسجنه حينما علم بالتفاف الشيعة حوله ، ثم هرب من سجنه وتوارى عن الانظار (الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ص ٣٠٧) .

(٤) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٧٠ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠٠ ص ١٨٩ .

(٦) ابن خلدون : العبر ج ٣ ص ٢٢٢ .

ان الرشيد حين أدرك أن أسرة البرامكة بدأت تولي الشيعة من الفرس في المناصب واصبحت لهم قوة نكبها .

ونستنبط من رواية الاصفهاني(١) ان البرامكة سعوا الى افساد العلاقات بين العباسيين والعلويين فهو يقول : « ان السبب في أخذ موسى بن جعفر وحبسه ان الرشيد جعل ابنه محمد الأمين في حضن جعفر بن محمد بن الأشعث فحسده يحيى بن خالد البرمكي ، وقال : ان أفضت اليه الخلافة زالت دولتي ودولة ولدي فاحتال على جعفر بن محمد بن الأسقف ، وكان يقول بالامامة حتى داخله وأنس به وأسر اليه فرفعه الى الرشيد وقال ان الأموال تحمل اليه من الشرق والغرب ، وان له بيوتاً تحمل اليه وانه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار سماها (اليسيرة) فسمع منه الرشيد ذلك فأخذه وحبسه حتى مات سنة ١٨٣ ﻫ » .

حقيقة اطلاق جعفر البرمكي سراح يحيى العلوي :

روى المؤرخون قصة اطلاق جعفر بن يحيى البرمكي سراح الثائر العلوي يحيى بن عبدالله بن الحسن ، وجعلوها من عوامل نكبة البرامكة . وكان الرشيد قد استفتى الفقهاء في نقض الامان الذي اعطاه ليحيى ، ثم سلمه لجعفر البرمكي ، فاستعطفه العلوي فاطلق سراحه ، ونقل الفضل بن الربيع الوزير العربي وكان حاقداً على البرامكة النبأ الى الخليفة الرشيد ، وتظاهر الرشيد بعدم الاكتراث ، وسأل البرمكي عن سجينه فزعم انه لا يزال في حبسه ، ولما خرج يحيى البرمكي من مجلس الرشيد « اتبعه بصره حتى كاد أن يتوارى عن وجهه ، ثم قال قتلني بسيف الهدى على عمل الضلالة ، ان لم اقتلك(٢) . وروى الطبري(٣)

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٠٠ .

(٢) الطبري ج ٦ ص ٤٨٥ ، الفخري ص ١٧٦ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٨٩ — ١٩٠ .

(٣) الطبري ج ٦ ص ٤٨٥ .

ن ابا محمد اليزيدي، وكان من أعلم الناس بأخبار البرامكة ، قال : من قال أن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبدالله بن الحسن ، فلا تصدقه. أي ان هذا الرجل يرى ان اطلاق سراح الثائر العلوي كان العامل الرئيسي في نكبة البرامكة .

ورغم الروايات التي حفظتها المصادر التاريخية القديمة عن اطلاق جعفر البرمكي سراح يحيى العلوي الا أن الدكتور الجومرد (١) ، الذي وضع كتاباً ضخماً من جزءين عن هارون الرشيد ، ينفي هذه الروايات فيقول : قد يكون هذا الخبر من صنع الفرس ليثبتوا ان مقتل البرامكة كان بسبب ميلهم للعلويين مع ان البرامكة قد لا يكونون خصوماً للعلويين ، ولكنهم لم يكونوا من شيعتهم ، وقد ثبت بأن غير واحد منهم قتل على أيدي هؤلاء البرامكة ونحن اذا علمنا بأن جعفراً أطلق سراح العلوي وكان موت يحيى بن عبد الله في عام ١٧٦ هـ ، فاننا لا نستطيع اعتبار هذا الحادث سبباً لنكبة البرامكة لمرور ما يزيد على عشرة أعوام بينه وبين النكبة .

ونحن وان كنا نؤيد الروايات القديمة التي تحدثت عن اطلاق يحيى البرمكي سراح الثائر العلوي الا اننا لا نؤكد ان البرامكة قد اعتنقوا مذهب التشيع او أصبحوا من دعاة وأنصار البيت العلوي ، ونرى أن البرامكة كانوا طوال تاريخهم وفي جميع تصرفاتهم وسياستهم يعملون لصالح أسرتهم ويضربون القوى بعضها ببعض واذا وجدوا ان من صالحهم ممالأة العلويين انتهجوا هذا السبيل واذا رأوا ان مصلحتهم تقضي بالوقوف مع الخلفاء العباسيين في وجه الثوار العلويين فعلوا ذلك . وكان البرامكة قد وصلوا الى قمة المجد وذروة النفوذ في الدولة العباسية ، ولا يضمنون ان يصلوا الى ما وصلوا اليه في ظل خلافة علوية . وقد كان العلويون سلاحاً في أيدي البرامكة يستخدمونه اذا

---

(١) هارون الرشيد ص ٤٦٧ – ٤٦٨ .

شعروا انهم في حاجة اليه ، وانه يحقق مصالحهم الذاتية . وقد كان يحيى بن خالد البرمكي – كما رأينا – السبب في القبض على موسى بن جعفر العلوي وسجنه ليتقرب الى الخليفة الرشيد(١) .

ونرى أن استفحال نفوذ البرامكة واستئثارهم بالسلطة دون الخليفة هارون الرشيد كان العامل الرئيسي في نكبتهم . فيرى ابن خلدون(٢) انه انما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة ، وذكر صاحب الفخري(٣) ان جعفراً والفضل بن يحيى ظهر منهما الادلال ما لا تحتمله نفوس الملوك فنكبهم – أي الرشيد – بذلك . ويذكر الجهشياري(٤) انه قد « أصبحت الخلافة على الحقيقة ليحيى وأولاده وليس للرشيد الا اسمها » . ويرى الاصفهاني(٥) ان البرامكة قد أصبحوا ملوكاً لدولة داخل الدولة العباسية . وأصبح تضخم نفوذ البرامكة يصور استئثار الفرس بالسلطة مما يتنافى مع سياسة الخلفاء العباسيين(٦).

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٠١ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٥ .
(٣) الفخري ص ٤٢ .
(٤) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٢٥ .
(٥) الاصفهاني : الاغاني ج ٤ ص ٣٩ .
(٦) يرى الدكتور عبد العزيز الدوري (الجذور التاريخية للشعوبية ص ٤٦ – ٤٧) ان العباسيين أرادوا تنمية روح التعاون العربي الفارسي ، وايجاد سياسة مزدوجة في الادارة وخلق كيان سياسي موحد متماسك بين عنصري الدولة ، ولكن هيمنة البرامكة على الدولة واسرافهم في استخدام الفرس أدى إلى رد فعل شديد لدى العرب ضدهم وهددوا فكرة التماسك الاداري .

الباب الخامس

ثورات الشيعة في عهدي المأمون والمعتصم

تمهيد : الشيعة في عهد الأمين .

١ ــ ثورة محمد بن ابراهيم وأبي السرايا .

٢ ــ ثورة محمد الديباج بن جعفر الصادق .

٣ ــ موقف الشيعة من بيعة المأمون للامام علي الرضا بولاية العهد .

٤ ــ ثورة علي بن محمد بن جعفر الصادق وأبي عبدالله أخي أبي السرايا .

٥ ــ ثورات الشيعة في بلاد اليمن .

٦ ــ ثورة محمد بن القاسم في عهد الخليفة المعتصم .

ثورات الشيعة في عهد الخليفة المأمون

تمهيد : الشيعة في عهد الأمين :

ركنت الشيعة في السنوات العشر الأخيرة (١٨٣ – ١٩٣ هـ) من عهد الخليفة هارون الرشيد الى الهدوء ، أو الى ما تسميه الشيعة التقية والكتمان . فقد آثر العلويون الانصراف الى تضميد جراحهم ولمّ شعثهم إثر توالي الضربات عليهم في العهود السالفة ، مترقبين سنوح الفرصة الملائمة للقيام بحركاتهم الشيعية .

كما أدى مصرع كثير من الزعماء العلويين البارزين على أيدي الخليفة هارون الرشيد الى حرمان الشيعة من الزعيم الذي يقودهم لنضال الدولة العباسية ، ولذا باتت الشيعة تترقب بروز زعماء علويين من الصف الثاني ، يتقدمون خطوات الى الصف الأول ليواصلوا الكفاح ، فتقوم حركات شيعية جديدة تضاف الى تلك السلسلة الطويلة التي تنتظم فيها حلقات كثيرة من هذه الحركات .

تولى الخليفة محمد الأمين بعد وفاة أبيه الرشيد سنة ١٩٣ هـ (١) . وحفل عهده بالاضطرابات والفتن ، أبرزها ذلك الصراع العنيف الذي دار بين الأمين وأخيه عبدالله المأمون ، نتيجة رغبة الأمين في مخالفة نظام ولاية العهد الذي وضعه الرشيد (٢) ، فقد أراد خلع أخيه المأمون من ولاية العهد وتولية

---

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٧٣ .
(٢) قدم الرشيد ابنه محمد الأمين على ابنه المأمون ، لأن أم الأمين عربية قرشية هاشمية وهي السيدة زبيدة ، بتحريض من الحزب العربي برئاسة الفضل بن الربيع ، فقد كانت أم المأمون جارية فارسية خراسانية .

ابنه الصغير موسى (١) ، ونتيجة الصراع بين الفرس والعرب .

وفي الوقت الذي ثار فيه صراع عنيف بين الأخوين ، اشتعلت نار الثورة في بلاد الشام ، اذ ثار السفياني(٢) ، وينتسب الى البيت السفياني الأموي ، ودعا الى نفسه ، واستولى على دمشق والمنطقة المحيطة بها ، وكاد أن يقيم حكماً أموياً في بلاد الشام ، لولا أن نشب نزاع بين اليمنيين والمضريين(٣) ، أضعف من قوته ، فنجح الأمين بعد جهود كثيرة استمرت أكثر من عامين في القضاء عليها(٤) .

واستمر صراع الأخوين ، الأمين والمأمون ، ودارت كثير من المعارك الحربية يخرج ذكرها عن نطاق هذا البحث ، وانتشرت الفوضى في بغداد خاصة ، وفي أرجاء الدولة العباسية عامة ، وانتهى الأمر بمصرع الأمين وتولية المأمون الخلافة سنة ١٩٨ هـ (٥) .

فماذا كان موقف العلويين والشيعة؟ولماذا لم ينتهزوا فرصة هذه الاضطرابات لمعاودة حركاتهم ؟

في الحقيقة كانت هذه الفوضى الشاملة التي سادت أرجاء الدولة الاسلامية أكثر من أربع سنوات ، فرصة ذهبية ليعاود العلويون وشيعتهم حركاتهم ، ولكنهم آثروا الهدوء والسلام ، ونعتقد أن افتقاد الشيعة للزعيم المنشود الذي يتولى قيادتهم هو العامل الرئيسي في هذه السياسة ، الى جانب ما ثار من خلافات شديدة عميقة بين فرق الشيعة ، من امامية وزيدية واسماعيلية وغيرها .

---

(١) اليعقوبي جـ ٣ ص ١٦٦ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٣٧ .
(٢) وهو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
(٣) المضريون فرع من العرب الحجازيين ، وكانت هناك عصبية تقليدية بين العرب اليمنيين والعرب الحجازيين منذ العصر الجاهلي ، واستمر طوال العصر الاسلامي .
(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٧٥ – ٧٧ .
(٥) الطبري جـ ٧ ص ١١٤ – ١١٦ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٨٢ – ٨٥ .

كما أن الخليفة الأمين انصرف عن تتبع العلويين واضطهادهم ، نتيجة الفتن والاضطرابات الكثيرة التي واجهها ، الى جانب انشغاله باللهو والترف . فيقول الأصفهاني(١) : « وكانت سيرة محمد – أي في أمر آل أبي طالب – خلاف ما تقدم ، لتشاغله بما كان فيه من اللهو والادمان له ، ثم الحرب التي كانت بينه وبين المأمون حتى قتل ، فلم يحدث على أحد منهم في أيامه حدث بوجه ولا سبب » .

ولا شك أن عيون العلويين والشيعة قد قرت لهذا الصراع بين الأمين والمأمون ، فهو مظهر لانقسام البيت العباسي على نفسه ، مما يؤدي الى ضعف العباسيين ودولتهم ، وهو أيضاً صراع بين العناصر العربية والعناصر الفارسية ، والحزبين العربي والفارسي في بلاط القصر العباسي(٢) . وبات العلويون يترقبون من سيكون المنتصر من الأخوين حتى يعلنوا الثورة عليه ، ويجهزوا عليه ، وقد خرج من الصراع منهكاً متعباً . وهذا ما حدث ، فقد كان لانتصار للمأمون ، وما لبث أن واجه حركات الشيعة .

* * *

(١) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٠٩ .

(٢) أيد الحزب العربي بزعامة الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان الخليفة الأمين ، بينما أيد الفضل بن سهل والفرس المأمون (اليعقوبي ج ٣ ص ١٦٦) .

١ ـ ثورة محمد بن ابراهيم وأبي السرايا

نجح المأمون في القضاء على قوات أخيه الأمين ، ثم تولى الخلافة ، وكان القائدان طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين من أبرز عوامل انتصارات المأمون(١) بينما استأثر الفضل بن سهل بالوزارة والنفوذ في مرو بخراسان ، حيث كان المأمون مقيماً(٢) . وأراد الفضل الخلاص من القائدين الباسلين ، فأصدر أمرين على لسان المأمون ، أولهما بتولية الحسن بن سهل جميع ما افتتحه طاهر من كور الجبال وفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز واليمن . وكتب الى طاهر أن يسلمه جميع ما بيده من الأعمال وأن يشخص الى الرقة لمحاربة نصر بن ثابت الذي أعلن الثورة في الشام(٣) ، وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب ، واضطر طاهر الى الاذعان وهو كاره لتنفيذه. أما الأمر الثاني، فقد صدر الى هرثمة يأمره بالقدوم الى خراسان . وأدى ابتعاد هذين القائدين الكبيرين عن بلاد العراق الى انتشار الاضطرابات فيها ، مما ساعد على ظهور عدة ثورات أبرزها حركة شيعية قام بها محمد بن ابراهيم العلوي ، يعاونه داعية له يدعى (أبو السرايا) .

بوادر ثورة شيعية جديدة :

بدأت أول حركة شيعية في عهد المأمون فيأواخر جمادىالثانية سنة ١٩٩هـ(٤)

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ٨٢ — ٨٥ .

(٢) اليعقوبي : جـ ٣ ص ١٦٧ .

(٣) وهي حركة عربية نقمت على المأمون الاعتماد على الفرس والخراسانيين وحاولت الشيعة الاستفادة من هذه الحركة فبايع نصر لأحد العلويين ولكنه رفض ذلك ، واخفقت الثورة سنة ٢١٠ هـ (الطبري جـ ٧ احداث سنة ٢٠٥ إلى ٢١٠ هـ) .

(٤) الطبري : جـ ٧ ص ١١٧ .

وهي حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية ، وتزعمها محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، وقد اشتهر باسم (ابن طباطبا) .

كان العلويون قد ركنوا الى الهدوء في أواخر عهد الخليفة الرشيد ، وطوال عهد الخليفة الأمين . وبدأت بوادر قيام حركة جديدة من حركات الشيعة في مطلع عهد المأمون ، مستفيدة من اقامة الخليفة الجديد في مرو بخراسان ، ومن الفوضى التي انتشرت في بلاد العراق وبعض ولايات الدولة العباسية اثر الصراع المرير الذي شب بين الأخوين ، الأمين والمأمون (١) .

كانت بداية هذه الحركة الشيعية ، قدوم رجل من شيعة الجزيرة ، يدعى نصر بن شبيب ، الى الحجاز حاجاً . ومر نصر بالمدينة فسأل عن « بقايا أهل البيت ومن له ذكر منهم » . فذكر له ثلاثة أسماء من العلويين ، أولهم علي ابن عبيد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، ولكن نصراً علم أن هذا الزعيم « كان مشغولا بالعبادة لا يصل اليه أحد ولا يأذن له » ، أما الزعيم العلوي الثاني فهو عبدالله بن موسى وكان « مطاوباً خائفاً لا يقاوم أحداً » . وبقي الزعيم الثالث ، وهو محمد بن ابراهيم ، فكان الزعيم الوحيد الذي يمكن لنصر لقاءه اذ كان « يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن » . والتقى نصر بمحمد ، فذكره بما نزل بآل علي من تنكيل واضطهاد ، وباغتصاب العباسيين لحق العلويين في الخلافة ، ثم قال نصر لمحمد : « حتى متى توطئون بالخسف وتهتضم شيعتكم وتسكتون على حقكم ؟ » . وتأثر محمد بحديث نصر ، واتفقا على اللقاء في اقليم الجزيرة (٢) .

وعاد نصر مع سائر الحجاج الى الجزيرة ، وبعد فترة لحق به محمد بن ابراهيم ، ومعه نفر من اصحابه وشيعته . وجمع نصر أهله وعشيرته « وعرض

(١) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٨٢ – ٨٣ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥١٩ .

ذلك عليهم ، فأجابه به بعضهم وامتنع عليه بعض ، وكثر القول فيهم والاختلاف ، حتى تواثبوا وتضاربوا بالنعال والعصي ، وانصرفوا عن ذلك» ثم توجه بعض أقاربه اليه بالنصيحة ، فحذروه عواقب الخروج على طاعة الدولة العباسية ، مما يعود بالضرر عليه وعلى أهل بيته ، وختموا نصيحتهم له بقولهم: « فما حاجتك الى تعريض نفسك وأهلك وأهل بيتك لما لا قوام لهم به ؟ ان جميع هذا البلد أعداء لآل أبي طالب ، فان أجابوك الآن طائعين ، فروا عنك غداً منهزمين اذا احتجت الى نصرهم ، على أنك الى خلافهم أقرب منك الى اجابتهم » . واقتنع نصر بنصيحة أقاربه ، فعدل عن رأيه ، وفترت حماسته ، « فصار الى محمد بن ابراهيم معتذراً اليه بما كان من خلاف الناس عليه ، ورغبتهم عن أهل البيت » ، وعرض نصر على محمد أن يمنحه خمسة آلاف دينار ليتقوى بها . وغضب محمد لتخلي نصر عن وعوده ، وغادر الجزيرة راجعاً الى الحجاز (١) .

أبو السرايا ومحمد بن إبراهيم (ابن طباطبا) :

بعث نصر بن شبيب الآمال في نفس محمد بن ابراهيم ، ودفعه الى التطلع الى الخلافة ، والتفكير في تدبير سبل الوصول اليها . ويبدو أن نكث نصر لوعوده لم يثن محمداً عن تطلعه الى الخلافة . ففي خلال عودته الى بلاد الحجاز التقى في الطريق بأبي السرايا ، السري بن منصور ، وهو من بني ربيعة بن ذهل ابن شيبان(٢) . وكان أبو السرايا « قد خالف السلطان ونابذه، وعاث في نواحي السواد(٣) ، ثم صار الى تلك الناحية فأقام بها خوفاً على نفسه » . وعلم أبو السرايا بما كان بين نصر بن شبيب ومحمد بن ابراهيم ، فعرض أبو السرايا

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٢٠ .

(٢) ذكر الطبري (ج ٧ ص ١١٧) انه من ولد هانيء « بن قبيصة بن هانيء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان من الفرسان المشهورين بالشجاعة والاقدام .

(٣) أي سواد العراق ، وهي الأرض الخصبة السوداء .

أن يقدم للزعيم العلوي ما كان نصر قد وعده به من معاونات ، وتعهد لـه بالوفاء وأن يكون له نصيراً ومؤازراً ، وطلب منه أن يعدل عن الرجوع الى الحجاز ، وأن يتجه الى الكوفة ، حيث يوافيه بعد فترة وجيزة (١) .

قدم محمد بن ابراهيم الى الكوفة « يسأل عن أخبار الناس ويتحسسها ، ويتأهب لأمره ويدعو من يثق به الى ما يريد ، حتى اجتمع له بشر كثير » . ورحل ابو السرايا في طريقه الى الكوفة ، فمر بنينوى ، ثم اتجه الى قبر الحسين ، على رأس عدد كبير من الفرسان . وبعث أبو السرايا في طلب الشيعة الزيدية ، فقدموا عليه ، فخطب فيهم خطبة طويلة ، ذكر فيها أهل البيت وفضلهم ، وما أنزله العباسيون بهم من مظالم واضطهاد ، ثم ختم خطبته بقوله : « انني خارج من وجهي هذا الى الكوفة للقيام بأمر الله والذب عن دينه ، والنصر لأهل بيته ، فمن كان له نية في ذلك فليلحق بي » ، ثم بدأ أبو السرايا رحلته الى الكوفة(٢) .

وفي ضواحي الكوفة ، كان محمد بن ابراهيم وشيعته في انتظار أبي السرايا وقد انضم اليه علي بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين ، وانضم اليهم عدد كبير من أهل الكوفة ، فكانوا « مثل الجراد ، الا أنهم على غير نظام وغير قوة ، ولا سلاح الا العصي والسكاكين والآجر » وأبدى بعض الشيعة قلقهم لتأخر وصول أبي السرايا ، حتى شتموه وسبوه ، ولاموا محمد بن ابراهيم على الاستعانة به .

قدم أبو السرايا إلى الكوفة ، وترجل عن جواده وعانق محمد بن ابراهيم ، وطلب أبو السرايا من الزعيم العلوي أن يدخل الى الكوفة ، ويخطب الناس ،

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٢١ — كان العلويون يفضلون الاقامة في الحجاز وخاصة المدينة .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٢٢ — ٥٢٣ .

ودعا محمد بن ابراهيم أهل الكوفة الى البيعة للرضا من آل محمد(١) ، والعمل بكتاب الله وسنة نبيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتمت البيعة عند موضع في الكوفة يسمى (قصر الضرتين)(٢) .

ذكر الطبري(٣) ، سببين لقيام هذه الحركة الشيعية التي تزعمها محمد ابن ابراهيم وداعيته أبو السرايا . أما السبب الأول فهو اضطراب احوال الدولة اذ استأثر الفضل بن سهل بالسلطة والنفوذ في الدولة العباسية دون المأمون(٤) حتى قيل انه أنزل المأمون في قصر وحجبه عن أهل بيته وقواده وخاصته «فغضب لذلك بالعراق من كان لها من بني هاشم ووجوه الناس وأنفوا من غلبة الفضل ابن سهل على المأمون ، واجترأوا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتن في الأمصار ، فكان أول من خرج بالكوفة ابن طباطبا » .

أما العامل الثاني الذي ذكره الطبري(٥) ، والذي أدى الى قيام حركة محمد بن ابراهيم ، فهو تحريض أبي السرايا له ، فقد ساءت العلاقات بينه وبين الدولة العباسية ، ورأى الاستفادة من الزعيم العلوي في خلع طاعة الدولة ، فقال الطبري : « وقيل كان سبب خروجه ان أبا السرايا كان من رجال ابن ابراهيم بقتالهم . وأسرع الفضل ومواليه بالفرار ، واستولى أبو السرايا على الدار ، وحاول جنده انتهابها ، فنهاهم عن ذلك . وخرج الفضل الى الحسن ابن سهل يشكو اليه ما حل به ، فوعده الحسن بأنه يقف من هذه الحركة الشيعية موقفاً حازماً حاسماً(٦) .

---

(١) كان العباسيون يدعون أيضاً خلال الدعوة العباسية (١٠٠ – ١٣٢ هـ) إلى الرضا من آل محمد ، وكان أبو السرايا من قبل موالياً للعباسيين ثم خرج عن طاعتهم .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٢٣ .

(٣) الطبري جـ ٧ ص ١١٧ .

(٤) قال المأمون للفضل : « وقد جعلت لك مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه ، ولا تتقدمك مرتبة أحد ما لزمت ما أمرتك به من العمل لله ونبيه والقيام بصلاح دولة أنت ولي بقيامها » (الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣٠٦) .

(٥) الطبري جـ ٧ ص ١١٧ – ١١٨ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ٨٧ – ٨٨ .

(٦) الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ٥٢٥ .

واستدعى الحسن بن سهل اليه أحد القواد العباسيين البواسل ، وهـو زهير ابن المسيب ، فعهد اليه باخضاع أبي السرايا ، وأمده بالرجـال والأموال والامدادات وبعث الى والي الكوفة سليمان بن أبي جعفر المنصور يتهمه بالضعف ويلومه على موقفه المتخاذل الذي أدى الى قيام حركة الشيعة في الكوفة(١) .

خرج زهير بن المسيب على رأس جيش عدته عشرة آلاف فارس ، منجهاً نحو الكوفة ، وكان محمد بن ابراهيم ملازماً فراشه يعاني مرضاً شديداً ، فأمر داعيته أبا السرايا بقتال « الجيش العباسي » وحاول بعض البغداديين من أنصار العباسيين ، المقيمين بالكوفة ، أن يحثوا أهل الكوفة على التخاذل عن الانضمام الى جيش أبي السرايا ، ولكن أبا السرايا أثار الحماسة في قلوبهم ، بالخطابة حيناً ، وبالشعر حيناً آخر ، حتى نجح في تعبئة جيش خرج به لقتال العباسيين(٢) .

دارت معركة عنيفة بين الفريقين في آخر رجب سنة ١٩٩ هـ (٣) ، انتهت بهزيمة الجيش العباسي ، وأسرع الجند العباسيون بالفرار ، وأبو السرايا يتبعهم حتى صاح زهير فيه : ويحك ، أتريد هزيمة أكثر من هذه ؟ الى أين تتبعني ؟ فكف أبو السرايا عن ملاحقة العباسيين , وغنم جيش الكوفة كثيراً من الغنائم ، « لم يغنم أحد مثلها » ، وعاد زهير الى بغداد ، وغضب الحسن بن سهل عليه فضربه بعمود حديد على وجهه فشتر احدى عينيه ، وأراد قتله ، لولا شفاعة بعض أصحابه فعفا عنه .

وصف الاصفهاني(٤) دخول ابي السرايا الى الكوفة منتصراً ، وصفاً يبين قوة الحركة الشيعية ، وارتفاع روح الشيعة المعنوية ، فقال : « ودخل أبـو السرايا الكوفة ومعه خلق كثير من الأسارى ، ورؤوس كثيرة على الرماح

---

(١) الطبري : جـ ٧ ص ١١٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٨٧ .
(٢) الا صفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٢٨ .
(٣) الطبري ، جـ ٧ ص ١١٨ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٨٨ .
(٤) كانت عدة هذا الجيش ألف فارس وثلاثة آلاف من المشاة (مقاتل الطالبيين ص ٥٣) .

مرفوعة ، وفي صدور الخيل مشدودة ومن معه من أهل الكوفة قد ركبوا الخيل ولبسوا السلاح فهم في حالة واسعة ، وأنفسهم بما رزقوه من النصر قوية » .

قرر الحسن بن سهل أن يعاود القتال في جولة أخرى ، فأعد جيشاً(١) عهد بقيادته الى عبدوس بن عبد الصمد ، وأغدق عليه العطاء ، وأخذ يمنيه ويعده ان انتصر على أبي السرايا ، وخرج أبو السرايا من الكوفة للقائه ، وجعل شعاره « يا فاطمي يا منصور » ، ونجح في الحاق الهزيمة بالجيش العباسي وقتل قائده عبدوس وغنم كثيراً من الغنائم .

زعامة أبي السرايا بعد موت ابن طباطبا :

عاد أبو السرايا الى الكوفة مكللا بأكاليل الغار ، ودخل على محمد بن ابراهيم وهو في فراش مرضه ، يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فلام محمدَ أبا السرايا على هجومه على الجيش العباسي ليلا(٢) ، وأنه لم يدعوهم الى الامان قبل أن يقاتلهم ، فدافع أبو السرايا عما أقدم عليه ، وقال انه من تدبير الحرب ، وأنه لن يعود الى مثله في المستقبل . وأدرك أبو السرايا أن محمد بن ابراهيم قد أوشك على مفارقة الحياة ، فطلب منه أن يعهد اليه بوصيته ، فأوصى اليه فقال : « أوصيك بتقوى الله ، والمقام على الذب عن دينك ، ونصرة أهل بيت نبيك صلى الله عليه وآله ، فان أنفسهم موصولة بنفسك ، وول الناس الخيرة فيمن يقوم مقامي من آل علي ، فان اختلفوا فالأمر الى علي بن عبيد الله ، فاني قد بلوت طريقته ، ورضيت دينه(٣) . وما لبث محمد أن مات ، فكتم أبو السرايا نبأ وفاته ، وفي الليل استدعى اليه نفراً من الزيدية قاموا بدفنه .

---

(١) كان من التقاليد العربية الأصيلة عدم مهاجمة جيش العدو ليلا ، ويطلق على الهجوم ليلا لفظ (تبييت) .

(٢) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٣١ – ٥٣٢ .

(٣) الطبري ج ٧ ص ١١٩ – ١٢٠ .

يتهم الطبري أبا السرايا بأنه وضع السم لمحمد بن ابراهيم بن طباطبا حتى يستأثر بالنفوذ ، فيقول : « مات محمد بن ابراهيم بن طباطبا فجأة ، فذكر أن أبا السرايا سمه ، وكان السبب في ذلك فيما ذكر أن ابن طباطبا لما أحرز ما في عسكر زهير من المال والسلاح والدواب وغير ذلك ، منعه أبا السرايا وحظره عليه ، وكان الناس له مطيعين ، فعلم أبو السرايا أنه لا أمر له معه ، فسمه » ولكننا نميل الى الأخذ برواية الاصفهاني(١) ، وهي تذهب الى أن محمداً كان يعاني مرضاً الزمه الفراش فترة ، وما لبث أن مات متأثراً بمرضه.

وفي اليوم التالي ، جمع أبو السرايا الشيعة ، فخطبهم ، ونعى محمد بن ابراهيم اليهم ، وعزاهم فيه ، فارتفعت الأصوات بالبكاء ، ثم أخبرهم بوصية محمد ، وأنه قد عهد الى علي بن عبيد الله ، ثم قال : « فان رضيتم به فهو الرضا (٢) ، والا فاختاروا لأنفسكم» . لم يكترث الشيعة بأمر هذا العهد ؛ « فتواكلوا ونظر بعضهم الى بعض ، فلم ينطق أحد منهم » . وقطع غلام من آل علي يدعى محمد بن محمد بن زيد هذا السكون ، فدعا العلويين والشيعة الى الاتحاد حتى يتحقق لهم النصر على العباسيين ، وطلب من علي بن عبيد الله أن يمدد يده لتبايعه الشيعة . ولكن علياً وقف يخطب ، فأعلن للناس تنازله عن هذا العهد ، وعلل ذلك بقوله ، أتخوف أن أشتغل به من غيره مما هو أحمد وأفضل عاقبة » (٣) ، ثم رشح محمد بن محمد بن زيد لتبايعه الشيعة ، ثم سأل أبا السرايا عن رأيه في ذلك ، فنزل على رأيه وأقبلت الشيعة عليه تبايعه ،

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٣٢ .
(٢) أي الرضا من آل محمد .
(٣) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ١١١ .

وولى محمد بن محمد أقاربه العلويين على حكم بعض الامصار(١) .

أصبح أبو السرايا هو المهيمن على هذه الحركة الشيعية ، يوجهها ويرسم الخطط لها ، فقد وصف الطبري(٢) الزعيم العلوي الجديد ، محمد بن محمد ابن زيد ، بأنه كان « غلاماً أمرد حدثاً » ، ولذا استأثر أبو السرايا بالنفوذ فكان « هو الذي ينفذ الأمور ، ويولي من رأى ، ويعزل من أحب ، واليه الأمور كلها » . وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة ، ونقش عليها « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً واحداً كأنهم بنيان مرصوص » .

توجه الولاة العلويون الجدد الى امصارهم ، فنجح ابراهيم بن موسى في السيطرة على اليمن بعد قتال محدود ، ونجح والي واسط في هزيمة واليها العباس نصر البجلي ، وسيطروا على واسط وجبيا الخراج ، وأيدهما أهلها . ونجح والي البصرة العلوي علي بن جعفر في الحاق الهزيمة بالقوات العباسية وهيمن على البصرة .

علم داود بن عيسى ، والي مكة العباسي ، بقدوم حسين بن حسن الوالي العلوي الجديد ، ليحج بالناس في هذه السنة (١٩٩هـ) ، فحشد موالي بني العباس ليدافعوا عنه ، وحدث أن قدم عليه مسرور ، خادم الرشيد(٣) ، وكان يؤدي فريضة الحج ، ومعه مائتا فارس من أصحابه. وحث مسرور الوالي العباسي على قتال الوالي العلوي ، فرفض داود أن تكون مكة المكرمة مسرحاً للقتال ، فأخذ مسرور يذكره أنه من الولاة العباسيين ، وعليه أن يدافع عن ملكه

---

(١) ولى ابراهيم بن موسى بن جعفر علي اليمن ، وولى زيد بن موسى بن جعفر على الأهواز ، وولى العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب على البصرة ، وولى الحسين بن الحسن الأفطس بن علي بن علي بن أبي طالب على مكة ، وولى محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي على المدينة ، وولى الحسين بن ابراهيم بن الحسن بن علي على واسط .

(٢) الطبري : جـ ٧ ص ١١٦ .

(٣) اشترك مسرور في التنكيل بالبرامكة .

وسلطانه ، وكان داود ساخطاً اذ لم يوله الخليفة العباسي حكم ولايته الا بعد أن وصل الى مرحلة الشيخوخة ، واختاروا له بلاد الحجاز ، وهـي فقيرة في مواردها الاقتصادية ، ولذا آثر داود الخروج الى العراق . وفت ذلك في عضد مسرور ، ولم يشأ أن ينفرد بقتال العلويين « وخشي إن قاتلهم أن يميل أكثر الناس معهم »(١) ، ولذا رأى أن يلحق بداود ، فخرج راحلا الى العراق . ودخل الوالي العلوي حسين بن حسن مكة ، فطاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، وبدأ يمارس سلطاته(٢) .

اتسع نفوذ الزعيم العلوي الجديد محمد بن محمد « وتتابعت الكتب وتواترت عليه بالفتوح من كل ناحية ، وكتب اليه أهل الشام والجزيرة أنهم ينتظرون أن يوجه اليهم رسولا ليسمعوا له ويطيعوا »(٣) ، وأدرك الحسن بن سهل خطورة الموقف ، اذ رأى استفحال سلطان أبي السرايا وأن جنده « لا يلقون عسكراً الا هزموه ولا يتوجهون الى بلد الا دخلوه » (٤) ولمس الحسن اخفاق قواده جميعاً في الصمود أمام قوات أبي السرايا ، فرأى أن يعتمد على قائد باسل محنك ، فرأى أن يعهد بأمر أبي السرايا للقائد هرثمة بن أعين ، رغم أن العلاقات كانت قد ساءت بينهما ، فقد غضب هرثمة لتولية الحسن بن سهل على بلاد العراق ، وخرج غاضباً الى (حلوان)(٥). وبعث الحسن اليه رسولا ، هو السندي بن شاهك ، يطلب منه أن يتناسى ما كان بينهما من شحناء وبغضاء ويستدعيه الى بغداد لتولي قيادة الجيش الذي يوجهه لقتال أبي السرايا .

---

(١) كان أهالي الحجاز يعطفون على العلويين .

(٢) الطبري : ج ٧ ص ١٢١ .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٣٤ .

(٤) الطبري : ج ٧ ص ١١٩ .

(٥) كان هرثمة يحذر دائماً المأمون من الفضل بن سهل وتكتمه أخبار الاضطرابات في الدولة . (ابن الأثير ، الكامل ج ٦ ص ١٠٧ ، أبو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢٣).

رفض هرثمة في أول الأمر دعوة الحسن بن سهل اليه ، وقال لرسوله السندي « نوطىء نحن الخلافة ، ونمد لها أكتافها ، ثم يستبدون بالأمور ، ويستأثرون بالتدبير علينا ، فاذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم ، واضاعتهم الأمور ، أرادوا أن يعلموه بنا ، لا والله ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم وقبيح أفعالهم(١) » . وهذا القول يوضح حقيقة الأوضاع الداخلية السائدة حينئذ في الدولة العباسية ، فقد استبد الفضل والحسن ابنا سهل بشؤون الدولة ، كما كان المأمون لا يزال مقيماً في مرو بخراسان (٢) ، ويبدو أنه لم يكن يعلم الكثير عن أمر الاضطرابات السائدة في الدولة ، وخاصة قيام هذه الحركات الشيعية ، ونجاح أبي السرايا في السيطرة على الكوفة والبصرة وواسط في بلاد العراق ، وعلى بلاد الحجاز واليمن ، حتى إن هرثمة اعتزم اطلاع الخليفة على حقيقة الأمر(٣) .

ثم وصل الى هرثمة كتاب من منصور بن المهدي ، يستحثه في القدوم ، ويوضح له خطورة الموقف ، فلم يجد بداً من الاستجابة الى دعوة الحسن بن سهل ، فخرج قاصداً بغداد . حتى اذا وصل الى النهروان تلقاه أهالي بغداد والقواد وبنو هاشم ، وأبدوا سرورهم بقدومه ، وكان الحسن بن سهل يفطن الى مقدرة هرثمة الحربية ، ولذا « أمر بدواوين الجيش فنقلت اليه ليختار الرجال منها وينتخبهم ، وأطلق له بيوت الأموال فانتخب ما أراد »(٤) .

بداية النهاية :

لجأ هرثمة الى حيلة يثبط بها همة جند أبي السرايا ، فقد صاح فيهم :

---

(١) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٣٥ .
(٢) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣٠٦ .
(٣) الطبري ج ٧ ص ١١٨ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٠٧ .
(٤) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٣٠ .

« يا أهل الكوفة ، علام تسفكون دماءنا ودماءكم ؟ ان كان قتالكم ايانا كراهية لامامنا ، فهذا المنصور بن المهدي رضى لنا ولكم نبايعه ، وان احببتم اخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا امامكم ، واتفقوا معنا ليوم الاثنين نتناظر فيه ، ولا تقتلونا وأنفسكم » . وحاول أبو السرايا أن يحث جنده على القتال ، فأبوا ذلك ، فاضطر الى الانسحاب الى الكوفة . وفي يوم الجمعة ، وقف أبو السرايا على المنبر ، يسب أهل الكوفة ويوبخهم ، ويصفهم بأنه « قتلة علي » و« خذلة الحسين » ، وحذرهم مما يلحق بهم على أيدي العباسيين ان دخلوا الكوفة . وقامت جماعة من أهل الكوفة يدافعون عن أنفسهم ، ويذكرونه باخلاصهم له ، وتفانيهم في القتال معه ، وعرضوا عليه البيعة على الموت « فأعرض عنهم ، ونادى في الناس بالخروج لحفر الخندق(١) » .

وبدأ حفر الخندق (٢) ، واشترك أبو السرايا بنفسه في اعمال الحفر . ولكنه رأى الرحيل الى القادسية ، فخرج مع محمد بن محمد بن زيد ، وجماعة من العلويين وأهل الكوفة في ١٣ من المحرم سنة ٢٠٠ هـ . وثار في الكوفة أشعث ابن عبد الرحمن يدعو الى الولاء لهرثمة . كما خرج اشراف الكوفة الى هرثمة يسألونه الامان للناس ، فأجابهم لطلبهم ، ودخل المنصور بن المهدي الكوفة ، وأقام هرثمة في جيشه خارجها . وخطب المنصور في أهالي الكوفة ، فحثهم على الطاعة والولاء . وولى هرثمة والياً عباسياً لحكم الكوفة هو غسان بن الفرج ، ثم بدأ هرثمة رحيله من الكوفة(٣) .

---

(١) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٤٦ .

(٢) فكرة حفر الخنادق ليست عربية بل فارسية ، وقد أشار بها سليمان الفارسي على الرسول صلى الله عليه وسلم حين غزت الأحزاب المدينة ، وطبق محمد النفس الزكية نفس الفكرة حين غزاها الجيش العباسي في عهد المنصور . وكان الفرس الشيعة يعتزون بسليمان الفارسي ويضعونه في مقدمة الصحابة وبعد علي بن أبي طالب وقد كان سليمان من شيعة علي .

(٣) الطبري : جـ ٧ ص ١٢٦ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٤٧ .

أراد أبو السرايا قصد البصرة أو واسط ، ولكنه علم في طريقه بسيطرة العباسين عليها . ومضى أبو السرايا يتجول بين البلدان المختلفة ، يجبي خراجها ويستولي على غلاتها ، حتى وصل الى اقليم الاهواز ، ودخل مدينة السوس . وكان يتولى حكم الأهواز الحسن بن علي المأموني ، فبعث الى أبي السرايا ينبئه أنه لا يريد قتاله ، وأنه عليه الانصراف عن الاهواز الى حيث أراد ، ولكن أبا السرايا أصر على قتاله ، فدارت معركة عنيفة ، انتهت بهزيمة أبي السرايا ، واصابته بجراح شديدة ، فاضطر الى الانسحاب ، وقد تفرق عنه معظم انصاره واتجه أبو السرايا نحو خراسان ، وبلغوا قرية (برقانا) ، وأقنعهم واليها حماد الكندفوش بأنهم اذا صحبوه الى الحسن بن سهل فانه يجتهد في أن يفوز لهم منه بالأمان (١) .

أمر الحسن بن سهل بضرب عنق أبي السرايا ، وطافوا بالرأس في معسكر الحسن وبعث بجسده الى بغداد حيث صلب . أما الزعيم العلوي محمد بن محمد فقد أبى الحسن بن سهل أن يبت في أمره . فقد تذكر بعض الاحداث السالفة حين قتل الخليفة هارون الرشيد وزيره جعفر البرمكي ثأراً منه لاقدامه على قتل ابن الأفطس(٢) بدون اذن الخليفة ، وبعث الحسن بن سهل بالزعيم العلوي الى الخليفة المأمون في خراسان ليرى فيه ما يراه ، وأبدى المأمون تعجبه من حداثة سن محمد بن محمد، وأمر له بدار يسكنها تحت رقابة رجال الخليفة،ويذكر الأصفهاني(٣) ان حياة العلوي لم تطل أكثر من أربعين يوماً « ثم دست اليه شربة » ، فمات مسموماً . وأحصت الدواوين عدد القتلى الذين لاقوا حتفهم في ثورة أبي السرايا ، فبلغ عددهم مائتا ألف رجل . وانسدل الستار على هذه الحركة الشيعية بعد أن استمرت عشرة شهور(٤) .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٧ .
(٢) وهو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .
(٣) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٤٩ .
(٤) الطبري : ج ٧ ص ١٢٣ .

فلسفة الثورة :

انتهت حركة ابي السرايا بالاخفاق . **وهذه الحركة تختلف تماماً عن حركات الشيعة التي شهدها العصر العباسي الأول** . فقد قام بتخطيط هذه الحركة وتوجيهها رجل من غير آل أبي طالب ولم يكن الزعيمان العلويسان اللذان قام أبو السرايا بحركته باسمهما الا رمزاً تتجمع الشيعة حوله ، أو ستاراً يستتر أبو السرايا خلفه ، ليخفي وراءه أطماعه في النفوذ والسلطة ، وحجة يتذرع بها للخروج على طاعة الدولة العباسية ، فيصبح في انظار المسلمين والشيعة داعية للبيت العلوي ونصيره ، وليس كما اعتبرته الدولة العباسية خارجاً على طاعتها. بينما تولى زعامة حركات الشيعة السالفة زعماء علويون راشدون ، اشتهروا بين قومهم بالعلم والتقوى والورع ، وقد تولوا بأنفسهم زعامة وقيادة حركاتهم.

كما تتميز حركة أبي السرايا عن حركات الشيعة السابقة ، بأنها اتخذت الكوفة مركزاً للثورة ، وهي أول مرة تشهد فيها الكوفة حركة علوية في العصر العباسي وقد شهدت حركة محمد النفس الزكية في الحجاز ، وحركة أخيه ابراهيم في البصرة ، ثم حركة يحيى بن عبدالله في بلاد الديلم ، وحركة اخيه ادريس في بلاد المغرب . فقد كانت اقامة الخليفة المنصور في الكوفة ، ثم اقامة الهادي والمهدي والرشيد في بغداد ، على مقربة من الكوفة ، حائلا دون قيام حركات شيعية فيها . وتغير الموقف في عهد الخليفة المأمون ، فقد كان لا يزال مقيماً في مرو في خراسان(١) ، مما شجع أهالي الكوفة على الثورة والانضمام الى حركة أبي السرايا .

اتسعت حركة أبي السرايا وبلغت حداً كبيراً من الخطورة والانتشار — كما روى الاصفهاني(٢) — بين الغالبية العظمى من أهالي الكوفة ، وبلغ عددهم اكثر

---

(١) اليعقوبي ج ٣ ص ١٧٦ ، ابن الأثير : الكامل ج ٣ ص ١١٢ .
(٢) مقاتل الطالبيين ص ٥٥١ .

من مائتي ألف – واستطاع أن يسيطر على كثير من مدن العراق والحجاز واليمن وحاز كثيراً من الانتصارات الحربية ، وهزم عدداً كبيراً من الجيوش العباسية وأثار قلق السلطات الحاكمة ، مما يجعلنا نتساءل عن عوامل اخفاق هذه الحركة.

منها عدم انتساب أبي السرايا الى البيت العلوي ، رغم دعوته للعلويين وشيعتهم به ، ولذا سارعت الشيعة الى تأييد زعماء علويين آخرين ، في مقدمتهم محمد بن جعفر الصادق ، مما أدى الى تفرق الشيعة بين مناصرة أبي السرايا ، وتأييد الزعماء من آل علي ، كما كان ماضي أبي السرايا يثير الشبهات والأقاويل ، فقد كان بالأمس القريب من رجال هرثمة بن أعين ، القائد العباسي ، ولولا حنق أبي السرايا على هرثمة لتأخر أرزاقه ، لاستمر على ولائه للعباسيين ، ولذا لم يقتنع كثير من المسلمين بصدق نواياه نحو البيت العلوي ، وقد كان بالأمس موالياً للبيت العباسي (١) .

ومن عوامل اخفاق هذه الحركة الشيعية ، انتقادها الزعيم العلوي المؤهل لقيادتها وتوجيهها . فقد كان الزعيم الأول محمد بن ابراهيم قد ركن الى الهدوء والسلام في المدينة ، ولولا تشجيع نصر بن شبيب ثم أبي السرايا له لما أقدم على طلب الخلافة . كما لازم المرض محمداً طوال اقامته بالكوفة ، مما جعله بعيداً عن الأحداث ، وأعطى ابا السرايا الفرصة للاستئثار بالأمور . وقبيل وفاة محمد بن ابراهيم ، عهد بالزعامة بعده الى علي بن عبدالله ، ولكن هذا آثر الهدوء والابتعاد عن تيارات السياسة وأخطارها ، فتنازل عن حقه ، دون أن يذكر مبرراً قوياً تقتنع به شيعته . ثم تولى الزعامة غلام من غلمان البيت العلوي ، ليس له بالأمور خبرة وتجربة ، مما أطلق يد أبي السرايا ، ولا شك أنه من اليسير علينا المقارنة بين هذا الحدث ، وبين زعماء الحركات الشيعية السالفة الذين كانوا من شيوخ العلويين ، وزعمائهم البارزين . وقد مر بنا كيف أبدى المأمون تعجبه من حداثة سن هذا الزعيم العلوي .

---

(١) الطبري : ج ٧ ص ١١٧ .

اتصفت هذه الحركة الشيعية بالعنف والقسوة والارهاب . مما أدى الى انصراف الكثير عن تأييدها ، ثم ما كان من اخفاقها . فروى الأصفهاني(١) أنه كان يطلق على زيد بن موسى العلوي اسم « زيد النار » ، وقد أطلق عليه « لكثرة ما حرق من الدور بالبصرة من دور بني العباس وأتباعهم ، وكان إذا أتي برجل من المسودة(٢) كانت عقوبته أن يحرقه بالنار »وحينما انهزم أبوالسرايا وانسحب إلى الكوفة « وثب محمد بن محمد ومن معه من الطالبيين على دور بني العباس ودور مواليهم وأتباعهم بالكوفة ، فانتهبوها وخربوها وأخرجوهم من الكوفة ، عملوا في ذلك عملا قبيحاً ، واستخرجوا الودائع التي كانت لهم عند الناس فأخذوها(٣) » .

وكان ما أقدم عليه الطالبيون وشيعتهم بمكة مما أثار عليهم مشاعر جميع المسلمين ، مما أدى الى نقمتهم على حركة الزعيمين العلويين ، وخاصة حينما جردوا الكعبة من كسوتها(٤) » ، فجردت منها حتى لم يبق عليها من كسوتها شيء وبقيت حجارة مجردة ، ثم كساها ثوبين من قز رقيق ، كان أبو السرايا وجه بها معه ، مكتوب عليها ، أمر به الأصفر بن الأصفر أبو السرايا ، داعية آل محمد ، لكسوة بيت الله الحرام ، وأن يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ليطهر من كسوتهم » ، وأساءت شيعة أبي السرايا الى بيت الله الحرام اساءة بالغة جرت عليهم حنق المسلمين وسخطهم ، فروى الطبري(٥) أنهم « جعلوا يحكون الذهب الرقيق الذي في رؤوس أساطين المسجد ، فيخرج من الاسطوانة ، بعد التعب الشديد ، قدر مثقال ذهب أو نحوه ، حتى عم ذلك

---

(١) مقاتل الطالبيين : ص ٥٣٤ وهو زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب .

(٢) المسودة : أي من العباسيين ، إذ اتخذوا اللون الأسود شعاراً لهم .

(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٦٩ — ١٧٠ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١١٢ — ١١٤ .

(٤) قبل عهد الخليفة المهدي ، كانت الكسوة الحديثة للكعبة توضع فوق الكسوة القديمة ، فاشتكى له حجاب الكعبة من تراكم الكساوى مما قد يؤثر في الكعبة ، فأمر المهدي بتجريد الكعبة من الكساوى القديمة ، وطلى الكعبة بالخلوق وكساها كسوة جديدة (الطبري : ج ٦ ص ٣٦٦) .

(٥) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .

أكثر أساطين المسجد الحرام ، وقلعوا الحديد الذي على شبابيك زمزم ، ومن خشب الساج ، فبيع بالثمن الخسيس » .

واستولى الطالبيون وشيعة أبي السرايا على ما في خزانة الكعبة من مال (١) ونشروا الارهاب في أرجاء مكة « حتى عم هذا خلقاً كثيراً ، وكان الذي يتولى العذاب لهم رجل من أهل الكوفة يقال له محمد بن معلم كان ينزل في دار يقال لها دار العذاب وأخافوا الناس حتى هرب منهم خلق كثير من أهل النعم ، فتعقبوهم بهدم دورهم» (٢) .

ورغم بلاء هرثمة في القضاء على حركة أبي السرايا ، فقد كانت هذه الحركة هي نهاية أمجاده . فقد اعتبر هرثمة استبداد الفضل بن سهل بشؤون الدولة هو سبب قيام الاضطرابات عامة ، وظهور حركات الشيعة خاصة ، ورأى أن يخرج الى مرو ليطلع الخليفة المأمون على ما يخفيه الفضل عنه من أحداث الدولة، ودس الفضل عند المأمون وأوغر صدره عليه ، فقال : « ان هرثمة قد أثقل عليك البلاد والعباد ، وظاهر عليك عدوك ، وعادى وليك ودب أبا السرايا وهو جندي من جنده ، حتى عمل ما عمل ، ولو شاء هرثمة ألا يفعل ذلك أبو السرايا ما فعله » . وصدق المأمون مقالة الفضل ، واعتقد أن أبا السرايا قد ثار بتحريض من هرثمة ، فقال المأمون لهرثمة حين مثل بين يديه : « مالأت أهل الكوفة والعلويين ، وداهنت ، ودسست الى أبي السرايا حتى خرج وعمل ما عمل ، وكان رجلا من أصحابك ، ولو أردت أن تأخذهم جميعاً لفعلت ، ولكنك أرضيت خناقهم » . وانتهى أمر هرثمة بسجنه ، ثم قتله(٣) .

(١) يرجع تاريخ هذه الخزانة إلى ابراهيم عليه السلام ، وكان الناذرون يضعون فيها نذورهم .
(٢) الطبري : ج ٧ ص ١٢٤ .
(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٣٠ – ١٣١ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٠٧ .

موقف حركة نصر بن شيث من العلويين :

قامت حركة عربية ضد الخليفة المأمون ، تزعمها نصر بن شيث ، وهو من بني عقيل وكان يقطن (بكوم) شمالي حلب . وكان عربياً شريفاً شهماً ، أبدى غضبه لمقتل الخليفة الأمين ، ونقم على المأمون لاعتماده على الخراسانيين دون العناصر العربية ، فأعلن الثورة على خلافة المأمون ، وتغلب على البلاد المجاورة وانضم اليه كثير من العرب وعبر نهر الفرات واراد السيطرة على الجانب الشرقي .

وهذه الثورة تخرج على نطاق بحثنا ، ولكن يهمنا الاشارة الى موقف نصر ابن شيث من العلويين والشيعة . فقد أراد بعض أنصار نصر تدعيم ثورته ، وصبغها بالصبغة العلوية الشيعية ، ضماناً لنجاحها .

قدم جماعة من الشيعة على نصر فقالوا له : قد وترت بني العباس وقتلت رجالهم فلو بايعت لخليفة كان أقوى لأمرك . فسألهم نصر : من أي الناس ؟ فأجابوا : نبايع لبعض آل علي بن أبي طالب . فرفض نصر الاقتراح وقال : أبايع بعض أولاد السوداوات فيقول انه خلقني ورزقني ؟ فتقدموا باقتراح آخر ، فعرضوا عليه البيعة لأحد الامويين ، فرفض نصر الفكرة وتمسك بولائه للعباسيين فقال : أولئك قوم قد أدبر أمرهم ، والمدبر لا يقبل أبداً ، ولو سلم على رجل دبر لاعدائي ادباره ، وانما هو أي في بني العباس ، وانما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم(١) . واستمر نصر في ثورته ، وفق مبادئه هذه حتى قضى العباسيون على ثورته سنة ٢١٠ هـ .

---

(١) الطبري : جـ ٧ احداث سنة ٢٠٥ هـ إلى سنة ٢١٠ هـ وابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ١٠١ وما بعدها .

٢ ـ حركة محمد الديباج بن جعفر الصادق

شهد عصر الخليفة العباسي المأمون حركة علوية شيعية أخرى ، اختلفت في مركز ثورتها وطابعها ، وتزعمها محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، الذي اشتهر باسم الديباج ، واتخذت هذه الحركة بلاد الحجاز مركزاً لها ، في سنة ٢٠٠ هـ .

الزعيم الجديد :

ومحمد الديباج ، هو ابن الامام جعفر الصادق ، امام الشيعة الامامية ، المتوفى سنة ١٤٨ هـ (١) . وقد أنجب جعفر عدة أبناء هم : محمد ، واسماعيل ، وعبدالله الأفطح ، وموسى ، واسحق ، وعلي(٢) . وذهبت جماعة من الشيعة الى أن محمداً هو الامام بعد أبيه جعفر الصادق ، ويستندون في ذلك على عبارات لجعفر قالها لشيعته حينما كان ابنه محمد لا يزال حديث السن ، اذ قال : « سمعت أبي(٣) يقول اذا ولد لك ولد يشبهني فسمه باسمي ، فهو شبيهي وشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » (٤) . ويطلق على هذه الجماعة ، التي ذهبت الى امامة محمد، اسم «الشميطية» نسبة الى يحيى بن أبي الشميط . وذكر المسعودي(٥) أن هؤلاء الشيعة « قد افترقوا فرقاً ، فمنهم من غلا ، ومنهم

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٩٠ .
(٢) ابن الصباغ : الفصول المهمة ص ٢١٢ .
(٣) وأبوه هو الامام محمد الباقر المتوفى سنة ١١٤ هـ .
(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٤ – ٦٥ ، الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ ص ١٦٧ .
(٥) المسعودي : مروج الذهب جـ ٤ ص ٢٦ .

من قصر ، وسلك طريق الامامية » . ولا يذكر الشهرستاني(١) أن لهذه الفرقة آراء خاصة ، تميزهم عن سائر فرق الشيعة ، سوى القول بامامة محمد .

وذهب فريق آخر من الشيعة الامامية ، الى أن الامامة قد انتقلت من جعفر الصادق الى ابنه عبدالله الأفطح(٢) ، حتى اذا مات عبدالله دون أن يخلف ولداً ذكراً ، قالوا بامامة أخيه موسى الكاظم ، كما ذهبت فرقة أخرى الى امامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقد درسنا افتراق الشيعة الامامية بعد موت الامام جعفر الصادق .

وصف الطبري (٣) محمد بن جعفر الصادق ، فقال عنه : « وكان شيخاً وادعاً محبباً في الناس مفارقاً لما عليه من أهل بيته من قبح السيرة ، وكان يروي العلم عن أبيه جعفر بن محمد، وكان الناس يكتبون عنه» . ووصفه الاصفهاني(٤) بقوله : « وكان فاضلا قدماً في أهله » . وكان يطلق على محمد بن جعفر اسم « الديباج » وذلك « لحسنه وبهائه وما كان عليه من البهاء والكمال(٥)» .

أسباب الثورة :

اختلف المؤرخون في أسباب قيام حركة محمد الديباج. فروى الطبري(٦) أن محمداً كان « يظهر صمتاً وزهداً » ، فاجتمع حوله شيعته وحثوه على

---

(١) كل ما قاله الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧) : « الشميطية : اتباع يحيى بن أبي شميط ، قالوا : ان جعفراً قال : ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم ، وقد قال له والده رضوان الله عليهما : ان ولد لك ولد فسميته باسمي فهو الامام ، فالامام بعده ابنه محمد »

(٢) كان عبدالله اكبر أولاد الامام جعفر (الشهرستاني : الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧) وسمي الأفطح لانفطاح في قدميه .

(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٥٣٧ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٧ .

(٦) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .

الخروج والبيعة له بالخلافة ، فقالوا له : « قد تعلم حالك في الناس فأبرز شخصك نبايع لك بالخلافة ، فانك ان فعلت ذلك لم يختلف عليه رجلان » ، ورفض محمد هذه الدعوة في أول الأمر فألح عليه ابنه علي ، وحسين بن حسن الأفطس « حتى غلبا الشيخ على رأيه ، فأجابهم ، فأقاموه يوم صلاة الجمعة بعد الصلاة لست خلون من ربيع الآخر ، فبايعوه بالخلافة » .

أما المسعودي(١) فقد ذهب الى أن محمد بن جعفر قد دعا في بدء أمره الى محمد بن ابراهيم بن طباطبا ، حتى اذا مات دعا لنفسه .

وروى الأصفهاني(٢) رواية جعلها سبب البيعة لمحمد الديباج بالخلافة ، فروى أن رجلا قد كتب كتاباً يسب فيه فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام وجميع أهل البيت ، وكان محمد بن جعفر معتزلا تلك الأمور ، لم يدخله في شيء منها ، فجاءه الطالبيون فقرأوه عليه فلم يرد عليهم جواباً حتى دخل بيته ، فخرج عليهم وقد لبس الدرع وتقلد السيف ، ودعا الى نفسه ، وتسمى بالخلافة » .

ونحن نعتقد أن اضطراب أحوال الدولة العباسية الذي ساد طوال اقامة الخليفة المأمون في مرو بخراسان ، بعيداً عن عاصمته بغداد ، وما كان من سخط كثير من أبناء البيت العباسي ، وعامة أهالي بغداد(٣) ، كان هذا كله مما شجع العلويين على حث محمد بن جعفر الصادق الى البيعة لنفسه بالخلافة » ، ونستند في رأينا هذا على رواية لصاحب الفخري(٤) اذ قال : « وكان بعض أهله — أي أهل جعفر — قد حسن له ذلك حين رأى الاختلاف ببغداد ، وما بها من الفتن وخروج الخوارج » .

(١) مروج الذهب : جـ ٤ ص ٢٦ .
(٢) مقاتل الطالبيين : ص ٥٣٨ .
(٣) ثار أهالي بغداد وبايعوا بالخلافة لابراهيم بن المهدي (ابن الأثير ، الكامل جـ ١ ص ١١١) .
(٤) الفخري ص ٢١٠ .

تمت البيعة لمحمد الديباج بالخلافة، وتسمى بأمير المؤمنين، ويقول المسعودي أنه « ليس في آل محمد من ظهر لاقامة الحق ممن سلف وخلف قبله وبعده من تسمى بأمير المؤمنين». وحشد العلويون جماعة من أهالي مكة، والمناطق المجاورة لها ليبايعوا لمحمد، « فأقام بذلك أشهراً وليس له من الأمر الا اسمه »(١). ويبدو أن الدولة العباسية كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية الكثيرة (٢)، فلم تبد اهتماماً بهذه الحركة، كما أن هذه الحركة كانت محدودة ولا تتصف بالخطورة فقد ظلت محصورة في مكة، ولم تنتشر الى سائر الأمصار.

الغروب :

ثم حدث أن قدمت قوات عسكرية من بلاد اليمن بقيادة اسحاق بن موسى العباسي وأدرك العلويون أنه لا بد من الصدام بينهم وبين العباسيين، واقترحوا على محمد الديباج القيام بحفر خندق حول مكة، وحشدوا عدداً من البدو والاعراب لحفر هذا الخندق. وحدثت مفاوضات بين العلويين والقوات العباسية، وكره اسحاق القتال وأراد العودة الى بلاد العراق. وفي الطريق، التقى ببعض الجند العباسيين بقيادة ورقاء بن جميل، فحثه ورقاء على العودة والتعاون معاً من أجل القضاء على هذه الحركة الشيعية. وحشد محمد بن جعفر قواته لملاقاة الجند العباسيين، ووصف الطبري(٣) هذه القوات فقال انها كانت تضم غوغاء أهل مكة، وبعض السودان(٤) الذين يعملون في حمل المياه بمكة، الى جانب بعض البدو، والتقى الفريقان عند بئر ميمون، ودارت

---

(١) مروج الذهب : ج ٤ ص ٢٧ .

(٢) كان المأمون كالمحجور عليه في قصر بمرو بخراسان، وكان الفضل بن سهل يكتم عنه أنباء الاضطرابات في الدولة (اليعقوبي، ج ٣ ص ١٧٦) .

(٣) الطبري، ج ٧ ص ١٢٦ .

(٤) كان بمكة كثير من السودان الأرقاء، الذين يتطلعون إلى التحرر، وقد انضم بعضهم إلى حركة الحسين بن علي بالمدينة بعد ان وعدهم بالحرية والتحرر .

معركة لمدة يومين انتهت بهزيمة اصحاب محمد بن جعفر . وبعث محمد برجل من قريش ، فيهم قاضي مكة يسألون لهم الامان من العباسيين ، على أن يغادروا مكة الى حيث شاءوا من الأمصار فأجابهم اسحاق وورقاء الى طلبهم ، وامهلاهم ثلاثة أيام يغادرون فيها مكة .

وفي اليوم الثالث ، دخل العباسيون مكة ، وغادرها العلويون، الذين تفرقوا وقصدت كل جماعة مصراً من الأمصار . وخرج محمد بن جعفر الى طريق الموصل ثم الى جدة . وفي الطريق ، هاجمه بعض عبيد العباسيين فانتهبوا ماله ومتاعه ، وكادوا يقتلونه لولا أن أسرع يشد الرحال ، حتى قـــدم الى بلاد جهينة(١) على ساحل البحر الأحمر ، فأقام بها حتى انتهى موسم الحج ، ونجح في حشد بعض الأنصار . وعلم هارون بن المسيب ، والي المدينة ، بنشاط محمد ابن جعفر ، فرأى أن يقف منه موقفاً حازماً ، فبعث اليه بقوات عسكرية ، التقت بأنصار محمد بن جعفر عند الشجرة ، ودار قتال انتهى بهزيمة محمد واصابته في عينه ، ومقتل كثير من أنصاره . وانسحب محمد بن جعفر الى بلاد جهينة ، يحاول جمع المزيد من الأنصار ، ولكنه لم يوفق في مساعيه فخرج الى معسكر عيسى بن زيد الجلودي ، رئيس القوات العسكرية المصاحبة لقوافل الحجاج ، يطلب منه الأمان ، فأمنه وصحبه الى مكة في اليوم العشرين من ذي الحجة(٢) .

احتشد الناس في المسجد الذي كانت تمت فيه بالأمس البيعة بالخلافة لمحمد ابن جعفر ، ليشهدوا اليوم اعلانه خلع نفسه منها ، ووقف محمد على المنبر ، وعليه قباء أسود وقلنسوة سوداء ، يخطب : « أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب ، فانه كان لعبدالله المأمون أمير المؤمنين في رقبتي بيعة بالسمع والطاعة طائعاً غير مكروه وكنت أحد الشهود الذين شهدوا غسل الكعبة في الشرطين

(١) أيدت جهينة ثورة محمد النفس الزكية في عهد المنصور .
(٢) الطبري : ج ٧ ص ١٢٦ ، اليعقوبي : ج ٣ ص ١٨٣ .

لهارون الرشيد على ابنه محمد المخلوع (١) وعبدالله المأمون امير المؤمنين ، الا وقد كانت فتنة غشيت عامة الأرض منا ومن غيرنا ، وكان نمي الي خبر أن عبدالله المأمون أمير المؤمنين قد توفي ، فدعاني ذلك الى أن يبايعوا لي بإمرة المؤمنين ، واستحللت قبول ذلك لما كان علي من العهود والمواثيق في بيعتي لعبدالله عبدالله الامام المأمون ، فبايعتموني ، أو من فعل منكم ، الا وقد بلغني وصح عندي أنه حي سوي ، ألا وإني استغفر الله مما دعوتكم اليه من البيعة له وقد خلعت نفسي من بيعتي التي بايعتموني عليها ، كما خلعت خاتمي هذا من اصبعي ، وقد صرت كرجل من المسلمين ، فلا بيعة لي في رقابهم ، وقد أخرجت نفسي من ذلك ، وقد رد الله الحق الى الخليفة المأمون (٢).

وغادر العباسيون مكة سنة ٢٠١ هـ يحملون محمد بن جعفر وسلموه الى الحسين بن جهل ، الذي بعث به الى المأمون في مرو وبعد فترة توفي محمد بن جعفر ، واشترك المأمون في تشييع جثمانه الى القبر ، وقال المأمون وهو يضعه في لحده : « هذه رحم مجفوة منذ مائتي سنة » ، وقضى المأمون الديون التي كانت على محمد بن جعفر ، فبلغت نحواً من ثلاثين ألف دينار» (٣) .

وهكذا انتهت هذه الحركة الشيعية المحدودة . وقد أجمع المؤرخون على أن وفاة محمد بن جعفر كانت طبيعية ، فلم يلحق به ما لحق بأسلافه الزعماء العلويين الذين سجنوا أو عذبوا أو قتلوا بالسم .

تتفق هذه الحركة الأخيرة مع معظم الحركات الشيعية السابقة في افتقادها دقة التنظيم ، واهمال الدعوة في الأمصار ، وحشد الأنصار ، والاستعداد الكامل لمواجهة العباسيين ، فكان مصيرها كلها الاخفاق ، كما تتفق حركة

---

(١) أي محمد الأمين .
(٢) الطبري : جـ ٧ ص ١٢٦-١٢٧ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ١١٢ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٤١ ، الغمري ص ١٦٥ .

محمد بن جعفر مع بعض حركات الشيعة الأخرى في قيامها في بلاد الحجاز(١). واختلف مصير محمد بن جعفر عن مصير أسلافه الزعماء العلويين ، فقد مات ميتة طبيعية ، بينما لقي الآخرون حتفهم في ساحات القتال أو في سجون العباسيين .

وهناك عوامل خاصة أدت الى اخفاق حركة محمد بن جعفر ، أولها تردد محمد بن جعفر في الدعوة لنفسه بالخلافة ، وكراهيته لذلك ، فيجمع المؤرخون أن طلبه البيعة كان نتيجة الحاح آل أبي طالب عليه ، وقد سبق لنا أن ذكرنا رواية الطبري(٢) التي تصف محمد بن جعفر بالوداعة والزهد في الخلافة . كما روى الأصفهاني(٣) أن محمد بن جعفر كان قد اصاب أحد عينيه شيء ، فأبدى سروره وقال : « لأرجو أن أكون المهدي القائم ، وقد بلغني أن في احدى عينيه شيئاً وأنه يدخل في هذا الأمر وهو كاره له . وكان محمد بن جعفر هو الزعيم العلوي الوحيد ، في العصر العباسي الذي وقف على المنبر في مكة يعلن خلع نفسه من إمرة المؤمنين ، رغم أنه أول من اتخذ منهم اللقب .

ومن عوامل اخفاق حركة محمد بن جعفر ، اعتماده على بعض الانصار ، من ذوي السيرة السيئة ، مما أغضب أهالي مكة ، وصرف عنه المؤيدين ، فروى الطبري(٤) : « ... وابنه علي وحسين بن حسن الافطس ، وجماعة منهم ، أسوأ ما كانوا سيرة وأقبح ما كانوا فعلا .. » ثم روى الطبري روايتين حول علي وحسين ، فروى أن علي بن محمد بن جعفر خطف غلاماً هو ابن قاضي مكة ، كان بارعاً في الجمال ، بعد أن اقتحم الدار بالقوة ، وخرج به الى بئر ميمون ، وأبدى أهل مكة غضبهم ، فاحتشدوا في المسجد الحرام ، وأغلقت

(١) قامت حركة محمد النفس الزكية والحسين بن علي في الحجاز .
(٢) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .
(٣) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٣٩ .
(٤) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .

الحوانيت ، وانضم اليهم سائر الحجاج ، وهدد الناس محمد بن جعفر بالخلع والقتل ان لم يعد ابنه الغلام المخطوف ، واضطر محمد الى الاعتصام بداره ، وخاطب الناس من نافذة الدار ، فأنكر علمه بما أقدم ابنه عليه ، وطلب منهم الأمان حتى يخرج الى ابنه ويعيد الغلام الى ابيه . كما روى الطبري أيضاً أن حسين بن حسن الافطس راود زوجة رجل من بني مخزوم عن نفسها ، فأبت عليه ، فأخاف زوجها وأمر بطلبه ، فاختفى وتوارى عن الانظار ، وبعث حسين بجماعة من أصحابه ليلا اقتحموا الدار واختطفوا الزوجة ، وظل حسين محتفظاً بها حتى أتيح لها فرصة الهروب ، فعادت الى أهلها(١) . كما تحدث صاحب الفخري(٢) عن محمد بن جعفر فقال انه « وكان الغالب على أمره ابنه وبعض بني عمه ، فلم يحمد سيرتهما » .

تردد بعض أهل مكة في البيعة لمحمد بن جعفر بالخلافة ، كما لم يتمسك من بايعوا له بولائهم وتأييدهم فروى الطبري(٣) أن الطالبيين «حشروا اليه — اي الى محمد بن جعفر — الناس من أهل مكة والمجاورين ، فبايعوه طوعاً وكرهاً» ، كما تحدث الطبري عن تخاذل بعض أهل مكة عن مناصرة محمد بن جعفر .

* * *

---

(١) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ — ١٢٦ .
(٢) الفخري : ص ٢٠١ .
(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٢٥ .

٣ـ موقف الشيعة من بيعة المأمون للامام علي الرضا بولاية العهد

في سنة ٢٠١ هـ ، أقدم الخليفة المأمون على قرار خطير . اذ استدعى اليه الامام علي الرضا ، وبايعه بولاية العهد، وأعلن أنه يعيد الحق الى نصابه، وأنه يصل الأرحام التي قطعت منذ سنوات عديدة(١) . ولقد شهدنا حركات شيعية ثورية كثيرة منذ قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، تهدف الى دفع أئمة علويين الى الخلافة ، بقوة السلاح والثورة . كما شهدنا مؤامرات ومحاولات من بعض الوزراء العباسيين لتحويل الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي ،كمحاولات أبي سلمة الخلال في عهد أبي العباس(٢) ، ويعقوب بن داود في عهد المهدي(٣) والبرامكة في عهد الرشيد(٤) . ولكننا نرى في عهد المأمون خليفة عباسياً ، يحول الخلافة ، برغبته واختياره، وبطريق سلمي ، الى امام علوي ، هو امام فرقة من أكبر فرق الشيعة ، وهي فرقة الامامية الاثني عشرية(٥) .

---

(١) قال الجهشياري : « وكان المأمون قد جد في تجديد العهد لعلي الرضا ، وتقدم إلى الفضل بأخذ البيعة على الناس والكتابة إلى الأقاليم في أبطال السواد ، وكتب الفضل إلى أخيه الحسن يعلمه بذلك ، ويأمره بطرح السواد ، وأن يلبس الخضرة ويجعل الأعلام والقلانس خضراء ، ويطالب الناس بذلك وكاتب فيه جميع عماله » (الوزراء والكتاب ص ٣١٢) .

(٢) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٦٨ ، الفخري ص ١٣٧ .

(٣) الطبري : جـ ٦ ص ٣٨٥ — ٣٨٦ ، ابن الأثير : الكامل جـ٦ ص ٢٤ — ٢٥ ،الفخري : ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٧٠ ، الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص ٢٤٣ ، الفخري ص ١٤٠ .

(٥) الكليني : أصول الكافي ص ٩٣ وما بعدها .

تساؤلات حول الحقيقة التاريخية :

– وهذا يجعلنا نتساءل : هل كان ما أقدم عليه المأمون من البيعة لهـــذا الامام بولاية العهد هو رد فعل لحركات الشيعة التي شهدها العصر العباسي عامة وعصر المأمون خاصة ؟ .

– وهل أصبح الشيعة يمثلون قوة سياسية كبيرة بحيث وقف المأمون على خطورتها على الدولة فرأى استمالة الشيعة بالبيعة لأحد أئمتهم البارزين ؟

– وهل كان المأمون صادقاً فيما أقدم عليه ؟ وهل كان مدفوعاً باقتناعه بأحقية البيت العلوي بالخلافة ؟ أم كان ذلك وسيلة سياسية لتدعيم نفوذه وتثبيت أركان خلافته ؟

قبل الاجابة على هذه التساؤلات ، نبدأ باستعراض بعض آراء المؤرخين والكتاب ، سنيين وشيعيين ، حتى نستطيع أن نستشف من بين السطور **الدوافع الحقيقية لبيعة المأمون لعلي الرضا بولاية العهد** . فيذكر الطبري(١) أن الدافع للمأمون هو أنه « نظر في بني العباس وبني علي ، فلم يجد أحداً هو أفضل ولا أورع ولا أعلم منه » . ويروي الأصفهاني(٢) أن المأمون كان خلال صراعه مع أخيه الأمين قد عاهد الله أن ينقل الخلافة الى أفضل آل أبي طالب ، وأن علي الرضا هو أفضل العلويين . ويذهب السيوطي(٣) مذهباً بعيداً ، فيرى أن المأمون قد « حمله الى ذلك افراطه في التشيع ، حتى قيل أنه هم أن يخلــع نفسه ويفوض الأمر اليه » أي الى علي الرضا .

وأبدى الفخري(٤) رأياً صريحاً ، فقال إن المأمون « فكر في حال الخلافة

---

(١) الطبري : جـ ٧ ص ١٣٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص ١١١ ، اليعقوبي جـ ٣ ص ١٧٦ .
(٢) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٦٣ .
(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ .
(٤) الفخري ص ١٩٨ .

بعده وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته ، كذا زعم » . ثم روى صاحب الفخري أيضاً أن علي الرضا امتنع في أول الأمر عن قبول البيعة له بولاية العهد ، اذ لم يكن مقتنعاً بالأمر ، شاكاً فيه ، فقد قال علي : « اني قد أجبت امتثالا للأمر ، وان كان الجفر (١) والجامعة(٢) يدلان على ضد ذلك » .

ويرى أحد كتاب الشيعة المحدثين (٣) أن المأمون كان مدفوعاً في البيعة لعلي الرضا بولاية العهد بدافع سياسي هو حماية مصالح الدولة العباسية ، فقال : ان المأمون من رجال الدهاء والسياسة ، فلما رأى انتشار التشيع في الآفاق وثبات العلويين في أطراف البلاد ، وسريان التشيع الى بلاطه ، خشي من عقبى هذه النزعة العلوية على سلطانه ، فرأى أن يكيد لهذه التوثبات التي ظهر بها بعض العلويين ».. والكامنة في نفوس الآخرين .

ويرى كاتب شيعي آخر (٤) أن سبب البيعة لعلي الرضا بولاية العهد ، هو وضعه تحت رقابة الخليفة ومنعه من القيام بحركة علوية جديدة ، فقال : ان المأمون لما رأى الامام معظم في أعين الناس ، والشيعة يزداودن انتشاراً واتساعاً ، حتى دب التشيع في أركان الدولة ، أحس أن الخطر قد أحدق به ، فاستدعى الامام الى مقر ملكه بخراسان ، واظهر أنه سيوليه الأمر من بعده ليكون تحت

---

(١) الجفر : هو علم الغيب ، وقد نسب غلاة الشيعة إلى الامام جعفر الصادق معرفة الغيب ، وأنه وضع أسس (علم الجفر) وهو علم له أصول وقواعد وأنواع من الحساب إذا جمعت وفرقت عرفت منها أحداث المستقبل ، وقد دون جعفر كتاب الجفر على جلد ثور صغير ، وقد أخذ هارون بن سعيد العجلي هذا العلم . ولفظ الجفر معناه الجلد (مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٤) .
وهناك من يقول أن كتاب الجفر من ميراث علي بن أبي طالب ، ومن يقول بأنه من وضع جعفر الصادق ، (الدميري : حياة الحيوان ج ٢ ص ١٠٣) ، وتوارث العلويون كتاب الجفر حتى صار إلى بني عبد المؤمن ببلاد المغرب (ابن الصباغ : الفصول المهمة ص ٢٠٥).

(٢) الجامعة : وهو كتاب منسوب إلى علي بن أبي طالب وهو يشبه كتاب الجفر الذي سبق الحديث عنه (أعيان الشيعة ج ٤ القسم الثاني ص ١٦٧) .

(٣) المظفري : تاريخ الشيعة ص ٥١ .

(٤) السيد هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ١٦١ .

رقابته في العاصمة التي اتخذها مقراً لعرشه . ويرى الدكتور النشار (١) أن المأمون أدرك خطورة الدعوة الاسماعيلية فأراد أن يقضي عليها . وكان الامام عبدالله الرضى قد بدأ نشاطاً واسعاً ، ولذا قرب المأمون اليه علي الرضا وبايعه بولاية العهد .

إجابات على التساؤلات :

هذه هي آراء بعض المؤرخين والكتاب ، عرضناها لتقف على وجهات النظر المختلفة . ونستطيع الآن أن نقف منها جميعاً موقفاً وسطاً ، فنقول إن المأمون كان من أفاضل الخلفاء العباسيين ، وأنه كان ينظر الى علي بن أبي طالب نظرة تقدير وأنه كان لا يرغب في اراقة دماء العلويين ، ولا يريد أن يذهب مذهب أسلافه من الخلفاء العباسيين في اضطهاد الشيعة وتتبعهم ، وأنه كان يود التقرب بين فرعي البيت الهاشمي العباسيين والعلويين ، ويضع حداً لهذا العداء التقليدي(٢) . ولكننا نرى من ناحية أخرى ، أن اقدام المأمون على البيعة لعلي الرضا بولاية العهد ، ونقله بذلك الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي ، كان بدوافع سياسية ، اذ أراد تدعيم خلافته ، وتجنب قيام المزيد من الحركات الشيعية في وجهه ، كما أراد إرضاء أهل خراسان(٣) وقد تحقق من ميولهم العلوية ، وتخليص الدولة العباسية من مشاكلها الداخلية .

كان المأمون من خيرة الخلفاء العباسيين ، فقد قال المسعودي عنه أنه جمع بين « عزم المنصور ، ونسك المهدي ، وعزة نفس الهادي(٤) » . وقد وصفه

---

(١) النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام جـ ٢ ص ٣٩١ .

(٢) ابن طولون : الشذرات الذهبية ص ٩٧ .

(٣) كان المأمون قد اتخذ مرو بخراسان مركزاً لخلافته ، ويعتبر الدكتور الدوري (العصر العباسي الأول ص ٢١٤) ذلك مظهراً لسياسة جديدة انتهجها المأمون ، ثم كان تحول المأمون إلى بغداد بعد ست سنوات انقلاباً سياسياً على السياسة التي تمثلها العاصمة الأولى مرو .

(٤) المسعودي : مروج الذهب جـ ٤ ص ٥ .

صاحب الفخري(١) بقوله : « كان المأمون من أفاضل خلفائهم وعلمائهم وحكمائهم وحلمائهم ، وكان فطناً شديداً كريماً » وقال السيوطي عنه : « وكان أفضل رجال بني العباس حزماً ، وعزماً ، وحلماً ، وعلماً ، ورأياً ، ودهاء ، وهيبة ، وشجاعة ، وسؤدداً ، وسماحة(٢) ، واشتهر بالعفو ومقته للانتقام واراقة الدماء . وبدت هذه الروح السمحاء في عفوه عن الفضل بن الربيع ، وزير أخيه محمد الأمين ،رغم ما أبداه الفضل من عداء شديد للمأمون(٣) كما بدا هذا التسامح في معاملته لزعماء العلويين الذين ثاروا ضده ، فقد عفا عن محمد بن محمد بن زيد ، وأسكنه داراً ، كما عفا عن محمد بن جعفر الصادق واشترك في تشييع جنازته وقام بسداد ديونه(٤) ، كما عفا المأمون أيضاً عن عبد الرحمن بن أحمد العلوي الذي أعلن الثورة في بلاد اليمن(٥) ، بينما شهدنا ما أنزله أسلافه من الخلفاء العباسيين بالعلويين من ألوان التنكيل والاضطهاد .

تولى المأمون الخلافة في فترة قلقة حرجة ، سادت فيها الاضطرابات والقلاقل في أرجاء الدولة. وقد بدأت هذه الفترة المضطربة منذ عهد الخليفة هارون الرشيد بولاية العهد الى ابنه الأمين سنة ١٧٣ هـ فقدمه على المأمون رغم صغر سنه ، وقد ندم الرشيد على ذلك في أواخر عهده(٦) ، حيث كان المأمون أكثر صلاحية لتولي الخلافة من الأمين ، فضلا عن أنه أكبر سناً ، وفي سنة ١٨٣ هـ بايع الرشيد لابنه المأمون وولاه من حد همذان الى آخر الشرق . وعبر الرشيد عن ندمه في تقديم الأمين ، فقال للاصمعي : « قد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره

---

(١) الفخري : ص ١٩٧ .
(٢) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٦ .
(٣) بعد مصرع الأمين استتر وزيره الفضل بن الربيع في رجب سنة ١٩٦ ، وأنشد أحد الشعراء : أضاع الخلافة غش الوزير . . . وفسق الأمير وجهل المشير (الجهشياري : ص ٣٠٦ — ٣٠٧ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٨١) .
(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٤١ ، الفخري : ص ١٦٥ .
(٥) الطبري : جـ ٧ ص ١٦٨ — ١٦٩ .
(٦) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٧٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ١٣٨ .

الى من أرضى سيرته ، وأحمد طريقته وأثق بحسن سياسته ، وآمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله ، وبنو هاشم مائلون الى محمد بأهوائهم ، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه ، والتصرف مع طويته ، والتبذير لما أحوته يده ، ومشاركة النساء والاماء في رأيه . وعبدالله المرضي الطريقة الأصيل الرأي الموثوق به في الأمر العظيم ، فان ملت الى عبدالله أسخط بني هاشم ، وان أفردت محمد بالأمر لم آمن تخليطه على الرعية(١) .

وهذه العبارات التي قالها الرشيد للأصمعي توضح ميل بني هاشم للبيعة للامين ، وكان الرشيد يقصد ببني هاشم أبناء بيت العباس . وقد رأى المأمون بعد توليته الخلافة بعد مصرع الأمين عدم جدوى استمالة العباسيين ، وقد بدأت بوادر خروج المنصور وابراهيم ابني المهدي عليه ، ولذا رأى المأمون أن يتحول الى الفرع الآخر من بني هاشم وهم العلويون ، فكانت بيعته لعلي الرضا أبرز رجالات البيت العلوي حينئذ بولاية العهد .

لم يقتصر الرشيد على توليته ابنيه الأمين والمأمون العهد ، بل قد تعدى الأمر الى ابنه القاسم الذي ولاه عهده بعد الأمين والمأمون وسماه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم . وهكذا قسم الرشيد الدولة العباسية بين أبنائه الثلاثة ، وهيأ بذلك عوامل المنافسة والحسد بين هؤلاء الأخوة ، وغرس بذور الفتنة التي قامت بين الأمين والمأمون ، وأضعفت الحزب العباسي ، وهيأت السبيل لتقوية الحزب العلوي في عهد المأمون(٢) .

وصف الطبري(٣) آراء عامة الناس بعد تولية الرشيد عهده لأولاده فقال : « ولما قسم الأرض بين أولاده الثلاثة ، قال بعض العامة قد أحكم أمر الملك ،

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٦٣ .
(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ١٦٠ .
(٣) الطبري : ج ٦ ص ٦٠٣ .

وقال بعضهم بل ألقى بأسهم بينهم وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة على الرعية» . وقال عربي عند الكعبة بعد أن أمر الرشيد بتعليق عهد البيعة بولاية العهد : « ان السيوف ستسل ، والفتنة ستقع ، والتنازع في الملك سيظهر(١) » .

ولا شك أن الشيعة قد قرت عيونهم لما وقع من خصام وقتال بين الأمين والمأمون ومن انقسام بين رعايا الدولة العباسية حول تفضيل أحد الأخوين ، فكانت دعوة الشيعة تزداد انتشاراً ، كما بدأ زعماء البيت العلوي نشاطهم الذي تحدثنا عنه في هذا الباب من هذا البحث ، فقد حفل عهد المأمون بكثير من حركات الشيعة .

كانت البيعة لعلي الرضا بولاية العهد ترضي مشاعر أهل خراسان ارضاء تاماً ، ولا شك أن ذلك الدافع كان في مقدمة الدوافع التي حدت بالمأمون الى البيعة لهذا الزعيم العلوي بولاية عهده . وقد ارتبط المأمون بخراسان ارتباطاً وثيقاً ، فقد كانت أمه أم ولد خراسانية تسمى مراجل(٢) ، وقد ولاه أبوه الرشيد ولاية خراسان والأطراف الشرقية من الدولة العباسية ، حيث أمضى مرحلة شبابه كلها . وقد اشتهر المأمون في خراسان بالعدل والتقوى والورع مما جذب اليه قلوب أهل خراسان . ثم قامت الفتنة بين الأمين والمأمون بعد أن رأى الامين أن ينكث العهد والميثاق اللذين أخذهما على نفسه ، وأن يخلع أخاه الأمين من ولاية العهد(٣) ، ويعهد بها الى ابنه الصغير موسى الذي سماه «الناطق بالحق»(٤) ، وقد أثار الامين بذلك مشاعر اهل خراسان وغيرهم من أهالي الأمصار الاسلامية ، وخاصة أهالي الحجاز .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ج٣ : ص ٣٦٤ .

(٢) كانت أم الامام علي الرضا أيضاً أم ولد ، ويذكر المظفري (تاريخ الشيعة ص ٥٤) أن الامام موسى الكاظم اشترى هذه الجارية بعد أن رأى جده محمد الباقر وأباه جعفر الصادق في المنام يأمرانه بشراء هذه الجارية ، وقد أطلعاه على صورتها لتلد له خير أهل الأرض في زمانه .

(٣) اليعقوبي : ج ٣ ص ١٦٦ (٤) الجهشياري : كتاب الوزراء والكتاب ص ٣٩٢ .

وكانت الفتنة بين الأمين والمأمون في الحقيقة جهاداً حزبياً بين الفرس أنصار المأمون من ناحية ، وبين العرب أنصار الأمين من ناحية أخرى . وقد قاد أمر هذا النزاع الفضل بن سهل وزير المأمون ، وكان فارسياً ، والفضل بن الربيع وزير الأمين وكان عربياً(١) .

انضمت العناصر الفارسية والخراسانية الى المأمون ، بينما انضمت العناصر العربية الى الأمين . وأدرك المأمون أنه لا جدوى من استمالة هذه العناصر العربية التي اتخذت منه موقفاً عدائياً . وقد وضح هذا العداء في صراعه مع أخيه الأمين ، وفي ثورة نصر بن شيث الذي ثار غضباً لمقتل الأمين ، وأعلن سخطه على المأمون لاعتماده على العجم دون العرب(٢) .

ولذا أصبح المأمون منساقاً الى تيار ممالأة أهل خراسان وفارس ، وكان من العسير عليه أن يتحول عن هذا الطريق .

بويع المأمون بالخلافة بيعة عامة ببغداد سنة ١٩٨ هـ بعد قتل أخيه (٣) وكان يقيم وقتذاك في الري ، ثم انتقل الى مرو بخراسان ، وأبقى الفضل بن سهل وزيراً له ، ولقبه ذا الرياستين لجمعه بين السيف والقلم(٤) ، وأسند الى أخيه الحسن بن سهل أمر العراق(٥) ، وبذلك أصبح المأمون في الواقع في محيط فارسي ، فأهل خراسان من الفرس ، وبنو سهل يريدون تسيير دفة الدولة ، وعادت الحال الى ما كانت عليه في أوائل عهد الرشيد حين استحوذ البرامكة على السلطة(٥) .

---

(١) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام جـ ٢ ص ١٦١ .
(٢) الطبري : جـ ٧ ص ١٥٩ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٠١ .
(٣) اليعقوبي : جـ ٣ ص ١٦٦ .
(٤) جعل المأمون للفضل بن سهل لقب الامارة مع لقب الوزارة ، وهو أول وزير يجمع له اللقبين (الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣٠٦) .
(٥) كما عهد المأمون إلى الحسن بن سهل بديوان الخراج (ابن الا ثير : الكامل جـ ٦ ص ٨٥ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣٠٥) .
(٦) جمال سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ص ٢٢٧ .

وقد اشتهر أهل خراسان وفارس ، طوال عهدهم ، ومنذ الفتح العربي بميولهم العلوية ، وحبهم وتقديرهم لآل علي بن أبي طالب . ولذا رأى المأمون أنه لا مفر من ارضاء مشاعرهم ، وقد أصبحوا عماد خلافته ودولته ، وكانت البيعة لأحد العلويين خير ارضاء لاهوائهم .

وكان التشيع قد انتشر في أرجاء الدولة العباسية ، وطمع كثير من الطالبيين في الخروج على الدولة ، وقد شهدنا قيام حركات شيعية عديدة في عهد المأمون ، أكثر مما شهدناه في عهد أسلافه وخلفائه . بل امتدت جذور التشيع الى بلاط الخلافة فكان الفضل بن سهل ، ذو الرياستين ، وزير المأمون شيعياً(١) . كما كان لطاهر بن الحسن قائد المأمون الذي قضى على أخيه الأمين ، ميول شيعية . ويروي ابن الأثير(٢) أن الطاهريين كانوا كلهم شيعة ، فيذكر عند حديثه عن حرب سليمان بن عبدالله الطاهري مع الحسن بن زيد الذي ثار في طبرستان : « تأثم سليمان عن قتاله لشدته في التشيع » .

لم يجد المأمون بدأ من ارضاء مشاعر الفرس الذين كانوا يقدرون آل علي ابن أبي طالب ويعطفون عليهم . فكان المأمون يبدي احترامه لذكرى علي ، ويشيد بمعاملة العلويين للعباسيين ، فيروي السيوطي(٣) أن المأمون أجاب على سؤال وجهه أحدهم اليه عن سبب عطفه على العلويين ، فقال : « انما فعلت ما فعلت لأن أبا بكر لما ولي ، لم يول أحداً من بني هاشم شيئاً ، ثم عمر ، ثم عثمان كذلك ثم ولي علي فولى عبدالله بن عباس البصرة ، وعبيد الله اليمن ، وسعيداً مكة ، وقثم البحرين ، وما ترك أحداً منهم حتى ولاه شيئاً ، فكانت هذه هي أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت » .

---

(١) دونلدسن : عقيدة الشيعة ص ١٩٠ .
(٢) الكامل : ج ٧ ص ٤٠ (حوادث سنة ٢٥٠ هـ) .
(٣) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٨ .

ومن مظاهر تقرب المأمون الى أهل خراسان أيضاً ، اقامته في مرو ، مما أدى الى اضطراب الأمور في بلاد العراق عامة ، وفي بغداد خاصة . وتحدث الناس بالعراق بينهم أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون ، وأنه قد انزله قصراً حجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قواده من الخاصة والعامة ، وأنه يبرم الأمور على هواه ، ويستبد بالرأي دونه ، فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ووجوه الناس(١) .

نسب المرحوم الشيخ الخضري تولية المأمون علياً الرضا عهده الى رغبة الخليفة في ارضاء الفرس ، فقال : « كان الفرس يعجبهم أن يكون امام المسلمين علوياً ، وطالما قاتلوا في سبيل رجوع السلطان الى بني علي ، وهذه فرصة يأخذون فيها الخلافة من غير حرب ولا قتال ، وساعد على ذلك ما كان يراه المأمون نفسه من تفضيل علي بن أبي طالب على غيره من الخلفاء الراشدين ، وأنه كان أحق بالخلافة منهم . ولا نرى ذلك جاء المأمون الا من البيئة التي تربى فيها ، فانه كان من أول أمره في حجر جعفر البرمكي ، ثم انتقل الى الفضل ابن سهل وكلهم ممن يتشيع ، فاختمرت عنده هذه الفكرة على غير ما كان عليه آباؤه(٢) .

ومن العوامل التي دفعت المأمون الى التقرب من البيت العلوي وشيعتهم ما لمسه المأمون من عداء البيت العباسي له . فيذكر الطبري من بين أحداث أول سنة ٢٠١ هـ وقبل البيعة لعلي الرضا ، ما كان من « مراودة أهل بغداد منصور ابن المهدي على الخلافة »(٣) وقد امتنع منصور عن تولي الخلافة ، ولكنه قبل أن يصبح أميراً على بغداد . الى جانب عداء ابراهيم بن المهدي وغيره من

---

(١) الطبري : ج ٧ ص ١١٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ ، الفخري ص ١٧٣ .
(٢) تاريخ الأمم الاسلامية ج ٢ ص ١٨١ .
(٣) الطبري : ج ٧ ص ١٣٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ .

العباسيين للمأمون (١) ، فقد كان بعضهم يتطلع الى الخلافة منتهزاً فرصة هذه الاضطرابات التي سادت الدولة ، وقد أعلنوا عصيانهم للحسن بن سهل والي المأمون على بلاد العراق(٢) .

البيعة لعلي الرضا بولاية العهد :

كان المأمون موفقاً في اختيار ولي عهده ؛ فهو ابن الامام موسى الكاظم وكان مولده في المدينة سنة ١٥٣ هـ (٣) ، واشتهر بالعلم والتقوى والورع . وعاش علي في حياة أبيه خمساً وثلاثين سنة ، معظمها في عهد الرشيد يرقب من بعيد ما يحل بأبيه موسى على يد الرشيد (٤) ، وقد لجأ علي الى التقية والكتمان لينجو بنفسه من المصير الذي انتهى أبوه اليه . وعاش علي بعد أبيه عشرين سنة وهو الامام بعد أبيه ، واختلفت آراء الشيعة ، وكثرت المذاهب وتعددت الفرق فبين من رجع في الامامة الى غيره من اخوته ، وبين من قال بأن الامام غائب وسيظهر بعد حين الى الناس ، وفرقة من الشيعة قالت بامامته وهم الخواص الذين سمعوا من أبيه النص عليه . وبدأ اصحابه يتصلون به ويدعون الشيعة الى امامته فرجع اليه جماعة من الشيعة وظهر أمره بين أصحاب أبيه وبدأ يتأهب لأداء رسالته(٥) .

عقد المأمون العزم على أن يعهد بولاية العهد للامام علي الرضا فبعث بعض رجاله ، وفيهم الجلودي ، وهو من أهالي خراسان ، لاستدعاء علي الرضا ، فاستجاب للدعوة ، ورحل هو وبعض العلويين الى مرو ، حيث أصبحوا موضع حفاوة وتكريم(٦) .

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٠٥ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨ .
(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٨١ .
(٥) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ١٥١ .
(٦) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨ .

واستدعى المأمون اليه الفضل والحسن ابني سهل ، ليستشيرهما فيما انتواه من عقد البيعة بولاية العهد لعلي الرضا ، فنصحه الحسن بن سهل بالعدول عن هذا الرأي ، وحذره من غضب البيت العباسي لتحويله الخلافة الى البيت العلوي بينما حسن الفضل بن سهل للمأمون المشروع ، وحثه على المضي في تنفيذه . وحسم المأمون الأمر فقال لهذين الأخوين : اني عاهدت الله أن أخرجها الى أفضل آل أبي طالب ان ظفرت بالمخلوع (١) ، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل . واضطر الحسن الى النزول على رأي الخليفة(٢) .

وروى الاصفهاني أن المأمون بعث الفضل والحسن ابني سهل الى علي الرضا ، ينقلان اليه رغبة الخليفة في توليته عهده ، فرفض الاستجابة لهما ، فهدداه بضرب عنقه ان هو استمر في الاباء . ودعاه المأمون الى مجلسه ، ولكنه استمر في الرفض فهدده بالقتل وقال : « ان عمر جعل الشروق في ستة أحدهم جدك » وقال : « من خالف فاضربوا عنقه» ولا بد من قبول ذلك. فاضطر علي الرضا الى النزول على رأي الخليفة(٣) . ويرى صاحب الفخري(٤) أن الفضل ابن سهل هو « القائم بهذا الأمر ، والمحسن له » .

تمت البيعة لعلي الرضا بولاية العهد في شهر رمضان سنة ٢٠١ هـ ، فقد خرج الفضل بن سهل الى الناس يعلمهم بأمر البيعة ، ويأمرهم بطرح السواد ، شعار العباسيين ، واتخاذ الخضرة شعاراً لهم(٥) ، ويذكر أن المأمون قد أنعم عليهم برزق سنة وان الاحتفال الرسمي بالبيعة سيكون بعد أسبوع .

---

(١) المخلوع : أي الأمين .

(٢) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين : ص ٥٦٢ – ٥٦٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٦٣ – ويرجع تردد علي الرضا إلى (علم الجفر) الذي وضعه الامام جعفر الصادق ، والذي يتنبأ بعدم تمام الأمر لعلي الرضا (الفخري ص ١٩٨) .

(٤) الفخري : ص ١٩٨ .

(٥) كتب الفضل إلى أخيه الحسن « يأمره بطرح السواد ، وان يلبس الخضرة ، ويجعل الأعلام والقلانس خضرا ، ويطالب الناس بذلك ، وكاتب فيه جميع عماله » ، (الجهشياري– الوزراء والكتاب ص ٣١٢ ، اليعقوبي جـ ص ١٧٦) .

وفي اليوم المحدد ، تمت البيعة لعلي الرضا رسمياً ، في رمضان سنة ٢٠١ هـ ، وحضر الاحتفال القواد والقضاة ووجوه القوم(١) . وأمر المأمون ابنه العباس أن يكون أول ممن يبايع علي الرضا ، وتوافد العلويون وبعض العباسيين يبايعون ويأخذون جوائز الخليفة ، ثم تعاقب الخطباء والشعراء يشيدون بعلي الرضا ، ويحمدون للمأمون البيعة له بولاية العهد ، ثم طلب المأمون من علي الرضا أن يخطب في الناس ، فخطب خطبة شديدة الايجاز ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : « ان لنا عليكم حقاً برسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكم حق علينا به ، فاذا أديتم الينا ذلك وجب علينا الحق لكم »(٢) وأطلق المأمون على علي الرضا « الرضا من آل محمد » وأمر بنقش اسمه على الدراهم والدنانير وزوج المأمون محمد بن علي الرضا بابنته(٣) .

وكتب الحسن بن سهل الى نائبه بالعراق عيسى بن محمد بن أبي خالد يخبره بالبيعة لعلي الرضا ، ويأمره بأخذ البيعة من أهالي بغداد وأن يرغمهم على لبس الخضرة في أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم وأنه يمنحهم أرزاق سنة (٤) . فلما سمع العباسيون ببغداد ما فعل المأمون من نقل الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي ، وتغيير لباس آبائه وأجداده بلباس الخضرة أنكروا ذلك ، وخلعوا المأمون من الخلافة غضباً من فعله ، وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي(٥) . واختار ابراهيم ابن أخيه اسحاق بن موسى بن المهدي ولياً لعهده ، ووعد بمنح كل فرد عشرة دنانير في أول السنة الهجرية التالية . ولكن الجند شغبوا على ابراهيم وطالبوا بأرزاق ستة شهور فمنح كل جندي مائتي درهم نقداً ، على أن يتسلم باقي استحقاقاته غلات زراعية(٦) ، وقد وصف صاحب الفخري(٧)

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١١١ .
(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٦٤ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب جـ ٤ ص ٢٨ ، ابن طولون ، الشذرات الذهبية ص ٩٧ .
(٤) الطبري : جـ ٧ ص ١٣٩ .
(٥) الفخري : ص ١٩٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٢٤٨ – ٢٤٩ .
(٦) الطبري : جـ ٧ ص ١٤٠ – ١٤١ . (٧) الفخري : ص ١٩٩ .

ابراهيم بن المهدي بأنه كان « فاضلا شاعراً فصيحاً أديباً مغنياً حاذقاً » .

العدول عن البيعة :

انتشرت الفتن والاضطرابات في أرجاء الدولة العباسية ، بينما كان المأمون لا يزال مقيماً في مرو بخراسان ، لا يعلم الكثير من أنبائها . وتقدم علي الرضا الى المأمون يخبره « بما فيه الناس من الفتنة والقتال منذ قتل أخيه ، وبما كان الفضل بن السهل يستر عنه الأخبار ، وأن أهل بيته والناس قد نقلوا عليه أشياء ، وأنهم يقولون أنه مسحور مجنون ، وأنهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمه ابراهيم بن المهدي بالخلافة(١) . واستدعى المأمون اليه بعض رجال الدولة ليستفسر منهم عن حقيقة الأمر ، فأكدوا ما أنبأه علي الرضا به ، وذكروه بوقيعة الفضل بن سهل بهرثمة بن أعين الذي أراد أن يحذر المأمون ، كما ذكروه باهمال الخليفة لطاهر بن الحسين الذي اخلص له وخلصه من أخيه المأمون ، ثم نصحوه بالخروج الى بغداد(٢) . وعلم الفضل بما قاله هؤلاء النصحاء ، فأمر بضرب بعضهم كما سجن البعض الآخر ، وحاول علي الرضا أن يحث الفضل على اطلاق سراحهم ، فلم يستجب الفضل لشفاعته فيهم(٣) .

ثم كان مصرع الفضل بن سهل (٤) ، وقد اختلف المؤرخون في سبب قتله وفي القائمين باغتياله ويدفعنا الى البحث في ذلك ، رغبتنا في الوقوف على مدى علاقة اغتياله بالبيعة لعلي الرضا بولاية العهد ، فقد كان الفضل كما ذكر المؤرخون هو حامل لواء البيعة .

---

(١) الطبري : ج ٧ ص ١٤٧ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ — ١١٩ .
(٢) قالوا : « ان الفضل حسن لك قتل هرثمة بن أعين ، وقد كان ناصحاً لك فعاجله بقتله وان طاهر بن الحسين مهد لك الأمور ، حتى قاد اليك الخلافة بزمامها فطردته إلى الرقة وان الأرض تفتقت بالشرور والفتن من أخطارها » الفخري ص ١٧٣ .
(٣) الطبري : ج ٧ ص ٢٤٨ .
(٤) اليعقوبي : ج ٧ ص ١٧٩ — ١٨٠ .

روى الطبري(١) روايتين : أولاهما تؤكد تدبير المأمون مقتل الفضل فروى أن الفضل حينما وصل مع المأمون الى سرخس شد قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام ، فضربوه بالسيوف حتى مات ، وذلك في يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة ٢٠٢ هـ. فأخذوا وكان الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون وهم أربعة نفر ... وهربوا ، فبعث المأمون في طلبهم ، وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار . فقالوا للمأمون : «أنت امرتنا بقتله . فأمر بهم فضربت أعناقهم » ، أما الرواية الأخرى التي رواها الطبري فتبرىء المأمون فروى : « وقد قيل ان الذين قتلوا الفضل لما أخذوا سألهم المأمون ، فمنهم من قال ان علي بن أبي سعيد ، ابن أخت الفضل ، دسهم ، ومنهم من أنكر ذلك ، وأمر بهم فقتلوا » .

وكان للفضل بن سهل شيعة قوية تؤيده وتنصره ، فلما رأوا ما حل به اتهموا المأمون ورموه بالاشتراك في المؤامرة ، وشغب قواد خراسان وجنودهم وغيرهم من أنصار الفضل على الخلافة ، وتجمعوا ببابه وهموا باحراقه . ولما رأى المأمون أن حياته مهددة بالخطر ، طلب الى علي الرضا أن يهدىء من ثورة الساخطين . وكان الرضا هو الوسيلة الوحيدة لنجاة الخليفة وتهدئة الخواطر لمحبة أهل خراسان له ، وصدقهم في الاخلاص لطاعته(٢) .

وفي طوس(٣) ، وبينما كان المأمون في طريقه الى بغداد ، كانت نهاية حياة علي الرضا . وقد اختلف المؤرخون أيضاً في سبب وفاته واتهم بعضهم

---

(١) الطبري : ج ٧ ص ٢٤٨ .
(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٢٦٩ .
(٣) وهي المدينة التي دفن بها هارون الرشيد .

المأمون باغتياله ، فيرى الطبري(١) ان وفاة علي الرضا كانت طبيعية ، فقال : ان المأمون شخص من سرخس حتى صار الى طوس ، فلما صار بها أقام بها عند قبر أبيه أياماً ، ثم ان علي بن موسى ، أكل عنباً فأكثر منه فمات فجأة » . ويذكر المسعودي (٢) نفس رواية الطبري السالفة ثم يقول ان هذا العنب كان مسموماً . أما الأصفهاني(٣) فيؤكد أن علي الرضا مات مسموماً ، ثم يقول : « واختلف في أمر وفاته ، وكيف كان سبب السم الذي سقيه » ، ثم روى الاصفهاني رواية تذهب الى أن المأمون أمر أحد رجاله بأن يطيل أظافره وأنه وضع سماً في هذه الأظافر ، ثم قام هذا الرجل بعصر بعض الرمان لعلي الرضا ، فشربه ، فمات بعد يومين. كما يروي الأصفهاني رواية أخرى تذهب إلى أن علي الرضا مات نتيجة أكله عنباً مسموماً . أما صاحب الفخري(٤) فيتهم المأمون صراحة فيقول أنه « دس إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام سماً في عنب ، وكان يحب العنب فأكل منه واستكثر ، فمات من ساعته » .

ونحن وان كنا نرجح موت علي الرضا مسموماً الا أننا نبرىء المأمون من الاقدام على قتله بالسم ، وقد رأينا موقف المأمون من الزعماء العلويين ، وتسامحه معهم وعفوه عنهم . كما كان مصرع علي الرضا على يد المأمون سلاحاً ذو حدين فهو وان كان يهدىء من ثورة العباسيين وأهل بغداد الا أنه يثير مشاعر العلويين وشيعتهم في خراسان كما نستند الى رواية أوردها الاصفهاني(٥) وهي : « دخل المأمون الى الرضا يعوده فوجده يجود بنفسه فبكى وقال : « أعذر علي يا أخي بأن أعيش ليومك ، وقد كان في بقائك أمل ، وأغلظ علي من ذلك وأشد

(١) الطبري : جـ ٧ ص ١٥٠ .
(٢) مروج الذهب : جـ ٤ ص ٢٨ .
(٣) مقاتل الطالبين : ص ٥٦٦ .
(٤) الفخري : ص ١٩٩ .
(٥) مقاتل الطالبيين : ص ٥٧١ — ٥٧٢ .

أن الناس يقولون أني سقيتك سماً ، وانا الى الله من ذلك بريء ، فقال لـه الرضا : صدقت يا أمير المؤمنين ، أنت والله بريء » كما روى الأصفهاني(١) أيضاً أن المأمون استدعى العلويين اليه وأطلعهم على جثمان علي الرضا ، «وأراهم اياه صحيح الجسد لا أثر به » . كما روى الأصفهاني أن المأمون « أظهر جزعاً شديداً وحزناً كثيراً » .

ونرجح أن يكون بعض العباسيين قد حرضوا من دس السم لعلي الرضا في العنب وقد عرفوا حب الرضا له ، فقد أراد العباسيون أن يتخلصوا من علي الرضا ليمنعوا مشروع تحويل الخلافة الى البيت العلوي ، وهو اجتهاد منـا لا نجد في المصادر التاريخية القديمة ما يؤيده .

كما يبرىء كاتب شيعي(٢) المأمون من اغتيال علي الرضا ، فيقول : وكان موته مسموماً بعد ذلك كما تزعم الأخبار ، وليس في التاريخ ما يؤيد هـذا الرأي وليس بالبعيد أن المأمون قد ولى الرضا عهده نتيجة لحسن نواياه ، ولأنه عرف الحق لأهله وتنكره لسيرة الماضين من آبائه الذين أمعنوا في ظلم أهـل البيت قتلا وسماً وتشريداً ، وكما لم يثبت التاريخ أن المأمون كان يتصنع في تقريب الامام ولم يثبت كونه مات بعنب مسموم أهداه اياه المأمون وكانت به نهايته .

وكانت نهاية حياة علي الرضا ، هي نهاية الاضطرابات والفتن في بغـداد فقد اطمأن أبناء البيت العباسي الى بقاء الخلافة فيهم اذ أخفق مشروع نقـل الخلافة الى البيت العلوي(٣) . وأسرع ابراهيم بن المهدي الى الفرار حينما علم بقدوم المأمون الى بغداد(٤) . وكتب المأمون الى أهالي بغداد ، يعلمهم أنهم ما نقموا عليه الا ببيعته لعلي وقد مات . وطلب العباسيون من المأمون أن

---

(١) المصدر السابق : ص ٥٦٧ .
(٢) هاشم معروف : عقيدة الشيعة الامامية ص ١٦١ — ١٦٢ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ .
(٤) اليعقوبي : ج ٣ ص ١٧٩ — ١٨٠ .

يعود الى لبس السواد وترك الخضرة فرفض طلبهم(١) فعهد العباسيون الى زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ، بأن تحادث المأمون في ذلك ، وكان بنو العباس يقدرونها ويجلونها ، فسألته عن سبب تحويله الخلافة من العباسيين الى بيت علي ، فذكرها بموقف علي بن أبي طالب من العباسيين ، وتوليتهم حكم الأمصار ، ثم قال : وما رأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضى الأمر اليهم كافوه على فعله في ولده ، فأحببت أن أكافيه على احسانه . فقالت له : يا أمير المؤمنين انك على برّ بني علي والأمر فيك أقدر منك على برهم ، والأمر فيهم ثم سألته العودة الى اتخاذ السواد ، فأجابها الى ذلك(٢) .

انفرد المؤرخ طيفور بوصف دخول المأمون بغداد وتمسكه أياماً بالخضرة(٣) ثم تحوله ، هو وحاشيته وجنوده الى السواد ، فقال : « فكانوا يختلفون الى المأمون في كل يوم مسلمين ولباسهم الثياب الخضر ولم يكن أحد يدخل عليه الا في خضرة فمكثوا بذلك ثمانية أيام ، وتكلم فيه بنو هاشم من ولد العباس خاصة وقالوا له : يا أمير أمير المؤمنين تركت لباس أهل بيتك ودولتهم ولبست الخضرة وكتب اليه في ذلك قواد أهل خراسان . وتكلم في ذلك دون الناس جميعاً لما قدم طاهر بن الحسن فأظهر له الاجابة ولما يفعل ولما رأى طاعتهم له في لباس الخضرة وكراهتهم لها جلس يوم السبت وعليه ثياب خضر فلما اجتمعوا عنده دعا بسواد فلبسه ودعا بخلعة سواد فكساها طاهر بن الحسين وخلع على عدة من قواده أقبية وقلانس سوداء(٤) .

---

(١) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ .

(٢) الفخري : ص ٢٠٠ .

(٣) لم تكن الخضرة شعاراً للعلويين ، بل كانت شعار الفرس ، وكان المأمون يعتمد على العناصر الفارسية ، ولم يجد المأمون حرجاً في الاحتفاظ بالخضرة ، بعد مصرع على الرضا ، فاللون الابيض هو شعار العلويين (الجهشياري ، الوزراء والكتاب ص ٣١٣) .

(٤) طيفور : بغداد جـ ٦ ص ٢ .

ولكن الأمور وان هدأت في بغداد فهي لا تزال مضطربة في بعض أرجاء الدولة العباسية ، فهناك ثورة نصر بن شيث في بلاد الشام ، وتحفل مصر بالاضطرابات ، وبابك الخرمي ينشر الفزع في أذربيجان والزط يعيثون فساداً في مناطق خليج البصرة الى جانب ثورات الخوارج في خراسان(١).

موقف المأمون من العلويين :

استمر الخليفة المأمون يعطف على بيت الامام علي الرضا فاختار أحد اخوته ليحج بالناس ، وبعد سنوات زوج ابنته أم الفضل بمحمد بن علي الرضا المعروف بالامام محمد التقي أو الجواد . وكان محمد عند موت أبيه علي الرضا في التاسعة من عمره(٢) ، ويعيش في المدينة ، وأمه ليست أم حبيب بنت المأمون بل أم ولد ، يروي البعض أنها من نسل مارية أم ابراهيم بن الرسول عليه الصلاة والسلام(٣). وعاش الامام محمد فترة في المدينة ثم رحل الى بغداد، انصرف فيها الى الاشتغال بالعلم ، فقد كان المأمون قد بدأ يعتنق مذهب المعتزلة(٤) وبعد وفاة المأمون عاد الامام محمد الى المدينة فظل مقيماً بها حتى دعاه المعتصم الى بغداد ، وكانت العلاقة بينهما غير ودية ، وما لبث أن مات الامام محمد، وقيل انه مات مسموماً ، اذ سمته زوجته أم الفضل بتحريض المعتصم(٥) .

---

(١) Le Strange : Lands of the Eastern Caliphate, p. 231.

(٢) انكر بعض الشيعة تولي محمد الجواد الامامة وهو في التاسعة من عمره ، وقالوا بضرورة بلوغ الامام ، إذ أن التكليف والقضاء والفصل في احكام الدين وشرائعه تقتضي أن يكون الامام بالغاً (النوبختي : فرق الشيعة ص ٧٧) ولكن جماعة أخرى من فرق الشيعة الامامية الاثني عشرية اعترفت بامامته ، على أن يتولى الصلاة وتنفيذ احكام الدين غيره ممن يتصف بالتدين والتفقه ، حتى يصل الامام إلى سن البلوغ (الاشعري : مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٠٢ .

(٣) الكليني : أصول الكافي ص ٢٠٣ . (٤) الفخري : ص ٢٠١.

(٥) الكليني : أصول الكافي ص ٢٠٣ ، المجلسي : بحار الانوار ج ١٢ ص ٧٨ .

وخير ما يصور مشاعر المأمون نحو العلويين ، ما جاء في وصيته لولي عهده المعتصم اذ قال له : « .. وهؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأحسن صحبتهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، واقبل من محسنهم ، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة من محلها ، فان حقوقهم تجب من وجوه شتى (١) »

كما استمر المأمون في انتهاج السياسة التي بدأها منذ أول عهده ، فقد اعتمد على العناصر الفارسية في السياسة والحكم والادارة(٢) ، وظل النفوذ الفارسي قائماً واضحاً في الدولة ، وكان جميع وزرائه الذين تولوا بعد مصرع الفضل ابن سهل من الفرس .

* * *

---

(١) الطبري : ج ٧ ص ٢١٠ .

(٢) لم يقطع المأمون صلته ببني سهل ، فقد أرسل إلى الحسن بن سهل يعزيه في موت أخيه.

٤ ـ ثورة علي بن محمد بن جعفر الصادق
وأبي عبدالله أخي أبي السرايا

موقف الشيعة من المأمون بعد البيعة لعلي الرضا :

كانت ظروف الدولة العباسية ، وما سادها من اضطرابات داخلية ، من عوامل قيام حركة شيعية جديدة . فالعلويون أبداً يترقبون الفرص للقيام بثوراتهم ضد الخلفاء العباسيين ، الذين اغتصبوا حقهم في الامامة . ولم ينجح العلويون والشيعة في توحيد جهودهم في عهد المأمون ، للاستفادة من مشاكل الدولة العباسية ، ولذا كانت حركات الشيعة في عهد المأمون حركات صغيرة محدودة ، نجح العباسيون في القضاء عليها ، ولم نعد نشهد حركات علوية قوية واسعة الانتشار ، مثل حركتي محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم في عهد الخليفة المنصور .

في سنة ٢٠١ هـ ، رأى الخليفة المأمون أن يبايع للامام علي الرضا (١) ، ابن الامام موسى الكاظم ، بولاية العهد . وهو امام الشيعة الامامية الاثني عشرية(٢) . وقد استدعاه المأمون اليه ، وأكرم وفادته(٣) ، وسماه « الرضا من آل محمد » وأمر الجند بطرح السواد ، شعار العباسيين ، واتخذ اللون الأخضر شعاراً له وهو شعار الفرس (٤) ، وكتب بذلك الى سائر الأمصار الاسلامية . وكان

(١) كان مولد الامام علي الرضا سنة ١٥٣ ، ومات سنة ٢٠٣ هـ ، وتولى الامامة عشرين سنة .
(٢) القمي : كتاب المقالات ص ٩٠ .
(٣) زوج المأمون علي الرضا من أخته أم حبيب (ابن طولون : الشذرات الذهبية ص ٩٧) .
(٤) الطبري جـ ٧ ص ١٤٣ ، الجهشياري ، الوزراء الكتاب ص ٣١٢ .

المأمون لا يزال مقيماً في مرو بخراسان ، خاضعاً لسيطرة وزيره الفارسي ذي الميول الشيعية الفضل بن سهل(١) . وأدت هـذه الأحداث كلها الى انتشار الاضطرابات في كثير من الأقطار العباسية ، وخاصة في بغداد ، حيث بايع أهلها سنة ٢٠١ هـ ابراهيم ابن الخليفة المهدي بالخلافة(٢) .

أصبح الموقف في الدولة العباسية غريباً متناقضاً ، خليفة عباسي ، وولـي عهد علوي يتولى امامة فرقة كبيرة من فرق الشيعة ، وهي فرقة الشيعة الامامية . وقد أصبح الخليفة محجوباً عليه في قصره ، وأصبح الفضل بن سهل الوزير الفارسي صاحب النفوذ . وأصبح شعاراً الفرس الساسانيين الاخضر هو شعار الدولة العباسية ، وكأن الفضل بن سهل أراد احياء الدولة الفارسية القديمـة في ثوب اسلامي جديد . وقد فطن العرب الى هذه الحقيقة ، فقال نعيم بـن خازم أحد رجالات العرب ، للفضل : « انك انما تريد أن تزيل الملك عن بني العباس الى ولد علي ، ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسروياً ، ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده من البياض الى الخضرة وهي لباس كسرى اوالمجوس»(٣) .

والذا تساءلت الشيعة : اذا كان المأمون حقيقة يريد اعادة الحق الشرعي المغتصب الى العلويين ، فلماذا لم يتخذ اللون الأبيض شعارهم ؟

ولم تكن البيعة لعلي الرضا ترضي نفوس الشيعة ، ولا تقنعهم بالولاء للمأمون ، فقد اعتبرت الشيعة هذه البيعة وسيلة لتسكين خواطرها ، ودفعها الى الركون الى الهدوء والسلام ، بعد أن تعددت الحركات العلوية ، في عهد المأمون واعتبرت الشيعة مناظرة العلماء للرضا التي عقدها المأمون في مجلسه لا لإقناع العلماء بتفوق

---

(١) رونلدسن : عقيدة الشيعة ص ١٩٠ .

(٢) الطبري جـ ٧ ص ١٤٣ – ١٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٢٤٩ .

(٣) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٣٠٣ ، ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ١١١ .

الرضا عليهم في العلم والفضل ، انما لانقاص قدره ، فقد كان المأمون يأمل أن يتعثر الرضا في اجابته على ما أثاره هؤلاء العلماء من مسائل علمية وفقهية(١) .

ولم يعد تودد بعض الخلفاء العباسيين الى آل علي بن أبي طالب ، أحياناً ، موجباً لحسن الظن بهم . ولذا ما كانت البيعة لعلي الرضا بولاية العهد لتغير من عقيدتهم في الامامة شيئاً. وما ذلك عندهم الا ابتلاء له لا تقل عن ابتلاء موسى الكاظم ومحنته باضطهاد الرشيد اياه ، فقد اصبح واجباً على الأئمة في عقيدتهم أن يبتلوا بالخلفاء وان يمتحنوا بسبب انتمائهم للرسول ولعلي بن أبي طالب ، ثم أن يموتوا الميتة اللائقة بالأئمة من قتل أو موت بالسم حتى ينالوا تقديس شيعتهم(٢) .

ثورة في الكوفة :

وتلاحقت الأحداث في سرعة ، وتكاثفت ، وتبلورت ، لتؤدي الى قيام حركة شيعية صغيرة في الكوفة سنة ٢٠٢ هـ ، تولى قيادتها الايجابية أبو عبدالله أخو أبي السرايا ، الذي كان قد قاد حركة شيعية خطيرة في الكوفة أيضاً ، منتهزاً فرصة الخلاف الذي وقع بين أبناء البيت العباسي ، والاضطرابات التي سادت بلاد العراق . وتولى الزعامة الروحية لهذه الحركة الشيعية الامام العلوي علي بن الامام محمد بن جعفر الصادق(٣) .

بدأت بودار حركة الشيعة الجديدة ، حينما كتب المأمون الى الحسن بن سهل في العراق ، يأمره بلبس الخضرة ، وأخذ البيعة لعلي الرضا بولاية العهد والتقدم الى بغداد لحصارها ، وارغام أهلها على الطاعة للمأمون ، والنكوث عن بيعتهم لابراهيم بن المهدي(٤) .

---

(١) المظفري : تاريخ الشيعة ص ٥٣ .
(٢) دكتور أحمد صبحي : عقيدة الامامة ص ٣٨٧ .
(٣) الطبري : جـ ٧ ص ١٤٤ .
(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١١١ .

وولى الحسن بن سهل على الكوفة أخا العلويين ، وهو العباس ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق . وأمره بلبس الخضرة ، والدعوة للمأمون ، ولولي عهده علي الرضا . ولكن أهل الكوفة ، لم يصدقوا نوايا المأمون التي دفعته للبيعة لعلي الرضا بولاية العهد ، ولذا رفضوا دعوة واليهم الجديد العلوي ، حينما دعاهم للبيعة للخليفة ، ولولي العهد ، رغم أن الوالي هو أخ لعلي الرضا ، فقال أهل الكوفة لواليهم : « ان كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك ، فلا حاجة لنا في دعوتك ، وان كنت تدعو الى أخيك ، أو بعض أهل بيتك ، أو الى نفسك ، أجبناك(١) » .

وهذه العبارة ، توضح في الحقيقة روح الثورة الكامنة أبداً في نفوس شيعة الكوفة منذ عهد علي بن أبي طالب ، وكان هؤلاء الشيعة يتطلعون الى الزعيم الذي يقودهم الى الجهاد ، والى النصر وخابت آمال شيعة الكوفة في واليهم العلوي ، اذ أصر على دعوتهم لطاعة المأمون والبيعة لعلي الرضا ، فأعلنت شيعة الكوفة عصيانها له ونبذها طاعته(٢) .

خرج على طاعة الخليفة المأمون ، وعلى طاعة نائبه بالعراق الحسن بن سهل بعض القواد العباسيين ، مثل سعيد بن الساجور ، وأبو البط ، وغسان بن أبي الفرج وأعلنوا ولاءهم للخليفة العباسي الجديد ابراهيم بن المهدي(٣) .

وكان قواد المأمون من العرب قد سخطوا عليه لاعتماده على العناصر الفارسية ولرغبته في الخلاص منهم رغم بلائهم معه في قتال أخيه الأمين . كما غضبوا عليه للمكيدة التي دبرها الفضل بن سهل للخلاص من القائد العربي هرثمة بن

---

(١) الطبري : ج ٧ ص ١٤٤ .

(٢) الطبري ج ٧ ص ١٤٤ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٢ - ١١٤ .

(٣) الفخري : ص ١٧٣ ، مسكويه : تجارب الأمم ج ٦ ص ٤٤١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

أعين ، وانتهت بأن أمر المأمون بالقائه في السجن ، حيث دس الفضل بن سهل اليه من سمه(١) .

كما غضب هؤلاء القواد العرب على المأمون أيضاً لموقفه من طاهر بن الحسين الذي عاون المأمون معاونة ايجابية في الخلاص من أخيه الأمين . وقد نقل علي الرضا الى المأمون أخبار هذه الفتنة والاضطرابات التي سادت الدولة ، وخاصة بغداد فدعا المأمون اليه بعض خاصته وامرائه ، وسألهم عن حقيقة الموقف ، فقالوا له : « ان الفضل حسن لك قتل هرثمة بن أعين ، وقد كان ناصحاً لك فعاجله بقتله وان طاهر بن الحسين مهد لك الأمور حتى قاد اليك الخلافة بزمامها فطردته الى الرقة ، وان الأرض تفتقت بالشرور والفتن من أخطارها »(٢) .

وأدى هذا الانقسام الكبير بين صفوف العباسيين الى ظهور حركة شيعية مناوئة للدولة العباسية والخليفة المأمون ، تزعمها أحد العلويين وهو علي بن الامام محمد بن الامام جعفر الصادق ، الذي تحدثنا عن بيعته في مكة . وانضم اليه أبو عبدالله أخو أبي السرايا ، وكثير من الشيعة(٣) .

ورأى هؤلاء الشيعة الثائرون الانضمام الى القواد العباسيين الخارجين على طاعة المأمون والمبايعين لابراهيم بن المهدي لمواجهة والي الكوفة العلوي العباسي ابن موسى بن جعفر ، الذي أعلن ولاءه للمأمون .

وأصبح الموقف أيضاً غريباً شاذاً ، فقد تحالف قواد عباسيون مع الشيعة ، كما وقفت شيعة الكوفة ضد واليها العلوي ، ورفضت الاعتراف بما أقدم عليه المأمون من البيعة لعلي الرضا . وأصبحت هناك قوتان عسكريتان ، متواجهتان ،

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ج ٦ ص ١٠٧ ، أبو الفداء المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٢٣ .
(٢) الفخري ص ١٧٣ ، ابن الأثير ، الكامل ج ٦ ص ١١٨ ، مسكويه : تجارب الأمم ج ٦ ص ٤٤١ — ٤٤٢ .
(٣) الطبري ج ٧ ص ١٤٤ ، ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ١٢٠ — ويذهب أحد كتاب الشيعة (المظفري : تاريخ الشيعة ص ٥٠ أن طاهر بن الحسين كان شيعياً) .

قوة تمثل تحالف الشيعة مع القواد العباسيين ، وقوة أخرى عباسية يقودها أحد ابناء البيت العلوي . وكان أنصار الوالي العلوي ، العباس بن موسى الكاظم ، يتخذون الخضرة شعاراً لهم ، بينما كان العلويون والشيعة وحلفاؤهم العباسيون يتخذون السواد ، وهو شعار العباسيين القديم ، شعاراً لهم(١) .

ودارت معارك عنيفة بين القوتين ، وجعل العلويون وحلفاؤهم العباسيون شعارهم « يا ابراهيم يا منصور ، لا طاعة للمأمون » . أي أن العلويين وجهوا ولاءهم لابراهيم بن الخليفة المهدي ، الذي بايعه بعض العباسيين وأهالي بغداد خليفة بدلا من المأمون ! ! (٢)

وأدت هذه المعارك العنيفة الى الحاق الأضرار بالكوفة ، فقد انتشرت الحرائق بها وازهقت الأرواح ، وعادت بخسائر جسيمة ، فاجتمع وجوه القوم بالكوفة ، وحصلوا من الثوار على الأمان للعباس بن موسى الكاظم ، والي الكوفة . ثم قدموا على العباس وقاموا له : ان عامة من معك غوغاء ، وقد ترى ما يلقى الناس من الحرق والنهب والقتل ، فاخرج من بين أظهرنا فلا حاجة لنا فيك(٣) .

وتظاهر العباس بقبول ما عرضوه عليه ، ولكنه ما لبث أن عاود القتال مرة أخرى حتى لحقت به الهزيمة ، ودخل الثوار مدينة الكوفة ، وأنزلوا سخطهم على أنصار العباس بن موسى ، فانتهبوا دورهم ، وأحرقوها ، حتى طلب وجوه الكوفة منهم الكف عن ذلك .

ثم رأى العباسيون ، بعد انتصارهم ، أن يتحللوا من محالفة العلويين وشيعتهم فولوا على الكوفة الفضل بن محمد بن الصباح الكندي ، الذي أقدم على الخلاص من حلفائه العلويين ، فقتل أبا عبد الله أخا أبي السرايا(٤) .

(١) الطبري جـ ٧ ص ١٤٤ .
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٢٠ — ١٢٢ .
(٣) الطبري جـ ٧ ص ١٤٤ .
(٤) الطبري جـ ٧ ص ١٤٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٢٢ .

ويبدو أن أهالي الكوفة قد ضاقوا بهذه الاضطرابات التي سادت مدينتهم طوال عهد المأمون، ورأوا أن يعلنوا ولاءهم للمأمون ، حتى تستقر الأحوال في الكوفة . فخرج وفد من أهالي الكوفة ، الى بغداد ، وكان المأمون قد قدم اليها من مرو بخراسان ، وخلع الخضرة ، وعاد الى السواد ثانية(١) .

ومثل الوفد بين يدي المأمون ، فأعرض عنهم ، فتقدم شيخ منهم الى المأمون يقول : « يا أمير المؤمنين ، يدك أحق يد بتقبيل ، لعلوها في المكارم وبعدها عن المآثم ، وأنت يوسفي العفو في قلة التثريب ، من أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك ، وذليل دولتك » . وأعلن المأمون عفوه من أهالي الكوفة(٢) .

وهكذا انتهت هذه الحركة الشيعية الصغيرة ، فكانت كالوميض الذي يلمع ثم ينطفىء . وهي تختلف تماماً عن الحركات الشيعية السابقة ، فقد جمعت الكثير من المتناقضات . وهي في الحقيقة حركة ثأرية ، فقد أراد أبو عبدالله الانتقام لمصرع أخيه أبي السرايا كما أراد علي بن محمد بن جعفر ان يثأر من المأمون الذي هزم أباه .

وان عوامل اخفاق هذه الحركة غنية عن البيان ، فقد قامت الحركة الشيعية المعتمدة على سواعد القواد العباسيين الساخطين وأتباعهم واعترف الشيعة بخلافة ابراهيم بن المهدي ، وهو أحد أبناء البيت العباسي ، كما قاتلت الشيعة أحد أبناء البيت العلوي ، وهو والي الحكومة العباسي بن موسى الكاظم . كما انضم الى صفوف الشيعة الغوغاء والدهماء ، الذين أثاروا مخاوف أهالي الكوفة بما أتوه من تخريب وتدبير . ولم يكن علي بن الامام محمد بن جعفر الصادق هو الزعيم المنشود المؤهل للقيام بحركة شيعية كبرى ، حتى يمكن أن نقول أن أبي عبدالله ، أخي أبي السرايا ، كان هو الزعيم الحقيقي لحركة الشيعة .

---

(١) اليعقوبي : ج ٣ ص ١٨١ ، ابن خلدون : العبر : ج ٣ ص ٢٤٩ .
(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١١٨ .

٥ — ثورات الشيعة في بلاد اليمن

انتشرت حركات الشيعة في العصر العباسي الأول ، في كثير من الأمصار الاسلامية ، فشهدنا قيامها في الحجاز(١)، والبصرة(٢)، وبلاد الديلم(٣) ، وبلاد المغرب(٤) ، والكوفة(٥) . وكان لبلاد اليمن نصيب في هذه الحركات العلوية الشيعية ، فقد قامت فيها حركتان شيعيتان ، كانتا مقدمة لتوغل بمذهب الشيعة واستقراره طويلا في بلاد اليمن . وقاد الحركة الأولى ابراهيم بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . بينما تزعم الحركة الشيعية الثانية عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب .

عوامل قيام ثورات شيعية في اليمن :

كانت اليمن عند قيام الدولة العباسية من أبرز ولايات الدولة(٦) . وكان

(١) قامت حركة محمد النفس الزكية في عهد المنصور في المدينة ، كما قامت حركة الحسين بن علي في عهد الخليفة الهادي في المدينة ، وامتدت إلى مكة . وكان كثير من العلويين يعيشون في الحجاز وخاصة المدينة .

(٢) قامت حركة ابراهيم أخي النفس الزكية في البصرة في عهد المنصور .

(٣) قامت حركة يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم في عهد الرشيد .

(٤) ظهرت حركة إدريس بن عبد الله في بلاد المغرب في عصر هارون الرشيد .

(٥) مثل حركات محمد بن ابراهيم وأبي السرايا ، وعلي بن محمد جعفر الصادق وأبي عبد الله أخي أبي السرايا .

(٦) كانت الولايات في عهد أبي العباس هي : (١) الكوفة والسواد (٢) البصرة واقليم دجلة والبحرين وعمان (٣) الحجاز واليمامة (٤) اليمن (٥) الأهواز وتشمل خوستاه وسجستان (٦) فارس (٧) خراسان (٨) الموصل (٩) الجزيرة وأرمينية وأذربجان (١٠) سورية (١١) مصر وافريقية (تونس) (١٢) السند .

اليمنية يمثلون جانباً من الجيش العباسي ، ولكن الصراع بينهم وبين المضرية جعل العباسيين يعتمدون على العناصر الفارسية(١) . وكان أشهر ولاة اليمن في مطلع العصر العباسي هو معن بن زائدة الشيباني ، في عهد الخليفة المنصور(٢) . واهتم المهدي بربط اليمن بالعاصمة بغداد بالبريد(٣) . وظل النظام الاداري في العصر العباسي الأول ، وحتى عصر الخليفة هارون الرشيد نظاماً مركزياً ، فلم يكن لولاة اليمن السلطة الكاملة التي كانت لولاة الدولة الأموية ، وتراوحت مدة حكم ولاة اليمن بين عامين أو ثلاثة أعوام ، مما كان له أثره في توقف الاصلاحات ، واضطراب قبائل اليمن(٤) . ووضح هـذا الاضطراب في عهد الوالي العطريف بن عطاء ، خال الخليفة الرشيد وواليه على اليمن ، وقد حكم نحو ثلاثة أعوام(٥) . ومن ولاة اليمن في عهد الرشيد عبدالله ابن مصعب الزبيري ، وهو الذي اتهم الامام العلوي يحيى بن عبدالله بأنه دعاه الى البيعة له ، وكانت سعايته بيحيى من عوامل تنكيل الرشيد به(٦) ، وشهدت بلاد اليمن في عهد الرشيد ثورة بعض القبائل بزعامة الهيصم بن عبد المجيد ، كرد فعل لمظالم وقسوة الوالي حماد البربري(٧) .

---

(١) حسن ابراهيم : اليمن ص ٥٥ — فكر المنصور في تأسيس الكرخ جنوبي بغداد ليبعد عنه خطر جنده من اليمنية والمضرية .

(٢) ولى المنصور معن بن زائدة حكم اليمن مكافأة له على انقاذه حياته حينما واجـه المنصور الزنادقة الراوندية ، وكان معن من قبل من رجال الامويين ، (الفخري ص ١٥٦ — ١٤٧) .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٧٣ .

(٤) الكبسي : اللطائف السنية (مخطوط) ورقة ٧ — ٨ .

(٥) الطبري : ج ٦ ص ٤٤٩ ، يحيى بن الحسين : أنباء الزمن في أخبار اليمن ورقه ٢٠ .

(٦) الطبري ج ٦ ص ٤٥٢ — ٤٥٤ ، المسعودي : مروج الذهب ج ٣ ص ٣٠١ — ٣٥٣ الاصفهاني : مقاتل الطالبيين : ص ٤٧٤ — ٤٧٦ ، الفخري ص ١٧٦ — ١٧٧ .

(٧) يحيى بن الحسن : أنباء الزمن (مخطوط) ورقة ٢٠ ، ابن الديبع ، قرة العيون (مخطوط) ورقة ١٠ .

وبدأت بوادر اضطرابات سادت اليمن في عهد الخليفة المأمون ، وقد مهدت هذه الاضطرابات لقيام حركات الشيعة في بلاد اليمن . فقد ولى المأمون على اليمن يزيد بن جرير(١) ، الذي بدأ سياسة اضطهاد وتنكيل بكثير من أهالي اليمن(٢) ، وخاصة بالأبناء الفرس ، الذين انحدروا من الفرس في زمن الاحتلال الفارسي لبلاد اليمن قبل الاسلام(٣) . وأسرف المأمون في تولية وعزل الولاة العباسيين ، مما جعل الاضطرابات في اليمن تزيد وتستفحل(٤) .

ثورة ابراهيم بن موسى الكاظم :

وفي سنة ٢٠٠ هـ ، شهدت بلاد اليمن **حركة شيعية** ، قام بها **ابراهيم ابن الامام موسى الكاظم** ، وظهرت هذه الحركة في نفس الوقت الذي قامت فيه في الكوفة حركة محمد بن ابراهيم بن طباطبا وأبي السرايا ، التي درسناها في هذا الباب . فقد خرج ابراهيم بن موسى من مكة الى بلاد اليمن في جماعة من أهله ، للسيطرة عليها . وكان والي اليمن حينئذ هو اسحق بن موسى العباسي ، ورغم انتمائه الى البيت العباسي ، فقد آثر السلامة ، فآثر أن يغادر الولاية بدون مواجهة ابراهيم بن موسى ، وقتاله(٥) . ونجح ابراهيم في السيطرة على بلاد اليمن ، وبدأ يحكمها .

---

(١) وهو يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري (يحيى بن الحسين : غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ، مخطوط ، ورقة ١٩ – أ) .

(٢) ابن الديبع : بقية المستفيد ورقة ١٠ .

(٣) يحيى بن الحسين : غاية الاماني ورقة (١٩ – أ) .

(٤) ولى المأمون بعد عزله يزيد بن جرير ، واليا آخر سنة ١٩٥ هـ وهو عمر بن ابراهيم بن راقد ، الذي حكم عاماً واحداً ، ثم ولى المأمون سنة ٢٩٦ هـ والياً آخر ، فلم يحكم سوى اسابيع قليلة ، ثم ولى المأمون في نفس السنة (١٩٦ هـ) اسحق بن موسى العباسي فاستمر يحكم حتى سنة ١٩٨ هـ (ابن الدبيع : بصيغة المستفيد ورقة ١١ مخطوط) ، (الواسعي : فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ص ١٤٩) .

(٥) الطبري : جـ ٧ ص ١٢٤ ، ابن الديبيع : قرة العيون (مخطوط) ورقة ١١ ، عمارة اليمني : تاريخ اليمن ص ١٣٤ .

ولكن ابراهيم بن موسى ، أساء الحكم ، ونكل بأهالي اليمن ، حتى اطلقوا عليه اسم (الجزار) ، فقال الطبري (١) : « كان يقـال لابراهيم بن موسى (الجزار) لكثرة من قتل باليمن من الناس وسبى وأخذ من الأموال ».

ورأى الخليفة المأمون مواجهة هذه الحركة الشيعية ، ولكنه اكتفى بعـزل واليه اسحق بن موسى العباسي ، وتولية محمد بن علي بن موسى بن ماهان . ولم يفكر المأمون في انفاذ الجيوش الى اليمن ، ونفسر ذلك بانشغال المأمون بكثير من المشاكل والاضطرابات والثورات ، على النحو الذي شهدناه في الفصول السابقة الى جانب بعد بلاد اليمن عن مركز الخلافة ، ووعورة الطرق ، وخاصة أن هذه الحركة الشيعية في اليمن كانت امتداداً لحركة محمد بن ابراهيم وأبي السرايا ، وهي من أخطر حركات الشيعة التي رأى المأمون التفرغ لمواجهتها والقضاء عليها(٢) .

وأخفق الوالي العباسي الجديد ، محمد بن علي بن عيسى بن ماهان ، في القضاء على حركة ابراهيم بن موسى ، واعادة الاستقرار والأمن في اليمن ، وبدا عجز المأمون واضحاً ، فقد اعترف بولاية ابراهيم بن موسى على اليمن ، وعـزل محمد بن علي بن عيسى بن ماهان ، ولكن محمد بن علي رفض تنفيذ قـرار عزله(٣) ، وثارت حماسته لمواجهة حركة الشيعة في ميدان القتال . والتقى الفريقان ودارت الدائرة على ابراهيم بن موسى الكاظم . وترتب على هذه المعركة الحامية تخريب مدينة صعدة(٤) .

واعتز محمد بن علي بن عيسى بن ماهان بانتصاره على حركة الشيعة واعتبر

(١) الطبري : جـ ٧ ص ١٢٤ .
(٢) الطبري : جـ ٧ ص ١١٧ وما بعدها ، الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٢٥ ومابعدها .
(٣) ابن الديبع : قرة العيون في اخبار اليمن الميمون (مخطوط) ورقة ١١ .
(٤) حسين بن علي الويسي : اليمن الكبرى جـ ١ ص ٢٥٨ .

نفسه محرر اليمن ، ولذا رأى أن يتمسك بحكم اليمن ، ورفض مرة أخرى تنفيذ أمر الخليفة المأمون حين عزله عن الولاية ، وولى بدله عيسى بن يزيد الجلودي ، والتقى الواليان في قتال عنيف ، وانتهت المعركة بهزيمة محمد بن علي بن عيسى بن ماهان ، وفراره الى مكة ، حيث توارى عن الأنظار ، لمدة عام ونجح الجلودي في انقاذ من قبض عليه وسجنه(١) .

ثورة عبد الرحمن بن أحمد العلوي :

أما الحركة الشيعية الثانية في بلاد اليمن ، فقد قاد لواءها **عبد الرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب** سنة ٢٠٧ هـ ، مستفيدة من الاضطرابات الداخلية في اليمن ، والنزاع القبلي بين قبائلها العديدة واتخذت هذه الحركة منطقة علك وزبيد مركزاً للثورة ، وانضمت اليها قبيلتا الأشاعر(٢) وعلك(٣) . وذكر الطبري (٤) أن سبب قيام الثورة هو مظالم الولاة العباسيين في بلاد اليمن ، مما أثار سخط الأهالي ، فبايعوا عبد الرحمن الذي جعل دعوته للرضا من آل محمد .

لم تكن ظروف الدولة العباسية السائدة حينئذ تسمح بنجاح هذه الحركة الشيعية الجديدة ، فقد هدأت الأمور الى حد ما ، اذ خرج المأمون من مرو الى عاصمته بغداد ، ونجح في القضاء على الفتن التي سادت بغداد سنوات عديدة ، واختفى

---

(١) ابن الديبع : قرة العيون في أخبار اليمن الميمون (مخطوط) ورقة ١١ .

(٢) قبيلة الاشاعر (أو الأشاعرة) قبيلة كهلانية قحطانية ، تنتسب إلى الأشعر بن أزد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويسكنون المناطق حول مدينتي القحمة والحصيب (الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ٥٥٤ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٣٠٦) .

(٣) علك : قبيلة كهلانية عدنانية ، تنتسب إلى علك بن الديث بن عدنان بن أزد . وكانت القبيلة تسكن المناطق المحيطة بمدن زبيد والكوراء في تهامة اليمن . (ياقوت ، معجم البلدان جـ ٢ ص ٧٣٥) .

(٤) الطبري : جـ ٧ ص ١٦٨ .

ابراهيم بن المهدي الذي كان أهل بغداد قد بايعوه بالخلافة ، بعد أن ظل خليفة سنة وأحد عشر شهراً(١) . ثم كانت نهاية علي الرضا ، الامام العلوي وولي العهد ، وعودة المأمون الى اتخاذ السواد شعاراً بدلا من الخضرة(٢) ونجاح المأمون في الخلاص من كثير من أعدائه والخارجين على طاعته ، مما فصلنا الحديث عنه في الفصول السابقة .

ورأى المأمون ، وقد ضاق بتكرار حركات الشيعة ، أن يقف من هذه الحركة الشيعية الجديدة التي قامت في اليمن ، موقفاً حازماً حاسماً ، فبعث قائده دينار ابن عبدالله على رأس جيش كثيف ، وأعطاه أماناً للثائر العلوي . وخرج دينار قاصداً الى بلاد اليمن ، وراسل عبد الرحمن العلوي ، وعرض عليه الأمان وآثر الثائر العلوي أن يقبل هذا الأمان، ويكف عن المقاومة . وخرج عبد الرحمن في صحبة دينار الى بغداد ، فوصلها في آخر ذي القعدة سنة ٢٠٧ هـ (٣) .

أدت هذه الحركة الشيعية التي قامت في اليمن ، الى تغيير كبير في معاملة المأمون للعلويين . فقد كان المأمون لا يزال يعامل الطالبيين معاملة تناسب اعتقاده في فضل جدهم علي بن أبي طالب ، حتى خرج عليه عبد الرحمن العلوي في اليمن « فمنع المأمون عند ذلك الطالبيين من الدخول عليه ، وأمر بأخذهم بلبس السواد»(٤) .

ثم بدأ المأمون يضع سياسة ثابتة جديدة لحكم بلاد اليمن ، ومنع أي حركة شيعية قد تقوم فيها . فرأى المأمون أن يختار والياً على اليمن يتصف بالقوة والحزم وأشار عليه وزيره الحسن بن سهل باختيار أحد أحفاد زياد بن

---

(١) اليعقوبي ، جـ ٣ ص ١٧٩ — ١٨٠ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١١٨ .

(٢) الفخري : ص ٢٠٠ ، طيفور : بغداد جـ ٦ ص ٢ .

(٣) الطبري : جـ ٧ ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٤) الطبري : جـ ٧ ص ١٦٩ .

أبيه (١) ، الوالي الأموي المعروف ، وهو محمد بن ابراهيم الزيادي . وولى المأمون سليمان بن هشام بن عبد الملك الأموي وزيراً للزيادي(٢) . وهكذا أصبح الوالي ووزيره ينتسبان الى الأمويين ، ونحن نعرف عداءهم الشديد للبيت العلوي .

ونجح الوالي الجديد ، محمد بن ابراهيم الزيادي ، في فتح تهامة ، واختط مدينة زبيد واتخذها عاصمته(٣) وقضى على روح التمرد عند القبائل اليمنية ، وتتبع أنصار العلويين وشيعتهم ، فقد كان كما وصفه ابن خلدون(٤) شديد البغض لآل علي بن أبي طالب .

وازداد نفوذ محمد الزيادي ، ونجح في ارساء قواعد حكم بني زياد لليمن الذي اتصف بأنه حكم ذاتي واستقلال داخلي ، مع استمرار الخطبة للخلفاء العباسيين ، وحمل الخراج والهدايا اليهم(٥) . وحكم محمد الزيادي اليمن طوال حياته ، وتوارث ابناؤه الحكم ، ثم تولى الحكم بعض مواليهم حتى سنة ٥٥٣ هـ ، ويطلق على هذه الدولة اسم الدولة الزيادية ، وهي أول الدول المستقلة

---

(١) كان زياد في أول حياته مشايعاً لعلي بن أبي طالب ، ويتولى حكم فارس ، وبعد قيام الدولة الأموية رأى معاوية بن أبي سفيان الاستفادة من جهود زيادة ، فاستلحقه ونسبه إلى أبيه أبي سفيان بن حرب ، فأصبح يطلق عليه (زياد بن أبي سفيان) ، وزياد واحد من دهاة العرب الأربعة (الثلاثة الآخرون هم : معاوية وعمرو بن العاصي ، والمغيرة بن شعبة) .

(٢) عمارة أليمن ، تاريخ اليمن ص ١٨٥ .

(٣) كان هناك واد يسمى وادي زبيد ، بنى فيه محمد الزيادي مدينة جديدة فسماها (زبيد) نسبة إلى هذا الوادي ، وتقع في تهامة اليمن ، ومعظم سكانها من الأشاعــــر (عمـــارة اليمني : تاريخ اليمن ص٣٦ – ٣٧ ، العقيلي ، المخلاف السليماني ج ١ ص ١٠٧) .

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٥) ابن الديبع : بغية المستفيد (مخطوط) ورقة ٤٥ .

التي شهدتها بلاد اليمن(١) ، وتوطد هذا الاستقلال مع ضعف الدولة العباسية .

وقد حكم محمد الزيادي بتفويض من المأمون ، وعن رغبة منه في تدعيم سلطته ، فقد أمده المأمون بألف فارس كان من بينهم سبعمائة من الخراسانيين ، واتسعت الدولة الزيادية ، فشملت حضرموت وديار كندة والشحر وبرباط ولحج وعدن والتهائم(٢) .

وهذه السياسة التي اختطها المأمون في بلاد اليمن ، تشبه سياسة أبيه هارون الرشيد حينما ولى ابراهيم بن الأغلب التميمي على أفريقية ومنحه من النفوذ ما جعله يقيم دولة الأغالبة في هذه البلاد ، لتكون هذه الدولة حاجزاً بين الخلافة العباسية وبين الأدارسة العلويين بالمغرب الأقصى . وتوارث الأغالبة الحكم حتى سنة ٢٥٦ هـ ، حتى قضت الدولة الفاطمية ، وهي دولة علوية شيعية ، على دولة الأغالبة (٣) .

وما لبثت أن ضعفت الدولة الزيادية في بلاد اليمن ، وأصبح في بلاد اليمن بعد سنة ٢٦٨ هـ ثلاث امارات : الامارة الزيادية في زبيد ، وبنو يعفر في صنعاء ، ودولة بني الرس (الزيدية) في صعدة(٤) . وقد لقي المذهب الزيدي رواجاً وقبولا في اليمن ، لما اتصف من به روح التسامح والقبول لكل الآراء ما دام لها ملتمس من هدى النبي صلى الله عليه وسلم(٥) . وقد انتقل المذهب الزيدي الى اليمن على يد الامام الهادي الى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم ، وهو من

---

(١) عمارة اليمني : تاريخ اليمن ص ٢٠٢ .
(٢) الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ١٢ — ١٦ .
(٣) الخضري : تاريخ الأمم الاسلامية ج ٢ ص ١٩١ .
(٤) حسين بن فيض الهمداني اليعبري : الصليحيون والحركة الفاطمية ص ٢٨ .
(٥) أبو زهرة : الامام زيد ص ٤٨٩ .

أحفاد الحسن بن علي ، وأقبل أهالي اليمن على بيعته سنة ٢٨٤ هـ (١) ، مما يخرج عن نطاق بحثنا. كما بدأ انتشار المذهب الاسماعيلي في اليمن على يد الداعيين علي بن فضل اليمني ، وابن حوشب في أواخر القرن الثالث الهجري مما يخرج أيضاً عن نطاق هذا البحث(٢) .

* * *

(١) انشأ الامام الهادي الامارة الزيدية سنة ٢٨٨ هـ (العقيلي : المخلاف السليماني جـ ١ ص ٣٤٨) .

(٢) بدأ انتشار المذهب الاسماعيلي في عهد أبي الجيش اسحق بن ابراهيم الزيادي حوالي سنة ٢٩١ هـ (اليعبري : الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص ٣٢) .

٦ ـ ثورة محمد بن القاسم
في عهد الخليفة المعتصم

تولى المعتصم(١) الخلافة العباسية في رجب سنة ٢١٨ هـ ، فأصبح ثامن الخلفاء العباسيين(٢) ، الذين واجهوا حركات الشيعة ونشاطهم ، ففي مطلع السنة التالية(٢١٩هـ) قامت حركة شيعية تزعمها محمد بن القاسم بن عمر بن علي ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهي حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية .

فقد كانت فرقة الشيعة الزيدية اكثر فرق الشيعة نشاطاً وحركة وميلا الى الثورة ، فضلا عن اتساع نطاق انتشار تعاليمها . وهذا يرجع الى كثرة تلاميذ الامام زيد بن علي ، المنبثين في سائر الأمصار الاسلامية . اذ أن زيداً لم يلتزم المدينة في اقامته ، بل انتقل منها الى البصرة ثم الى الكوفة (٣) ، حيث تتلمذ

(١) وهو أبو اسحق محمد المعتصم ، وامه أم ولد تسمى (ماردة) ، وقد تولى حكم الشام ومصر في عهد أخيه المأمون ، وقد رأى المأمون توليته عهده ، بدلا من ابنه العباس . لما كان يتمتع به المعتصم من شجاعة وخلق حميد وخبرة وبصيرة (الطبري ج ٧ ص ٢٢٣) .

(٢) أطلق على المعتصم اسم المثمن فهو الثامن من ولد العباس ، والثامن من الخلفاء ، وتولى الخلافة في الثامنة عشرة من عمره ، وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر وتوفي في الثامنة والاربعين من عمره وغزا ثماني غزوات ، وخلف ثمانية ملايين درهم . . . . (الفخري ص ٢٠٩) .

(٣) أبو زهرة : الامام زيد ص ٢٢٨ .

عليه كثير من الفقهاء والعلماء ، الذين أصبحوا معلمين لغيرهم(١) . كما أن زيداً ـ كما تذهب الشيعة الزيدية ـ كان أول من دون الفقه وصنفه وبوبه رغم أن العصر الأموي ، كما نعلم ، ليس عصر تدوين العلوم(٢) .

الزعيم العلوي الجديد :

وصف الأصفهاني(٣) محمد بن القاسم بأنه «كان من أهل العلم والفقه والدين والزهد وحسن المذهب» ، وقد كانت عامة الناس تلقبه الصوفي ، لأنه كان يدمن لبس الثياب من الصوف الأبيض ، ووصفه المسعودي(٤) بقوله : «وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع في نهاية الوصف» .

وكان محمد بن القاسم يذهب الى القول بآراء المعتزلة في العدل والتوحيد ، وينادي بآراء الزيدية الجارودية ، التي تنسب الى ابي الجارود(٥). وقد ذهبت هذه الفرقة الى أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على امامة علي بن أبي طالب بالوصف دون التسمية ، وقد قصر الناس حيث لم يتعرفوا الوصف ، ولم يطلبوا

---

(١) أصبح أولاد زيد ، عيسى ومحمد وحسين ويحيى ، أساتذة أيضاً لكثير من الفقهاء ، وأصبح عيسى أستاذاً لسفيان الثوري ، ومن أشهر تلاميذ زيد منصور بن المعتمر الفقيه المحدث .

(٢) من أبرز كتب الامام زيد كتاب (الجموع من الفقه) وكتاب (المجموع في الحديث) وقد جمعها أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي في كتاب واحد وهو (شرح المجموع) ، ثم طبعه عن مخطوطة له في روما (أبو زهرة : الامام زيد ص ٢٣٢ - ٢٣٣) ، ويذكر الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ٥٩) أن الواسطي من أصحاب أبي الجارود .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٧٨ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٥٢ .

(٥) هو زياد بن أبي زياد كما يسميه الشهرستاني (الملل والنحل ج ١ ص ٢٥٧) وزياد بن المنذر العبدي ما يسميه النوبختي ، ويسمى أيضاً سرحوب ، وكان ضريراً ، ومات سنة ١٥٠ هـ (النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨) .

الوصف وانما نصبوا أبا بكر اماماً ، فكفروا بذلك ، وآراء أبي الجارود هذه تخالف آراء الامام زيد بن علي(١) .

بدأ ظهور محمد بن القاسم في ناحية الرقة ، حيث التف حوله جماعة من وجوه الزيدية ونحن نفسر اتخاذه الرقة في أول أمر ظهوره ، بأن هذه المنطقة منذ فترة قصيرة تضطرم بنيران الثورة ، فقد اتخذها نصر بن شبث مركزاً لنشاطه الثوري ، وهو رجل عربي ثار ضد المأمون اذ أنكر عليه اعتماده التام على العناصر الفارسية ، وتعصب نصر للأمين ، وأصبح ، يمثل ثورة العناصر العربية الساخطة على العباسيين ، وقد حاول العلويون — كما رأينا — حثه على البيعة لامام علوي ، فرفض ذلك ، وحصر هدف ثورته في الدفاع عن العنصر العربي(٢) .

ومن الرقة ، بعث محمد بن القاسم الى المناطق المجاورة يستحث أهلها على الانضمام اليه ، فاستجاب لدعوته أربعون ألفاً ، فأخذ أنصاره البيعة له منهم ثم نزل محمد في قلعة حصينة في جبل حريز قرب مرو بخراسان ، ثم رحل بعد فترة الى الطالقان على بعد أربعين فرسخاً من مرو(٣) .

اتخذ محمد بن القاسم من الطالقان مركزاً لدعوته ، حتى أصبح يطلق عليه اسم « صاحب الطالقان » ، وأخذ يدعو الى الرضا من آل محمد « فاجتمع

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ح ١ ص ١٥٧ – ١٥٨ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢ – ٢٥ ، النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨ .

(٢) قال نصر للعلويين : انما هواي في بني العباس ، وانما حاربتهم محاماة عن العرب لانهم يقدمون عليهم العجم (الطبري جـ ٧ أحداث سنة ٢٠٥ هـ إلى سنة ٢١٠ هـ ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ١٠١ وما بعدها) .

(٣) الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٧٩ .

اليه بها ناس كثير (١) » . وعلم عبدالله بن طاهر باستفحال نفوذ محمد بن القاسم ، فبعث قائد شرطته الحسين بن نوح على رأس بعض الجند ، فلحقت بهم الهزيمة ، واستشاط ابن طاهر غضباً ، وبعث بجيش يقوده نوح ابن حيان بن جبلة ، كان نصيبه الهزيمة أيضاً ، فأمده ابن طاهر بقوات أخرى كثيرة ، نجحت في التلغب على قوات محمد بن القاسم الذي رأى الانسحاب الى مدينة (نسا) (٢) ، حيث اختفى بها ، وتفرق أنصاره في المناطق المجاورة يدعون اليه .

وعلم عبدالله بن طاهر بمكان اختفاء محمد بن القاسم ، ورأى أن يبدأ جولة جديدة من الصراع ، فعهد بأمر الثائر العلوي الى أحد قواده الكبار ، وهو ابراهيم بن غسان بن الفرح العودي ، الذي نجح في الحاق الهزيمة بمحمد بن القاسم وقبض عليه ، ورحل به حتى أسلمه الى ابن طاهر في نيسابور (٣) .

أبقى القائد عبدالله بن طاهر الثائر العلوي الى جانبه ثلاثة أشهر « يريد بذلك أن يعمي خبره على الناس كيلا يغلب عليه لكثرة ما بايعه بكور خراسان » (٤) . وكان ابن طاهر يوجه في كل ليلة بغالا عليها قباب ، تغادر نيسابور الى جهات متفرقة ، حتى يوهم الناس أنها تحمل الأسير الى الخليفة . وفي احدى الليالي

---

(١) الطبري : جـ ٧ ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٢) نسا : مدينة بخراسان ، وكان تسميتها بهذا الاسم أن المسلمين لما فتحوا خراسان قصدوها ، وهرب منها أهلها ، عدا النساء . حتى إذا دخلها المسلمون ولم يروا بها رجلا قالوا : هؤلاء نساء ، والنساء لا يقاتلن فننسيء أمرها الآن إلى أن يعود رجال من تتركوها ومضوا ، فسموا بذلك (نسا) والنسبة اليها (نسائي) – (أنظر معجم البلدان لياقوت جـ ٨ ص ٢٨٢ – ٢٨٣) .

(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٨٢ ، ويذكر الطبري (جـ ٧ ص ٢٢٤) أن عامل نسا رشا أحد أنصار محمد بن القاسم بعشرة آلاف درهم فدله على مكانه .

(٤) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٨٤ .

المظلمة أمر ابن طاهر قائده ابراهيم بن غسان بحمل محمد بن القاسم الى الخليفة المعتصم في بغداد(١) .

وأمر الخليفة المعتصم بأن تنزع القبة من فوق الدابة التي يمتطيها محمد بن القاسم ، كما أمر بأن يجرد من عمامته ، فيدخل بغداد حاسر الرأس ، تصغيراً من شأنه ، وقد تألم محمد بن القاسم لذلك أكثر مما تألم حينما قبض العباسيون عليه . ودخل محمد الى بغداد على هذا النحو في أواخر شهر ربيع الثاني سنة ٢١٩ هـ (٢) .

تصادف يوم وصول محمد بن القاسم الى بغداد ، أن كان أهلها يحتفلون بعيد النيروز ، جرياً على عادة العباسيين في الاحتفال بالأعياد الفارسية (٣) ودخل ابن القاسم على الخليفة المعتصم في مجلسه الذي عقده للاحتفال بهذا العيد ، وكان بعض الراقصين يؤدي رقصاتهم ، وروى الاصفهاني أن الخليفة المعتصم كان يمرح ويضحك ، بينما بكى محمد بن القاسم ، وقال : اللهم انك تعلم اني لم أزل حريصاً على تغيير هذا وانكاره .

أمر الخليفة المعتصم خادمه مسرور الكبير بحبس محمد بن القاسم ، فحبسه

---

(١) يذكر الاصفهاني (مقاتل الطالبيين ص ٥٨٤) أن محمد بن القاسم حمل إلى بغداد بينما يذكر الطبري (حـ ٧ ص ٢٢٤) أن الثائر العلوي « حبس فيما ذكر بسامرا » ونحن نشك في تلك الرواية ، إذ أن الطبري يذكر أن ابن القاسم قدم إلى المعتصم ، في ربيع الآخر سنة ٢١٩ هـ ، والمعروف أن المعتصم شرع في تخطيط سامرا في سنة ٢٢١ هـ (انظر مادة سامرا في معجم البلدان لياقوت) .

(٢) الطبري : جـ ٧ ص ٢٢٤ ، الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٨٤ .

(٣) النيروز : عيد فارسي قديم ، أول السنة الفارسية ، ويقع عند الاعتدال الربيعي ودخول الشمس في برج الحمل ، أي عند أول فصل الربيع ، وكان الفرس يتبادلون فيه الهدايا واعتادوا أن يرش بعضهم بعضاً بالماء ، ويرجع الفرس ذلك العيد إلى عثور النبي سليمان على خاتمه بعد ضياعه منه مما أدى إلى عودة ملكه اليه (البيروني : الآثار الباقية ص ٢١٦ — ٢١٧) .

في محبس ضيق طوله ثلاث أذرع ، وعرضه ذراعان ، وبعد ثلاثة أيام نقلوه الى موضع أوسع من ذلك ، وأجرى عليه طعاماً ، ووكل به قوماً يحفظونه .

وفي ليلة عيد الفطر ، انتهز محمد بن القاسم فرصة انشغال القائمين على سجنه بالاحتفال بهذه الليلة ، للفرار من سجنه(١) . وأصيب مسرور الخادم بالذعر ، وبات يترقب عقاب الخليفة له ، وخرج اليه يحمل النبأ ، فقال المعتصم له : لا بأس عليك ، ان كان ذهب فلن يفوت ، ان ظهر أخذناه ، وان آثـر السلامة واستتر تركناه(٢) .

واختلف المؤرخون حول مصير محمد بن القاسم ، فيذكر الطبري(٣) أنه اختفى « فلم يعرف له خبر » ، وروى الأصفهاني(٤) عدة روايات ، تذهب رواية منها الى أنه رجع الى الطالقان فمات بها ، وتذهب رواية أخرى الى أنه انحدر الى واسط حيث اشتد عليه المرض فمات ، وتذكر رواية ثالثة أن محمد ابن القاسم توارى أيام المعتصم والواثق ، ثم قبض عليه في عهد المتوكل ، حيث أمر بسجنه فمات في السجن .

وكانت حركة محمد بن القاسم هي خاتمة حركات الشيعة في العصر العباسي الأول ، فقد ركن العلويون الى الهدوء بقية عهد المعتصم . وذهب أتباع محمد ابن القاسم الى : « أن محمداً لم يمت وأنه حي يرزق ، وأنه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جوراً ، وأنه مهدي هذه الأمة ، وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان» (٥) .

---

(١) روى الاصفهاني (مقاتل الطالبيين ص ٥٨٦) أن محمد بن القاسم طلب مقراضاً لقص أظافره ، وقام بتقطيع الفراش على شكل سيور صنع منها سلماً ، أستخدمه في الفرار من نافذة سجنه (انظر ايضاً تاريخ الطبري جـ ٧ ص ٢٢٤) .

(٢) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٨٦ — ٥٨٧ .

(٣) الطبري : جـ ٧ ص ٢٢٤ . نادى منادي المعتصم في الطرقات يعد كل من يدل على ابن القاسم بمائة ألف درهم .

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٥٨٧ — ٥٨٨ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب جـ ٤ ص ٥٣ .

عوامل الإخفاق :

وقد نتساءل عن **عوامل اخفاق حركة محمد بن القاسم**، ورغم اتساع نطاقها وكثرة أنصارها ، في أول قيامها . ونرى أن الاخفاق يرجع الى عدة عوامل ، نذكر منها قوة الدولة العباسية في عهد الخليفة المعتصم ، وقد وصف صاحب الفخري(١) المعتصم بأنه كان سديد الرأي ، شديد المنة ، موصوفاً بالشجاعة . ومن هذه العوامل أيضاً ، اعتماد المعتصم على القائد عبدالله بن طاهر الذي كان من أعظم القواد العباسيين وهو القائد الذي نجح في مواجهة جيش الخليفة الأمين مما انتهى بمصرعه وخلاص المأمون منه(٢) ، وهو الذي أخمد ثورة نصر بن شيث أيضاً رغم قوتها وعنفها(٣) ، وهو الذي أرسله المأمون الى مصر سنة ٢١٠ هـ لاخماد ثورة المصريين(٤) وقد وصف المعتصم ابن طاهر فقال عنه « فهو الرجل الذي لم ير مثله(٥) » .

ومن عوامل اخفاق محمد بن القاسم أيضاً ، مناداته بآراء الزيدية الجارودية التي لم تكن ترضى كثيراً عن الزيدية ، وخاصة زيدية الكوفة . ويقول النوبختي(٦) عن أبي الجارود ، رأس هذه الفرقة : « ولقبه سرحوب .. وكان أبو الجارود أعمى البصر ، أعمى القلب ... » . ويقول الشهرستاني(٧) عن اختلاف الجارودية في سوق الامامة : « واختلفت الجارودية في التوقف والسوق

---

(١) الفخري ص ٢٠٩ .

(٢) الطبري : جـ ٧ ص ٧٦ وما بعدها .

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ١٠١ وما بعدها .

(٤) المقريزي : الخطط جـ ٢ ص ٤٩٢ – قام عبد الله بن طاهر في مصر بعدة اصلاحات ، منها زيادته في جامع عمرو بن العاص .

(٥) الطبري : جـ ٧ ص ٣١٤ . ذكر المعتصم هذا الوصف في عبارات طويلة عبر فيها عن ندمه على الاستعانة بالاتراك ، وقارن بين رجاله الاتراك ورجال أخيه المأمون ومنهم عبد الله ابن طاهر .

(٦) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨ .

(٧) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ١ ص ١٥٨ – ١٥٩ .

فساق بعضهم الامامة من علي الى الحسن ، ثم الحسين ، ثم الى علي بن الحسين زين العابدين ، ثم الى ابنه زيد بن علي ، ثم منه الى الامام محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية) والذين قالوا بامامة محمد بن عبدالله الامام ، اختلفوا فمنهم من قال انه لم يقتل وهو بعد حيّ ، وسيخرج فيملأ الأرض عدلا ، ومنهم من أقر بموته ، وساق الامامة الى محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي صاحب الطالقان ، ومنهم من قال بامامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة ، فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير ، وقتل في أيام المستعين » .

وكانت الشيعة الامامية تبغض الشيعة الزيدية من أتباع أبي الجارود ، فقد لعنه الامام جعفر الصادق(١) . كما تبرأ منه من قبل الامام محمد الباقر(٢) .

ومن أبرز عوامل اخفاق حركة محمد بن القاسم ميله الى آراء المعتزلة اذ نادى بالعدل والتوحيد(٣) ، وهما من أبرز تعاليم جماعة المعتزلة ، مما يدفعنا الى تخصيص فصل في هذا الباب لدراسة الصلات العقائدية بين فرق الشيعة وجماعة المعتزلة . وخاصة أن الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق وافقوا المعتزلة فيما ذهبوا اليه من أن القرآن مخلوق(٤) .

الشيعة في عهد الواثق بالله :

كان الواثق بالله، الخليفة العباسي التاسع ، وآخر خلفاء العصر العباسي الأول(٥) وقد تولى الخلافة سنة ٢٢٧ هـ بعد وفاة أبيه المعتصم ، ولم يشهد عصره حركات شيعية ، ويرجع ذلك الى عدة أسباب .

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ١٦٢ .
(٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٨ – ٤٩ .
(٣) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٧٨ .
(٤) الطبري : جـ ٧ ص ١٩٥ – ١٩٧ .
(٥) وهو هارون الواثق بالله ، وأمه أم ولد روميه تسمى (قراطيس) .

كانت مدة خلافة الواثق قصيرة فهي أقل من ست سنوات ، واستمرت في عهده السياسة التي بدأها أبوه المعتصم ، وهي الاعتماد على العناصر التركية ، وهي بعيدة عن التشيع. وكان الواثق كما وصفه صاحب الفخري(١) «من أفاضل خلفائهم ــ أي العباسيين ــ وكان فاضلا لبيباً فطناً فصيحاً شاعراً ، وكان يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته » .

وكانت الشيعة الزيدية قد تلقت ضربة عنيفة في عهد المعتصم بعد اخماد ثورة محمد بن القاسم ، وجرت عادة الشيعة على أن يركنوا الى الهدوء بعد تلقيهم هذه الضربات ، ويضمدوا فيها الجراح ، ويستعيدون نشاطهم .. وينتظرون ظهور زعماء جدد من العلويين يقودونهم على طريق النضال . فقد باتت الشيعة الزيدية تترقب زعيماً جديداً ، حتى وجدته في يحيى بن عمر الذي سيثور في عهــد المستعين، في العصر العباسي الثاني. أما **الشيعة الامامية**، فقد فقدت امامها **محمداً الجواد** سنة ٢١٠ هـ، أي في السنة التالية لتولية المعتصم الخلافة، وكان الجواد عند وفاته في الخامسة والعشرين من عمره . وكان بعض الشيعة قد أنكروا على محمد الجواد زواجه من أم الفضل ابنة الخليفة العباسي المأمون . ويتهم المسعودي (٢) المعتصم بتحريض هذه الزوجة على قتل الامام الجواد بالسم. وقد صلى الواثق ــ وهو ولي العهد ــ على جثمان الإمام الجواد ، ودفنه في الجانب الغربي من بغداد بمقابر قريش مع جده موسى بن جعفر وقد خلفه في الامامة **ابنه الامام علي الهادي** سنة ٢١٩ هـ ، وكان صبياً، ابن ست أو ثماني سنوات. وبذلك كان صغير السن في عهد الواثق ، مما لا يجعل له دوراً في السياسة أو نشاط الشيعة وسيصبح الامام الهادي موضع اضطهاد شديد مــن الخليفة المتوكل أول خلفاء العصر العباسي الثاني الذي يبدأ سنة ٢٣٢ هـ .(٣)

---

(١) الفخري : ص ٢١٥ ــ ويسميه السيوطي (تاريخ الخلفاء ص ٢٢٧) : « المأمون الاصغر »

(٢) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٥٢ ــ يرى الدكتور حسن ابراهيم (تاريخ الاسلام ج ١ ص ٧٠) أن الخليفة المعتصم قد يكون قد أوعز إلى أم الفضل بنت المأمون بقتل زوجها الامام محمد الجواد بالسم ، ولكننا لم نجد في المصادر ما يؤيد ذلك الاتهام .

(٣) أنوار الاسلام في علم الامام (مخطوط) ص ٢ ــ ٣ .

كانت صفات الواثق الشخصية الفاضلة تدفعه أيضاً الى اتباع سياسة تسامح مع العلويين . وقد شهدناه بالأمس يصلّي على جثمان الامام محمد الجواد ويهتم بدفنه . بل ان الواثق ، حينما شعر بقرب منيته رفض أن يوصي بالخلافة لابنه فقال : « لا أتحمل أمركم حياً وميتاً » .

وأشار الاصفهاني (١) الى تسامح الواثق مع العلويين ، فقال : « وكان آل أبي طالب مجتمعين بسر من رأى في أيامه ، تدور الأرزاق عليهم ،حتى تفرقوا أيام المتوكل » . كما قال صاحب الفخري(٢) « ولما ولي – الواثق – الخلافة ، أحسن الى بني عمه الطالبيين وبرهم » .

* * *

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٥٧٨ .

(٢) الفخري : ص ٢٧٥ .

خاتمــــة

عوامل استمرار جهاد الشيعة عبر العصور

خاتمـــة

عوامل استمرار جهاد الشيعة عبر العصور

وهكذا انسدل الستار على ثورات الشيعة في الشرق الاسلامي في العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢ هـ) . وقد اتضح في أبواب وفصول هذا البحث أثر هذه الثورات في تاريخ ذلك العصر، فقد انتشر التشيع في معظم الأمصار الاسلامية، وأصبحت الشيعة تمثل جانباً كبيراً من المسلمين ، وقوة من أبرز القوى التي تشكل التاريخ .

اختلفت حركات الشيعة طوال العصر العباسي الأول في طوابعها وظروفها ومدى فقهها . وكانت هناك عدة عوامل تؤثر في أشكال هذه الثورات ومدى اتساعها ، كما اختلفت عوامل اخفاق كل حركة . ويرجع هذا الخلاف الى شخصية الزعيم العلوي ، والى طبيعة وظروف المكان الذي انطلقت منه الحركة الشيعية ، والى شخصية الخليفة العباسي الذي قامت الحركة في عهده .

ولكن هذه الحركات الشيعية كلها تتفق في أنها قامت من أجل القضاء على الحكم العباسي ، ونقل الخلافة الى أبناء البيت العلوي ، سواء أكانوا ينتسبون الى فرع الحسن بن علي أو فرع أخيه الحسين . وهذه الحركات كلها هـي التطبيق العملي الايجابي لآراء وتعاليم فرق الشيعة المختلفة ، التي اتفقت في جوهر آرائها ، واختلفت في التفاصيل وفي التطبيق .

ولم تكن نهاية أي حركة من هذه الحركات هي نهاية لحركات الشيعة ، فالشيعة جماعة اسلامية كبرى لها مبادئها وتعاليمها الراسخة ، وهناك كثير من أبناء البيت العلوي الذين يتطلعون الى الخلافة ، ويرون ضرورة اسرداد الحق الشرعي للعلويين والذي اغتصبه العباسيون . كما كان هناك ملايين من المسلمين قد اعتنقوا مذهب التشيع ، وينظرون الى أئمتهم العلويين نظرة تقديس وتقدير ، مما يدفعهم الى الكفاح والنضال والاستشهاد من أجلهم . ولذا أصبحت حركات الشيعة حلقات متصلة تنتظم كلها في سلسلة واحدة شهدها العصر العباسي الأول .

ويرجع استمرار حركات الشيعة في العصر العباسي ، الى عدة أسباب : منها تفرق الشيعة الى عدة فرق ، وانتشار هذه الفرق في عدة أمصار ، حتى اذا أخفقت حركة تقودها فرقة منها ، حملت الفرق الأخرى بعد ذلك لواء حركة أخرى ، وهكذا : وكان تعدد فرق الشيعة يمثل خطراً على الدولة العباسية ، فكان على الخلفاء تتبع نشاط الشيعة في كثير من الاقطار .

ومن عوامل استمرار حركات الشيعة أيضاً ، لجوء الأئمة العلويين الى التقية والكتمان(١) ، والى الدعوة السرية ، مما أتاح الفرصة لنمو الحركة الشيعية وهي لا تزال في المهد ، بعيدة عن أيدي الخلفاء العباسيين وولاتهم . ويرى (جويد تسيهر) (٢) أن عجز الشيعي عن المجاهرة بعقيدته الحقيقية التي يؤمن بها ، كان

---

(١) قال الامام جعفر الصادق : « التقية ديني ودين آبائي » ، وقال : « من لا تقية له لا دين له » . وقال المظفر عن التقية (عقائد الامامية ص ٨٤) : كانت التقية شعاراً لآل البيت عليهم السلام دفعاً للضرر عنهم ، وعن اتباعهم وحقناً لدمائهم ، واستصلاحاً لحال المسلمين ، وجمعاً لكلمتهم . ومن المعلوم ان الامامية وائمتهم لاقوا من ضروب المحن في جميع العهود فاضطروا الى استعمال التقية بمكاتمة المخالفين لهم وترك مظاهراتهم وستر اعتقاداتهم عنهم ، لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا .

(٢) العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٢٠٢ .

مدرسة للسخط الذي يكنه الشيعة لخصومهم الاقوياء ، وهو سخط مبعثه عاطفة من الحقد والثورة .

ومن هذه العوامل أيضاً ، حب المسلمين لآل البيت بصفة عامة ، وللبيت العلوي منهم بصفة خاصة . فقد أصبح بيت علي ، في نظر كافة المسلمين ، مصدراً للعلم والأدب . وقد انحسر العلم عن بيوت كثير من أبناء الصحابة ، واتبعوا الدنيا ، أو انحسر العلم والفقه كله في كثير من الاقاليم عن العرب الى الموالي. أما البيت العلوي ،فلم يكن فيه منحدر لينحسر منه العلم أو يفيض(١) وأصبح البيت العلوي في العصر العباسي الأول ، أكبر مصادر النور والعرفان ، وخاصة في المدينة المنورة ، فانه منذ مصرع أبي الشهداء الحسين في كربلاء ، انصرف آل البيت الى العلم النبوي يتدارسونه ، وفيهم ذكاء آبائهم ، وهداية جدهم ، والشرف الهاشمي . وقد بعدوا أحياناً عن السياسة ، لأنهم ذاقوا مرارتها ، وتوارثوا ذلك الاتجاه العلمي ، فورثوا الامامة فيه(٢) .

وورث الأئمة علم النبي وعلوم الانبياء(٣) ،والامام يتلقى المعارف والاحكام الالهية عن طريق النبي أو الامام الذي قبله ، واذا استجد شيء لا بد أن يعلمه عن طريق الالهام بالقوة القدسية ، فالامامة هي استمرار للنبوة ، والدليل الذي يوجب ارسال الرسل وبعث الانبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الامام بعد الرسول(٤) . ولا شك أن هذه العقيدة دفعت الناس الى الالتفاف حول الأئمة والانضمام الى حركات الشيعة ، وجهاد الدولة العباسية .

ومن عوامل استمرار حركات الشيعة أيضاً ، فتح باب الاجتهاد ، اذ لم يعش

(١) سيد الاهل : جعفر بن محمد ص ٤٧ .
(٢) أبو زهرة : الامام الصادق ص ٢٢ .
(٣) الكايني : أصول الكافي ص ٥٦ — ٥٨ .
(٤) المظفر : عقائد الامامية ص ٦٥ — ٦٦ .

الشيعة في قوقعة ، بل اتجهوا الى التطور والتطوير ، وكان الاجتهاد هو سبيل ذلك ، ولا بأس عندهم أن تنقسم الشيعة الى فرق ، وتجتهد كل فرقة . وهم يستندون في ذلك على آية النفر في سورة التوبة (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) (١) .

علق أحد كتاب الشيعة الإمامية (٢) ، على هذه الآية الكريمة فقال : « وليس من المعقول أن يهمل القرآن أمراً مطابقاً لناموس الفطرة ، ولا سيما في أحكام الشريعة التي أريد لها الاستمرار والبقاء ومسايرة الزمن ومتابعة تطور الامم ، وما يستتبع ذلك من حوادث متجددة لا يمكن الاستظهار عليها ومعرفة حكمها الا بعملية الاجتهاد » .

ومن عوامل استمرار حركات الشيعة ، ظهورها في أماكن متفرقة من العالم الاسلامي وحاولت الحركات التكيف بالبيئات الجديدة ، والتأقلم بظروفها وأحوال سكانها . فكانت حركة يحيى بن عبدالله تعبر عن آلام وآمال الديلم(٣) كما كانت حركة إدريس بن عبدالله تتمشى مع أحوال البربر ، وحضارتهم ، وآلامهم(٤) كما كانت حركات الشيعة في الحجاز ، تتمشى مع طبائع أهل

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٣ .

(٢) الشيخ حسين معتوق : المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية ص ٢٠ .

(٣) كان الديلم يتطلعون دائماً الى الثورة ، فقال يحيى بن عبدالله : ان الديلم معنا خرجت فطمعت ان تكون معي » (الطبري ج ٦ ص ٤٥٠) .

(٤) كان البربر ساخطين على الحكم العباسي ، فضلا عن سخطهم على العناصر العربية وتطلع البربر الى الاستقلال ، ولم ينجح البربر في استيعاب الحضارة العربية الاسلامية - (ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٦٠ وما بعدها) ، (الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ص ٤٩٠ وما بعدها) .

الحجاز ، الذين شهدوا عصر صدر الاسلام ، ودعت حركة الحسين بن علي الى تحرير عبيد مكة(١) .

ومن هذه العوامل أيضاً ، مجاراة الشيعة لظروف العصر ، ومتابعتها الاحداث واتصالها بالفرق الأخرى من غير الشيعة ، مما أدى الى التطوير وتجديد الدماء .

* * *

(١) نادى الحسين بن علي : « أيما عبد أتانا فهو حر » (الطبري : ج ٦ ص ٤١٣) .

المصـــادر

أولا – المخطوطات

الأصفهاني : محمود بن أبي القاسم .

– « تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد » .

مخطوط بمكتبة الأزهر بالقاهرة تحت رقم ١٥٧٤٣ .

ابن الجوزي : (ت ٦٥٤ هـ) شمس الدين بن المظفر بن فينو أوغلي ، المعروف بسبط ابن الجوزي .

– « مرآة الزمان في تاريخ الاعيان » .

مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥١ تاريخ .

بن الديبع الشيباني : (ت ٩٤٤ هـ – ١٥٣٧ م) وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي الشافعي .

– « قرة العيون في أخبار اليمن » .

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٤ تاريخ .

– « بغية المستفيد في أخبار زبيد » .

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٥١٦ تاريخ .

الرازي : (ت ٦٠٦ هـ) فخر الدين .

– « نهاية العقول في دارية الأصول » .

مخطوط بدار الكتب المصرية في مجلدين تحت رقم ٧٤٨ توحيد .

ابن عنبه الحسيني : (ت ٨٠٨ هـ) جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن مهنة المعروف بابن عنبه الحسيني .

– « عمدة الطالب في أخبار ابن طالب » .

مخطوط بدار الكتب المصرية .

عياض : (ت ٥٤٤ هـ) ابن موسى بن عياض .

ـ « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك » .

مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٦٧٣ تاريخ .

العيني : (ت ٨٥٥ هـ) بدر الدين أبو محمد بن محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي .

ـ « عقد الزمان في تاريخ أهل الزمان » .

مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ .

أبو جعفر القمي : (ت ٣٨١ هـ) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي .

ـ « عيون أخبار الرضا » .

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢١٢ .

الكليني : (ت ٣٢٨ هـ ـ ٩٣٩ م) محمد بن يعقوب .

ـ « الكافي في أصول الدين » .

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٢٢٦ ب .

والكتاب مطبوع أيضاً في مجلدين في طهران سنة ١٨٨٩ م .

مؤلف مجهول :

ـ « أنوار الاسلام في علم الامام » .

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٢٠٦ ب.

ابن ناصر الدين : (ت ٨٤٢ هـ) محمد بن أبي بكر عبدالله بن محمد بن أحمد القيسي .

ـ « اتحاف المسالك برواة الموطأ عن الامام مالك » .

مخطوط بمكتبة الازهر برقم ١٠٠٣ (مجاميع ـ مصطلح) .

يحيى بن الحسين بن الامام القاسم بن محمد بن علي : (ت ١١٠٠ هـ – ١٦٨٩م)

– « أنباء الزمن في أخبار اليمن » .

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٤٧ .

(نشر الدكتور عبدالله ماضي الجزء الذي يضم تاريخ اليمن بين سنة ٢٨٠ هـ ، ٣٢٠ هـ في كتاب مطبوع في برلين سنة ١٩٣٦ م) .

– « غاية الأماني في أخبار القطر اليماني » المسمى عقيلة الدمن المختصر من أنباء الزمن في أخبار اليمن .

مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة ، عن ميكروفيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربية بالقاهرة .

وقام الاستاذ الدكتور سعيد عاشور بتحقيق ونشر الكتاب في جزءين بالقاهرة سنة ١٩٦٨ م .

* * *

ثانياً — المصادر والمراجع العربية المطبوعة

ابن الأثير : (+ ٦٣٠ هـ — ١٢٣٨ م) علي بن أحمد بن أبي الكرم .
— « الكامل في التاريخ » ، (القاهرة ١٣٠٢ هـ) .
— « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ، (طبعة المعارف ١٢٨٦ هـ) .

أحمد أمين .
— « ضحى الاسلام » ، ٣ أجزاء ، (القاهرة ١٩٥٦) .

أحمد صبحي : الدكتور .
— « نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية » ، (دار المعارف بالقاهرة) .

أسد حيدر .
— « الامام الصادق والمذاهب الأربعة » ، (طبعة دار النشر الاسلامي ، بكربلاء ، بالعراق) .

الاسفراييني : أبو المظفر عماد الدين .
— « التبصير في الدين » ، (مطبعة الانوار بالقاهرة ١٩٤٠) .

أحمد الشرباصي : الدكتور .
— « الأئمة الأربعة » ، (طبعة دار الهلال بالقاهرة) .
— « التصوف عند المستشرقين » ، (سلسلة الثقافة الاسلامية بالقاهرة ١٣٨٠ هـ) .

الاشعري : أبو الحسن علي .
— « مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين » تحقيق وتعليق محيي الدين عبد الحميد ، جزءان ، (مطبعة النهضة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ) .

الأصفهاني : (+ ٣٥٢ هـ — ٩٦٧ م) أبو الفرج .
— « كتاب الاغاني » ٢١ جزءاً (مطبعة التقدم بالقاهرة — طبعة دي ساسي سنة ١٣٢٣ هـ) .
— « مقاتل الطالبيين » (طبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٤٩) .

البير نصري نادر : الدكتور .
— « فلسفة المعتزلة » ، جزءان (طبعة بيروت) .

ابن بابوية : (الامام) القمي الصدوق .
— « من لا يحضره الفقية » (طبعة ايران ١٩٠٨) .
— « كمال الدين » (طبعة طهران ١٨٨٣) .
— « عيون أخبار الرضا » ، (طبعة ايران ١٩٥٨ م) .

البروجردي : علي أصغر .
— « نور الأنوار » ، (طبعة طهران ١٣٢٨ هـ) .

البغدادي : (+ ٤٢٩ هـ — ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد القادر بن طاهر بن محمد
— « الفرق بين الفرق » ، (القاهرة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م) .

البلاذري : (+ ٢٧٩ هـ — ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر .
— « فتوح البلدان » ، (مطبعة الموسوعات بالقاهرة ١٣١٩ هـ — ١٩٠١م) .
— « أنساب الاشراف » ، الجزءان الرابع والخامس (فلسطين ١٩٣٨) .

البلخي : (+ ٣٢٢ هـ — ٩٣٣ — ٩٣٤ م) أبو زيد بن سهل .
— « كتاب البدء والتاريخ » وينسب الى مطهر بن طاهر المقدسي ٦ أجزاء (باريس ١٩٠٧ م (.

البيروني : (+ ٤٤٠ هـ — ١٠٤٨ م) أبو الريحان محمد بن أحمد .
— « الآثار الباقية من القرون الخالية » ، (لبزج ١٩٢٣) .

البيهقي : (٤٥٨ هـ) .
— « المحاسن والمساوىء » جزءان (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٦ م) .

الجاحظ : (+ ٢٥٥ هـ — ٨٦٩ م) أبو عثمان عمرو بن بحر .
— « كتاب الحيوان » ، (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧م) .
— « كتاب التاج » ، (المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٢٢ هـ — ١٩١٤م) .
— « البيان والتبيين » ، (مطبعة الفتوح بالقاهرة ١٣٣٢ هـ) .
— « رسائل الجاحظ » ، ١١ رسالة (القاهرة ١٣٢٤ هـ) .
— « رسالة برأيه في معاوية والأمويين (مطبعة الخانجي بالقاهرة) .

الجهشياري : (+ ٣٣١ هـ) أبو عبدالله محمد بن عبدوس .
— « كتاب الوزراء والكتاب » ، (مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م) .

جورجي زيدان :
— « تاريخ التمدن الاسلامي » (طبعة دار الهلال — الطبعة الثانية) .

الجومرد : الدكتور عبد الجبار .
— « داهية العرب أبو جعفر المنصور » ، (طبعة بيروت ١٩٦٣) .
— « هارون الرشيد » ، جزءان (طبعة بيروت ١٩٥٦) .

حاجي خليفة : (+ ١٠٦٧ هـ — ١٦٥٧ م) مصطفى كاتب شلبي .
— « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، (ليبسك ولندن ١٨٣٥— ١٨٥٨ م) .

ابن حجر العسقلاني : (+ ٨٥٢ هـ — ١٤٤٩ م) شهاب الدين بن علي .
— « الاصابة في تمييز الصحابة » ، (القاهرة ١٩٢١) .

ابن أبي الحديد: (+ ٤٥٤ هـ -١١١٣ م) الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد الحسيني .
— « شرح نهج البلاغة » عشرون جزءاً (مطبعة الحلبي بالقاهرة) .

ابن حزم : (+ ٤٥٦ هـ – ١٠٦٤ م) أبو محمد علي بن أحمد .
— « الفصل في الملل والاهواء والنحل » ، خمسة أجزاء ، (المطبعة الأدبية بالقاهرة ١٣١٧ هـ) .

حسن ابراهيم حسن : الدكتور .
— « تاريخ الاسلام » الجزء الثاني (القاهرة ١٩٤٥) .
— « تاريخ الدولة الفاطمية » ، (القاهرة ، الطبعة الثانية) .
— « اليمن » ، (سلسلة اخترنا لك ، القاهرة) .

حسن واعظ كيشفي .
— « جنات الخلود » ، (طبعة ايران ٩١٠ هـ) .

حسين بن فيض الهمداني اليعبري الحرازي ، بالاشتراك مع الدكتور حسن سليمان .
— « الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن » ، (القاهرة ١٩٥٥) .

حسين معتوق :
— « المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الامامية » ، (بيروت ١٣٩٠ هـ) . ١٩٧٠ م) .

الحلي : (ت ٦٧٦ هـ) أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلي .
— « المختصر النافع في فقه الامامية » ، (طبعة ادارة الثقافة بوزارة الاوقاف المصرية) .

الخضري : محمد .
— « تاريخ الدولة العباسية » ، (القاهرة ١٩١٦ م) .

الخطيب البغدادي : (+ ٤٦٣ هـ) الحافظ ابو بكر أحمد بن علي .
— « تاريخ بغداد أو مدينة السلام » ، ١٤ جزءاً (القاهرة ١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م) .

ابن خلدون : (+ ٨٠٨ هـ — ١٤٠٥ م) عبد الرحمن بن محمد .
— « مقدمة ابن خلدون » ، (المطبعة البهية المطرية ، القاهرة) .
— « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ٧ أجزاء (القاهرة ١٢٨٤ هـ) .

ابن خلكان : (+ ٦٨١ هـ — ٢٨١ ١م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر الشافعي .
— « وفيات الاعيان » ، (طبعة مكتبة النهضة بالقاهرة ١٩٤٨) .
دائرة المعارف الاسلامية .
دائرة معارف البستاني .

الدوري : الدكتور عبد العزيز .
— « مقدمة في تاريخ صدر الاسلام » ، (مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٩م).
— « العصر العباسي الأول » ، (بغداد ١٩٤٢ م) .
— « الجذور التاريخية للشعوبية » ، (بيروت ١٩٦٢ م) .
— « النظم الاسلامية » ، (بغداد ، ١٩٥٠ م) .
— « العصور العباسية المتأخرة » ، (مطبعة العاني ، بغداد) .

الدينوري : (+ ٢٨٢ هـ — ٨٩٥ م) أحمد بن داود أبو حنيفة .
— « الأخبار الطوال » ، (ليدن ١٨٨٨ م) .

زكي مبارك : الدكتور .
— « التصوف الاسلامي » ، (القاهرة ، الطبعة الأولى) .

زكي محمد حسن : الدكتور .
— « دراسات في الموازنة بين المؤرخين في ديار الاسلام والمؤرخين الأوروبيين في العصور الوسطى » ، (بحث في مجلة كلية الآداب والعلوم في بغداد ، الجزء الثاني يونيو ١٩٥٧ م) .

زهدي جار الله :
— « المعتزلة » ، (مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٤٧ م) .

الساعدي : (كاظم جواد) .
— « حياة الامام زين العابدين » ، النجف سنة (١٣٧٤ هـ) .

سيدة اسماعيل كاشف : الدكتورة .
— « مصر في عصر الولاة » ، سلسلة ألف كتاب بالقاهرة) .
— « مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه » ، (القاهرة ١٩٦٠) .

السيوطي : (+ ٩١١ هـ — ٦٠٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين .
— « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة » ، (المطبعة التجارية القاهرة ١٩٥٢ م).

الشريف تاج الدين :
— « غاية الاختصار » ، (القاهرة ١٣١٠ هـ) .

شريف الدين علي اليزدي :
— « ظفر نامة » ، (كلكتا ١٨٨٧ هـ) .

الشريف الرضي :
— « خصائص أمير المؤمنين » ، (النجف ١٣٤٩ هـ) .

الشهرستاني : (+ ٥٤٨ هـ — ١١٥٣م) أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم .
— « الملل والنحل » ، (القاهرة ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٨ م) .

الشيرازي :
— « آثار العجم » ، (طبعة ايران ١٣١٤ هـ) .

ابن الصباغ : (٨٥٥ هـ) .
— « الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة » ، (مطبعة العدل ، النجف ١٩٥٠ م) .

ابن طباطبا : (٧٠١ هـ) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي .
— « الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية » ، (مطبعة الموسوعات القاهرة ١٣١٧ هـ) .

الطبري : (+ ٣١٠ هـ — ١٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير .
— « تاريخ الامم والملوك » ، ٨ أجزاء (المطبعة التجارية بالقاهرة ١٩٤٩) .

طه حسين : الدكتور .
— « علي وبنوه » (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٣) .
— « حديث الاربعاء » ، (دار المعارف بالقاهرة) .

الطوسي : (+ ٤٦٠ هـ — ١٠٦٧ — ١٠٦٨ م) محمد بن الحسين .
— « فهرست كتب الشيعة » ، » كلكتا ١٨٥٥) .
— « تهذيب الاحكام» ، (ايران ١٨٩٩) .
— « عدة الأصول » ، (طهران ١٣١٧ هـ) .

ابن طولون : شمس الدين .
— « الشذرات الذهبية في الأئمة الاثني عشرية » .
تحقيق الدكتور صلاح المنجد (طبعة سنة ١٣٨٠ هـ) .

ابن طيفور : (٢٨٠ هـ) ابو الفضل أحمد بن طاهر الكتاب .
— « بغداد » ، (طبعة مكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .

عارف تامر :
— « القرامطة » (طبعة بيروت) .

عبد الجواد الكليدار : الدكتور .
— « تاريخ كربلاء وحائر الحسين » ، (مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٨ هـ).

عبد الحليم الجندي :
— « الامام أبو حنيفة » ، (طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٩٦٨)

عبد الحميد العبادي :
— « صور من التاريخ الاسلامي » ، (مكتبة الآداب ، الاسكندرية ١٩٤٨)

العاملي : (ت ١١٠٤ هـ) محمد بن الحسن الحر العاملي .
— « وسائل الشيعة » ، (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧م) .
— « الفصول المهمة في أصول الائمة » ، (طبعة سنة ١٣٠٤ هـ) .

العاملي : محمد حسين الزين .
— « الشيعة في التاريخ » ، (مطبعة العرفان ، صيدا سنة ١٩٣٨) .

ابن عبد ربه : (٤٣٩ هـ) أبو عمر أحمد بن محمد .
— « العقد الفريد » ، (لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٨) .

ابن العبري :
— « تاريخ مختصر الدول » ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٠) .

ابن العربي : (٥٤٣ هـ) القاضي أبو بكر بن العربي .
— « العواصم من القواصم » ، (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧١ هـ) .

ابن عربي : محيي الدين .
— « الفتوحات المكية » ، (القاهرة ، الطبعة الأولى) .

عبد العزيز : جواهر كلام .
— « الشيعة الامامية » ، (طبعة ١٩٢٩) .

عبد العزيز سيد الأهل :
— « جعفر بن محمد — الامام الصادق » ، (طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٤ .

ابن عساكر : (٥٧١ هـ) ابو القاسم علي بن الحسين .
— « تهذيب التاريخ الكبير » ، (دمشق ١٣٣٢ هـ) .

ابن عقيل : محمد بن عقيل .
— « تقوية الامام برد تزكية ابن أبي سفيان » ، (ص ١٣٤٣ هـ) .

علي بن الحسين الهاشمي النجفي .
— « محمد بن الحنفية » ، (طبعة طهران ١٣٦٨ هـ).

علي حسني الخربوطلي : الدكتور .
— « تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي » ، (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩)
— « الدولة العربية الاسلامية » ، (طبعة الحلبي بالقاهرة) .
— « المختار الثقفي » ، (سلسلة اعلام العرب ١٩٦٣) .

ـ « عبدالله بن الزبير » ، (سلسلة اعلام العرب ١٩٦٤) .
ـ « المهدي العباسي » ، (سلسلة أعلام العرب ١٩٦٨) .
ـ « الاسلام والخلافة » ، (طبعة بيروت ١٩٦٨) .
ـ « ١٠ ثورات في الاسلام » ، (طبعة بيروت ١٩٦٩) .

علي سامي النشار : الدكتور .
ـ « نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام » الجزء الثاني (دار المعارف ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩) .

علي مصطفى الغرابي :
ـ « تاريخ الفرق الاسلامية » ، (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٤٨) .

ابن العماد الحنبلي : (ت ١٠٨٩ هـ) أبو الفلاح عبد الحي .
ـ « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » ، (القاهرة ١٣٥٠ هـ) .

عمارة اليمن : (ت ٥٦٩ هـ (أبو الحسن نجم الدين عمارة اليمني الحكمي .
ـ « كتاب تاريخ اليمن » ، تحقيق وتعليق الدكتور حسن سليمان محمود . (مكتبة جامعة القاهرة) .

العمري : (٧٤٩ هـ) ابن فضل الله العمري .
ـ « مسالك الأبصار في الممالك والأمصار » .

الغزالي : (+ ٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م) الامام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد .

ـ « المنقذ من الضلال » ، « دمشق ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٤ م » .
ـ « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » ، (القاهرة ١٣١٩ هـ ـ ١٩٠١م)
ـ « إحياء علوم الدين » ، ٤ أجزاء (طبعة مكتبة الحسن التجارية بالقاهرة).

فخر الدين الرازي : (٦٠٦ هـ) .
— « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨) .

أبو الفدا : (٧٣٢ هـ — ١٣٣١ م) اسماعيل بن علي عماد الدين .
— « المختصر في أخبار البشر » ، (المطبعة الحسينية ، القاهرة) .

ابن قتيبة : (+ ٢٧٦ هـ — ٨٨٩ م) أبو محمد عبدالله بن مسلم .
— « الامامة والسياسة » جزءان (الطبعة الثانية القاهرة ١٣٢٥ هـ) .
— « المعارف » ، (المطبعة الاسلامية ، القاهرة ١٩٣٥ م) .
— « عيون الاخبار » ، ٤ أجزاء (مطبعة دار الكتب المصرية ١٤٣٢ هـ — ١٩٢٠ م) .

القرماني : أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي .
— « أخبار الدول وآثار الأول » ، (بغداد ١٢٨٤ هـ) .

القلقشندي : (٨٢١ هـ — ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد .
— « صبح الأعشى في صناعة الانشا » ، (المطبعة الاميرية ١٣٢٣ هـ — ١٩١٤ م) .

ابن كثير : (٧٧٤ هـ) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل الدمشقي .
— « البداية والنهاية » ، (مطبعة السعادة ، القاهرة) .

كرد علي : محمد .
— « الاسلام والحضارة العربية » ، جزءان (مطبعة دار الكتاب المصرية سنة ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٦ م) .

الكندي : (ت ٣٥٠ هـ) أبو عمر يوسف بن محمد .

— « الولاة والقضاة » ، (طبعة بيروت ١٩٠٨ م) .

الماوردي : (+ ٤٥٠ هـ — ١٠٥٧ م) أبو الحسن علي محمد بن حبيب البغدادي البصري .

— « الاحكام السلطانية » ، (القاهرة ١٢٨٩ هـ) .

المبرد : (٢٨٥ هـ) أبو العباس محمد بن زيد .

— « الكامل » جزءان (مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م) .

المجلسي : (٦٩٩ هـ) محمد باقر .

— « تذكرة الأئمة » ، (طهران ١٩١٣ م) .

— « مشكاة الأنوار » ، (تبريز ١٨٦٣ م) .

— « تحفة الزائرين » ، (طهران ١٨٥٧ م) .

— « حلية المتقين » ، (ايران ١٨٥٩ م) .

— « الحق اليقين » ، (طهران ١٨٢٥ م) .

— « حياة القلوب » ، ٣ مجلدات (ايران ١٩٠٩ م) .

— « بحار الأنوار » ، (طهران ١٩١٢ م) .

مجهول :

— « العيون والحدائق في الاخبار والحقائق » ، (طبعة دي غويه ، ليدن سنة ١٨٧٠ م) .

أبو المحاسن : (٨٧٤ هـ) جمال الدين يوسف بن تغري بردى .

— « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ، (طبعة دار الكتب المصرية)

محسن الأمين الحسيني .

— « أعيان الشيعة » ٤ أجزاء (مطبعة ابن زيدون ، دمشق ١٩٣٥ م) .

محمد أبو زهرة : الاستاذ الشيخ .
— « الامام زيد » ، (دار الفكر العربي بالقاهرة ، الطبعة الأولى) .
— « أبو حنيفة » ، (دار الفكر العربي بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٠) .
— « الامام الصادق » ، (دار الفكر العربي بالقاهرة ، الطبعة الأولى) .
— « مالك » ، (مكتبة الأنجلو بالقاهرة ١٩٤٦) .

محمد تقي مستوفي كاشاني : (١٨٧٩ م) .
— « ناسخ التواريخ » ، (طهران ١٨٩٧ م) .

محمد جابر عبد العال الحيني : الدكتور .
— « حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والادبية لمدن العراق ابان العصر العباسي الأول » ، (دار المعرفة بالقاهرة ١٩٦٧ م) .

محمد جمال الدين سرور : الدكتور .
— « الحياة السياسية في الدولة العربية »، (دار الفكر العربي ، القاهرة — ١٩٦٠) .
— « الحضارة الاسلامية في الشرق » ، (دار الفكر العربي ، القاهرة) .

محمد جواد مغنية :
— « مع الشيعة الامامية » ، (بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٥٦) .
— « الشيعة والحاكمون » ، (طبعة رابعة النشر الاسلامي ، كربلاء ، العراق) .
— « الشيعة والتشيع » ، (طبعة رابطة النشر الاسلامي ، كربلاء ، العراق).

محمد الحسين آل كاشف الغطاء :
— « أصل الشيعة وأصولها » ، (طبعة رابطة النشر الاسلامي ، كربلاء ، العراق (.

محمد عبد الغني حسن :
— « علم التاريخ عند العرب » ، (سلسلة مع العرب ١٩٦٠) .

محمد غلاب : الدكتور .
— « التنسك الاسلامي » ، (طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية) .

المسعودي ؛ (+ ٣٤٦ هـ — ٩٥٦ م) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي .
— « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، (مطبعة دار الرجاء بالقاهرة) .
— « التنبيه والاشراف » ، (مكتبة الشرق الاسلامي ، القاهرة ١٩٣٨) .
— « اثبات الوصية للامام علي » ، (المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٥٥) .

مسكويه :
— « تجارب الأمم » ، ٧ مجلدات (مطبعة التمدن بالقاهرة ١٩١٤) .

مصطفى كامل الشيبي : الدكتور .
— « الصلة بين التصوف والتشيع » ، (دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩) .

المظفر : محمد رضا .
— « عقائد الامامية » ، (طبعة دار النشر الاسلامي ، كربلاء ، العراق).

المظفري : محمد الحسين .
— « تاريخ الشيعة » ، (النجف ١٣٥٢ هـ) .
— « الصادق » ، (النجف) .

المقريزي : (+ ٨٤٥ هـ — ١٤٤١ م) تقي الدين أحمد بن علي .
— « النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم » (المطبعة الابراهيمية بالقاهرة) .
— « المواعظ والاعتبار لذكر الخطط والآثار » ، (بولاق ، القاهرة)

— « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » ، الجزء الأول تحقيق المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال (طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

المكي :
— « مناقب أبي حنيفة » ، جزءان (طبعة استانبول) .

الملطي : (٣٧٧ هـ) ابو حسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن .
— « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » ، (مكتبة نشر الثقافة الاسلامية القاهرة ١٣٦٩ هـ — ١٩٤٩ م) .

موسى جار الله :
— « الوشيعة في عقائد الشيعة » ، (طبعة الخانجي بالقاهرة) .

ابن النديم : (+ ٣٨٣ هـ — ٩٩٣ م) محمد بن اسحاق النديم البغدادي .
— « الفهرست » جزءان (المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ) .

ابن نشوان الحميري : (٥٧٣ هـ) أبو سعيد نشوان بن سعد .
— « شرح رسالة الحور العين وتنبيه السامعين » ، (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٤٨ م) .

النوبختي : (+ ٢٠٢ هـ — ٨١٧ م) أبو محمد الحسن بن موسى .
— « كتاب فرق الشيعة » ، (استانبول ١٩٣١) .

هاشم معروف :
— « عقيدة الشيعة الامامية » ، (بيروت ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م) .

ابن هشام : (٢١٨ هـ — ٨٣٣ م) أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب المعافري الحميري .
— « السيرة النبوية » ، ٤ أجزاء (القاهرة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦م) .

الهمداني : (ت ٣٣٤ هـ) ابو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب **الهمداني** .
ـــ « صفة جزيرة العرب » ، تحقيق موللر (ليدن ١٨٩١ م) .

الواسعي اليماني : عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني .
ـــ « تاريخ اليمن ، المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن. (القاهرة ١٩٤٧) .

الويسي : حسين بن علي الويسي .
ـــ « اليمن الكبرى » ، الجزء الأول ، (القاهرة ١٩٦٢) .

ياقوت : (+ ٦٢٦ هـ ـــ ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبدالله الحموي .
ـــ « معجم البلدان » ، (مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٣ هـ ـــ ١٩٠٦ م) .

ابو يعلى : (ت ٤٥٨ هـ) محمد بن الحسن الفراء الحنبلي .
ـــ « الاحكام السلطانية » ، (القاهرة ١٩٣٨) .

اليعقوبي : (٢٨٢ هـ ـــ ٨٩٥ م) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن ذهب بن واضح .
ـــ « تاريخ اليعقوبي » ، ٣ أجزاء (النجف ١٣٥٨ هـ) .
ـــ « كتاب البلدان » ، (ليدن ١٩٠٦م) .

أبو يوسف : (+ ١٩٢ هـ ـــ ٨٠٧ م ـــ٨٠٨م) يعقوب بن ابراهيم .
ـــ « كتاب الخراج » ، (المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٠٢ هـ) .

* * *

ثالثاً – المصادر الافرنجية المترجمة الى اللغة العربية

أرنولد : توماس و .

– « الدعوة الى الاسلام » ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وعبد المجيد عابدين واسماعيل النحراوي ، (طبعة مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٤٧) .

– « الخلافة » ترجمة جميل معلى ، (طبعة دار اليقظة العربية ١٩٤٦) .

وليري : دي ساسي .

– « الفكر العربي ومكانه في التاريخ » ، ترجمة دكتور تمام حسان (وزارة الثقافة بالقاهرة) .

بارتولد : ف .

– « تاريخ الحضارة الاسلامية » ترجمة حمزة طاهر (مطبعة المعارف بالقاهرة ١٩٤٢) .

بروكلمان : كارل .

– « تاريخ الشعوب الاسلامية » ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البلعبكي ، (بيروت ١٩٤٨) .

جوزي : بندلي .

– « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » ، (القدس ١٩٢٨) .

جولد تسيهر : اجناس .

– « العقيدة والشريعة في الاسلام » ترجمة علي حسن عبد القادر ومحمد يوسف موسى وعبد العزيز عبد الحق ، (دار الكاتب المصري بالقاهرة ١٩٤٦) .

حتي : الدكتور فيليب .
— « تاريخ العرب » ترجمة مبروك نافع (القاهرة ١٩٥٣) .

دوزي : ر . ب . أ .
— « نظرات في الاسلام » ، ترجمة كامل كيلاني (طبعة الحلبي بالقاهرة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٣ م) .

ديمومبين : موريس غودفروا .
— « النظم الاسلامية » ترجمة صالح الشماع وفيصل السامر .
(مطبعة الزهراء ، بغداد ١٩٥٢) .

روزنثال : فراهز .
— « علم التاريخ عند المسلمين » ترجمة الدكتور صالح العلي (بغداد — ١٩٦٣) .

ريسلر : جاك س .
— « الحضارة العربية » ترجمة غنيم عبدون (الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة) .

رونلدسون : دوايت م .
— « عقيدة الشيعة » ترجمة ع . م . (مطبعة السعادة ١٩٤٦) .

سيد أمير علي .
— « مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي » ترجمة رياض رأفت ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٣٨) .

فان فلوتن : ج .
— « السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية » ترجمة الدكتور حسن ابراهيم والشيخ محمد زكي ابراهيم (القاهرة ١٩٣٤ م) .

فلهوزن :

– « الدولة العربية » ترجمة الدكتور عبد الهادي أبو ريدة (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة) .

– « الخوارج والشيعة » ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي (مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة) .

كريمر : فون .

– « الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية » ترجمة الدكتور طه بدر (طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة) .

كوك : ريجارد .

– « بغداد مدينة السلام » (بغداد ، الطبعة الأولى) .

لويس : برنارد .

– « أصول الاسماعيلية » ترجمة خليل جلو وجاسم الرجب ، (مكتبة المثنى ببغداد ١٩٣٨) .

* * *

Baille : A Digest of Muhammadan Law, 2 Vols. (London 1986).

Blair : (Rev. John C.) The Sources of Islam (Madras, 1925).

Blochet : (E.) Le Messianisme dans l'Heterodoxie Musulman (Paris, 1903).

Browne : (Edward G.A.) Literary History of Persia, (London, 1909).

Canon Sell: Ithna Ashariyya, or the Twelve Shi'ah Imams, (Madras, 1925).

Chabrin : (Sir John) Travels in Persia (Argonout Press 1927) .

De Boer : (T.J.) The history of Philosophy in Islam, Translated by E.R. Jones (London, 1903).

Fraser : (James B.) Journey into Khourasan (1825).

Galland : Essai Sur Les Motazelites, (Leiden, 1953).

Gibb : (H..A.R.) Arabic Literature, (London, 1926).

Guillaume : (W.) The Traditions of Islam. (Oxford, 1924).

Huart : A History of Arabic Literature, (New York, 1903).

Iqbal : (Shaikh Muhammad) (The Development of Metaphysics in Persia (London, 1908).

Irving : (Washington) A Hisrtoy of the Lives of the Successors of Mohammed, (Paris, 1850).

Ivanow : A Guide to Ismaili Literature, (London, 1933).

Kremer : (Alfred Von) The Orient Under the Caliphs, translated by Khuda Bushsch, (Calcutta, 1920).

H. Lammes : (S.J.) L'Islam, Croyances oct Institutions, (Beyrouth, 1926).
- Etudes Sur le Siecle des Omayyads, (Beyrouth, 1936).
- Fatime et les filles de Mahomet, (Rome 1912).

Lane-Poole: (Stanly) Studies in a Mosque, (London, 1893).

Macdonald: (D.B.) The Religious Attitude and Life in Islam, (Chicago, 1909).
- Development of Muslim Theology (New York, 1926).

Malcolm: (Sir John) – History of Persia, 2 Vols,. (London, 1829).

Muir : (William Temple) The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall, (Edinburgh, 1924).

Nicholson : (A. Raynold) The Mystics of Islam (London, 1914).
- Studies in Islamic Mystics, (Cambridge 1921).
- Literary History of the Arabs, (London, 1923) .

Nicolas : (A.L.M.) Essai Sur le Cheikisme, (Paris 1910).

Noldke : Sketches from Eastern History, (London, an Edin-burgh 1892(.

Ockly : (Simon) The History of the Saracens, (London 1847) .

Palmer : Haroun el-Rashid, (London, 1881).

Pelly : (Sir Lewis) The Miracle Play of Hasan and Husain., 2 Vols (London, 1921).

Le Strange : (Guy) The Lands of the Eastern Caliphate, (Cambridge, 1930).

Sykes : (Percy) A History of Persia, 2 Vols, (London, 1921) .

Wensinck : (A.J.) The Muslim Creed, (Cambridge 1932).